الأغاني

الجزء السادس

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر
حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو بالتصوير أو التسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

E. Mail alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

أخبار الصّمة القشيري

[نسبه]

هو الصِّمَّة بن عبد اللَّه بن الطُفَيل بن قُرَّة بن هُبَيرة بن عامر بن سَلَمةِ الخير ابن قُشَير بِنْ كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عكْرمة بن خَصفَة بن قَيْس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار، شاعرٌ إسلاميٌّ بَدَويٌّ مُقِلّ، من شعراء الدولة الأُمَويّة. ولِجَدِّه قُرَّة بن هُبيرة صحبة بالنّبي ﷺ، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه ﷺ وآله.

[وَفَدَ جَدَّه قرة على النّبي]

أخبرني بِخَبَرِهِ عُبيدُ اللَّه بن محمد الرَّازي وعَمِّي قالا: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ وابن دَأْب وغيرِهما مِنَ الرُّواة قالوا: وَفَدَ قُرَّة بن هُبيرة بن عامر بن سَلَمَةِ الخير بن قُشَير بن كعب بن رَبيعة إلى النّبي ﷺ فأسْلَمَ، وقال له: يا رسول اللَّه، إنَّا كُنَّا نَعْبدُ الآلهة لا تنفعنا ولا تضرُّنا فقال له رسول اللَّه ﷺ: «نِعْم ذا عَقلاً».

[حبه وزواجه]

وقال ابن دَأْب: وكان من خبر الصِّمَّة أنه هَوِي امرأةً من قومه ثم من بنات عَمِّه دنِيةً يُقَالُ لها العامِرِيَّة بنت غُطَيف بن حَبيب بن قُرَّة بن هُبَيرة، فَخَطَبَها إلى أبيها فأبى أن يُزَوِّجَهُ إياها، وخَطَبَها عامر بن بشر بن أبي بَرَاء بن مالك بن مُلاعِب الأسِنَّة بن جعفر بن كِلاب، فَزَوَّجَهُ إياها. وكان عامر قصيراً قبيحاً، فقال الصِّمَّة بن عبد اللَّه في ذلك:

فإنْ تُنْكِحوها عامراً لاطّلاعكم إليه يُدَهْدِهْكُم[1] بِرجليه عامِرُ

[الطويل]

شَبَّهَهُ بالجُعَلْ[2] الذي يدهده البعرةَ بِرِجْلَيْه.

(١) يدهدهكم: يدحرجكم.

(٢) الجُعَل: دابة سوداء من دوابّ الأَرض، قيل: هو أَبو جَعْران، بفتح الجيم، وجمعه جِعْلانٌ.

قال: فلما بنى بها زَوْجُها، وَجَدَ الصِّمَّة بها وَجْداً شديداً وحَزِنَ عليها؛ فَزَوَّجَهُ أهلهُ امرأةً منهم يُقالُ لها جبرة بنت وَحْشيّ بن الطُّفَيل بن قُرَّة بن هُبيرة، فأقام عليها مُقاماً يسيراً، ثم رَحَلَ إلى الشام غَضَباً على قومِهِ، وخَلَّفَ امرأتَهُ فيهم، وقال لها:

كُلِي التَّمْرَ حتى تَهْرَمَ النَّخْلُ وٱضفِري ... خِطامَك ما تدرين ما اليوم من أمسِ

[الطويل]

وقالَ فيها أيضاً:

لَعَمْري لَئِنْ كُنْتُم على النأي والقِلَى[1] ... بِكُمْ مِثْلُ ما بي إنَّكم لَصَدِيقُ
إذا زَفَراتُ الحبّ صَعَّدْن في الحَشى ... رُدِدْنَ ولم تُنْهَجْ لَهُنَّ طريقُ

[الطويل]

وقَالَ فيها أيضاً:

إذا ما أتَتْنا الرِّيحُ مِنْ نحو أرضكم ... أتتنا بِرَيَّاكم فَطَابَ هُبوبُها
أتتنا بِريح المسكِ خَالَطَ عَنْبراً ... وريحِ الخُزامى باكَرْتها جَنوبُها

[الطويل]

وقال فيها أيضاً:

هَلْ تَجزِيَنِّي العامِريَّةُ موقفي ... على نِسْوَةٍ بين الحِمى وغَضى الجَمْرِ
مَرَرْنَ بأسبابِ الصِّبا فَذَكَرْنَها ... فأومَأْتُ إذ ما من جَوابٍ ولا نُكرِ

[الطويل]

[موته]

وقال ابن دَأْبٍ: وأخبرني جَمَاعة من بني قُشَير أنَّ الصِّمَّة خَرَجَ في غَزِيٍّ[2] من المسلمين إلى بلد الدَّيْلَم فَمَاتَ بِطَبَرِستان.

قال ابن دأب: وأنشدني جماعةٌ من بني قُشَير للصِّمَّة:

صـوت

أَلَا تَسْأَلانِ اللَّهَ أنْ يَسقيَ الحِمى ... بَلَى فَسَقى اللَّهُ الحِمى والمَطاليا[3]

---

(١) القلى: البغض.

(٢) غزي: اسم جمع لغاز.

(٣) المِطلاءُ: مَسِيلٌ ضَيِّقٌ من الأَرض، يُمَدُّ ويُقْصَر، وقيل: هي أَرضٌ سَهْلةٌ ليِّنةٌ تُنْبِتُ العِضَاهَ؛ وقد وَهِمَ أَبو حنيفة حين أَنشد بيت هِمْيان:

ورُغُلَ المِطْلى به لَواهِجا

وأسألُ من لاقَيْتُ هل مُطِر الحِمى فهل يَسْأَلَنْ عَنِّي الحمى كيف حالِيا

[الطويل]

الغناء في هذين البيتين لإسحاق، ولَحْنُهُ من الثقيل الأوَّل بالوسطى، وهو من مختار الأغاني ونادرها.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع وعمي قالا: حَدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: قال عبد اللَّه بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ: حَدَّثنا عبد اللَّه بن إسحاق الجعفريّ عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال: حَدَّثني رَجُلٌ من أهل طَبَرِستانَ كبيرُ السنِّ قال: بينا أنا يوماً أمشي في ضَيعةٍ لي فيها ألوانٌ من الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان في البستان مَطْرُوح عليه أهدامٌ خُلْقانٌ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فإذا هو يَتَحَرَّكُ ولا يتكلَّمُ، فأصْغَيْتُ إليه فإذا هو يقولُ بِصَوتٍ خَفِيٍ:

تَعَزَّ بِصَبرٍ لاوجَدِّك لا تَرَى سنامَ الحِمى أُخرى الليالي الغَوابرِ

كأنَّ فؤادي من تَذَكُّرِهِ الحِمى وأهلَ الحِمى يَهفُو به ريشُ طائرِ

[الطويل]

قال: فما زال يُرَدِّدُ هذين البيتين حتى فاضت نَفسُهُ، فَسَأَلْتُ عنه فقيل لي: هذا الصِّمَّة بن عبد اللَّه القُشَيريّ.

[كان ابن الأعرابيّ يَسْتَحْسِنُ شعراً له]

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثنا الخَرَّاز أحمد بن الحارث قال:

كان ابن الأعرابيّ يَسْتَحْسِنُ قول الصِّمَّة:

أَمّا وَجَلالِ اللَّه لَو تَذكُرينَني كَذكريكِ ماكَفْكَفْتِ لِلعَينِ مَدمعا[1]

فَقالَت بَلى وَاللَّهِ ذِكراً لَوَ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلى صُمِّ الصَّفا لتَصَدَّعا[2]

[الطويل]

ـ غنّى في هذين البيتين عُبيد اللَّه بن أبي غَسَّان ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى. وفيهما لِعَريبَ خفيفُ رَمَل:

وَلَمّا رَأَيتَ البِشرَ[3] قد حال بيننا وَجالَتْ بَناتُ الشَّوقِ في الصدر نُزَّعا

(١) ورد في بعض المصادر «أدمعا» بدل «مدمعا».

(٢) ورد البيت الثاني على الشكل التالي:

فَقالَت بَلى وَاللَّهِ ذِكرا لَوَ انَّهُ يُصَبُّ عَلى الصَّخرِ الأَصَمِّ تَصَدَّعا

(٣) البشر: اسم جبل.

تَـلَـفَّـتُّ نَـحـوَ الـحَـيِّ حَـتّـى وَجَـدتُـنـي وَجِـعـتُ مِـنَ الإِصـغـاءِ لـيـتـاً وَأَخـدَعـا[١]

[الطويل]

أخبرني أبو الطيِّب بن الوَشَّاء قال: قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزْديّ: لَوْ حَلَفَ حَالِفٌ أنَّ أحسنَ أبياتٍ قيلت في الجاهليَّة والإسلام في الغزل قول الصِّمَّة القُشَيريّ ما حَنَثَ:

حَـنَـنـتَ إلـى رَيّـا وَنَـفـسُـكَ بـاعَـدَتْ مَـرارَكَ مِـن رَيّـا وَشَـعـبـاكُـمـا مَـعـا[٢]

فَـمـا حَـسَـنٌ أَن تَـأتـيَ الأَمـرَ طـائِـعـاً وَتَـجـزَعَ أَن دَاعـي الـصَّـبـابَـة أَسـمَـعـا

بَـكَـتْ عـيـنـيَ الـيُـمـنـى فـلـمـا زَجَـرْتُـهـا عـن الـجَـهْـلِ بـعـد الـحـلـم أسْـبَـلَـتـا مـعـا[٣]

[الطويل]

صـوت

وَأَذكُـرُ أَيّـامَ الـحِـمـى ثُـمَّ أَنـثَـنـي عَـلـى كَـبـدي مِـن خَـشـيَـةٍ أَن تَـصَـدَّعـا

فَـلَـيـسَـتْ عَـشـيّـاتُ الـحِـمـى بِـرَواجِـعٍ عَـلَـيـكَ وَلَـكِـن خَـلِّ عَـيـنَـيـكَ تَـدمَـعـا

[الطويل]

غَنَّتْ في هذين البيتين قُرَشِيَّة الزَّرقاء لحناً من الثقيل الأوَّل عن الهشاميّ. وهذه الأبيات التي أوَّلها «حَنَنْتُ إلى رَيّا» تُروى لِقَيس بن ذَرِيح في أخباره وشعرِهِ بأسانيدَ قَدْ ذُكِرَت في مواضعها، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذُكِرَت أيضاً في أخباره. والصحيح في البيتين الأوَّلين أنهما لِقَيس بن ذَريح وروايتهما له، أثبت، وقد تواترت الرِّوايات بأنهما له من عِدَّة طرق، والأُخَر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصِّمَّة.

[كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره]

أنشدنا محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبي حاتم للصِّمَّة القشَيريّ قال: وكان أبو حاتم يَسْتَجْيدهما، وأنشدنيهما عَمِّي عن الكِرانيّ عن أبي حاتم، وأنشدنيهما الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي حاتم:

---

(١) الأَخْدَعُ: عِرْقٌ في موضع المِحْجمتين، وهو شعبة من الوريد. وهما أَخْدَعانِ. وربَّما وقعت الشَّرطة على أحدِهما فَيُنْزَفُ صاحبُهُ. وقولهم: فلانٌ شديدُ الأَخْدَعِ، أي شديدُ موضِع الأَخْدَعِ. وكذلك شديدُ الأَبْهَرِ.

(٢) ورد هذا البيت على الشكل التالي:

أَتَبكي عَلى رَيّا وَنَفسُكَ باعَدَت مَزارَكَ مِن رَيّا وَشَعباكُما مَعا

(٣) هذا البيت لم يرد في القصيدة.

إذا نَـأَتْ لـم تُـفَـارقـنـي عَـلاقَـتُـهـا وإنْ دَنَـتْ فَـصُـدودُ الـعـاتـب الـزَّاري
فَـحَـالُ عـيـنـيَ مـن يـومَـيـك واحـدةٌ تـبـكـي لِـفَـرْطِ صـدودٍ أو نَـوى دارِ
[البسيط]

[تذكر محبوبته]

أخبرني حبيبُ بن نصر المَهلَّبي قال: حَدَّثنا عُبيد اللَّه بن إسحاق بن سَلَّام قال: حَدَّثني أبي عن شُعَيب بن صَخر عن بعض بني عُقَيل قال:

مَرَرْتُ بالصِّمَّة بن عبد اللَّه القُشَيريّ يَوْماً وهو جَالِسٌ وَحْدَهُ يبكي ويُخَاطِبُ نَفْسَهُ ويقولُ: لا واللَّه ما صَدَقَتْكَ فيما قالت، فَقُلْتُ: مَنْ تَعْنِي؟ وَيْحَكَ! أجُنِنْتَ! قال: أعني التي أقول فيها:

أمَـا وجـلالِ الـلَّـه لـو تَـذْكُـريـنـنـي كَـذِكـريـكِ ما كَـفْـكَـفْـتِ لِـلْـعَـينِ مَـدْمَـعَـا
فَـقَـالَـتْ بَـلَـى والـلَّـه ذكـراً لـوَ أنَّـه يُـصَـبّ عـلـى صُـمِّ الـصَّـفـا لَـتَـصَـدَّعـا
[الطويل]

أُسَلي نفسي عنها وأُخْبِرُها أنَّها لو ذَكَرَتْنِي كَمَا قَالَت لَكَانَتْ في مثل حالي.

[قصته في خطبة ابنة عمه]

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حَدَّثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العبدي عن موسى بن عبد اللَّه التَّيميّ قال: خَطَبَ الصِّمَّة القُشيريّ بِنْتَ عَمِّهِ وكان لها مُحِباً، فاشتطَّ عليه عمُّهُ في المهرِ؛ فَسَألَ أباه أن يُعاوِنَهُ وكان كثيرَ المالِ فَلَمْ يُعِنه بشيء؛ فَسَأَلَ عَشِيرَتَهُ فأعطَوه، فأتى بالإبل عَمَّه، فَقَالَ: لا أقبل هذه في مَهْرِ ابنتي، فاسأل أباك أن يُبَدِلَها لك فَسَألَ ذلك أباه فأبى عليه؛ فلما رأى ذلك من فعلهما قَطَعَ عُقُلَها وخَلَّاها، فعاد كُلُّ بعير منها إلى أُلَّافه. وتَحَمَّلَ الصِّمَّة راحلاً. فَقَالَتْ بنت عمه حين رأته يَتَحَمَّل: تاللَّه ما رَأَيْتُ كاليوم رَجُلاً بَاعته عشيرته بأبعِرة. ومَضَى مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بالثغر؛ فقال وقد طال مُقامه واشتاقها ونَدِمَ على فعله:

أَتَـبـكـي عَـلـى رَيّـا وَنَـفـسُـكَ بـاعَـدَتْ مَـزارَكَ مِـن رَيّـا وَشَـعـبـاكُـمـا مَـعـا
فَـمـا حَـسـنٌ أَن تَـأتـيَ الأَمـرَ طـائِـعـاً وَتَـجـزَعَ أَن دَاعـي الـصَّـبـابَـة أَسـمَـعـا
[الطويل]

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدامةَ قال: حَدَّثني حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ: أنَّ الصِّمَّة خَطَبَ ابنة عمه هذه إلى أبيها فقال له: لا أزوِّجكها إلا على كذا وكذا من الإبل؛ فَذَهَبَ إلى أبيه فَأَعْلَمَهُ بذلك وشكا إليه ما يَجِدُ بها؛ فَسَاقَ

الإبلَ عنه إلى أخيه فلما جاء بها عَدَّها عَمُّهُ فَوَجَدَها تَنْقُصُ بعيراً، فقال: لا آخذها إلا كامِلةً، فَغَضِبَ أبوه وحلف لا يَزيده على ما جاء به شيئاً. وَرَجَعَ إلى الصِّمَّة، فقال له: ما وراءك؟ فأخبرَهُ؛ فَقَال: تاللَّه ما رَأَيْتُ قَطُّ ألأَمَ مِنْكُما جميعاً؛ وإني لألأم منكما إن أقمت بينكما ثم رَكِبَ نَاقَتَهُ وَرَحَلَ إلى ثغر مِنَ الثُّغُورِ، فَأَقَامَ به حتى مات. وقال في ذلك:

أَمِن ذكر دارٍ بِالرَّقاشَينِ[١] أَصبحتْ ... بها عاصفاتُ الصَّيفِ بُدءاً وَرُجَّعا
حَنَنْتَ إلى رَيّا وَنَفسُكَ باعَدَتْ ... مَزارَكَ مِن رَيّا وَشَعباكُما مَعا
فَما حَسنٌ أَن تَأتيَ الأَمرَ طائِعاً ... وَتَجزَعَ إن دَاعي الصَّبابَة أَسمَعا
كَأَنَّكَ لَم تَشهَدَ وَداعَ مُفارِقٍ ... وَلَم تَرَ شَعبَيْ صاحِبَينِ تَقَطَّعا
بَكَتْ عَينيَ اليُسرى فَلَمّا زَجَرتُها ... عَنِ الجَهلِ بَعدَ الحِلمِ أَسبَلَتا مَعا
تَحَمَّلَ أَهلي مِن قَنينَ وَغادَروا ... بِهِ أَهلَ لَيلى حينَ جِيدَ[٢] وَأَمرَعا[٣]
أَلا يا خَليلَيَّ اللَّذَينِ تَواصَيا ... بِلَومِيَ إلاّ أَن أُطيعَ وَأَسمَعا
قِفا إِنَّهُ لا بُدَّ مِن رَجعِ نَظرَةٍ ... يمانِيَّةٍ شتَّى بها القومُ أو معا
لِمُغتَصِبٍ قَد عَزَّهُ[٤] القَومُ أَمرَهُ ... حَياءً يكُفّ الدمعَ أن يتَطَلَّعا
تَبَرَّضُ عينيه الصَّبابةُ كُلَّما ... دنا الليل أو أوفى من الأرضِ مَيْفَعا[٥]
فَلَيسَتْ عَشيّاتُ الحِمى بِرَواجِعٍ ... إلَيكَ وَلَكِن خَلِّ عَينَيكَ تَدمَعا

[الطويل]

صـوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن عليّ

قُلْ لأسماءَ أنجزي المِيعادا ... وانظري أن تُزوِّدي منك زادا
إن تكوني حللت ربعاً منَ الشام وجاورت حميراً أو مُرادا
أوتناءَتْ بكِ النوى فلقد قُدْتِ فؤادي لِحَيْنِه فانقادا
ذاك أني عَلِقْتُ منكِ جَوى الحُبُّ وليداً فزدتُ سِنًّا فزادا

[الخفيف]

---

(١) الرقاشان: جبلان بأعلى الشريف في ملتقى دار كعب وكلب، قال: وبالرقاشين من أسباله شِملُ.
(٢) جيد: المطر الغزير. (٣) مرع: كلأ.
(٤) عزَّه: غلبه وسلبه. (٥) الميفع: المكان المشرف.

الشعرُ لداود بن سَلْم. والغناءُ لِدَحمان، ولَحْنُهُ المختار من الثقيل الأوَّل بالوسطى. وقد كُنَّا وَجَدْنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق مُنْسوباً إلى المرَقَّش، وطلبناه في أشعار المرَقَّشَين جميعاً فَلَمْ نَجِدْهُ، وكُنَّا نَظُنُّهُ من شاذِّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم، وفي خبرٍ أنا ذاكره في أخبار داود. وإنَّما نَذْكُرُ ما وقع إلينا عن رُواته، فما وَقَعَ من غَلَطٍ فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فَرَطَ مِنا غَيْرَهُ، وما لم يَجرِ هذا المجرى فلا ينبغي لقارىء هذا الكتاب أن يُلْزِمَنا لومَ خطإٍ لم نتعمَّدْهُ ولا اخترعناه، وإنَّما حكيناه عن رواتِهِ واجتهدنا في الإصابة. وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميلٍ إن شاء اللَّه.

أخبار داود بن سلم ونسبه

[نسبه وولاؤه]

داود بن سَلْم مولى بني تَيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ، ثم يقولُ بَعْضُ الرواة؛ إنَّه مولى آل أبي بكر، ويقولُ بَعْضُهُم: إنَّه مولى آل طَلْحة. وهو مُخَضْرَم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكني المدينة، يُقالُ له داود الآدم وداود الأرمك[١]. وكان من أقبح الناس وجهاً. وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يَسْتَثْقِلُهُ، فرآه ذاتَ يوم يَخْطُرُ خَطرةً مُنْكَرَةً فدعا به، وكان يتولى المدينةَ، فَضَرَبَهُ ضَرْباً مُبرِّحاً. وأظهرَ أنَّه إنَّماً فَعَلَ ذلك به من أجل الخَطرة التي تخايل فيها في مشيته. فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنه ابنَ رُهَيْمة:

ضَـــرَبَ الـــعـــادِلُ ســـعـــدٌ ابـــنَ ســـلـــمٍ فـــي الـــسَّـــمـــاجَـــهْ
فَـــقَـــضَـــى الـــلَّـــهُ لـــســـعـــد مـــن أمـــيـــرٍ كـــلَّ حـــاجـــهْ

[مجزوء الرمل]

[مدح آل معمر لأن أمه من مواليهم]

أخبرني محمد بن سليمان الطُّوسي قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال:

سَأَلْتُ محمد بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناسُ، هو مولانا، أبوه رجل من النَّبَط، وأمه بنتُ حَوْط مولى عمر بن عبيد اللَّه بن مَعمر فانتسب إلى ولاء أمه. وفي ذلك يقول ويمدحُ ابنَ مَعْمَر:

وإذا دعـا الـجـانـي الـنـصـيـرَ لِـنَـصْـرِهِ وأرتْـنِـيَ الـغُـرَرَ الـنـصـيـرةَ مَـعْـمَـرُ
مُـتَـخـازِرِيـن[٢] كـأنَّ أُسْـدَ خَـفِـيَّـة[٣] بِـمَـقَـامِـهـا مُـسْـتَـبْـسِـلات تَـزْأَرُ

---

(١) الأرْمَكُ والأربك من الإبل: الأسود، وهو في ذاك مُشرب كدرة، وهو شديد سواد الأذنين، والدُّفوف، وما عدا أذني الأرْمَكِ، ودفوفه مشرب كدرةً.

(٢) التَّخْزِيرُ: التَّضْبِيقُ. قال ابن الأَعْرَابِيّ: الشَّيْخُ يُخَزِّر عَيْنَه ليَجْمَع الضَّوْءَ حتى كأَنَّهما خِيطَتَا، والشَّابُّ إذا خَزَّرَ عَيْنَيْه فإنه يَتَدَاهَى بذلك.

(٣) الخَفِيَّةُ: غَيْضَةٌ ملتفة من النبات، يتخذ فيها الأسد عرينه، قال:

أســود شــرًى لاقــت أســودَ خَــفــيّــةٍ تــســاقــيــن ســمــاً كــلــهــن حــوارِدُ

مُتَجَاسِرِين بحمل كلّ مُلِمَّة مُتَجبِّرين على الذي يَتَجَبَّرُ
عُسُلُ[١] الرِّضا فإذا أردْتَ خِصَامَهُم خَلَطَ الشِّمامَ بفيك صابٌ مُمْقِرُ[٢]
لا يَطْبَعون ولا تَرى أخلاقَهم إلا تطيبُ كما يطيبُ العنبرُ
رَفَعُوا بنايَ بِعِتْق حَوْطٍ دِنيَةً جَدِّي وفَضْلِهم الذي لا يُنْكَرُ
[الكامل]

[كان أسود وبخيل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثني إسحاق الموصليّ قال: كان داود بن سَلم مولى بني تَيْم بن مُرَّة، وكان يُقالُ له: الآدم لِشدَّةِ سواده، وكان من أبخلِ الناس؛ فَطَرَقَهُ قومٌ وهو بالعقيق، فصاحوا به: العشاء والقِرى يابْنَ سَلم، فقال لهم: لا عَشاءَ لَكُم عندي ولا قِرى، قالوا: فأين قُولُك في قصيدتك إذ تقول فيها:

يا دارَ هِنْدٍ! ألا حُيِّيتِ من دارِ لم أقْضِ مِنْكِ لُباناتي وأوطاري
عُوِّدتُ فيها إذا ما الضيفُ نَبَّهَني عَقْرَ العِشار[٣] على يُسْري وإعساري
[البسيط]

قال: لَسْتُمْ من أولَئِكَ الذين عَنَيْتُ.

[عزى السريّ بن عبد اللَّه عن ابنه]

قال: ودخل على السريّ بن عبد اللَّه الهاشميّ، وقد أُصِيْبَ بابْنٍ لَهُ، فَوَقَفَ بين يديه ثم أنشده:

يَا مَنْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ عُجْمٍ ومِنْ عَرَبٍ إسترجِعُوا خَاستِ[٤] الدُّنيا بِعَبَّاسِ

---

(١) عسل جمع عاسل وعسول أي حلو.
(٢) الممقِر: السَّمّ أو الشيء المرّ. قال الشاعر:
تسقي الأعادي بالذُّعاف الممْقِرِ
وقال آخرون: المُمْقِر: المُرّ. قال الشاعر:
شَنَّةٌ ما عَطَّنوها ماءها إنما ماؤكِ صاب ومَقرْ
وأمقرت لفلان شراباً، إذا أمررته له. وكل شيء نقعته في شيء فقد مقرته فيه فهو مَقير.
(٣) العشار: وهي من الإبل ما مضى لحملها عشرة أشهر.
(٤) خاست: غدرت.

فُجِعْتَ مِنْ سَبْعَةٍ قَدْ كُنْتُ آمُلُهم مـن ضِـنْء والـدهـم بـالـسيِّدِ الـرّاسِ[١]
[البسيط]

قال: وداود بن سلم الذي يقول:

قُـل لِأَسـمـاءَ أَنـجِـزي الـمـيـعـادا وَاْنـظُـري أن تُـزَوِّدي مِـنـكِ زادا
إن تَـكـونـي حَـلَـلـتِ رَبـعـاً مِـنَ الـشـامِ وَجـاوَرتِ حِـمـيَـراً وَمُـرادا[٢]
أو تَـنَـاءَتْ بِـكِ الـنـوى فـلـقـد قُـدْتِ فـؤادي لَـحَـيْـنـه فـانـقـادا
ذاكِ أنـي عَـلِـقْـتُ مِـنْـكِ جَـوَى الـحـبّ ولـيـداً فَـزِدْتُ سِـنًّـا فـزادا
[الخفيف]

قال أبو زيد: أنشدنيها أبو غسَّان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المُنْذِر لداود ابن سَلم.

نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء

صـوت

يـا دارَ هِـنْـدٍ! ألا حُـيِّـيـتِ مـن دارِ لـم أقْـضِ مِـنْـكِ لُـبـانـاتـي وأوطـاري
[البسيط]

[مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره]

أخبرنا الطُّوسيّ قال: حَدَّثنا الزُّبير قال: أخبرني مُصْعَب بن عثمان قال: دعا الحسن بنُ زيد إسحاق بن إبراهيم بن طلحةَ بن عمر بن عُبَيد اللَّه بن مَعْمَر التَّيْميّ أيامَ كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبى عليه فَحَبَسَهُ، فَدَعا مسرقين يسرقون له مَغْسَلاً في السجن، وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه. وبَلَغَ ذلك الحسنَ ابن زيد، فَأَرْسَلَ إليه فَأُتِيَ بِهِ، فَقَالَ: إنَّكَ تلاجَجْتَ عَليَّ، وقد حَلَفْتُ ألا أُرْسِلَكَ حتى تَعْمَلَ لي، فأبرِر يميني، فَفَعَلَ، فَأَرْسَلَ الحسن معه جُنْداً حتى جلس في المَسْجِدِ مجلسَ القضاء والجندُ على رأسِهِ، فجاءه داود بن سَلم فَوَقَفَ عليه فقال:

طَـلَـبُـوا الـفـقـهَ والـمـروءةَ والـحِـلْـمَ وفـيـك أجـتـمَـعْـنَ يـا إسـحـاقُ
[الخفيف]

---

(١) الضنء: ضَنَأَتِ المرأةُ تَضْنَأُ ضَنْأً وضُنُوءاً اذا نَفَثَتْ في الوَلَد أي كَثُرَ وَلَدُها. وهي الضانئةُ أي كَثُر ضِنْؤُها، أي ولدها، وكذلك الماشية اذا كَثُرَ نِتاجُها. وضِنْءُ كلِّ شيءٍ نَسْلُه.

(٢) هذان البيتان ينسبان للبحتري.

فقال: ادفعوه، فدفعوه، فَنُجِّيَ عنه؛ فَجَلَسَ ساعة ثم قام من مجلسه؛ فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء؛ فلما سار إلى منزلِهِ أرسَلَ إلى داود بن سلم بِخَمْسين ديناراً، وقال لِلرسولِ: قُلْ له: يقولُ لَكَ مولاك: ما حَمَلَكَ على أن تَمْدَحَني بشيء أكرهه؟ استعن بهذه على أمرك.

[ضربه سعد بن إبراهيم في المسجد]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني مُحْرِز بن سعيد قال:

بينما سعد بن إبراهيم في مسجد النّبي ﷺ يَقْضِي بين النَّاس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد اللَّه بن جعفر، ومعه داود بن سَلم مولى التَّيميِّين، وعليهما ثياب ملوَّنة يَجُرَّانها فَأَوْمَأَ أنْ يُؤتى بهما، فأشارَ إلى زيد أنِ اجْلس، فَجَلَسَ بالقُرْبِ مِنْهُ، وأومأ إلى الآخر أن يَجْلِسَ حَيْثُ يَجْلِسُ مثلُهُ، ثم قال لِعَوْن من أعوانِهِ: ادعُ لي نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد اللَّه، فَدُعِيَ له فَجَاءَ أحسنَ الناس سَمتاً[1] وتَشْمِيراً[2] ونقاء ثياب؛ فأشار إليه فجلس؛ ثم أقبل على زيد فقال له: يابْن أخي، تَشَبَّهَ بِشَيْخِكَ هذا وسَمْتِهِ وتَشْمِيرِهِ ونقاء ثوبه، ولا تَعُدْ إلى هذا اللبس، قُمْ فانصَرِفْ. ثم أقبَلَ على ابن سَلْم وكان قبيحاً، فقال له: هذا ابنُ جعفر أحتمل هذا له، وأنت لأيِّ شيء أحتمل هذا لك؟ أَلِلؤم أصلِكَ، أم لِسمَاجة وجهك! جَرِّدْ يا غلام؛ فَجَرَّد فَضَرَبَهُ أسواطاً. فقال ابنُ رُهَيمة:

جَلَدَ العادِلُ سعدٌ ... ابنَ سَلْمٍ في السَّماجَهْ
فَقَضَى اللَّهُ لسعدٍ ... من أميرٍ كلَّ حاجَهْ

[مجزوء الرمل]

أخبرني الحرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني يعقوب بن حُمَيد بن كاسب قال: حَدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشُون عن يوسف بن الماجِشُون قال: قال لي أبي ـ وقد عُزِلَ سعد بن إبراهيم عن القضاء ـ يا بُنَيَّ تَعَجَّلَ بنا عسى أن نروحَ مع سعد بن إبراهيم، فإنَّ القاضي إذا عُزِل لَمْ يَزَلِ الناسُ ينالون منه؛ فَخَرَجْنا حتى جِئْنا دار سعد بن إبراهيم، فإذا صوتٌ عالٍ؛ فقال لي: أيُّ شيء هذا؟ أرى أنه قد أُعجِل عليَّ، ودَخَلْنا فإذا داود بن سَلم يقولُ له: أطال اللَّه

(١) السمت: النحو.
(٢) تشميراً: تسليحاً.

بقاءكَ يا أبا إسحاق وفَعَلَ بِكَ، وقد كان سعدٌ جَلَدَ داود بن سَلم أربعين سوطاً، فأقبَلَ عليَّ سعدٌ وعلى أبي، فقال: لم تَرَ مِثْلَ أربعين سوطاً في ظهر لئيم. قال: وفيه يقول الشاعِرُ:

ضَـــرَبَ الـــعـــادِلُ ســـعـــدٌ إبـــنَ سَـــلْـــمٍ فـــي الـــسَّـــمـــاجَـــهْ
فَـــقَـــضَـــى الـــلَّـــهُ لـــســـعـــدٍ مـــن أمـــيـــرٍ كـــلَّ حـــاجـــهْ

[مجزوء الرمل]

[كان يمدح الحسن بن زيد]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: قال الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثني أبو يحيى الزُّهريّ واسمه هارون بن عبد اللَّه قال: حَدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال:

كان الحسنُ بن زيد قد عَوَّدَ داودَ بن سلم مولى بني تَيْم إذا جاءته غَلَّة من الخانِقين[1] أن يَصِلَهُ. فلما مَدَحَ داودُ بن سَلْم، جعفرَ بن سليمان، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديدٌ، أغْضَبَ ذلك الحسنَ؛ فَقَدِمَ مِن حَجٍّ أو عُمرة، ودَخَلَ عليه داودُ مُسَلِّماً، فقال له الحسنُ: أنت القائل في جعفر:

وكُـنَّـا حَـدِيـثـاً قَـبْـلَ تـأمـيـرِ جـعـفـرٍ وكـانَ الـمُـنـى فـي جـعـفـرٍ أن يُـؤمَّـرا
حَـوَى الـمِـنْـبَـرَيـنِ الـطَّـاهِـرَيـنِ كِـلَـيْـهِـمَـا إذا مـا خَـطَـا عـنْ مِـنـبـرٍ أمَّ مـنـبَـرَا
كـأنَّ بـنـي حَـوَّاءَ صُـفُّـوا أمـامَـهُ فـخُـيِّـرَ فـي أنـسـابـهـم[2] فـتـخـيَّـرا

[الطويل]

فقال داود: نعم، جَعَلَنِي اللَّه فِدَاءَكُم، فَكُنْتُم خِيرة اختياره، وأنا الذي أقول:

لَـعَـمْـري لَـئِـنْ عـاقَـبْـتَ أو جُـدْتَ مُـنْـعِـماً بـعـفـوٍ عـن الـجـانـي وإنْ كـان مُـعْـذِرا
لأنْـتَ بِـمَّـا قَـدَّمْـتَ أولـى بِـمَـدْحَـةٍ وأكـرمُ فـرعـاً إنْ فَـخَـرْتَ وعُـنْـصُـرا
هـو الـغُـرَّةُ الـزَّهـراء فـي فـرع هـاشـم ويـدعـو عَـلِـيًّـا ذا الـمـعـالـي وجـعـفـرا
وزَيْـدَ[3] الـنّـدى والـسِّـبـطَ سِـبـطَ مُـحَـمَّـدٍ وعـمَّـك بـالـطَّـفِّ الـزَّكـيَّ الـمـطـهَّـرَا

(١) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد.
(٢) ورد في بعض المصادر «أحسابهم» بدل «أنسابهم».
(٣) يعني زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي خرج على هشام بن عبد الملك في خلافته فقتل.

وما نالَ مِنْ ذا جَعْفرٌ غيرَ مَجْلِسٍ إذا ما انفاه العزلُ عنه تَأَخَّرا
بِحَقِكُمُ نالوا ذُراها فأصبحوا يَرَوْن به عزًّا عليكم ومَفْخَرا
[الطويل]

قال: فعادَ الحسنُ بن زيد له إلى ما كان عليه، ولم يَزَلْ يَصِلُهُ ويُحْسِنُ إليه حتى مات. قال أبو يحيى: يعني بقوله: «وإنْ كان مُعْذِرا» أنَّ جعفراً أعطاه بأبياتِهِ الثلاثةِ ألفَ دينار، فَذَكَرَ أن لَهُ عُذْراً في مدحِهِ إياه بجزالة إعطائِهِ.

[إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له]

أخبرني الحُسَيْنُ بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد قال:

كُنْتُ ليلةً عند الحسن بن زيد بِبَطْحاءِ ابنِ أزهر (على ستة أميال من المدينة، حيالَ ذي الحُلَيْفَةِ نصفَ الليل جُلُوساً في القمر، وأبو السائب المخزوميّ معنا، وكان ذا فضل وكان مَشْغُوفاً بالسَّماعِ والغَزَل، وبين أيدينا طَبَقٌ عليه فَريك[1] فَنَحْنُ نُصِيْبُ مِنْهُ، والحسن يَوْمَئِذٍ عاملُ المَنصور على المدينة، فَأَنْشَدَ الحسنُ قول داود بن سلم وجعل يَمدُّ به صوتَهُ ويُطَرِّبُهُ:

صوت

فَعَرَّسنا ببطن عُرَيتِناتٍ[2] لِيَجْمَعنا وفاطمةَ المَسيرُ
أتَنْسى إذْ تَعرَّض وهو بادٍ مُقلَّدُها كما بَرَق الصَّبيرُ[3]
ومَنْ يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه وقد يُنْبِيك بالأمرِ الخبيرُ
على أنِّي زَفَرْتُ غَداةَ هَرْشَى[4] فكاد يُريبهم مِنِّي الزَّفيرُ
[الوافر]

ـ الغناءُ للغريض ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لِلْهُذَليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وأظُنّه هذا اللحن ـ قال:

فَأَخَذَ أبو السائب الطبَقَ! فَوَحَّش[5] بِهِ إلى السماء، فَوَقَعَ الفريكُ على رَأْسِ

(١) الفريك: طعام يفرك ويلت بسمن وغيره. (٢) عريتنات: اسم واد.
(٣) قال الأصمعي: الصَّبِيرُ السحاب الأبيض الذي يُصْبَرُ بعضُه فوق بعض دَرَجاً. والجمع صُبُرٌ.
(٤) هرشى: ثنية قرب الجعفة في طريق مكة يرى منها البحر.
(٥) وحش: رمى.

الحسن بن زيد؛ فَقَالَ لَهُ: ما لَكَ؟ وَيْحَكَ! أجُنِنْتَ! فقال له أبو السائب: أسألُكَ باللَّه وبقرابتك من رسول اللَّه ﷺ إلَّا ما أعَدْتَ إنشادَ هذا الصوت ومَدَدْتَهُ كَما فَعَلْتَ قال:

فما مَلَكَ الحسنُ نَفْسَهُ ضِحْكاً، وَرَدَّ الحسنُ الأبيات لاستحلافِهِ إياه. قال ابنُ أبي الزِّنَّاد: فلما خَرَجَ أبو السائب قال لي: يأبنَ أبي الزِّنَاد، أما سَمِعْتَ مَدَّه:

وَمَـنْ يُـطِـع الـهـوى يُـعْـرَفْ هَـواه

فَقُلْتُ نَعَم، قال: لَوْ عَلِمْتُ أنَّهُ يَقْبَلُ مالي لَدَفَعْتُهُ إليه بهذه الثلاثة الأبيات. أخبرني بخبرِهِ عُبيد اللَّه بن محمد الرازِيّ وعمي قالا: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ.

[ضبيعة العبسيّ وظبية جارية فاطمة]

أخبرني الحَرْمَي بن أبي العَلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثتني ظَبيةُ مولاةُ فاطمةَ بنت عمر بن مُصْعَب قالت:

أرسلتني مولاتي فاطِمَةُ في حاجة، فَمَرَرْتُ بِرَحبة القضاء، فإذا بِضُبَيْعة العَبسيّ خليفةِ جعفر بن سليمان يَقْضي بين الناس؛ فَأرْسَلَ إليَّ فَدَعَاني، وقَدْ كُنْتُ رَطَّلْتُ[1] شَعْري ورَبَطْتُ في أطرافِهِ من ألوان العِهْن، فقال: ما هذا؟ فَقُلْتُ شيء أتملَّح به فقال: يا حَرَسيّ قَنِّعها بالسَّوط. قالت: فتناوَلْتُ السوط بيدي وقُلْتُ: قاتَلَكَ اللَّهُ! ما أبين الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم! سعدٌ يَجْلِدُ الناس في السَّماجة، وأنت تجلِدُهُم في الملاحة، وقد قال الشاعر:

جَـلَـدَ الـعـادِلُ سـعـدٌ إبـنَ سَـلْـمٍ فـي الـسَّـمـاجَـهْ
فَـقَـضَـى الـلَّـهُ لـسـعـدٍ مـن أمـيـرٍ كـلَّ حـاجـهْ

[مجزوء الرمل]

قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى ضَرَبَ بيديه ورجليه، وقال: خَلِّ عنها. قالت: فكان يَسُومُ بي، وكانت مولاتي تقولُ: لا أبيعها إلَّا أن تهوى ذلك، وأقولُ: لا أريدُ بأهلي بدلاً إلى أن مَرَرْتُ يوماً بالرَّحبة وهو في مَنْظَرة دارِ مَروان يَنْظُرُ؛ فَأَرْسَلَ إليَّ فَدَعاني، فوجدْتُهُ من وراء كِلَّة[2] وأنا لا أشعرُ بِهِ، وحازِمٌ وجَرير جالسان، فقال لي حازم:

---

(١) في التَّهْذِيب: ومِمَّا يُخْطِئُ فيهِ العَامّةُ قولُهم: رَطَّلْتُ شَعْرِي، إذا رَجَّلْته، وأَمَّا التَّرْطيلُ فهو أَنْ يُلَيِّنَ شَعْرَهُ بالدُّهْنِ والمَسْحِ، حتى يَلِينَ ويَبْرُقَ.

(٢) الكِلَّةُ: السِّترُ الرَّقيقُ يُخاطُ كالبيتِ يُتَوَقَّى فيه من البقِّ.

الأمير يريدُكَ؛ فقلت: لا أريد بأهلي بدلاً وكُشِفتِ الكِلَّةُ عن جعفر بن سليمان، فارتَعْتُ لذلك فقلت: آه. فقال: ما لَكِ؟ فَقُلْتُ:

سَمِعْتُ بِذكرِ النَّاسِ هِنْداً فَلَمْ أَزَلْ أَخا سَقَمٍ حَتَّى نَظَرْتُ إلى هندِ

[الطويل]

قال: فأبصرتِ ماذا؟ وَيْحَكِ! فَقُلْتُ:

فَأَبْصَرْتُ هِنْداً حُرَّةً غيرَ أَنَّها تَصَدَّى لِقَتْلِ المسلمين على عَمْدِ

[الطويل]

قالت: فَضَحِكَ حتى استلقى، وأرسلَ إلى مولاتي ليبتاعَني، فَقَالَتْ: لا واللَّه لا أبيعها حتى تَسْتبيعني، فَقُلْتُ: واللَّه لا أستبيعُكِ أبداً.

[يذكرُ قثم بن عباس بجارية]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثنا يونس ابن عبد اللَّه عن داود بن سَلْم قال: كُنْتُ يوماً جالساً مع قُثَم بن العباس قبل أن يُمَلَّكوا بفنائه، فَمَرَّت بنا جارية، فأُعجِبَ بِهَا قُثَم وتمنَّاها فَلَمْ يُمْكِنْهُ ثَمنُها. فَلمَّا ولِيَ قَثَم اليمامةَ اشترى الجاريةَ إنسانٌ يُقالُ له صالح. قال داود بن سَلم: فَكَتَبْتُ إلى قثم:

يا صَاحِبَ العِيسِ ثُمَ رَاكِبَها أبلِغْ إذا ما لَقيْتَهُ قُثَما
أنَّ الغزالَ الذي أجازَ بِنَا مُعارِضاً إذْ تَوَسَّطَ الحَرَما
حَوّله صالحٌ فصارمع الإنسِ وخَلّى الوحوش والسَّلما

[المنسرح]

قال: فَأَرْسَلَ قثم في طلب الجارية لِيَشْتَرِيها، فَوَجَدَها قَدْ مَاتَتْ.

[وفد على حرب بن خالد ومدحه]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن محمد بن موسى بن طَلْحة قال: حَدَّثني زُهيرُ بن حسن مولى آل الرَّبيع بن يونس: أنَّ داود بن سَلم خَرَجَ إلى حَرْبِ بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ فلما نَزَلَ به حطَّ غُلْمَانُهُ متاعَ داودَ وَحَلّوا عن راحلتِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عليه أنشأ يقول:

ولَمَّا دَفَعْتُ لِأَبوابِهِم ولاقَيْتُ حَرْباً لَقِيْتُ النَّجاحا
وَجَدناه يَحْمَده المُجتدُون ويأبى على العُسْر إلا سَماحا
ويُغشَون حتى يُرى كَلْبُهُم يَهابُ الهريرَ ويَنْسَى النُّبَاحا

[المتقارب]

قال: فأجازَهُ بِجَائِزَةٍ عَظِيْمَةٍ، ثم استأذنَهُ في الخروج فأذِنَ لَهُ وأعطاه ألفَ دينار. فلم يُعِنْهُ أحد من غُلمانِهِ ولم يقوموا إليه؛ فَظَنَّ أنَّ حَرْباً ساخطٌ عليه، فَرَجَعَ إليه فأخبره بما رأى من غُلْمَانِهِ، فَقَالَ لَهُ: سَلْهُمْ لِمَ فعلوا بك ذلك. قال: فَسَأَلَهُم، فَقَالوا: إنَّا نُنْزِلُ من جاءنا ولا نُرْحِلُ مَنْ خَرَجَ عنَّا. قال: فَسَمِعَ الغاضِريّ حَدِيْثَهُ فأتاه فَحَدَّثَهُ فقال: أنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمانُ أحسن من شعرك.

[شعره في الغزل]

وذكر محمد بن داود بن الجرَّاح أن عمر بن شَبَّة أنشده ابن عائشة لِداود بن سَلَم، فقال: أحسَنَ واللَّه داود حيث يقولُ:

لَجِجْتُ من حُبِّيَ في تَقْرِيبِهِ ... وعُمِّيَتْ عيناي عَنْ عُيُوبِهِ
كَذَاكَ صَرْفُ الدهرفي تَقْلِيبِهِ ... لَا يَلْبَثُ الحبيبُ عن حبيبِهِ

[الرجز]

أو يغفرُ الأعظمَ من ذنوبِهِ

قال: وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبد اللَّه بن شَبِيب لداود بن سَلَم قال:

ما ذَرّ[1] قَرْنُ الشّمْسِ إلّا ذَكَرْتُها ... وأذكرها في وقتِ كلّ غُرُوبِ
وأذكُرُها ما بينَ ذاكَ وَهَذِهِ ... وباللّيلِ أحلامي، وَعندَ هُبوبِي
وَقَد شَفَّني شَوقي وأبعَدنِي[2] الهَوَى ... وأعيا الذي بي طِبَّ كلِّ طبيبِ
وأعْجَبُ أنّي لا أموتُ صَبَابَةً ... وما كمَدٌ مِنْ عَاشِقٍ بِعَجيبِ
وكلُّ محبٍّ قدْ سلا غيرَ أنني ... غريبُ الهوى يا وَيحَ كلِّ غريبِ
وكم لامَ فيها من أخٍ ذي نصيحَةٍ ... فَقُلْتُ له: أقصِرْ، فغيرُ مُصيبِ
أتَأْمُرُ إنْساناً بفُرْقَةِ قلْبِهِ؟ ... أتَصْلُحُ أجسامٌ بِغَيْرِ قُلُوبِ؟

[الطويل]

[في مدحه قثم بن العباس]

أخبَرَني إسماعيل بن يونُس الشِّيعي قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّةَ قال: حَدَّثني أبو غَسَّان قال:

كان داود بن سَلَم مُنْقَطِعاً إلى قُثم بن العباس، وفيه يقول:

(١) ذرَّ: طَلَعَ.
(٢) أبعده: أهلكه وأقصاه.

عَـتَـقْـتِ مـن حِـلِّـي وَمِـنْ رِحـلَـتـي يـا نـاقُ إن أدنـيـتـنـي مـن قُـثَـمْ
إنَّـكِ إنْ أَدْنَـيْـتِ مِـنْـهُ غـداً حـالَـفَـنِـي الـيُـسـرُ ومـاتَ الـعَـدَمْ
فـي وجـهِـهِ بَـدْرٌ وفـي كَـفِّـهِ بَـحْـرٌ وفـي الـعِـرنـيـن مـنـه شَـمَـمْ
أصـمُّ عـن قِـيـل الـخَـنـا سَـمْـعُـهُ ومـا عـن الـخـيـرِ بِـهِ مـن صَـمَـمْ
لَـمْ يَـدْرِ مـا «لا» و«بَـلـى» قـد دَرَى فَـعَـافَـهـا واعـتـاض مـنـهـا «نَـعَـمْ»

[السريع]

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شَبَّة قال لي إسحاق: لنَظم العَمياء في هذه الأبيات صنعةٌ عجيبةٌ، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها).

أخبار دحمان ونسبه

[كان مُغنياً صالحاً]

دَحْمان لَقَبٌ لُقِّبَ بِهِ، واسمه عبد الرحمن بن عمرو، مَوْلَى بني لَيْث بن بكر ابن عبد مَناة بنِ كِنانة. ويُكنَى أبا عمرو، ويُقالُ له دَحمان الأشقر. قال إسحاق: كان دَحمان مع شهرته بالغناءِ رَجُلاً صَالِحاً كثيرَ الصلاة مُعَدَّل الشهادة مُدْمِناً لِلْحَجِّ؛ وكان كثيراً ما يقولُ: ما رَأَيْتُ باطلاً أشبه بحق من الغناء.

قال إسحاق: وحدَّثني الزُّبيريّ أنَّ دَحمان شَهِدَ عند عبد العزيز بن المُطَّلِب بن عبد اللَّه، بن حَنْطَب المَخزوميّ، وهو يَلِي القضاءَ لِرَجُلٍ من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها وعَدَّلَهُ[1]، فقال له العِراقيّ: إنَّه دَحْمان؛ قال: أعرفه، ولو لم أعرفه لَسَأَلْتُ عَنْهُ؛ قَالَ: إنَّهُ يُغَنِّي ويُعَلِّمُ الجواري الغناءَ؛ قَالَ: غَفَرَ اللَّه لنا ولك، وأيُّنا لا يتغنَّى! اخرُجْ إلى الرجل عن حَقِّهِ.

وَفِي دَحْمَان يقولُ أعشى بني سُلَيم:

إذا مـــا هَـــزَّجَ الـــوادِ ... يُّ أو ثَـــقَّـــلَ دَحـــمـــانْ
سَـــمِـــعْـــتُ الـــشَّـــدوَ مـــن هـــذا ... ومـــن هـــذا بـــمـــيـــزانْ
فَـــهَـــذا سَـــيِّـــد الإنـــس ... وهـــذا ســـيِّـــد الـــجـــانْ

[الهزج]

وفيه يقول أيضاً:

كَـانُـوا فُـحُـولاً فَـصَـاروا عـنـد حَـلْـبَـتِـهِـم ... لـمَّـا انـبـرى لـهـم دَحْـمَـانُ خِـصـيـانـا
فـأبـلِـغُـوه عَـنِ الأعـشـى مَـقَـالَـتَـهُ ... أعـشـى سُـلَـيـم أبـي عـمـرو سـلـيـمـانـا
قـولـوا يـقـولُ أبـو عـمـرو لِـصُـحْـبَـتِـهِ ... يـا لَـيْـتَ دَحـمـانَ قَـبْـلَ الـمـوتِ غَـنَّـانـا

[البسيط]

---

(١) عدَّله: جعله عدلاً، وزكّاه للشهادة.

[كان من تلاميذ معبد]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيْدَلانيّ قال: حَدَّثنا يوسفُ بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهديّ أنَّه حَدَّثَهُ عن ابن جامع وزُبير بن دَحمان جَميعاً: أنَّ دحمان كان مُعَدَّلاً مقبولَ الشهادة عند القُضاةِ بالمدينة، وكان أبو سعيدٍ مولى فائد أيضاً مَمِّنْ تُقْبَل شَهَادته. وكان دحمان من رُواة معبد وغلمانِهِ المُتَقَدِّمين. قال: وكان معبد في أول أمره مقبولَ الشهادة، فلما حَضَرَ الوليدُ بن يزيد وعاشره على تلك الهَنات وغَنَّى له سَقَطَتْ عدالته، لأنَّهُ اجتمعَ مع الوليد على ما كان يَسْتَعْمِلُهُ.

[منزلته عند ابراهيم الموصلي]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدَّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال: قال إسحاق: كان دحمان يُكنى أبا عمرو، مولى بني لَيْث، واسمه عبد الرحمن، وكان يَخْضِب رَأسَهُ ولحيته بالحِنَّاء وهو من غلمان معبد. قال إسحاق: وكان أبي لا يضعه بحيث يَضَعُهُ الناس، ويقولُ: لو كان عبداً ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم. وأشبهُ الناس به في الغناء ابنُهُ عبد اللَّه، وكان يُفَضِّلُ الزُّبير ابنَهُ تَفْضيلاً شديداً على عبد اللَّه أخيه وعلى دَحمان أبيه.

[كان المهدي يجزل صلته]

أخبرني يحيى عن أبي أيّوب عن أحمد بن المَكيّ عن عبد اللَّه بن دَحمان قال: رَجَعَ أبي من عند المهديّ وفي حاصلِهِ مائةُ ألفِ دينار.

أخبرنا إسماعيل بن يونُس وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حَدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال: بَلَغَني أنَّ المهديّ أعطى دَحمان في ليلةٍ واحِدةٍ خمسين ألفَ دينار؛ وذَلِكَ أنَّه غَنَّى في شعر الأحوص:

قَطوفُ المَشي[1] إذ تَمشي تَرى في مَشيها خَرَقا[2]

[مجزوء الوافر]

فَأَعْجَبَهُ وطَرِبَ، واستخفَّهُ السرور حتى قال لدحمان: سلني ما شئت، فقال: ضَيْعتان بالمدينة يُقالُ لهما رَيَّان وغالب؛ فأقطعَهُ إيَّاهما. فلما خَرَجَ التوقيع بذلك إلى أبي عبيد اللَّه وعمر بن بَزْيَع راجعا المهديّ فيه وقالا: إنَّ

(١) قطوف المشي: بطيئه.
(٢) خرقاً: تحيراً ودهشاً.

هاتين ضيعتان لم يَمْلِكْهما قطُّ إلَّا خليفة، وقد استقطعهما ولاةُ العهودِ في أيام بني أُمَيَّة فلم يُقْطَعوهما فقال: واللَّه لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى، فَصُولِحَ عنهما على خمسين ألفَ دينار.

نسبة هذا الصوت

سَـــرى ذا الـــهَـــمُّ بَـــل طَـــرَقـــا فَـــبِـــتُّ مُـــسَـــهَّـــداً قَـــلِـــقـــا
كَـــذاكَ الـــحُـــبُّ مِـــمّـــا يُـــحـــدِثُ الـــتَّـــســـهـــيـــدَ والأَرَقـــا
قَـــطـــوفُ الـــمَـــشـــي إذ تَـــمـــشـــي تَـــرى فـــي مَـــشـــيـــهـــا خَـــرَقـــا
وَتُـــثـــقِـــلُـــهـــا عَـــجـــيـــزَتُـــهـــا إذا وَلَّـــت لِـــتَـــنـــطَـــلِـــقـــا

[مجزوء الوافر]

الشعرُ لِلأخوص. والغناءُ لِدَحمان ثقيلٌ أوَّل بالوسطى عن عمرو؛ وذكر الهِشاميّ أنه لابن سُرَيج.

[سئل عن ثمن ردائه فأجاب]

أخبرني إسماعيل بنُ يونس قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق قال: مَرَّ دَحْمَان المُغنِّي وعليه رداء جَيِّد عَدَنِيّ، فقالَ لَهُ مَنْ حَضَرَ: بِكَمْ اشتريْتَ هذا يا أبا عمرو؟ قال:

مـــا ضَـــرَّ جـــيـــرانَـــنـــا إذ انـــتَـــجَـــعُـــوا

نسبة هذا الصوت

صـــوت

مـــا ضَـــرَّ جـــيـــرانَـــنـــا إذِ انـــتَـــجَـــعـــوا لَـــو أَنَّـــهُـــم قَـــبـــلَ بَـــيـــنِـــهِـــم رَبَـــعـــوا[١]
أَحْـــمَـــوا[٢] عَـــلـــى عـــاشِـــقٍ زيـــارَتَـــهُ فَـــهْـــوَ بِـــهِـــجـــرانِ بَـــيـــنِـــهِـــم قُـــطَـــعُ[٣]
وَهـــوَ كـــأَنَّ الـــهُـــيـــامَ خـــالَـــطَـــهُ وَمـــا بِـــهِ غَـــيـــرُ حُـــبِّـــهـــا ذَرَعُ[٤]

(١) أرْبع فلان إبله: إذا تركها ترِد الماءَ كيف شاءت من غير وقت، يقال: تُرِكَتْ إبلهم هَملاً مُرْبَعَةً.
(٢) أحموا: حظروا ومنعوا.
(٣) رجُلٌ مِقْطاعٌ: لا يثْبت على مُؤاخاة أخ. وهذا شيءٌ حسن التقطيع أي القَدِّ. ويقالُ لقاطِعِ الرَّحم: إنه لقُطَع وقُطَعَةٌ. من «قَطَعَ رَحِمَه» إذا هجرها.
(٤) الذرع: الطمع.

كَـأَنَّ لُـبـنـى صَـبـيـرُ[١] غـادِيَـةٍ[٢] أَو دُمـيَـةٌ زُيِّـنَـتْ بِـهـا الـبـيـعُ
الـلَّـهُ بَـيـنـي وَبَـيـنَ قَـيِّـمِـهـا يَـفِـرُّ عَـنّـي بِـهـا وَأَتَّـبِـعُ
[المنسرح]

[اشترى الوليد منه جارية وأكرمه]

أخبرني وكيع عن أبي أيُّوب المدينيّ إجازة عن أبي محمد العامريّ الأُوَيسيّ قال: كان دَحمان جَمَّالاً يُكري إلى المواضع ويَتَّجر، وكانت له مروءةٌ، فبينما هو ذات يوم قد أكْرَى جِمَالَهُ وأخذ ماله إذ سمع رَنَّة، فَقَامَ واتَّبع الصوتَ، فإذا جاريةٌ قد خَرَجَتْ تبكي؛ فقال لها: أَمَمْلُوكةٌ أنتِ؟ قالت: نعم؛ فَقَالَ: لِمَن؟ فقالت: لامرأة من قُرَيش، وسَمَّتْها لَهُ، فقال: أتبيعك؟ قالت: نعم، ودَخَلَتْ إلى مولاتِها فَقَالَت: هذا إنسانٌ يَشْتَرِيني، فَقَالَتْ: ائذني له، فَدَخَلَ، فَسامَها[٣] حتى استقرّ أمرُ الثمن بينهما على مائتي دينار، فَنَقَدَها إياها وانصرف بالجارية. قال دَحمان: فأقَامَتْ عِنْدي مُدَّةً أطرَحُ عليها ويَطْرَحُ عليها مَعْبَد والأبجر ونظراؤهما من المُغَنِّين ثم خَرَجْتُ بها بعد ذلك إلى الشام وقد حَذِقَتْ، وكُنْتُ لا أزال إذا نَزَلْنا أنزل الأكرياء ناحيةً، وأنزل مُعْتَزِلاً بها ناحيةً في مَحْمِلٍ وأطرح على المَحْمِل من أعْبِية[٤] الجمَّالين، وأجلسُ أنا وهي تحت ظِلِّها، فأُخْرِج شيئاً فنأكله، ونَضَعُ رِكْوَة[٥] فيها لنا شراب، فَنَشْرَبُ ونَتَغَنَّى حتى نرحل. ولم نزل كذلك حتى قَرُبنا من الشام. فبينا أنا ذاتَ يوم نازِلٌ وأنا أُلْقي عليها لحني:

صـوت

لَـوْ رَدَّ ذو شَـفَـقٍ حِـمَـامَ مَـنِـيَّـةٍ لَـرَددتُ عَـنْ عَـبْـد الـعـزيـز حِـمـامـا

(١) الصَّبيرُ: السحاب الأبيض لا يكاد يُمطر. قال الشاعر:
يَـروحُ إلـيـهـمُ عَـكَـرٌ تَـراغـى كـأنَّ دَوِيَّـهـا رَعْـدُ الـصَّـبـيـرِ
وقال الأصمعي: الصَّبِيرُ السحاب الأبيض الذي يُصْبَرُ بعضُه فوق بعض دَرَجاً.
(٢) قال الليث: الغادية: سحابة تنشأُ غدوة.
(٣) سام يسوم: يجادل حول السعر.
(٤) الأعبية: جمع عباء وهو ضرب من الأكسية.
(٥) الرَّكوةُ: شبه تور من أدم. والجميع: الرِّكاء. ويقال: تكون من أدم يسقى فيها ويحلب ويتوضأ، والجميع: الرَّكوات والرِّكاء.

صَـلَّـى عَـلَـيْـكَ الـلَّـهُ مـن مُـسـتـودَعٍ جَـاوَرْتَ بُـومـاً فـي الـقـبـور وهـامَـا[1]

[الكامل]

ـ الشعرُ لِكُثَيِّر يَرْثِي عبدَ العزيز بن مَروان. وَزَعَمَ بَعْضُ الرُّواة أنَّ هذا الشعر ليس لِكُثَيّر وأنَّه لِعَبْد الصمد بن عليّ الهشاميّ يرثي ابناً له. والغناءُ لِدَحمان، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر ـ .

قال: فَرَدَدْتُهُ عليها حتى أَخَذَتْهُ واندَفَعَتْ تُغَنِّيه، فإذا أنا بِراكِبٍ قَدْ طَلَعَ فَسَلَّمَ عَلَيْنا فَرَدَدْنا عليه السلام؛ فَقَالَ: أتأذنون لي أنْ أنزِلَ تحت ظِلِّكم هذا ساعةً؟ قُلْنا: نعم، فَنَزَلَ، وَعَرَضْتُ عليه طعامَنا وشرابَنا فأجابَ، فَقَدَّمنا إليه السُّفْرةَ فَأَكَلَ وشَرِبَ معنا، واستعاد الصوت مِرَاراً. ثم قال للجارية: أَتُغَنِّين لِدَحْمان شيئاً. قالت: نعم. قال: فَغَنَّتْهُ أصواتاً من صَنْعَتِي، وغَمَزْتُها ألا تُعرِّفَهُ أني دَحمان، فَطَرِبَ وامتلأ سروراً وشرب أقداحاً والجارية تُغَنِّيه حتى قَرُبَ وقتُ الرحيل، فأقبلَ عليّ وقال: أتبيعني هذه الجاريةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَم، قال: بِكَم؟ قُلْتُ كالعابث: بعشرة آلاف دينار، قال: قَدْ أَخَذْتُها بها، فَهَلُمَّ دُواةً وقُرْطاساً، فَجِئْتُهُ بذلك، فَكَتَبَ: «إدفَعْ إلى حاملِ كتابي هذا حينَ تقرؤه عشرةَ آلافِ دينار، واستوصِ به خَيْراً وأعلمني بمكانِهِ» وخَتَمَ الكتابَ ودَفَعَهُ إليَّ، ثم قال: أتدفع إليَّ الجارية أم تمضي بها معك حتى تقبض مالك؟ فَقُلْتُ: بل أدفعها إليك؛ فَحَمَلَها وقال: إذا جِئْتَ البَحْراء[2] فَسَلْ عن فلان وادفع كتابي هذا إليه واقبضْ مِنْهُ مالكَ، ثم انصرف بالجارية. قال: وَمَضَيْتُ، فَلما وَرَدْتُ البحراء سَأَلْتُ عن اسم الرجل، فَدُلِلْتُ عليه، فإذا دارهُ دارُ مُلْك، فَدَخَلْتُ عليه وَدَفَعْتُ إليه الكتاب، فَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ على عينيه، ودعا بعشرة آلاف دينار فَدَفَعها إليّ، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين، وقال لي: اجلس حتى أُعْلِم أميرَ المؤمنين بك، فَقُلْتُ له: حيثُ كُنْتُ فأنا

---

(١) هَوَّمَ القومُ وتَهَوَّموا، إذا هزّوا رُؤُوسَهم من النُّعاس، قال:

عـاري الأشـاجـعِ مَـسْـعَـورٌ أخـو قَـنَـصٍ
مـا تَـطْـعَـمُ الـعَـيْـنُ نَـوْمـاً غـيـرَ تَـهْـوِيـم

والهامَة: رأسُ كلّ شيءٍ من الرُّوحانيين، والجمعُ: الهامُ. والهامَةُ من طَيْر اللّيل، ويُقالُ للفَرَس: هامَة.

(٢) منزل من منازل البحرين بين البصرة والاحساء، وقيل هي أرض بالشام سميت بذلك لعفونة تربتها ونتن ريحها. وكان الوليد بن يزيد توجه إليها يغتذي بها ويشرب ألبان اللقاح يتطلب الصحة ويستبعد من الوباء وكان ماجناً سفيهاً مستخفاً بأهل الدين، وأخباره في ذلك مشهورة، فأقبل إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك من دمشق في المعتزلة وصلحاء القدرية منكرين لفعل الوليد فقتلوه بالبخراء سنة ست وعشرين ومائة، وكان معطلاً وله أخبار قبيحة.

عَبْدُكَ وبينِ يديك، وقد كان أَمَرَ لي بأنزال[١] وكان بخيلاً، فاغتنَمْتُ ذلك فارتَحَلْتُ، وقد كُنْتُ أُصِبْتُ بجملين، وكانت عدَّةُ أجمالي خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشر. قال: وسأل عَنِّي الوليد، فَلَمْ يَدْرِ القَهْرَمانُ أين يَطْلُبُني، فقال له الوليد: عِدَّةُ جِماله خمسةَ عشرَ جَمَلاً فأَرْدُدْه إليَّ، فلم أُوجد، لأنَّه لم يكن في الرُّفقةِ من معه خمسةَ عشرَ جَمَلاً، ولم يَعْرِفْ اسمي فيسألَ عَنِّي. قال: وأقامَتِ الجارية عنده شهراً لا يسأل عنها، ثم دعاها بعد أن استُبْرِئت[٢] وأُصْلِحَ من شأنِها، فَظلَّ معها يومَهُ، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها: غَنِّيني لِدَحمان فَغَنَّتْ، وقال لها: زيديني فَزَادَتْ. ثم أقبلت عليه فقالت: يا أمير المؤمنين، أَوَ مَا سَمِعْتَ غناء دَحمان منه؟ قال: لا، قالت: بلى واللَّه؛ قال: أقولُ لَك لا، فتقولين بلى واللَّه! فَقَالَتْ: بلى واللَّه! لقد سَمِعْتَهُ قال: وما ذاك؟ وَيْحَكِ! قالت: إنَّ الرجل الذي اشتريتني منه هو دَحْمَان، قال: أوَ ذلك هو؟ قالت: نعم، هو هو؛ قال: فَكَيف لم أعلم؟ قالت: غمزني بألَّا أعلمك. فَأَمَرَ فَكُتِبَ إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحمان، فَحُمِلَ فلم يزل عنده أثيراً.

[دحمان في مجلس]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حَدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حَدَّثنا ابن جامع قال: تَذَاكَروا يوماً كِبَر الأيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القولَ، ثم قال بعضُهُم: إنَّما يكون كبر أَيْرِ الرجل على قَدْرِ حِرِّ أُمّه، فالتفت الأميرُ إلى دَحمان فقال: يا دَحمان، كيف أيرك؟ فقال له: أيها الأمير، أنت لم تُرِدْ أن تعرف كبر أيري، وإنَّما أرَدْت أن تعرِفَ مقدار حِرِّ أُمِّي. وكان [دحمان] طيِّباً ظريفاً.

[ظرف وفكاهة]

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال: حَدَّثنا عمر بن شبَّة قال حَدَّثني إسحاق قال: أوَّل ما عُرِفَ من ظَرْفِ دحمان أنَّ رَجُلاً مرَّ به يوماً، فقال له: أيْرُ حِمَاري في حِرِّ أمّك يا دُحَيم، فلم يفهم ما قاله، وفَهِمَه رجلٌ كان حاضِراً مَعَهُ فَضَحِكَ، فقال: مِمَّ ضحكت؟ فلم يُخْبِرْه، فقال له: أَقسَمْتُ عليك إلَّا أخبَرتَني، قال: إنَّه شَتَمَك فلا أحبّ استقبالك بما قاله لك؛ فقال: واللَّه لَتُخبرنِّي كائناً ما كان؛ فقال له: قال: كذا

(١) الأنزال: وهو ما هيء للضيف ينزل عليه.

(٢) اسْتَبْرَأَ المرأَةَ: إذا لم يَطَأْها حتى تحِيضَ؛ وكذلك اسْتَبْرَأَ الرّحِمَ. وفي الحديث في اسْتِبْراء الجارية: لا يَمَسُّها حتى تَبْرَأَ رَحِمُها ويَتَبَيَّنَ حالها هل هي حامِلٌ أَم لا.

وكذا من حماري في حِرِّ أمّك، فَضَحِكَ ثم قال: أعجبُ واللَّه وأغلظ عليّ من شَتْمِهِ كِنايتُك عن أير حمارِهِ وتصريحك بِحِرِّ أمي لا تَكْني.

[جعفر بن سليمان والمغنون]

أخبرني محمد بن خَلَفَ وكيع قال: حَدَّثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلَّبيّ قال: حَدَّثني إسحاق الموصليّ قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن الرَّبيع المديني قال: حَدَّثني الرَّبَعيّ المُغَنِّي قال: قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة: اغدُوا على قصري بالعَقيق غداً؛ وكُنْتُ أنا ودَحمان وعَطَرَّد، فَغَدَوْتُ للموعد، فَبَدَأْت بمنزل دحمان وهو في جهينة، فإذا هو وعَطَرَّد قد اجتمعا على قِدْرٍ يطبُخانها، وإذا السماءُ تَبْغَش[1]، فأذكرْتُهُما الموعدَ، فقالا: أما ترى يومَنا هذا ما أطيْبَهُ! اجلس حتى نأكُلَ من هذه القِدْرِ ونُصيبَ شيئاً ونَسْتَمْتِعَ من هذا اليوم، فَقَالَ: ما كُنْتُ لأفعل مع ما تقدّم الأمير به إليّ؛ فقالا لي: كأنّا بالأمير قد انحلَّ عَزْمُهُ، وأخذك المطرُ إلى أن تَبْلُغَ، ثم ترجع إلينا مُبْتَلاً فتقرَع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذٍ. قال: فلم ألتفت إلى قولِهما ومَضَيْتُ، وإذا جعفرٌ مُشْرِفٌ من قصرِهِ والمضارِب[2] تُضْرَب والقدور تُنْصَب، فلما كنت بحيث يسمع تغنَّيتُ:

وأسْتَصْحِبُ الأصحابَ حتى إذا وَنَوْا ومَلُّوا من الإدْلاج جِئْتُكُم وَحْدِي

[الطويل]

قال: وما ذاك؟ فأخبرْتُهُ، فَقَالَ: يا غلام، هاتِ مائتي دينار أو أَربَعمائة دينار ـ الشك من إسحاق الموصليّ ـ فانثرها في حِجْرِ الرَّبَعيّ، اذهب الآن فلا تحُلّ لها عُقْدةً حتى تُريهما إياها فَقُلْتُ: وما في يدي من ذلك! يأتيانكِ غداً فَتُلْحِقُهما بي؛ قال: ما كُنْتُ لِأَفْعَل؛ قُلْتُ: فلا أمضي حتى تحلف لي أنَّكَ لا تفعل، فَحَلَفَ. فَمَضَيْتُ إليهما، فَقَرَعْتُ الباب فصاحا وقالا: ألم نَقُلْ لك إن هذه تكون حالكَ، فَقُلْتُ: كلَّا فأرَيْتُهما الدنانيرَ؛ فقالا: إنَّ الأمير لحيٌّ كريم، ونأتيه غداً فَنَعْتَذِرُ إليه فيدعوه كرمه إلى أن يُلْحِقنا بك؛ فَقُلْتُ: كَذَبْتُكُما أنفسكما، واللَّه إنِّي قَدْ أَحْكَمْتُ الأمر ووَكَّدْتُ عليه الأَيمانَ ألَّا يفعل؛ فقالا: لا وَصَلَتْكَ رَحِم.

[غنَّى هو وابن جندب بالعقيق]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن منصور بن أبي مُزاحِم قال:

(١) يقال: أصابتهم بَغْشَةٌ من المطر أي: قليلٌ.

(٢) المضارب جمع مضرب وهو الفسطاط العظيم.

أخبرني عبد العزيز بن الماجِشون قال: صَلَّينا يوماً الصبح بالمدينة، فَقَالَ قَوْمٌ: قد سَال العقيق، فَخَرَجْنا من المَسْجِدِ مُبَادرين إلى العقيق، فانتهينا إلى العَرْصة[١]، فإذا من وراءِ الوادي قُبَالَتنا دحمان المغنِّي وابن جُنْدَب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو:

أَسكُنُ البَدوَ ما أَقَمْتِ بِبَدوٍ فَإِذا ما حَضَرتِ طابَ الحُضورُ[٢]

[الخفيف]

وإذا أطيبُ صوتٍ في الدُّنيا. قال: وكان أخي يَكْرَهُ السَّماع، فلمَّا سَمِعَهُ طَرِبَ طَرَباً شديداً وتَحَرَّكَ وكان لِغناءِ دَحمانَ أشدَّ استحساناً وحركة وارتياحاً؛ فقال لي: يا أخي، اسمع إلى غناء دحمان، واللَّه لكأنَّه يَسْكُبُ على الماءِ زيتاً.

نسبة هذا الصوت

صوت

أَوْحَشَ الجُنْبُذانِ[٣] فالدَّيْرُ منها فَقُراها فالمنزلُ المحظورُ

أسكنُ البدوَ ما أَقَمْتِ ببدوٍ فإذا ما حَضَرْتِ طاب الحضورُ

أيُّ عيش أَلَذُّهُ لَسْتِ فيه أوْ تُرَى نِعْمةٌ به وسُرورُ

[الخفيف]

الشعرُ لِحَسَّان بن ثابت. والغِنَاءُ لابن مِسْجَح رَملٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

[دحمان والفضل بن يحيى]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثني أحمد بن عبد الرحمن عن أبي عثمانَ البَصْري قال: قال دحمان: دَخَلْتُ على الفضل بن يحيى ذاتَ يوم، فلما جَلَسْنا، قَامَ وأَوْمَأ إليَّ فَقُمْتُ، فَأَخَذَ بِيَدي ومَضَى بي إلى مَنْظَرة له على الطريقِ، ودعا بالطعام فأكلنا، ثم صِرْنا إلى الشراب؛ فبينا نحنُ كذلك إذ مَرَّت بنا جارية سوداء حِجازيَّة تُغَنِّي:

---

(١) العرصة: العرصات، والعرصة: أرض الدار وحيث بنيت. قال النضر: لو جلست في بيت من بيوت الدار كنت جالساً في العرصة بعد أن لا تكون في العلو.

(٢) الشعرُ لحسان بن ثابت. ورد «سَكَنْتِ» بدل «أَقَمْتِ».

(٣) الجنبذ معرب عن الفارسية، معناه الأزج المدوّر كالقبة، وفي القصيدة يشير الشاعر إلى موضع محدد.

أهْـجُـرِيـنـي أو صِـلـيـنـي كـيـفـمـا شِـئْـتِ فـكـونـي
أنـتِ واللَّـه تـحـبِّـيـنـي وإنْ لـم تُـخْـبِـرِيـنـي
[مجزوء الرمل]

فَطَرِبَ وقال: أحسَنْتِ! ادخلي فَدَخَلَتْ، فأمر بطعام فَقُدِّمَ إليها فَأَكَلَتْ، وسقاها أقداحاً، وسَأَلَها عن مواليها فأخبَرَتْهُ، فَبَعَثَ، فاشتراها، فَوَجَدَها من أحسن الناس غناءً وأطيبِهم صوتاً وأملحِهم طبعاً؛ فَغَلَبَتْني عليه مدّة وتناساني فَكَتَبْتُ إليه:

أخْـرَجَـتِ الـسَّـوداءُ مـا كـان فـي قَـلْـبِـكَ لـي مـن شِـدَّةِ الـحُـبِّ
فـإنْ يَـدُمْ ذا مـنـك لادام لـي مِـتُّ مـن الإعـراض والـكَـرْبِ
[السريع]

قال: فلمَّا قرأ الرُّقعة ضَحِكَ، وبَعَثَ فدعاني ووصلني، وعاد إلى ما كان عليه من الأُنْسِ.

قال مؤلِفُ هذا الكتاب: هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبان بهذا الخبر، وأظنُّه غَلطاً؛ لأنَّ دَحْمان لم يُدرك خلافة الرشيد، وإنَّما أدركها ابناه زُبَير وعبد اللَّه؛ فإمَّا أنْ يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى.

ومما في المائة المختارة من صنعة دحمان

صـوت

وإنّـي لآتـي الـبَـيـتَ مـا إن أُحِـبُّـهُ وأُكـثِـرُ هَـجـرَ الـبَـيـتِ وَهـوَ حَـبـيـبُ
وَأُغـضـي عَـلـى أَشـيـاءَ مِـنـكُـم تَـسـوؤُنـي وَأُدعـى إِلـى مـا سَـرَّكُـم فـأُجـيـبُ
وأَحـبِـسُ عَـنـكِ الـنَّـفـسَ والـنَّـفـسُ صَـبَّـةٌ بِـقُـرْبِـكِ والـمَـمـشـى إِلَـيـكِ قَـريـبُ
[الطويل]

الشعرُ للأحوص. والغناءُ لِدَحْمان ثقيلٌ أوَّل. وقد تَقَدَّمَتْ أخبارُ الأحوص ودَحْمان فيما مضى من الكتاب.

صـوت

من المائة المختارة

حَـيِّـيـا جَـزلَـةَ مِـنّـي بِـالـسَّـلامِ دُرَّةَ الـبَـحـرِ وَمِـصـبـاحَ الـظَّـلامِ

لا يَـكُـنْ وَعْـدُكِ بـرقـاً خُـلَّـبـاً كـاذِبـاً يَـلـمَـعُ فـي عُـرضِ الـغَـمـامِ[1]
وَٱذكُـري الـوَعـدَ الَّـذي واعَـدتِـنـا لَـيـلَـةَ الـنِّـصـفِ مِـنَ الـشَّـهـرِ الـحَـرامِ
[الرمل]

الشعر لأعشى همدان. والغناء لأحمد النَّصْبيّ، ولَحْنُهُ المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وعروضه من الرَّمَل. والخُلَّب من البرق: الذي لا غيث معه ولا يُنْتَفع بسحابه. وتَضرُب المثلَ به العرب لمن أخلف وعدَهُ؛ قال الشاعر:

لا يَـكُـن وَعْـدُكِ بـرقـاً خُـلَّـبـاً إنَّ خـيـرَ الـبـرقِ مـا الـغـيـثُ مَـعَـهْ
[الرمل]

وعرض السحابة: الناحية منها.

(١) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
أَو تَـكـونـي مِـثـلَ بَـرقٍ خُـلَّـبٍ خـادِعٍ يَـلـمَـعُ فـي عُـرضِ الـغَـمـامِ

أخبار أعشى همدان ونسبه

[نسبته وكنيته]

اسمه عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن الحارث بن نِظام بن جُشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ بن جُشَم بن حاشد بن جُشَم بن خيران بن نَوف ابن همدان بن مالك بن زيد بن نِزار بن أوْسِلة بن رَبيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان، ويُكنى أبا المُصَبِّح، شاعِرٌ فصيح، كوفيّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان زوج أخت الشَّعبيّ الفقيه، والشعبيُّ زوجَ أخته. وكانَ أحدَ الفقهاء القُرَّاء، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ، وآخى أحمد النّصبيّ بالعَشِيرية[1] والبَلَديّة، فكان إذا قال شعراً غَنَّى فيه أحمدُ. وَخَرَجَ مع ابن الأشعث، فأُتي به الحَجَّاج أسيراً في الأسرى، فقتله صَبراً.

أخبرني بما أذكره من جملة أخباره الحَسَنُ بن عليّ الخَفَّاف قال: حَدَّثنا الحسن بن عُلَيل العنزيّ عن محمد بن معاوية الأسَدي أنه أخذ أخباره هذه عن كُناسة عن الهَيثم بن عَدِيّ عن حَمَّاد الراوية وعن غيرهم، من رُواة الكوفيين. قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة وأبو هِفَّان جميعاً عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن عبد اللَّه ابن عَيَّاش الهَمدانيّ. قال العَنْزِيّ: وأخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعيّ. وما كان من غير رواية هؤلاء ذَكَرْتُهُ مُفْرَداً.

أخبرني المهلبيّ أبو أحمد حَبيب بن نصر وعليّ بن صالح قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة وأبو هِفَّان جميعاً عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن عبد اللَّه بن عَيَّاش الهَمدانيّ قال: كان الشعبيّ عامِرُ بن شَرَاحيل زوجَ أخت أعشى هَمدان، وكان أعشى هَمدان زوجَ أخت الشعبيّ؛ فأتاه أعشى همدان يوماً، وكان أحد القُرَّاء للقرآن، فقالَ لَهُ: إنِّي رَأَيْتُ كأنِّي أدخلت بيتاً فيه حِنْطة وشعير، وقيل لي: خُذْ أيَّهما شِئْتَ، فَأَخَذْتُ الشَّعير؛ فَقَالَ: إنْ صَدَقَتْ رؤياك تَرَكْتَ القرآن وقِراءته وقُلْتُ الشعر؛ فكان كما قال.

---

(١) العشيرية: نسبة إلى العشير أو العشيرة وهم رهط الرجل وقبيلته.

[أسر في الديلم فأحبته ابنة الأمير وهربت معه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنْزيّ عن محمد بن معاوية الأسدي عن ابن كُناسة، قال العنزيّ وحَدَّثني مسعود بن بِشر عن أبي عُبيدة والأصمعيّ قالا، وافق روايتَهُم الهيثمُ بن عديّ عن حَمَّاد الراوية قال: كان أعشى همدان أبو المصبِّح مِمَنْ أغزاه الحَجَّاجُ بلدَ الدَّيلم ونواحي دَستبي[١]، فَأُسِرَ، فلم يزل أسيراً في أيدي الديلم مدَّة. ثم إنَّ بنتا لِلْعِلْجِ[٢] الذي أَسَرَهُ هَوِيته، وصارَتْ إليه ليلاً فَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِها، فأصبح وقد واقعها ثماني مرات، فقالت له الديلمية: يا معشر المسلمين، أهكذا تفعلون بِنسائِكُم. فقال لها: هكذا نفعل كلنا فقالت له: بهذا العمل نُصِرْتُم، أفرأيْتَ إن خَلَّصْتُكَ، أتصطفيني لِنَفْسِكَ؟ فقال لها: نعم، وعاهدها. فلمَّا كان الليلُ حَلَّتْ قيودَه وأخذت به طُرُقاً تَعْرِفُها حتى خَلَّصَتْهُ وهَرَبَتْ مَعَهُ. فقال شاعر من أسرى المسلمين:

فَمَنْ كان يَفْدِيه من الأسرُ مالُهُ فَهَمْدانُ تَفديها الغداةَ أيورُها

[الطويل]

وقال الأعشى يَذْكُرُ ما لَحِقَهُ من أسر الديلم:

صوت

لِمَنِ الظَّعائِنُ سَيرُهُنَّ تَرَجُّفُ[٣] عَومَ السَّفينِ[٤] إذا تَقاعَسَ مِجذَفُ

مَرَّت بِذي خُشُبٍ[٥] كَأَنَّ حُمولَها نَخلٌ بِيَثرِبَ طَلعُهُ مُتَضَعِّفُ

[الكامل]

ـ غَنَّى في هذين البيتين أحمد النَّصْبيّ، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكيّ. وفيهما لمحمد الزَّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو ـ:

عولينَ ديباجاً وَفاخِرَ سُندُسٍ وَبِخَزِّ أَكسِيَةِ العِراقِ تُحَفَّفُ

(١) دستبى: كورة كانت مقسومة بين الري وهمذان.
(٢) العِلجُ: العَيْرُ. والعِلْجُ: الرجل من كفَّار العَجَم، والجمع عُلوجٌ وأعلاجٌ ومَعْلوجاءُ وعِلَجَةٌ.
(٣) الترجف: الاضطراب الشديد.
(٤) السفين هو السفينة.
(٥) ذو خشب: واد على مسيرة ليلة من المدينة.

وَغَدَتْ بِهِم يَومَ الفِراقِ عَرامِسٌ[١] فُتلُ المَرافِقِ بِالهَوادِجِ دُلَّفُ[٢]
بانَ الخَليطُ وَفاتَني بِرحيلِهِ خَودٌ إِذا ذُكِرَتْ لِقَلبِكَ يُشغَفُ
تَجلو بِمَسواكِ الأَراكِ مُنَظَّماً عَذْباً إِذا ضَحِكَتْ تَهَلَّلَ يَنطُفُ
وَكَأَنَّ ريقَتَها عَلى عَلَلِ الكَرى عَسَلٌ مُصَفًّى في القِلالِ[٣] وَقَرقَفُ[٤]
وَكَأَنَّما نَظَرَتْ بِعَينَيْ ظَبيَةٍ تَحنو عَلى خِشفٍ لَها وَتَعَطَّفُ
وَإِذا تَنوءُ[٥] إِلى القِيامِ تَدافَعَتْ مِثلَ النَّزيفِ[٦] يَنوءُ ثُمَّتَ يَضعُفُ
ثَقُلَتْ رَوادِفُها وَمالَ بِخَصرِها كَفَلٌ كَما مالَ النَّقا المُتَقَصِّفُ
وَلَها ذِراعا بَكرَةٍ رَحبِيَّةٍ وَلَها بَنانٌ بِالخِضابِ مُطَرَّفُ[٧]
وَعَوارِضٌ مَصقولَةٌ وَتَرائِبٌ بيضٌ وَبَطنٌ كَالسَّبيكَةِ مُخطَفُ[٨]
وَلَها بَهاءٌ في النِّساءِ وَبَهجَةٌ وَبِها تَحِلُّ الشَّمسُ حينَ تُشَرِّفُ
تِلكَ الَّتي كانَت هَوايَ وَحاجَتي لَو أَنَّ داراً بِالأَحِبَّةِ تُسعِفُ
وَإِذا تُصِبكَ مِنَ الحَوادِثِ نَكبَةٌ فَاصبِر فَكُلُّ مُصيبَةٍ[٩] سَتَكَشَّفُ
وَلَئِن بَكيتُ مِنَ الفِراقِ صَبابَةً إِنَّ الكَبيرَ إِذا بَكى لِيُعَنَّفُ
عَجَباً مِنَ الأَيّامِ كَيفَ تَصَرَّفَتْ وَالدارُ تَدنو مَرَّةً وَتَقَذَّفُ

(١) العِرْمِسُ: الصخرة. والعِرْمِسُ: الناقة الشديدة. قال الأصمعي: شُبِّهَتْ بالصخرة.

(٢) الدالف: مثل الدالح وهو الذي يمشي بالحمل الثقيل ويقارب الخطو، والجمع: دلف، مثل راكع وركع، قال:

وعلى القَيَاسِرِ في الخُدُورِ كَوَاعِبٌ رُجُح الرَّوادِفِ فالقَيَاسِرُ دُلَّفُ

(٣) القلال: جمع قلة وهي الجرة العظيمة.

(٤) القَرْقَفُ: الخمر، وقال ابن الأعرابي: سُمِّيت بذلك لأنها تُرْعِدُ شاربها، وأنكر ذلك عليه أبو عبيد، وقال السُّكري: القَرْقَفُ: التي يُرْعد عنها صاحبها من إدمانه إيّاها، وقال الليث: القَرْقَفُ: تُوصف به الخمر ويوصفُ به الماء البارد: قال الفرزدق في وصف الماء:

ولا زادَ إلّا فَضْلَتانِ سُلافَةٌ وأبْيَضُ من ماءِ الغَمَامَةِ قَرْقَفُ

(٥) تنوء: تنهض بجهد ومشقة.

(٦) نُزِفَ دَمُ فلان فهو نزيف منزوف، أي: انقطع عنه، والنَّزْفُ: نَزْحُ الماءِ من البئر أو النّهر شيئاً بعد شيء والفعل: يَنْزِفُ، والقليل منه: نَزْفة. وأَنْزَفَ القَوْمُ: نُزِفَ ماءُ بئرهم. والنَّزفُ: الدّمع. ويقال للرجل الذّي عَطِشَ حتى يَبِسَتْ عُرُوقُه وجفّ لسانُه: نَزيفٌ.

(٧) يُقالُ طرَّفت المرأة بنانها: خضبته بالحناء.

(٨) مخطف: ضامر.

(٩) ورد في بعض المصادر «غيابة» بدل «مصيبة».

أَصبَحْتُ رَهناً لِلعُداةِ مُكَبَّلاً أُمسي وَأُصبِحُ في الأَداهِمِ أَرسُفُ[١]
بَينَ القُلَيسِمِ فَالقُيولِ فَحامِنٍ فَاللَّهزَمَينِ وَمَضجَعي مُتَكَنَّفُ
[الكامل]

ـ هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنفته الهموم بها ـ

فَجِبالِ وَيمَةَ ما تَزالُ مُنيفَةً يا لَيتَ أَنَّ جِبالَ وَيمَةَ تُنسَفُ
[الكامل]

ـ ويمة وشلبة: ناحيتان من نواحي الريّ ـ

وَلَقَد أَراني قَبلَ ذَلِكَ ناعِماً جَذلانَ آبى أَن أُضامَ وَآنَفُ
وَاستَنكَرَتْ ساقي الوِثاقَ وَساعِدي وَأَنا أَمرُؤٌ بادي الأَشاجِعِ[٢] أَعجَفُ[٣]
وَلَقَد تُضَرِّسُني الحُروبُ وَإِنَّني أُلفى بِكُلِّ مَخافَةٍ أَتَعَسَّفُ
أَتُسَربَلُ اللَّيلَ البَهيمَ وَأَستَري في الخَبْتِ إِذ لا يَستَرونَ وَأَوجِفُ
ما إِن أَزالُ مُقَنَّعاً أَو حاصِراً سَلَفَ[٤] الكَتيبَةِ وَالكَتيبَةُ وُقَّفُ
فَأَصابَني قَومٌ وَكُنتُ أُصيبُهُم فَالآنَ أَصبِرُ لِلزمانِ وَأَعرِفُ
إِنّي لِطُلّابِ التِّراتِ مُطَلَّبٌ وَبِكُلِّ أَسبابِ المَنِيَّةِ أُشرِفُ
باقٍ عَلى الحِدثانِ غَيرُ مُكَذِّبٍ لا كاسِفٌ بالي وَلا مُتَأَسِّفُ
إِن نِلتُ لَم أَفرَح بِشَيءٍ نِلتُهُ وَإِذا سُبِقتُ بِهِ فَلا أَتَلَهَّفُ
إِنّي لَأَحمي في المَضيقِ فَوارِسي وَأَكُرُّ خَلفَ المُستَضافِ[٥] وَأَعطِفُ
وَأَشُدُّ إِذ يَكبو الجَبانُ وَأَصطَلي حَرَّ الأَسِنَّةِ وَالأَسِنَّةُ تَرعُفُ
[الكامل]

---

(١) الرَّسْفُ والرَّسيفُ والرَّسَفانُ: مِشْيَة المُقَيَّد، وقد رَسَفَ في القَيْد يَرسُفُ رَسيفاً فهو راسفٌ. والمَرْسَفةُ: المَمْشى لمّا نجدها ووَجَدنا المَرْسَف.

(٢) الأشجع في اليد والرجل: العصب الممدود فوق السُّلامَى ما بين الرُّسغ إلى أصول الأصابع التي يقال لها: أطناب الأصابع، فوق ظهر الكفّ، ويقال: بل هو العظم الذي يصل الإصبَعَ بالرُّسغ، لكلّ إصبّع أشجع، وإنما احتج الذي قال هو العصب

(٣) الأعجف: قليل اللحم.

(٤) السلف: المتقدِّم.

(٥) المستضاف: من يلجأ إليه الناس، ويريد به الكميّ الشجاع.

صـوت

فَـلَـئِـنْ أَصـابَـتـنـي الـحُـروبُ فَـرُبَّـمـا أُدعـى إِذا مُـنِـعَ الـرِّدافُ فَـأُردِفُ
وَلَـرُبَّـمـا يُـروَى بِـكَـفّـي لَـهـذَمٌ مـاضٍ وَمُـطَّـرِدُ الـكُـعـوبِ[1] مُـثَـقَّـفُ[2]
وَأَغـيـرُ غـاراتٍ وَأَشـهَـدُ مَـشـهَـداً قَـلـبُ الـجَـبـانِ بِـهِ يَـطـيـرُ وَيَـرجُـفُ
وَأَرى مَـغـانِـمَ لَـو أَشـاء حَـويـتُـهـا فَـيَـصُـدُّنـي عَـنـهـا غِـنًـى وَتَـعَـفُّـفُ

[الكامل]

ـ غَنَّى في هذه الأبيات دَحمانُ، ولحنه ثقيلُ أوّل بالبنصرعن الهشاميّ. قال الهشاميّ: فيها لِمَالِكٍ خفيفُ ثقيل أوَّل بالوسطى، ووافقه في هذا ابن المكيّ ـ قالوا جميعاً:

[خرج مع جيش الحجاج]

ثم ضُرِبَ البَعْثُ على جيش أهل الكوفة إلى مُكران[3]، فأخرجه الحجَّاج معهم، فَخَرَجَ إليها وطال مُقامُهُ بها ومَرِضَ، فاجتواها وقال في ذلك ـ وأنشدني بعض هذه القصيدة اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ ـ :

طَـلَـبـتُ الـصِّـبـا إِذ عَـلا الـمَـكـبَـرُ وَشـابَ الـقَـذالُ[4] وَمـا تُـقـصِـرُ
وَبـانَ الـشَّـبـابُ وَلَـذّاتُـهُ وَمِـثـلُـكَ فـي الـجَـهـلِ لا يُـعـذَرُ
وَقـالَ الـعَـواذِلُ هَـل يَـنـتَـهـي فَـيَـقـدَعَـهُ[5] الـشَّـيـبُ أَو يُـقـصِـرُ
وَفـي أَربَـعـيـنَ تَـوَفَّـيـتُـهـا وَعَـشـرٍ مَـضَـت لـي مُـسـتَـبـصَـرُ
وَمَـوعِـظَـةٌ لِامـرِىءٍ حـازِمٍ إِذا كـانَ يَـسـمَـعُ أَو يُـبـصِـرُ
فَـلا تَـأسَـفَـنَّ عَـلـى مـا مَـضـى وَلا يَـحـزُنَـنَّـكَ مـا يُـدبِـرُ
فَـإِنَّ الـحَـوادِثَ تُـبـلـي الـفَـتـى وَإِنَّ الـزَّمـانَ بِـهِ يَـعـثُـرُ

---

(١) مطرد الكعوب: الرمح.
(٢) المثقف: المقوّم المسوّى.
(٣) مكران: ولاية واسعة تشتمل عدة مدن وقرى وهي بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند في شرقيها.
(٤) القَذالُ: جِماع مؤخر الرأس، وهو مَعْقِدُ العِذارِ من الفرس خلف الناصية. ويقال: القَذالانِ: ما اكتنف فأسَ القَفا عن يمينٍ وشمالٍ، ويجمع على أقْذِلَةٍ وقُذُلٍ. وقَذَلْتُهُ: ضربتُ قَذالَهُ. ويقال: القَذَلُ: المَيْل والجوْرُ.
(٥) يقدعه: يكفه.

فَيَوماً يُساءُ بِما نابَهُ وَيَوماً يُسَرُّ فَيَستَبشِرُ
وَمِن كُلِّ ذَلِكَ يَلقى الفَتى وَيُمنى لَهُ مِنهُ ما يُقدَرُ
كَأَنِّيَ لَم أَرتَحِلْ[١] جَسرَةً[٢] وَلَم أَجفِها[٣] بَعدَ ما تَضمُرُ
فَأُجشِمُها كُلَّ دَيمومَةٍ[٤] وَيَعرِفُها البَلَدُ المُقفِرُ
وَلَم أَشهَدِ البَأسَ يَومَ الوَغى عَلَيَّ المُفاضَةُ[٥] وَالمِغفَرُ[٦]
وَلَم أَخرِقِ الصَّفَّ حَتّى تَميلَ دارِعَةُ[٧] القَومِ وَالحُسَّرُ
وَتَحتيَ جَرداءُ[٨] خَيفانَةٌ[٩] مِنَ الخَيلِ أَو سابِحٌ مُجفَرُ[١٠]
أُطاعِنُ بِالرُّمحِ حَتّى اللَّبا نُ[١١] يَجري بِهِ العَلَقُ الأَحمَرُ
وَما كُنتُ في الحَربِ إِذ شَمَّرَتْ كَمَنْ لا يُذيبُ وَلا يُخثِرُ[١٢]
وَلَكِنَّني كُنتُ ذا مِرَّةٍ عَطوفاً إِذا هَتَفَ المَحجَرُ[١٣]
أُجيبُ الصَّريخَ إِذا ما دَعا وَعِندَ الهِياجِ أَنا المِسعَرُ[١٤]
فَإِن أُمسِ قَد لاحَ فِيَّ المَشيبُ أُمَّ البَنينِ فَقَد أَذكُرُ

(١) ارتحل الرجل البعير: شدَّ عليه الرحل.
(٢) الجسرة: الناقة العظيمة الطويلة.
(٣) أجفاها: أتعبها ولم يدعها تأكل ولا علفها قبل ذلك، وذلك إذا ساقها سوقاً شديداً.
(٤) قال شمر: فيما قرأت بخطه: الدَّيمُومة الأرض المستوية التي لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس، وإن كانت مكلئة.
(٥) المُفَاضَةُ مِنَ الدُّرُوع الوَاسِعَةُ.
(٦) قال الأصمعيّ: المِغْفَرُ: زردٌ ينسج من الدروع على قَدر الرأس، يلبس تحت القَلنسوة.
(٧) الدراعة: الفرقة التي تلبس الدروع.
(٨) الجرداء: القصيرة الشعر.
(٩) خيفانة: سريعة.
(١٠) فرس مُجْفَرٌ، وناقة مُجْفَرَةٌ، أي عظيمة الجُفْرَةِ، وهي وسَطُه.
(١١) قيل: اللَّبانُ الصَّدْرُ من ذي الحافرخاصَّةً، وفي الصحاح: اللَّبانُ، بالفتح، ما جرى عليه اللَّبَبُ من الصدرِ.
(١٢) لا يثيب ولا يخثر: متذبذب.
(١٣) المحجر: ما يحيط القرية.
(١٤) السّعْرُ: سعر السوق الذي تقوم عليه بالثمن. تقول: أسعر أهل السّوق إسعاراً، وسّعروا تسعيراً إذا اتفقوا على سِعْر. وقيل للنبيّ ﷺ سَعِّرْ لنا. فقال: المُسَعّرُ اللَّه. والسِّعر: وَقود النار والحرب. قال:

شددت لها أزري وكنت بسعرها سعيداً وغير الموقديها سعيدها

رَخـاءً مِـنَ الـعَـيـشِ كُـنّـا بِـهِ إِذِ الـدَّهـرُ خـالٍ لَـنـا مُـصـحِـرُ[١]
وَإِذ أَنـا فـي عُـنـفُـوانِ الـشَّـبـا بِ يُـعـجِـبُـنـي الـلَّـهـوُ وَالـسُّـمَّـرُ
أَصـيـدُ الـحَـسـانَ وَيَـصـطَـدنَـنـي وَتُـعـجِـبُـنـي الـكـاعِـبُ[٢] الـمُـعـصِـرُ[٣]
وَبَـيـضـاءُ مِـثـلُ مَـهـاةِ الـكَـثـيـ ـبِ لا عَـيـبَ فـيـهـا لِـمَـن يَـنـظُـرُ
كَـأَنَّ مُـقَـلَّـدَهـا إِذ بَـدا بِـهِ الـدُّرُّ وَالـشَّـذرُ[٤] وَالـجَـوهَـرُ
مُـقَـلَّـدُ أَدمـاءَ[٥] نَـجـدِيَّـةٍ يَـعِـنُّ لَـهـا شـادِنٌ[٦] أَحـوَرُ
كَـأَنَّ جَـنَـى الـنَّـحـلِ وَالـزَّنـجَـبـيـلِ وَالـفـارِسِـيَّـةِ[٧] إِذ تُـعـصَـرُ
يُـصَـبُّ عَـلـى بَـردِ أَنـيـابِـهـا مُـخـالِـطَـهُ الـمِـسـكُ وَالـعَـنـبَـرُ
إِذا ٱنـصَـرفَـتْ وَتَـلَـوَّتْ بِـهـا رَقـاقُ الـمَـجـاسِـدِ[٨] وَالـمِـئـزَرُ
وَغَـصَّ الـسِّـوارُ وَجـالَ الـوِشـاحُ عَـلـى عُـكَـنٍ[٩] خَـصـرُهـا مُـضـمَـرُ
وَضـاقَ عَـنِ الـسـاقِ خَـلـخـالُـهـا فَـكـادَ مُـخَـدَّمُـهـا[١٠] يَـنـدُرُ
فَـتُـورُ الـقِـيـامِ رَخـيـمُ الـكَـلا م يُـفَـزِّعُـهـا الـصَّـوتُ إِذ تُـزجَـرُ
وَتُـنـمـى إِلـى حَـسَـبٍ شـامِـخٍ فَـلَـيـسَـتْ تُـكَـذَّبُ إِذ تَـفـخَـرُ
فَـتِـلـكَ الَّـتـي شَـفَّـنـي حُـبُّـهـا وَحَـمَّـلَـنـي فَـوقَ مـا أَقـدِرُ

---

(١) أصحَرَ القَومُ أي بَرزُوا إلى الصَّحْراء، وهو فَضاءٌ من الأرض واسِعٌ لا يُواريهم شيءٌ، والجمع الصَّحَارَى ولا يُجمَع على الصُّحْر لأنّه ليسَ بنَعْتٍ.

(٢) الكَعْبُ: العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم. وكُعوبُ الرُّمْحِ: النواشزُ في أطراف الأنابيب. والكَعابُ بالفتح: الكاعِب، وهي الجارية حين يبدو ثَدْيُها للنُهود. وقد كَعَبَتْ تَكْعَبُ بالضم كُعوباً؛ وكَعَّبَتْ بالتشديد مثله. وبُرْد مُكَعَّبٌ: فيه وَشْيٌ مربَّعٌ. وثوب مكعَّب، أي مطويٌّ شديد الإدراج. والكَعْبُ: القطعة من السَّمْن. والكعبة: البيت الحرام، يقال: سُمِّي بذلك لِتَرَبُّعه.

(٣) المعصر الجارية أوَّلَ ما أدرَكتْ وحاضت يقال: قد أعْصَرَتْ، كأنَّها دخلت عَصْرَ شبابها أو بَلَغتْهُ.

(٤) الشَّذْرُ من الذَّهَبِ: ما يُلْقَطُ من المعدن من غير إذابةِ الحجارةِ، والقطعةُ منه شَذْرَةٌ. والشَّذْرُ أيضاً: صغارُ اللؤلؤ.

(٥) الأدماء: قالوا: الأُدمة في الناس شَرْبةٌ من سَواد، وفي الإبِل والظِّباء بياض، يقال: ظَبْية أدماءُ، ولم أسمع أحداً يقول للذكر من الظِّباء آدَم وإنْ كان قياساً.

(٦) شادن: ولد الظبية.

(٧) الفارسية: الخمر.

(٨) ورد في الحديث لا تخرجوا إلى المساجد بالمجاسد، والمجاسد الأثواب التي تلي البدن.

(٩) العُكَنُ: الأطواء في بطن الجارية السمينة.

(١٠) المخدم: موضع الخلخال.

فَـــلا تَـــعـــذِلانـــيَ فـــي حُـــبِّـــهـــا فَـــإِنّـــي بِـــمَـــعـــذِرَةٍ أَجـــدَرُ

[المتقارب]

ـ ومن ها هنا رواية اليزيدي ـ :

وَقـــولا لِـــذي طَـــرَبٍ عـــاشِـــقٍ أَشَـــطَّ الـــمَـــزارُ بِـــمَـــن تَـــذكُـــرُ
بِـكـوفِـيَّـةٍ أَصـلُـهـا بِـالـفُـرا تِ تَـبـدو[1] هُـنـالِـكَ أَو تَـحـضُـرُ[2]
وَأَنـتَ تَـسـيـرُ إِلـى الـمُـكَّـرانِ فَـقَـد شَـحَـطَ الـوِردُ وَالـمَـصـدَرُ
وَلَـم تَـكُ مِـن حـاجَـتـي مُـكَّـران وَلا الـغَـزوُ فـيـهـا وَلا الـمَـتـجَـرُ
وَخُـبِّـرتُ عَـنـهـا وَلَـم آتِـهـا فَـمـا زِلـتُ مِـن ذِكـرِهـا أُذعَـرُ[3]
بِـأَنَّ الـكَـثـيـرَ بِـهـا جـائِـعٌ وَأَنَّ الـقَـلـيـلَ بِـهـا مُـقـتِـرُ
وَأَنَّ لِـحَـى الـنـاسِ مِـن حَـرِّهـا تَـطـولُ فَـتُـجـلَـمُ[4] أَو تَـضـفَـرُ[5]
وَيَـزعُـمُ مَـن جـاءَهـا قَـبـلَـنـا بِـأَنّـا سَـنَـسـهَـمُ[6] أَو نُـنـحَـرُ
أَعـوذُ بِـرَبّـي مِـن الـمُـخـزِيـا تِ فـيـمـا أُسِـرُّ وَمـا أَجـهَـرُ
وَحُـدِّثْـتُ أَنْ مـا لَـنـا رَجـعَـةٌ سِـنـيـنَ وَمِـن بَـعـدِهـا أَشـهُـرُ
إِلـى ذاكَ مـا شـابَ أَبـنـاؤُنـا وَبـادَ الأَخِـلّاءُ وَالـمَـعـشَـرُ
وَمـا كـانَ بـي مِـن نَـشـاطٍ لَـهـا وَإِنّـي لَـذو عُـدَّةٍ مـوسِـرُ
وَلَـكِـنْ بُـعِـثـتُ لَـهـا كـارِهـاً وَقـيـلَ ٱنـطَـلِـقْ كَـالَّـذي يُـوْمَـرُ
فَـكـانَ الـنَّـجـاءُ[7] وَلَـم أَلـتَـفِـتْ إِلَـيـهِـم وَشَـرُّهُـمُ مُـنـكَـرُ

(١) تبدو: تقيم بالبادية. (٢) تحضر: تقيم بالحضر من المدن والقرى.
(٣) ذُعِرَ الرّجُلُ فهو مذعور منذعر، أي: أخيف. والذُّعْرُ: الفَزَع، وهو الاسم. وانْذَعَرَ القومُ تفرقوا.
(٤) الجَلَمُ: اسم يقع على الجَلَمَين، كالمقراض والمِقراضَين، والقلم والقَلَمَين. وجَلَمتُ الصُّوفَ والشَّعر بالجَلَمِ، وقلمت الظُّفرَ بالقلم: قال:

قـيـس الـقُـلامـة مـمّـا جُـزَّ بـالـقـلـم

وجَلمَةُ الشّاةِ والجَزور بمنزلةِ المسلوخة إذا ذهب عنها أكارعها وفضولها.
(٥) الضَّفْرُ: نسجُ الشَّعَر وغيرِه عريضاً. والتضفير مثله. ويقال: انضفَرَ الحبلانِ، إذا التوَيا معاً. والضَّفيرة: العقيصة. يقال: ضفَرتِ المرأةُ شعرها. ولها ضَفيرتان وضَفْرانِ أيضاً، أي عقيصتان. ويقال للحِقْفِ من الرمْل: ضَفيرة. وكذلك المُسَنَّاةُ. وكنانَةٌ ضَفيرَةٌ، أي ممتلئة. والضفِرة بكسر الفاء: الرمل المتعقِّد بعضه على بعض. والجمع ضَفِرٌ. وتضافَروا على الشَّيء: تعاوَنوا عليه.
(٦) سهم الرجل: تغيَّر لونه وبدنه مع هزال ويبس.
(٧) النجاء: السرعة في السير.

هُـوَ الـسَّـيـفُ جُـرِّدَ مِـن غِـمـدِهِ فَـلَـيـسَ عَـن الـسَّـيـفِ مُـسـتَـأخَـرُ
وَكَـم مِـن أَخٍ لـي مُـسـتَـأنِـسٍ يَـظَـلُّ بِـهِ الـدَّمـعُ يَـسـتَـحـسِـرُ
يـودِّعُـنـي وَانـتَـحَـت عَـبـرَةٌ لَـهُ كَـالـجَـداوِلِ أَو أَغـزَرُ
فَـلَـسـتُ بِـلاقـيـهِ مِـن بَـعـدِهـا يَـدَ الـدَّهـرِ[1] مـا هَـبَّـتِ الـصَّـرصَـرُ
وَقَـد قـيـلَ إِنَّـكُـم عـابِـرو نَ بَـحـراً لَـهـا لَـم يَـكُـن يُـعـبَـرُ
إِلـى الـسِّـنـدِ وَالـهِـنـدِ فـي أَرضِـهِـم هُـمُ الـجِـنُّ لَـكِـنَّـهُـم أَنـكَـرُ
وَمـا رامَ غَـزواً لَـهـا قَـبـلَـنـا أَكـابِـرُ عـادٍ وَلا جِـمـيَـرُ
وَلا رامَ سـابـورُ غَـزواً لَـهـا وَلا الـشَّـيـخُ كِـسـرى وَلا قَـيـصَـرُ
وَمِـن دونِـهـا مَـعـبَـرٌ واسِـعٌ وَأَجـرٌ عَـظـيـمٌ لِـمَـن يُـؤجَـرُ

[المتقارب]

[قصته مع جارية خالد بن عتاب الرياحي]

وَذَكَرَ محمد بن صالح بن النَّطَّاح أنَّ هشام بن محمد الكلبيّ حدث عن أبيه: أن أعشى همدان كان مع خالد بن عَتَّاب بن وَرقاء الرِّياحيّ بـ [الري] ودستبى[2]، وكان الأعشى شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسهم، فلما قَدِمَ خالد من مَغْزاه خرج جواريه يَتَلَقَّيْنَهُ وفيهُنَّ أمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدرِ عنده، فَجَعَلَ النَّاسُ يمرُّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فَرَسِهِ يَميلُ يميناً ويساراً من النُّعاس؛ فَقَالَتْ أمُّ وَلَدِ خالد بنِ عَتَّاب لجواريها: إنَّ امرأة خالد لَتُفَاخرني بأبيها وعَمِّها وأخيها، وهل يزيدون على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش! . وسمعها الأعشى فقال: مَنْ هذه؟ فَقَالَ لَهُ بعضُ الناس: هذه جارية خالد فَضَحِكَ وقال لها: إليكِ عَنِّي يا لَكْعاء ثم أنشأَ يقولُ:

وَمـا يُـدريـكِ مـا فَـرَسٌ جَـرورٌ[3] وَمـا يُـدريـكِ مـا حَـمـلُ الـسِّـلاحِ
وَمـا يُـدريـكِ مـا شَـيـخٌ كَـبـيـرٌ عَـداهُ الـدَّهـرُ عَـن سَـنَـنِ الـمِـراحِ
فَـأُقـسِـمُ لَـو رَكِـبـتُ الـوَردَ يَـومـاً وَلَـيـلَـتَـهُ إِلـى وَضَـحِ الـصَّـبـاحِ

(١) يد الدهر: كناية عن الأبد.

(٢) دستبى: كورة كانت مقسومة بين الري وهمذان.

(٣) الفرس الجرور: جَرَّت الفرسُ تَجُرُّ جَرًّا، وهي جَرُورٌ إذا زادت على أَحد عشر شهراً ولم تضع ما في بطنها، وكلما جَرَّتْ كان أَقوى لولدها، وأكثرُ زَمَنِ جَرِّها بعد أَحد عشر شهراً خمس عشرة ليلة وهذا أَكثر أَوقاتها. أَبو عبيدة: وقت حمل الفرس من لدن أَن يقطعوا عنها السِّفادَ إِلى أَن تضعه أَحد عشر شهراً، فإِن زادت عليها شيئاً قالوا: جَرَّتْ.

إِذاً لَـنَـطَـرتُ مِـنـكِ إِلـى مَـكـانٍ كَـسَـحـقِ الـبُـردِ أَو أَثَـرِ الـجِـراحِ

[الوافر]

قال: فَاَصبحَتِ الجاريةُ فَدَخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى؛ فقالت: واللَّه ما تُكْرَم، ولَقد اجتُريء عليك! فقال لها: وما ذاك؟ فأخْبَرَتْهُ أَنَّها مرَّت بِرَجُلٍ في وجه الصبح، ووصفتْهُ له وأَنَّه سَبَّها؛ فقال: ذلك أعشى هَمدان؛ فأيّ شيء قال لك؟ فأنشدته الأبيات. فَبَعَثَ إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له: ما تقول؟ هذه زَعَمَت أنك هَجَوتها؛ فقال: أساءت سمعاً، إنما قُلْتُ:

مَـرَرتُ بِـنِـسـوَةٍ مُـتَـعَـطِّـراتٍ كَـضَـوءِ الـصُّـبـحِ أَو بَـيـضِ الأَداحـي

عَـلـى شُـقـرِ الـبِـغـالِ فَـصِـدنَ قَـلـبـي بِـحُـسـنِ الـدَّلِّ وَالـحَـدَقِ الـمِـلاحِ

فَـقُـلـتُ مَـنِ الـظِّـبـاءُ فَـقُـلـنَ سِـربٌ بَـدا لَـكَ مِـن ظِـبـاءِ بَـنـي رِيـاحِ

[الوافر]

فقالت: لا واللَّه، ما هكذا قال، وأعادَتِ الأبياتَ؛ فَقالَ له خالد: أما إنَّها لولا أَنَّها قد وَلَدَتْ مِنِّي لَوَهَبْتُها لك، ولكنِّي أفتدي جِنَايَتَها بِمثْلِ ثمنها، فَدَفَعَهُ إليه وقَالَ لَهُ: أقسَمْتُ عَلَيكَ يا أبا المصبّح ألّا تُعِيد في هذا المعنى شيئاً بعد ما فَرَطَ مِنْكَ.

وذكر هذا الخبرَ العَنزيُّ في روايته التي قَدَّمَتُ ذكرَها، ولم يأتِ بِهِ على هذا الشرح.

[خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي]

وقال هو وابنُ النَّطَّاح جميعاً: وكان خَالِدٌ يقولُ للأعشى في بعض ما يُمَنِّيه إيَّاه ويَعِدُهُ بِهِ: إن وُلِّيْتُ عَمَلاً كان لك ما دون الناسِ جميعاً، فمتى استُعمِلْتُ فخذ خاتمي واقضِ في أمورِ النَّاس كَيْفَ شِئْتَ. قال: فاستُعْمِلَ خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وَصَلَ إلى عمله جفاه وتناساه، فَفَارَقَهُ الأعشى ورَجَعَ إلى الكوفة وقال فيه:

تُـمَـنّـيـنـي إمـارَتَـهـا تَـمـيـمٌ وَمـا أُمّـي بِـأُمٍّ بَـنـي تَـمـيـمِ

وَكـانَ أَبـو سُـلَـيـمـانٍ أَخـاً لـي وَلَـكِـنَّ الـشِّـراكَ[1] مِـن الأَديـمِ

أَتـيـنـا أَصـبِـهـانَ فَـهَـزَّلَـتـنـا وَكُـنّـا قَـبـلَ ذَلِـكَ فـي نَـعـيـمِ

أَتَـذكُـرُنـا وَمُـرَّةَ إِذ غَـزَونـا وَأَنـتَ عَـلـى بُـغَـيـلِـكَ ذي الـوُشـومِ

(١) الشِّرَاكُ: سَيْرُ النَّعْل.

وَيَـرْكَـبُ رَأْسَـهُ فـي كُـلِّ وَحْـلٍ وَيَـعْـثُـرُ فـي الـطَّـريـقِ الـمُـسْـتَـقـيـم
وَلَـيـسَ عَـلَـيـكَ إِلّا طَـيـلَـسـانٌ نَـصـيـبِـيٌّ وَإِلّا سَـحـقُ نـيـم[1]
فَـقَـد أَصـبَـحـتَ فـي خَـزٍّ[2] وَقَـزٍّ[3] تَـبَـخـتَـر مـا تَـرى لَـكَ مِـن حَـمـيـم
وَتَـحـسَـبُ أَن تَـلَـقّـاهـا زَمـانـاً كَـذَبْـتَ وَرُبِّ مَـكَّـةَ وَالـحَـطـيـم[4]

[الوَافر]

ـ هذه رواية ابن النطَّاح، وزاد العَنْزيّ في روايته ـ :

وَكـانَـت أَصـبـهـانُ كَـخَـيـرِ أَرضٍ لِـمُـغـتَـرِبٍ وَصُـعـلـوكٍ عَـديـم
وَلَـكِـنّـا أَتَـيـنـاهـا وَفـيـهـا ذَوو الأَضـغـانِ وَالـحِـقـدِ الـقَـديـم
فَـأَنـكَـرتُ الـوُجـوهَ وَأَنـكَـرَتْـنـي وُجـوهٌ مـا تُـخَـبِّـرُ عَـن كَـريـم
وَكـانَ سَـفـاهَـةً مِـنّـي وَجَـهـلاً مَـسـيـري لا أَسـيـرُ إِلـى حَـمـيـم
فَـلَـو كـانَ ٱبـنُ عَـتّـابٍ كَـريـمـاً سَـمـا لِـذُؤابَـةِ الأَمـرِ الـجَـسـيـم
وَكَـيـفَ رَجـاءُ مَـن غَـلـبَـتْ عَـلَـيـهِ تَـنـائـي الـدارِ كَـالـرَّحِـمِ الـعَـقـيـم

[الوافر]

قال ابنُ النِّطاح: فَبَعَثَ إليه خالد: مَن مُرَّة هذا الذي ادّعَيْتَ أني وأنت غَزَوْنا معه على بغل ذي وُشوم[5]؟ ومتى كان ذلك؟ ومتى رَأَيْتَ عليَّ الطَّيلسان والنِّيم اللّذين وصَفتهما؟ فأرسَلَ إليه: هذا كلام أرَدْتُ وَصْفَكَ بظاهرِهِ، فأمَّا تفسيره، فإنَّ مُرّة مَرارةُ ثمرةٍ ما غَرَسْتَ عندي من القبيح. والبغل المَركَبُ الذي ارتكَبْتُهُ مني لا يزال يَعْثُرُ بِكَ في كلِّ وَعْثٍ[6] وجَدد ووَعْر وسَهْل. وأما الطَّيلسان فما ألبسك إياه من العار والذمّ؛

(١) النِّيم: قال أبو ليلى: النِّيم: الفرو الرّقيق، وأنشد لذي الرّمّة:
حتّى انجلى الصُّبْحُ عنها في مُلَمِّعةٍ مِثلِ الأَديم لـهـا مـن هَـبْـوةٍ نِـيـمُ
(٢) في حديث عليّ كرم اللّه وجهه: نهى عن ركوب الخَزِّ والجلوس عليه؛ قال ابن الأثير: الخز المعروف أَوّلاً ثياب تنسج من صوف وإِبْرَيْسَم وهي مباحة، قال: وقد لبسها الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها لأَجل التشبه بالعجم وزِيِّ المُتْرَفِينَ، قال: وإِن أُريد بالخَزّ النوعُ الآخر، وهو المعروف الآن، فهو حرام لأَنه كله معمول من الإِبْرَيْسَم، قال: وعليه يحمل الحديث الآخر: قوم يستحلون الخَزَّ والحرير.
(٣) التَّقَزُّزُ: التنطُّسُ والتباعد من الدنَس. وقد تَقَزَّزَ من أكل الضَّبِّ وغيره، فهو رجلٌ قَزٌّ وقُزٌّ وقِزٌّ، ثلاث لغات. وأمَّا القَزُّ من الإِبْرَيْسَم فمعرَّب. والقازوزَةُ: مشربة، وهي قدَح.
(٤) الحَطيمُ: الجَدْرُ. يعني جدار حِجْرِ الكعبة.
(٥) الوشم: العلامة.
(٦) الوَعْث: الرِّخْو الكَثير التُّرابِ أو الرَّمْلِ.

وإنْ شِئْتَ راجَعْتَ الجميل فَرَاجَعْتُهُ لك؛ فقال: لا، بل أُراجِعُ الجميلَ وتُراجعه فَوَصَلَهُ بمالٍ عظيمٍ وترضَّاه. هكذا روى من قَدَّمْتُ ذكره.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حَدَّثنا الرِّياشيّ قال: حَدَّثنا الأصمعيّ قال: لمَّا وُلِّيَ خالدُ بنُ عَتَّاب بن وَرْقاء أصبهانَ، خَرَجَ إليه أعشى هَمدان، وكان صديقه وجاره بالكوفة، فلم يَجِدْ عنده ما يحبّ، وأعطى خالِدٌ الناس عطايا فَجَعَلَهُ في أقلِّها وفَضَّلَ عليه آل عُطارد، فَبَلَغَهُ عنه أنه ذَمَّهُ فَحَبَسَهُ مَدَّةً ثم أطلقَهُ، فقال يهجوه:

وَما كُنتُ مِمَّن أَلجَأَتْهُ خَصاصَةٌ ... إِلَيكَ وَلا مِمَّن تَغُرُّ المَواعِدُ
وَلَكِنَّها الأَطماعُ وَهيَ مُذِلَّةٌ ... دَنَتْ بي وَأَنتَ النازِحُ المُتباعِدُ
أَتَحبِسُني في غَيرِ شَيءٍ وَتارَةً ... تُلاحِظُني شَزْراً وَأَنفُكَ عاقِدُ
فَإِنَّكَ لا كَأَبْنَي فَزارَةَ فَاعلَمَنْ ... خُلِقتَ وَلَم يُشبِهْما لَكَ والِدُ
وَلا مُدرِكٌ ما قَد خَلا مِن نَداهُما ... أَبوكَ وَلا حَوضَيهِما أَنتَ وارِدُ
وَإِنَّكَ لَو سامَيتَ آلَ عُطارِدٍ ... لَبَزَّتكَ أَعناقٌ لَهُم وَسَواعِدُ
وَمَأثِرَةٌ عادِيَّةٌ لَن تَنالَها ... وَبَيتٌ رَفيعٌ لَم تَخُنْهُ القَواعِدُ
وَهَل أَنتَ إِلّا ثَعلَبٌ في دِيارَهِم ... تُشَلّ[1] ـ فَتَعساً ـ أَو يَقودُكَ قائِدُ
أَرى خالِداً[2] يَختالُ مَشياً كَأَنَّهُ ... مِنَ الكِبرِياءِ نَهشَلٌ أَو عُطارِدُ[3]
وَما كانَ يَربوعٌ شَبيهاً لِدارِمٍ ... وَما عَدَلَتْ شَمسَ النَّهارِ الفَراقِدُ

[الطويل]

[حرّض أهل الكوفة للقتال مع ابن الأشعث ضد الحجَّاج]

قالوا: ولما خَرَجَ ابنُ الأشعثِ على الحَجَّاج بن يوسف حَشَدَ مَعَهُ أهل الكوفة، فَلَمْ يَبْقَ من وجوههم وقرَّائهم أحدٌ له نَبَاهة إلا خَرَجَ مَعَهُ لثِقَل وطأة الحَجَّاج عليهم. فكان عامر الشَّعبيّ وأعشى هَمدان مِمَّن خَرَجَ مَعَهُ، وخَرَجَ، أحمد النَّصْبي أبو أُسامة الهمداني المُغَنِّي مع الأعشى لاِلفته إياه، وجَعَلَ الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يُحَرِّضُ أهلَ الكوفة بأشعارِهِ على القتال، وكان مما قاله في ابن الأشعث يمدحه:

يَأَبى الإِلَهُ وَعِزَّةُ ٱبنِ مُحَمَّدٍ ... وَجُدودِ مَلكٍ قَبلَ آلِ ثَمودِ

---

(١) تشل: تطرد.
(٢) خالد وهو شخصية من رياح، ورياح من دارم.
(٣) نهشل وعطارد قبيلتان من العرب ينتسبان إلى دارم بن مالك بن حنظلة.

أَن تَـأَنَـسـوا بِـمُـذَمَّـمـيـنَ عُـروقُـهُـم ... فـي الـنـاسِ إِن نُـسِـبـوا عُـروقُ عَـبـيـدِ
كَـم مِـن أَبٍ لَـكَ كـانَ يَـعـقِـدُ تـاجَـهُ ... بِـجَـبـيـنِ أَبـلَـجَ مِـقـوَلٍ صِـنـديـدِ
وَإِذا سَـأَلـتَ: الـمَـجـدُ أَيـنَ مَـحَـلُّـهُ ... فَـالـمَـجـدُ بَـيـنَ مُـحـمَّـدٍ وَسَـعـيـدِ
بَـيـنَ الأَشَـجِّ وَبَـيـنَ قَـيـسٍ بـاذِخٌ ... بَـخ بَـخ لِـوالِـدِهِ وَلِـلـمَـولـودِ
مـا قَـصَّـرَتْ بِـكَ أَن تَـنـالَ مَـدى الـعُـلا ... أَخـلاقُ مَـكـرُمَـةٍ وَإِرثُ جُـدودِ
قَـرمٌ[1] إِذا سـامـى الـقُـرومَ تَـرى لَـهُ ... أَعـراقَ مَـجـدٍ طـارِفٍ وَتَـلـيـدِ
وَإِذا دَعـا لِـعَـظـيـمَـةٍ حُـشِـدَتْ لَـهُ ... هَـمـدانُ تَـحـتَ لِـوائِـهِ الـمَـعـقـود
يَـمشـونَ فـي حَـلَـقِ الـحَـديـدِ كَـأَنَّـهُـم ... أُسْـدُ الإِبـاءِ سَـمِـعـنَ زَأرَ أُسـودِ
وَإِذا دَعَـوتَ بِـآلِ كِـنـدَةَ أَجـفَـلـوا ... بِـكُـهـولِ صِـدقٍ سَـيِّـدٍ وَمَـسـودِ
وَشَـبـابِ مَـأسَـدَةٍ كَـأَنَّ سُـيـوفَـهُـم ... فـي كُـلِّ مَـلـحَـمَـةٍ بُـروقُ رُعـودِ
مـا إِن تَـرى قَـيـسـاً يُـقـارِبُ قَـيـسَـكُـم ... فـي الـمَـكـرُمـاتِ وَلا تَـرى كَـسـعـيـدِ

[الكامل]

وقال حمَّاد الراوية في خبره: كانت لأعشى هَمدان مع ابن الأشعث مواقفُ محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورةٌ؛ وكان الأعشى من أخوالِهِ، لأنَّ أمَّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهَمداني. قال: فلمَّا صار ابن الأشعثِ إلى سِجْستانَ جبى مالاً كثيراً، فَسَأَلَهُ أعشى همدان أنْ يُعْطِيَهُ منه زيادةً على عطائِهِ فَمَنَعَهُ؛ فَقَالَ الأعشى في ذلك:

هَـل تَـعـرِفُ الـدارَ عَـفـا رَسـمُـهـا ... بِـالـحَـضْـرِ[2] فَـالـرَّوضَـةِ مِـن آمِـدِ[3]
دارٌ لِـخَـوْدٍ[4] طَـفـلَـةٍ رُردَةٍ ... بـانَـتْ فَـأَمـسـى حُـبُّـهـا عـامِـدي
بَـيـضـاءَ مِـثـلَ الـشَّـمـسِ رَقـراقَـةٍ ... تَـبـسِـمُ عَـن ذي أُشُـرٍ[5] بـارِدِ
لَـم يُـخـطِ قَـلـبـي سَـهـمُـهـا إِذ رَمَـتْ ... يـا عَـجَـبـاً مِـن سَـهـمِـهـا الـقـاصِـدِ

(١) القرم: السيد العظيم.
(٢) الخضر: مدينة بإزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات.
(٣) آمد: أعظم مدن ديار بكر.
(٤) الخَودُ: الجارية الناعمة. والجمع خودٌ. والتَّخْويدُ: سرعة السير.
(٥) الأشر: التحزيز الذي يكون في الأسنان، يكون خلقة ومصنوعاً.

يا أَيُّها القَرْمُ[١] الهِجانُ[٢] الَّذي ... يَبطِشُ بَطشَ الأَسَدِ اللّابِدِ
وَالفَاعِلُ الفِعلَ الشَّريفَ الَّذي ... يُنمى إِلى الغائِبِ وَالشاهِدِ
كَم قَد أُسَدّي لَكَ مِن مِدحَةٍ ... تُروى مَعَ الصادِرِ وَالوارِدِ
وَكَم أَجبنا لَكَ مِن دَعوَةٍ ... فَأَعرِف فَما العارِفُ كَالجاحِدِ
نَحنُ حَمَيناكَ وَما تَحتَمي ... في الرَّوعِ مِن مَثنًى وَلا واحِدِ
يَومَ أَنتَصَرنا لَكَ مِن عابِدٍ ... وَيَومَ أَنجَيناكَ مِن خالِدِ
وَوَقعَةَ الرَّيِّ الَّتي نِلتَها ... بِجَحفَلٍ مِن جَمعِنا عاقِدِ
وَكَم لَقينا لَكَ مِن واتِرٍ ... يَصرِفُ نابَيْ[٣] حِنِقٍ حارِدِ[٤]
ثُمَّ وَطِئناهُ بِأَقدامِنا ... وَكانَ مِثلَ الحَيَّةِ الراصِدِ
إِلى بَلاءٍ حَسَنٍ قَد مَضى ... وَأَنتَ في ذَلِكَ كَالزاهِدِ
فَاذكُرْ أَيادينا وَآلاءَنا ... بِعَودَةٍ مِن حِلمِكَ الراشِدِ
وَيَومَ الاهوازِ[٥] فَلا تَنسَهُ ... لَيسَ النَّثا[٦] وَالقَولُ بِالبائِدِ

(١) القرم: الشره.
(٢) الهِجانُ الكريم مأْخوذ من الهِجَانِ، وهو الأَبيض. والهِجان: البِيضُ، وهو أَحسنُ البياض وأَعتقه في الإبل والرجال والنساء، ويقال: خِيارُ كلِّ شيء هِجانُه. ويقال: الهجان الخالص خيار كل شيء.
(٣) صرف نابه وبنابه: حرقه فسمع له صوت.
(٤) الأحرد من الرجال: اللئيم، وقال ابن الأعرابي: الحَرْدُ: القَصْدُ، والحَرْدُ: المَنْعُ، والحَرْدُ: الغيظُ، والغضب، قال: ويجوز أن هذا كله معنى قوله: (وَغَدوْا على حَرْدٍ قادرين).
(٥) الأهواز: مدينة متصلة بالجبل، فتحها حرقوص بن زهير السعدي في خلافة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، والأهواز هي خوزستان وهي رام هرمز، وبين الأهواز وأصبهان خمسة وأربعون فرسخاً، قالوا: ومن أقام بالأهواز حولاً ثم تفقد عقله فإنه يجد فيه نقصاً بيناً. وقصبة الأهواز تغلب كل من نزل بها من الأشراف إلى طبائع أهلها، ولا يوجد بها أحد له وجنة حمراء، والحمى بها دائمة، وزعم الجاحظ أن عدة من قوابل الأهواز أخبرنه أنه ربما قبلن المولود فوجدنه محموماً، وجمعت مع ذلك كثرة الأفاعي في جبلها المطل عليها وكثرة العقارب. وكان صاحب الأهواز الهرمزان وفتحها وما يليها حرقوص بن زهير كما قدمناه وكانت له صحبة، بعث به عتبة بن غزوان من البصرة بأمر عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه.
(٦) نثوت الحديث نثواً: ذكرته ونشرته، وهو حسن النّثا وقبيح النثا، وهو ينثو عليّ ما فعلت: يشيعه، وإنهم ليتناثون الحديث بينهم. وهم يتناثون أيامهم الماضية. قال يزيد بن الطثريّة:

ولما تناثينا سقاط حديثنا ... غشاشاً ولان الطّرف منها فأطمعا

وناثيته كذا مناثاة، وتقول: كم ناجيته وناغيته، وجاثيته وناثيته.

إنّـا لَـنَـرجـوكَ كَـمـا نَـرتَـجـي ... صَـوبَ الـغَـمـامِ الـمُـبـرِقِ الـراعِـدِ
فَـانـفَـح بِـكَـفَّـيـكَ وَمـا ضَـمَّـتـا ... وَافـعَـل فَـعـالَ الـسـيـدِ الـمـاجِـدِ
مـا لَـكَ لا تُـعـطـي وَأَنـتَ امـرُؤٌ ... مُـثـرٍ مِـنَ الـطـارِفِ وَالـتـالِـدِ
تَـجـبـي سِـجِـسـتـانَ وَمـا حَـولَـهـا ... مُـتَّـكِـئـاً فـي عَـيـشِـكَ الـراغِـدِ
لا تَـرهَـبُ الـدَّهـرَ وَأَيّـامَـهُ ... وَتَـجـرُدُ[1] الأَرضَ مَـعَ الـجـارِدِ
إِن يَـكُ مَـكـروهٌ تَـهِـجـنـا لَـهُ ... وَأَنـتَ فـي الـمَـعـروفِ كَـالـراقِـدِ
ثُـمَّ تَـرى أَنّـا سَـنَـرضـى بِـذا ... كَـلّا وَرَبِّ الـراكِـعِ الـسـاجِـدِ
وَحُـرمَـةِ الـبَـيـتِ وَأَسـتـارِهِ ... وَمَـن بَـهِ مِـن نـاسِـكٍ عـابِـدِ
تِـلـكَ لَـكُـم أُمـنِـيَّـةٌ بـاطِـلٌ ... وَغَـفـوَةٌ مِـن حُـلُـمِ الـراقِـدِ
مـا أَنـا إِن هـاجَـكَ مِـن بَـعـدِهـا ... هَـيـجٌ بِـآتـيـكَ وَلا كـابِـدِ
وَلا إِذا نـاطـوكَ[2] فـي حَـلـقَـةٍ ... بِـحـامِـلٍ عَـنـكَ وَلا فـاقِـدِ
فَـأَعـطِ مـا أَعـطَـيـتَـهُ طَـيِّـبـاً ... لا خَـيـرَ فـي الـمَـنـكـودِ[3] وَالـنـاكِـدِ[4]
نَـحـنُ وَلَـدنـاكَ فَـلا تَـجـفُـنـا ... وَالـلَّـهُ قَـد وَصّـاكَ بِـالـوالِـدِ
إِن تَـكُ مِـن كِـنـدَةَ فـي بَـيـتِـهـا ... فَـإِنَّ أَخـوالَـكَ مِـن حـاشِـدِ[5]
شُـمُّ الـعَـرانـيـنِ وَأَهـلُ الـنَّـدى ... وَمُـنـتَـهـى الـضـيـفـانِ وَالـرائِـدِ
كَـم فـيـهِـمُ مِـن فـارِسٍ مُـعـلَـمٍ ... وَسـائِـسٍ لِـلـجَـيـشِ أَو قـائِـدِ
وَراكِـبٍ لِـلـهَـولِ يَـجـتـابُـهُ ... مِـثـلَ شِـهـابِ الـقَـبَـسِ الـواقِـدِ
أَو مَـلإٍ يُـشـفـى بِـأَحـلامِـهِـم ... مِـن سَـفَـهِ الـجـاهِـلِ وَالـمـارِدِ[6]
لَـم يَـجـعَـلِ الـلَّـهُ بِـأَحـسـابِـنـا ... نَـقـصـاً وَمـا الـنـاقِـصُ كَـالـزائِـدِ
وَرُبَّ خـالٍ لَـكَ فـي قَـومِـهِ ... فَـرعٌ طَـويـلُ الـبـاعِ وَالـسـاعِـدِ

---

(١) جرد الأرض: جعلها جرداء.
(٢) النَّوْطُ: مصدر ناط ينوط نَوْطاً، تقول: نُطْتُ القِرْبةَ بنياطها نَوْطاً، أي: علّقتها. والنَّوْط: علق شيء يُجْعل فيه تَمْر ونحوه، أُو ما كان يعلّق من محمل وغيره.
(٣) يقال: نُكِدَ الرجل فهو منكودٌ إذا كثر سؤاله وقلَّ خيره.
(٤) النّاكد: المُلِحّ.
(٥) حاشد: حي من همدان.
(٦) المارِد: هو العاتِي وهو مَارِدٌ مِن المُرَّادِ.

يَحتَضِرُ البَأسَ وَما يَبتَغي ... سِوى إِسارِ البَطَلِ الناجِدِ
وَالطَّعنِ بِالرايَةِ مُستَمكِناً ... في الصَّفِّ ذي العادِيَةِ الناهِدِ[1]
فَٱرتَحْ لِأَخوالِكَ وَٱذكُرهُمُ ... وَٱرحَمهُمُ لِلسَّلَفِ العائِدِ
فَإِنَّ أَخوالَكَ لَم يَبرَحوا ... يُربُونَ بِالرِّفدِ عَلى الرَّافِدِ
لَم يَبخَلوا يوماً وَلَم يَجبُنوا ... في السَّلَفِ الغازي وَلا القاعِدِ
وَرُبَّ خالٍ لَكَ في قَومِهِ ... حَمّالِ أَثقالٍ لَها واجِدِ
مُعتَرِفٍ لِلرُزءِ في مالِهِ ... وَالحَقِّ لِلسائِلِ وَالعامِدِ

[السريع]

[مدح النعمان بن بشير عامل حمص]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي قال: حدّثني عمي العبَّاس بن هشام عن أبيه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن ابن الكَلْبيّ، وأخبرني عمي عن الكِرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيثم بن عديّ، وذكره العَنْزيّ عن أصحابه، قالوا جميعاً: خَرَجَ أعشى هَمدان إلى الشام في وِلاية مَروان بن الحَكَم، فَلَمْ يَنَلْ فيها حظًّا فَجَاءَ إلى النعمان بن بشير وهوعامل على حِمْص، فشكا إليه حاله؛ فَكَلَّمَ له النعمانُ بنُ بشير اليمانية وقال لهم: هذا شاعِرُ اليمن ولسانُها، واستماحهم له، فقالوا: نعم، يُعطيه كلّ رَجلٍ منا دينارين من عطائِهِ، فقال: لا، بل أعطوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعَجَّلاً، فقالوا: أعطِهِ إيَّاه من بيت المال واحتسِبْها على كلِّ رجل من عطائه، فَفَعَلَ النعمان ـ وكانوا عشرين ألفاً ـ فأعطاه عشرين ألفَ دينار وارتجعها منهم عند العَطَاء. فقال الأعشى يَمْدَحُ النعمان:

وَلَم أَرَ لِلحاجاتِ عِندَ ٱلتِماسِها ... كَنُعمانَ نُعمانِ النَّدى ٱبنِ بَشيرِ
إِذا قالَ أَوفى ما يَقولُ وَلَم يَكُن ... كَمُدلٍ إِلى الأَقوامِ حَبلَ غُرورِ
مَتى أَكفُرِ النُّعمانَ لَم أُلفَ شاكِراً ... وَما خَيرُ مَن لا يَقتَدي بِشَكورِ
فَلَولا أَخو الأَنصارِ كُنتُ كَنازِلٍ ... ثَوى ما ثَوى لَم يَنقَلِب بِنَقيرِ[2]

[الطويل]

---

(١) الناهد: الأسد.

(٢) النقير: النكتة التي في ظهر النواة. وروي عن أَبي الهيثم أَنه قال: النَّقِيرُ نُقْرَةٌ في ظهر النواة منها تنبت النخلة. والنَّقِيرُ: ما نُقِبَ من الخشب والحجر ونحوهما، وقد نُقِرَ وانْتُقِرَ.

[شعره في حرب نصيبين]

وقال الهيثم بن عديّ في خبرِهِ: حاصَرَ المُهَلَّبُ بن أبي صُفرة نصيبينَ، وفيها أبو قارب يَزيد بن أبي صَخَر ومعه الخَشَبيّة فقال المُهَلَّب: يأيها الناس، لا يَهُولَنَّكَم هؤلاء القومُ فإنَّما هم العبيد بأيديهم العِصيّ. فَحَمَلَ عليهم المُهَلَّب وأصحابُهُ فَلَقُوهم بالعِصيّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقِفِهم. فَدَسَّ المُهَلَّب رَجُلاً من عبد القيس إلى يزيد بن أبي صَخَر لِيَغتالَهُ، وجَعَلَ له على ذلك جُعْلاً سنيًّا ـ قال الهيثم: بلغني أنَّه أعطاه مائتي ألف درهم قبلَ أن يمضيّ ووَعَدَهُ بمثلها إذا عاد ـ فاندَسَّ له العَبْديُّ فاغتالَهُ فَقَتَلَهُ وقُتِلَ بعده. فقال أعشى همدان في ذلك:

يُسَمّونَ أَصحابَ العِصِيِّ وَما أَرى ... مَعَ القَومِ إِلّا المَشرَفِيَّةَ مِن عَصا
أَلا أَيُّها اللَّيثُ الَّذي جاءَ حاذِراً[1] ... وَأَلقى بِنا جَرمي الخيامَ وَعَرَّصا
أَتَحسَبُ غَزوَ الشّامِ يَوماً وَحَربَهُ ... كَبيضٍ يُنَظِّمنَ الجُمانَ المُفَصَّصا
وَسَيرَكَ بِالأَهوازِ إِذ أَنتَ آمِنٌ ... وَشُربَكَ أَلبانَ الخَلايا[2] المُقَرَّصا[3]
فَأَقسَمتُ لا تَجبي لَكَ الدَّهرَ دِرهَماً ... نَصيبونَ حَتّى تُبتَلى وَتُمَحَّصا
وَلا أَنتَ مِن أَثوابِها الخُضرِ لابِسٌ ... وَلَكِنَّ خُشباناً شِداداً وَمِشقَصا[4]
فَكَم رَدَّ مِن ذي حاجَةٍ لا يَنالُها ... جُدَيعُ العَتيكِ رَدَّهُ اللَّهُ أَبرَصا
وَشَيَّدَ بُنياناً وَظاهِرَ كِسوَةً ... وَطالَ جُديعٌ[5] بَعدَما كانَ أَوقَصا

[الطويل]

الأبيات التي كان فيها الغناء المذكور معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولُها في زوجةٍ له من هَمدان يقال لها جَزْلة، هكذا رواه الكوفيُّون، وهو الصحيح. وذَكَرَ الأصمعي أنها خَوْلة، هكذا رواه في شعر الأعشى.

---

(١) الحاذر: المتيقظ والمتأهب والمستعد.

(٢) الخلية: الناقة، تنتج- وهي غزيرة- فيجر ولدها من تحتها ويجعل تحت أخرى، وتخلى هي للحلب. . .لكرمها.

(٣) المقرص: اللبن الذي يجعل في المقارص ليصير قارصاً أي حامضاً: الأوعية التي يقرَّص فيها اللبن.

(٤) قال الليث: الْمِشْقَصُ: سهمٌ فيه نصل عريض يرمى به الوحش. قال أبو منصور: وهذا التفسير للمشقَص خلاف ما حفظ عن العرب. روى أبو عبيد عن الأصمعي أنه قال: المِشْقَصُ من النِّصال الطويلُ وليس بالعريض، وأما العريضُ من النِّصال فهو المعْبَلَةُ وهذا هو الصحيح وعليه كلام العرب.

(٥) تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة.

[طلَّق زوجته أم جلال وتزوّج غيرها]

فَذَكَرَ العنزيّ في أخبار الأعشى المتقدِّم إسنادُها: أنها كانت عند الأعشى امرأةٌ من قومِهِ يُقَالُ لها أمُّ الجلال، فطالَتْ مدتها معه وأبغضها، ثم خَطَبَ امرأة من قومه يُقالُ لها جَزْلة أو قال الأصمعي: خولة ـ فقالت له: لا، حتى تُطَلِّق أمّ الجلال فَطَلَّقَها وقال في ذلك:

تَقادَمَ وُدُّكِ أُمَّ الجَلالِ ... فَطاشَت نَبالُكَ عِندَ النِّضالِ
وَطالَ لزومُكِ لي حِقبَةً ... فَرَثَّتْ قُوَى الحَبلِ بَعدَ الوِصالِ
وَكانَ الفُؤادُ بِها مُعجَباً ... فَقَد أَصبَحَ اليَومَ عَن ذاكَ سالي
صَحا لا مُسيئاً وَلا ظالِماً ... وَلَكِن سلا سَلوَةً في جَمالِ
وَرُضتِ خَلائِقَنا كُلَّها ... وَرُضنا خَلائِقَكُم كُلَّ حالِ
فَأَعْيَيتِنا في الَّذي بَينَنا ... تَسومِينَني كُلَّ أَمرٍ عُضالِ
وَقَد تَأمُرينَ بِقَطعِ الصَّديقِ ... وَكانَ الصَّديقُ لَنا غَيرَ قالِ
وَإِتيانِ ما قَد تَجَنَّبتُهُ ... وَلِيداً وَلُمتُ عَلَيهِ رِجالي
أَفالِيَومَ أَركَبُهُ بَعدَما ... عَلا الشيبُ مِنّي صَميمَ القَذالِ[1]
لَعَمرُ أَبيكِ لَقَد خِلْتِني ... ضَعيفَ القُوى أَو شَديدَ المِحالِ
هَلُمّي أَسأَلي نائِلاً فَانظُري ... أَأَحرِمُكِ الخَيرَ عِندَ السُّؤالِ
أَلَم تَعلَمي أَنَّني مُعْرِقٌ ... نَماني إِلى المَجدِ عَمّي وَخالي
وَأَنّي إِذا ساءَني مَنزِلٌ ... عَزَمتُ فَأَوشَكتُ مِنهُ ٱرتِحالي
فَبَعضَ العِتابِ فَلا تَهلِكي ... فَلا لَكِ في ذاكَ خَيرٌ وَلا لي
فَلَمّا بَدا لِيَ مِنها البَذا ... ءُ صَبَّحتُها بِثَلاثٍ عِجالِ
ثَلاثاً خَرَجْنَ جَميعاً بِها ... فَخَلَّينَها ذاتَ بَيتٍ وَمالِ
إِلى أَهلِها غَيرَ مَخلوعَةٍ ... وَما مَسَّها عِندَنا مِن نَكالِ
فَأَمسَتْ تَحِنَّ حَنينَ اللِّقا ... حِ مِن جَزَعٍ إِثرَ مَن لا يُبالي

(١) القَذالُ: جِماع مؤخر الرأس، وهو مَعْقِدُ العِذارِ من الفرس خلف الناصية. ويقال: القَذالانِ: ما اكتنف فأسَ القَفا عن يمينٍ وشمالٍ، ويجمع على أقْذِلَةٍ وقُذُلٍ. وقَذَلْتُهُ: ضربتُ قَذالَهُ. ويقال: القَذَلُ: المَيْل والجوْرُ.

فَـجِـنّـي حَـنـيـنَـكِ وَٱسـتَـيـقِـنـي بَـأَنّـا ٱطَّـرَحـنـاكِ ذاتَ الـشِّـمـالِ
وَأَن لا رُجـوعَ فَـلا تُـكـذِبـيـ ـنَ مـا حَـنَّـتِ الـنـيـبُ إِثـرَ الـفِـصـالِ
وَلا تَـحـسِـبـيـنـي بَـأَنّـي نَـدِمـ ـتُ كَـلّا وَخـالِـقِـنـا ذي الـجَـلالِ
[المتقارب]

فقالت له أمُّ الجلال: بِئس واللَّه بعلُ الحُرّة وقرينُ الزوجة المسلمةِ أنت! وَيْحك! أعَدَدْتَ طول الصحبة والحرمة ذنباً تسبِّني وتهجوني به! ثم دَعَتْ عليه أن يُبغِّضه اللَّه إلى زوجته التي اختارها، وفارقته. فلما انتقلت إلى أهلِها؛ وصارت جزلة إليه، ودَخَلَ بها لم يَحظ عندها، ففَرِكتْه[1] وتَنَكَّرَتْ له واشتدّ شَغَفُهُ بها ثم خَرَجَ مع ابن الأشعث فقال فيها:

حَـيِّـيـا جَـزلَـةَ مِـنّـي بِـالـسَّـلامِ دُرَّةَ الـبَـحـرِ وَمِـصـبـاحَ الـظَّـلامِ
لا تَـصُـدّي بَـعـدَ وُدٍّ ثـابِـتٍ وَٱسـمَـعـي يـا أُمَّ عـيـسـى مِـن كَـلامـي
إِنْ تَـدومـي لـي فَـوَصْـلـي دائِـمٌ أَو تَـهُـمّـي لـي بِـهـجْـرٍ أَو صِـرامِ
أَو تَـكـونـي مِـثـلَ بَـرقٍ خُـلَّـبٍ خـادِعٍ يَـلـمَـعُ فـي عُـرضِ الـغَـمـامِ
أَو كَـتَـخـيـيـلِ سَـرابٍ مُـعـرِضٍ بِـفَـلاةٍ أَو طُـروقٍ فـي الـمَـنـامِ
فـاعْـلـمـي إِن كُـنـتِ لَـمّـا تَـعـلَـمـي وَمـتـى مـا تَـفـعـلـي ذاكَ تُـلامـي
بِـعـدَ مـا كـانَ الَّـذي كـان فَـلا تُـتـبِـعـي الإِحـسـانَ إِلّا بِـالـتَّـمـامِ
لا تَـنـاسَـيْ كُـلَّ مـا أَعـطَـيْـتِـنـي مِـن عُـهـودٍ وَمَـواثـيـقَ عِـظـامِ
وَٱذكُـري الـوَعـدَ الَّـذي واعَـدْتِـنـي لَـيـلَـةَ الـنِّـصـفِ مِـنَ الـشَّـهـرِ الـحَـرامِ
فَـلَـئِـن بَـدَّلـتِ أَو خِـسـتِ بِـنـا وَتَـجَـرَّأتِ عَـلـى أَمٍّ صَـمـامِ[2]
لا تُـبَـالـيـنَ إِذاً مـن بـعـدهـا أبـداً تـركَ صـلاةٍ أو صـيـامِ
راجِـعـي الـوَصـلَ وَرُدّي نَـظـرَةً لا تَـلِـجّـي فـي طِـمـاحٍ وَأَثـامِ
وَإِذا أَنـكَـرتِ مِـنّـي شـيـمَـةً وَلَـقَـد يُـنـكَـرُ مـا لَـيـسَ بِـذامِ
فَـاذكُـريـهـا لـي أَزُلْ عَـنّـا وَلا تُـسـفِـحـي عَـيـنَـيـكِ بِـالـدَّمـعِ الـسِّـجـامِ
وَأَرى حَـبـلَـكِ رَثّـا خَـلَـقـاً وَحِـبـالـي جُـدُداً غَـيـرَ رِمـامِ[3]

(١) فركته: بغضته.
(٢) أم صمام: الغدر والحنث.
(٣) حبل رمام: بال.

عَجِبَتْ جَزلَةُ مِنّي أَن رَأَتْ ... لِمَّتي حُفَّتْ بِشَيبٍ كَالثَّغامِ(١)
وَرَأَت جِسمي عَلاه كَبرَةٌ ... وَصُروفُ الدَّهرِ قَد أَبلَتْ عِظامي
وَصَلِيتُ الحَربَ حَتّى تَرَكَتْ ... جَسَدي نِضواً(٢) كَأَشلاءِ اللِّجامِ(٣)
وَهيَ بَيضاءُ عَلى مَنكِبِها ... قَطَطٌ(٤) جَعدٌ وَمَيّالٌ سُخامَ(٥)
وَإِذا تَضحَكُ تُبدي حَبَباً ... كَرُضابِ المِسكِ في الراحِ المُدام
كَمُلَتْ ما بَينَ قَرنٍ فَإِلى ... مَوضِعِ الخَلخالِ مِنها وَالخِدامِ(٦)
فَأَراها اليَومَ لي قَد أَحدَثَتْ ... خُلُقاً لَيسَ عَلى العَهدِ القُدام

[الرمل]

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا محمد بن سعيد الكِرانيّ قال: حَدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ عن مُجَالد عن الشَّعبيّ: أنَّه أتى البصرة أيام ابن الزُّبير، فَجَلَسَ في المسجدِ إلى قوم من تَميم فيهم الأحنفُ بن قَيس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم، إلى أن قال قائل من أهل البصرة: وهل أهل الكوفة إلا خَوَلنا؟ استنقذناهم من عبيدهم! ـ يعني الخوارج ـ . قال الشعبي: فَهَجَسَ في صدري أنْ تَمَثَّلْتُ قول أعشى همدان:

أَفَخَرتُم أَن قَتَلتُم أَعبُداً ... وَهَزَمتُم مَرَّةً آلَ عَزَلْ(٧)
نَحنُ سُقناهُم إِلَيكُم عُنوَةً ... وَجَمَعنا أَمرَكُم بَعدَ فَشَلْ
فَإِذا فاخَرتُمونا فَاذكُروا ... ما فَعَلْنا بِكُمُ يَومَ الجَمَلْ

(١) الثَّغامُ، بالفتح: نبتٌ يكون في الجبل، يَبْيَضُّ إذا يبس، يقال له بالفارسية إسْبيذْ، ويُشَبَّهُ به الشَّيْبُ، الواحدة ثَغامَةٌ. قال الشاعر يخاطب نفسه:

أَعَلاقَةً أُمَّ الوَليدِ بَعدَ ما ... أَفْنانُ رَأْسِكَ كالثَّغامِ المُخْلِسِ

والثَّغْمُ: الضاري من الكلاب.

(٢) النِّضْوُ بالكسر: البعير المهزول. والناقة نِضْوَةٌ، وقد أنْضَتْها الأسفارُ فهي مُنْضاةٌ.

(٣) اللجامُ فارسيّ معرَّب. واللجام أيضاً: ما تشدُّه الحائض. وفي الحديث: «تَلَجَّمي»، أي شدِّي لِجاماً. وهو شبيه بقوله: اسْتَثْفِري. وقولهم: جاء فلان وقد لفظ لِجامه، إذا انصرف من حاجته مجهوداً من الإعياء والعطش، كما يقال: جاء وقد قرض رِباطه.

(٤) القَطَط من الشَّعَر، وهو أشدّ غِلَظاً من الجَعْد.

(٥) شعر سُخامٌ: أسود لين.

(٦) الخدام: الخلخال.

(٧) آل عزل: الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين.

بَـيـنَ شَـيـخٍ خـاضِـبٍ عُـثـنـونَـهُ[١] وَفَـتًـى أَبـيَـضَ وَضّـاحٍ رِفَـلْ[٢]
جـاءَنـا يَـرفُـلُ فـي سـابِـغَـةٍ فَـذَبَـحـنـاهُ ضُـحًـى ذَبـحَ الـحَـمَـلْ
وَعَـفَـوْنـا فَـنَـسِـيـتُـم عَـفـوَنـا وَكَـفَـرتُـم نِـعـمَـةَ الـلَّـهِ الأَجَـلْ
[الرمل]

قال: فَضَحِكَ الأحنف، ثم قال: يا أهل البصرة، قد فَخِرَ عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف، فأحسنوا مجالسته.

[شعر له في هزيمة الزبير الخثعميّ بجلولاء]

أخبرني محمد بن عِمران الصّيرفيّ قال: حَدَّثنا العنزيّ قال: حَدَّثنا الرياشيّ عن أبي مُحلِّم[٣] عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال: بَعَثَ بشر بن مروان الزبير بنَ خُزَيمة الخثعميّ إلى الريّ فَلَقِيَهُ الخوارج بِجَلولاء[٤]، فقتلوا جَيْشَهُ وهزموه وأبادوا عسكره، وكان معه أعشى هَمدان، فقال في ذلك:

أُمِّـرَتْ خَـثـعَـمٌ عَـلـى غَـيـرِ خَـيـرٍ ثُـمَّ أَوصـاهُـمُ الأَمـيـرُ بِـسَـيـرِ
أَيـنَ مـا كُـنـتُـم تُـعـيـفـونَ لِـلـنـاسِ وَمـا تَـزجُـرونَ مِـن كُـلِّ طَـيـرِ
ضَـلَّـتِ الـطَّـيـرُ عَـنـكُـمُ بِـجَـلـولاءَ وَغَـرَّتـكُـمُ أَمـانـي الـزُّبَـيـرِ
قَـدرٌ مـا أُتـيـحَ لـي مِـن فِـلِـسـطـيـنَ عَـلـى فـالِـجٍ[٥] ثَـقـالٍ[٦] وَعَـيـرِ
خَـثـعَـمِـيٌّ مُـغَـصَّـصٌ جُـرجُـمـانـ ـيٌّ مُـحِـلٌّ غَـزا مَـعَ ٱبـنِ نُـمَـيـرِ
[الخفيف]

[مدح الأصمعيّ شعره وفضله]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حَدَّثنا أبو حاتم قال: سَأَلْتُ الأصمعيّ عن أعشى همدان فقال: هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر؛ ثم

(١) العُثْنون: ما فَضَل من اللحية بعد العرضين من باطنهما. ويقال لما ظهر منها: السبلة.
(٢) الرَّفْلُ: جَرُّ الذَّيْل، ورَكْضُهُ بالرِّجْل.. امرأة رافلةٌ ورَفِلَةٌ، أي: تَتَرَفّلُ في مشيها، أي: تَجُرُّ ذيلها إذا مَشَتْ وماسَتْ في ذلك.. وامرأة رفلاء، أي: لا تُحْسِنُ المَشْيَ في الثّياب.. عن أبي الدُّقَيْش. وفَرَسٌ رِفَلٌّ، وثَوْرٌ رِفَلٌّ إذا كان طَويلَ الذَّنَب.
(٣) هو أبو محلم الشيباني. واسمه محمد بن سعد، ويقال محمد بن هشام بن عوف السعدي.
(٤) جلولاء: ناحية من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ.
(٥) الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة.
(٦) الثقال: الثقيل.

قال لي: العجب من ابن دَأب حين يزعم أن أعشى همدان قال:

مَـــن دَعـــا لـــي غُـــزَيِّـــلـــي أَربَـــحَ (الـــلَّـــهْ) (تِـــجـــارَتُـــهْ)

[مجزوء الخفيف]

ثم قال: سبحان اللَّه! أمثلُ هذا يجوز على الأعشى؟ أن يجزم اسمَ اللَّه عزَّ وجلَّ ويرفَع تجارَتَهُ وهو نصب. ثم قَالَ لي خلفٌ الأحمر: واللَّه لقد طَمِعَ ابنُ دأب في الخلافة حين ظنَّ أن هذا يُقْبَلُ منه وأنَّ له من المحل مثلَ أن يجوِّزَ مثلَ هذا. قال ثم قال: ومع ذلك أيضاً إنَّ قوله:

مَـــن دَعـــا لـــي غُـــزَيِّـــلـــي

لا يجوز، إنَّما هو: من دعا لِغُزَيِّلي، ومن دعا لبعير ضال.

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق ومحمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قالا: حَدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال: أمْلق أعشى همدان فأتى خالدَّ بن عَتَّاب بن وَرْقاء فأنشده:

رَأَيـتُ ثَـنـاءَ الـنـاسِ بِـالـقَـولِ طَـيِّـبـاً عَـلَـيـكَ وَقـالـوا مـاجِـدٌ وَٱبـنُ مـاجِـدِ
بَـني الـحـارِثِ الـسـامِـيـنَ لِـلـمَـجـدِ إِنَّـكُـم بَـنَـيـتُـم بِـنـاءً ذِكـرُهُ غَـيـرُ بـائِـدِ
هَـنـيـئـاً لِـمـا أَعـطـاكُـمُ الـلَّـهُ وَاعـلَـمـوا بَـأَنّـي سَـأُطـري خـالِـداً فـي الـقَـصـائِـدِ
فَـإِن يَـكُ عَـتّـابٌ مَـضـى لِـسَـبـيـلِـهِ فَـمـا مـاتَ مَـن يَـبـقـى لَـهُ مِـثـلُ خـالِـدِ

[الطويل]

فَأَمَرَ له بخمسة آلاف درهم.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حَدَّثنا أبو غسَّان قال: قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربريّ ـ ودخل عليه ـ: أنشِدْني يا سابق شيئاً من شعرك تذكِّرني به؛ فقال: أَوَ خيراً من شعري؟ فقال: هات؛ قال: قال أعشى همدان:

وَبَـيـنَـمـا الـمَـرءُ أَمـسـى نـاعِـمـاً جَـذِلاً فـي أَهـلِـهِ مُـعـجَـبـاً بِـالـعَـيـشِ ذا أَنَـقِ
غِـرًّا أُتـيـحَ لَـهُ مِـن حَـيـنِـهِ عَـرَضٌ فَـمـا تَـلَـبَّـثَ حَـتّـى مـاتَ كَـالـصَّـعِـقِ
ثُـمَّـتَ أَضـحـى ضُـحًـى مِـن غِـبِّ ثـالِـثَـةٍ مُـقَـنَّـعـاً غَـيـرَ ذي روحٍ وَلا رَمَـقِ
يُـبـكـى عَـلَـيـهِ وَأَدنَـوْهُ لِـمُـظـلِـمَـةٍ تُـعْـلـى جَـوانِـبُـهـا بِـالـتُّـربِ وَالـفِـلَـقِ
فَـمـا تَـزَوَّدَ مِـمّـا كـانَ يَـجـمَـعُـهُ إِلّا حَـنـوطـاً وَمـا واراهُ مِـن خِـرَقِ

وَغَـيـرَ نَـفـحَـةِ أَعـوادٍ تُـشَـبُّ لَـهُ وَقَـلَّ ذَلِـكَ مِـن زادٍ لِـمُـنـطَـلِـقِ
[البسيط]

قال: فبكى عمر حتى أخضَلَ لِحْيَتَهُ.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الدّيناريّ قال: حَدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن حمَّاد الراوية قال: سَأَلَ أعشى همدان شَجرةَ بن سليمان العَبسيّ حاجةً فردّه عنها، فقال يهجوه:

لَـقَـد كُـنـتَ خَيّـاطـاً فَـأَصـبَـحـتَ فـارِسـاً تُـعَـدُّ إِذا عُـدَّ الـفَـوارِسُ مِـن مُـضَـرْ
فَـإِن كُـنـتَ قَـد أَنـكَـرتَ هَـذا فَـقُـل كَـذا وَبَـيِّـن لِـيَ الـجُـرحَ الَّـذي كـانَ قَـد دَثَـرْ
وَإِصـبَـعُـكَ الـوُسـطـى عَـلَـيـهِ شَـهـيـدَةٌ وَمـا ذاكَ إِلّا وَخـزُهـا الـثَّـوبَ بِـالإِبَـرْ
[الطويل]

قال وكان يُقالُ: إنَّ شجرة كان خيَّاطاً، وقد كان وُلِّيَ للحجَّاج بعضَ أعمال السواد. فلما قَدِمَ على الحجَّاج قالَ لَهُ: يا شجرة، أرِني إصبَعَكَ أنظُرْ إليها قال: أصلح اللَّه الأمير، وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى صِفَة الأعشى؛ فَخَجِلَ شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مُرِ المعطي أنْ يُعطى الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا. يا شجرة، إذا أتاك امرُؤٌ ذو حَسَب ولسان فاشترِ عِرضك منه.

[أسره الحجاج وأراد قتله]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثنا محمد بن يزيد الأزديّ قال: حَدَّثنا أحمد بن عمرو الحنفي عن جماعة ـ قال المبرّد: أحسب أن أحدهم مؤرّج بن عمرو السَّدُوسيّ قالوا: لما أُتِيَ الحجَّاجُ بن يوسف الثقفيّ بأعشى همدان أسيراً، قال: الحمدُ لله الذي أمْكَنَ منك، ألستَ القائل:

لـمَّـا سَـفَـونـا[1] لِـلـكَـفـورِ الـفَـتّـانْ بِـالـسَّـيِّـدِ الـغِـطـريـفِ[2] عَـبـدِ الـرَّحـمَـنْ
سـارَ بِـجَـمـعٍ كَـالـقَـطـا[3] مِـن قَـحـطـانْ وَمِـن مَـعَـدٍّ قَـد أَتـى أَبـنُ عَـدنـانْ
أمـكـن ربـي مـن ثـقـيـفٍ هـمـدانْ يـومـاً إلـى الـلـيـل يُـسـلـي مـا كـانْ

(١) سفا: خفَّ وأسرع.
(٢) الغِطريفُ: السيّدُ، وفرخ البازي. والغَطْرَفَةُ والتَّغَطْرُفُ والتَّغَتْرُفُ: التكبّر. وأنشد الأحمر:
فإنك إن عاديتني غَضِبَ الحَصى عليك وذو الجَبُّورَةِ المُتَغَطْرِفُ
(٣) ورد في بعض المصادر «كالدبى» بدل «كالقطا»، والدبى الجراد.

إن ثـقـيـفـاً مـنـهـم الـكـذَّابـانْ كـذَّابُـهـا الـمـاضـي وكـذابٌ ثـانْ

[الرجز]

أو لست القائل:

يـا ٱبـنَ الأَشَـجِّ[1] قَـريـعِ كِـنـدَةَ لا أُبـالـي فـيـكَ عَـتْـبَـا
أَنـتَ الـرَّئـيـسُ ٱبـنُ الـرَّئـيـسِ وَأَنـتَ أَعـلـى الـنـاسِ كَـعـبَـا
نُـبِّـئـتُ حَـجّـاجَ بـنَ يـوسُـفَ خَـرَّ مِـن زَلَـقٍ فَـتَـبَّـا
فَـٱنـهَـضْ فُـدِيـتَ لَـعَـلَّـهُ يَـجـلـو بِـكَ الـرَّحـمَـنُ كَـرْبـا
وَٱبـعَـثْ عَـطِـيَّـةَ فـي الـخُـيـو لِ يَـكُـبُّـهُـنَّ عَـلَـيـهِ كَـبَّـا

[مجزوء الكامل]

كلَّا يا عدو اللَّه، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خَرَّ من زَلَقٍ فَتَبّ، وحار وانكبّ، وما لَقِيَ ما أحبّ؛ ورَفَعَ بها صوته واربدّ وجهُهُ واهتزَّ منكباه، فلم يبقَ أحد في المجلس إلا أهمَّتْهُ نفسه وأرتعدت فرائصه. فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير:

أَبـى الـلَّـهُ إِلّا أَن يُـتَـمِّـمَ نـورَهُ وَيُـطـفِـيءَ نـارَ الـفـاسِـقـيـنَ فَـتَـخـمُـدا
وَيُـنـزِلَ ذُلاً بِـالـعِـراقِ وَأَهـلِـهِ كـمـا نَـقَـضـوا الـعَـهـدَ الـوَثـيـقَ الـمُـؤَكَّـدا
وَمـا لَـبِـثَ الـحَـجّـاجُ أَن سَـلَّ سَـيـفَـهُ عَـلَـيـنـا فَـوَلّـى جَـمـعُـنـا وَتَـبَـدَّدا
وَمـا زاحَـفَ الـحَـجّـاجُ إِلّا رَأَيـتَـهُ حُـسـاماً[2] مُـلَـقًّـى لِـلـحُـروب[3] مُـعَـوَّدا
فَـكَـيـفَ رَأَيـتَ الـلَّـهَ فَـرَّقَ جَـمـعَـهُـم وَمَـزَّقَـهُـم عُـرضَ الـبِـلادَ وَشَـرَّدا
بِـمـا نَـكَـثـوا مِـن بَـيـعَـةٍ بَـعـدَ بَـيـعَـةٍ إِذا ضَـمِـنـوهـا الـيَـومَ خـاسـوا[4] بِـهـا غَـدا
وَمـا أَحـدَثـوا مِـن بِـدعَـةٍ وَعَـظـيـمَـةٍ مِـنَ الـقَـولِ لَـم تَـصعَـدْ إِلى الـلَّـهِ مَـصعَـدا
وَلَـمّـا دلـفـنـا لِٱبـنِ يـوسُـفَ ضِـلَّـةً[5] وَأَبـرَقَ مِـنّـا الـعـارِضـانِ وَأَرعَـدا
قَـطَـعـنـا إِلَـيـهِ الـخَـنـدَقَـيـنِ وَإِنَّـمـا قَـطَـعـنـا وَأَفـضَـيـنـا إِلى الـمَـوتِ مُـرصِـدا[6]

(١) الأشج: هو الأشعث بن قيس الكندي جد عبد الرحمن بن محمد.
(٢) ورد في بعض المصادر «معانا» بدل «حساماً».
(٣) ورد في بعض المصادر «للفتوح» بدل «للحروب».
(٤) غدروا ونكثوا.
(٥) ورد في بعض المصادر «غدوة» بدل «ضلة». والضلة: ضد الهدى.
(٦) مرصداً: مترقباً.

فَصادَمَنا[١] الحَجّاجُ دونَ صُفوفِنا كِفاحاً وَلَم يَضرِبْ لِذَلِكَ مَوعِدا
بِجُندِ أَميرِ[٢] المُؤمِنينَ وَخَيلِهِ وَسُلطانِهِ أَمسى مُعاناً مُؤَيَّدا
لِيَهنِئْ أَميرَ المُؤمِنينَ ظُهورُهُ عَلى أُمَّةٍ كانوا بُغاةً وَحُسَّدا
وَجَدنا بَني مَروانَ خَيرَ أَئِمَّةٍ وَأَعظَم هَذا الخَلقِ حِلماً وَسُؤدُدا
وَخَيرَ قُرَيشٍ في قُرَيشٍ أَرومَةً وَأَكرَمَهُم إِلّا النَبِيَّ مُحَمَّدا
إِذا ما تَدَبَّرنا عَواقِبَ أَمرِنا وَجدنا أَميرَ المُؤمِنينَ المُسَدَّدا
سَيَغلِبُ قَوماً غالَبوا اللَّهَ جَهرةً وَإِن كايَدوهُ كانَ أَقوى وَأَكيَدا
كَذاكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن كانَ قَلبُهُ ضعيفاً[٣] وَمَن والى النِفاقَ وَأَلحَدا
فَقَد تَرَكوا الأَموال وَالأَهلَ خَلفَهُم[٤] وَبيضاً عَلَيهِنَّ الجَلابيبُ خُرَّدا
يُنادِيهِمُ مُستَعبِراتٍ إِلَيهِمُ وَيُذرينَ دَمعاً في الخُدودِ وَإِثمِدا
وَإِلّا تَناوَلهُنَّ مِنكَ بِرَحمَةٍ يَكُنَّ سَبايا وَالبُعولَةُ أَعبُدا
تَعَطَّفْ أَميرَ المُؤمِنينَ عَلَيهِمُ فَقَد تَرَكوا أَمرَ السَفاهَةِ وَالرَّدى
لَعَلَّهُمُ أَن يُحدِثوا العامَ تَوبَةً وَتَعرِفَ نُصحاً مِنهُمُ وَتَوَدُّدا
لَقَد شَمْتَ يابْنَ الأَشعَثِ العامَ مِصرَنا فظلُّوا وَما لاقوا مِنَ الطَّيرِ أَسعُدا[٥]
كَما شاءَم اللَّه النُّجيرَ[٦] وأهلَه بِجَدِّكَ من قد كان أشقى وأنكدا

[الطويل]

فقال مَنْ حَضَرَ من أهل الشام: قد أحسَنَ أيها الأمير، فَخَلِّ سبيلَهُ؛ فقال: أتظنون أنه أراد المدح! لا واللَّه! لَكِنَّهُ قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد به أن يُحَرِّضَ أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدوّ اللَّه أنَّكَ تخدعني بهذا

(١) ورد في بعض المصادر «فكافحنا» بدل «فصادمنا».
(٢) ورد في بعض المصادر «جنود أمير» بجند أمير».
(٣) ورد في بعض المصادر «مريضاً» بدل «ضعيفاً».
(٤) ورد الصدر على الشكل التوالي:
فَقَد تَرَكوا الأَهلينَ وَالمالَ خَلفَهُم
(٥) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
لَقَد شَأَمَ المِصرَينِ فَرخُ مَحَمَّدٍ بِحَقٍّ وَما لاقى مِنَ الطَّيرِ أَسعدا
(٦) والنُّجَيْر: حِصْن باليمن، قرب حضرموت قال الأعشى:
وأبتعث العيس المراسيل تغتلي مسافة ما بين النُّجَيْرِ وصَرْخَدا

الشعر وتَنْفَلِتَ من يدي حتى تنجوَ! أَلَسْتَ القائل! ويحك! .

وَإِذا سَأَلتَ: المَجدُ أَينَ مَحَلُّهُ فَالمَجدُ بَينَ مُحَمَّدٍ وَسَعيدِ
بَينَ الأَغَرِّ وَبَينَ قَيسٍ باذِخٌ بَخ بَخ لِوالِدِهِ وَلِلمَولودِ[1]

[الكامل]

واللَّه لا تبخبخ بعدها أبداً. أو لست القائل:

فَأَصابَني قَومٌ وَكُنتُ أُصيبُهُم فَاليومَ أَصبِرُ لِلزمانِ وَأَعرِفُ

[الكامل]

كَذَبْتَ واللَّه، ما كُنْتَ صبوراً ولا عروفاً. ثم قُلْتُ بعده:

وَإِذا تُصِبكَ مِنَ الحَوادِثِ نَكبَةٌ فَاصبِر فَكُلُّ غَيابَةٍ سَتَكَشَّفُ

[الكامل]

أمَا واللَّه لَتَكونَنَّ نكبة لا تنكشف غَيابتُها عنك أبداً! يا حَرَسيّ، اضرب عنقه؛ فضرب عنقه.

وذكر مؤرِّج السدوسي أنَّ الأعشى كان شديدَ التحريض على الحَجَّاج في تلك الحروب، فجال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا، فَنَزِلَ عن سرجه ونَزَعَهُ عن فرسه، ونَزِعَ درعه فوضعها فوق السرج، ثم جَلَسَ عليها فأحدث والناس يرونه، ثم أقبل عليهم فقال لهم: لعلكم أنكرتم ما صَنَعْتُ! قالوا: أوَلَيْسَ هذا موضع نكير؟ قال: لا، كُلُّكُم قد سَلَّحَ في سرجه ودِرْعه خوفاً وفرقاً، ولكنكم سترتموه وأظهرتُهُ فَحَمِيَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومهم إلى الليل، وشاعَتْ فيهم الجِراح والقتلى، وانهزم أهل الشام يومئذ، ثم عاودوهم من غد وقد نكأتُهُم[2] الحرب؛ وجاء مَدَدٌ من أهل الشام، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتِلَ ابن الأشعث. وقد حُكِيَتْ هذه الحكاية عن أبي كلدة اليَشكُريّ أنه فعلها في هذه الوقعة، وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني في أخبار أبي كَلَدة ، وقد ذكر ما حكاه مع أخباره في موضِعِهِ من هذا الكتاب.

(١) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
بَينَ الأَشَجِّ وَبَينَ قَيسٍ باذِخٌ بَخ بَخ لِوالِدِهِ وَلِلمَولودِ

(٢) نكأتهم: أكثرت فيهم القتل والجراح.

أخبار أحمد النصبي ونسبه

[نسبه]

النَّصْبيّ هو صاحبُ الأنصاب. وأولُ من غَنَّى بها وعنه أُخِذَ النصب[1] في الغناء هو أحمد بن أُسامة الهمداني، من رَهْطِ الأعشى الأدنيْن. ولم أجِدْ نَسَبَهُ مُتَّصِلاً فأذكره. وكان يُغَنِّي بالطنبور في الإسلام. وكان، فيما يُقالُ، يُنادِمُ عبيد اللَّه بن زياد سِرًّا ويُغَنِّيه. وله صنعةٌ كثيرة حسنة لم يلحقها أحد من الطَّنبوريين ولا كثير ممن يُغَنِّي بالعود.

[ما ذكره جحظة عنه]

وذكرَهُ جَحْظةُ في كتاب الطُّنبوريين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه، وثَلَبه فيما ذكره. وكان مَذْهَبُهُ ـ عفا اللَّه عنّا وعنه ـ في هذا الكتاب أن يثلب جميعَ مَنْ ذَكَرَهُ من أهل صناعته بأقبحِ ما قَدِر عليه، وكان يَجِب عليه ضدُّ هذا، لأن من أنتسب إلى صناعة، ثم ذكر متقدِّمي أهلها، كان الأجمل به أن يذكُرَ مَحَاسِنَ أخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عَرَفَهُ منهم لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم. فكان فيما قَرَأْتُ عليه من هذا الكتاب أخبارُ أحمد النَّصبي، وبه صدَّرَ كتابه فقال: أحمد النَّصبي أولُ من غَنَّى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيَّرَها ولم يخدُمْ خليفة ولا كان له شعر ولا أدب.

[كان بخيلاً مُرابياً]

وحدَّثني جماعةٌ من الكوفيين أنه لم يكن بالكوفة أبخلُ منه مع يساره، وأنَّه كان يُقْرِضُ الناسَ بالرِّبا، وأنَّه اغتَصَّ في دعوةٍ دُعِيَ إليها بفالُوذَجةٍ حارّة فبلعها فَجَمَعت أحشاءه فمات. وهذا كُلُّهُ باطل. أما الغناء فله منه صنعة في الثقيل الأول وخفيف الثقيل والثقيل الثاني، ليس لكثيرِ أحدٍ مثلُها. منها الصوت الذي تقدَّم ذكره وهو قوله:

حـــيِّـــيـــا خـــولـــةَ مِـــنِّـــي بـــالـــســـلامِ

---

(١) غِناءُ النَّصْبِ: ضربٌ من الألحان. وفي الحديث: «لو نَصَبْتَ لنا نَصْبَ العرب»، أي لو غَنَّيْتَنا غِناءَ العرب، وهو غناءٌ لهم يشبه الحُداء إلا أنَّه أرقُّ منه.

ومنها:

سَلَبْتَ الجواري حَليهنّ فَلَمْ تَدَعْ سِواراً ولا طَوْقاً على النحر مُذْهَبا

وهو من الثقيل الثاني، والشعرُ لِلعُدَيل بن الفُرْخ[1]، وقد ذَكَرْتُ ذلك في أخبارِهِ.

ومنها:

يا أَيُّها القَلبُ المُطيعُ الهَوى أَنّى أَعتَراكَ الطَّرَبُ النازِحُ[2]

[السريع]

وهو أيضاً من الثقيل الثاني، وأصواتٌ كثيرةٌ نادرة تدل على تقدمه.

وأما ما وَصَفَه من بخله وقَرْضِه للناس بالرِّبا وموته من فالوذجة حارة أكلها، فلا أدري مَنْ مِنَ الكوفيين حَدَّثَهُ بهذا الحديث، ليس يخلو من أن يكون كاذباً، أو نَحَلَ هو هذه الحكايةَ وَوَضَعَها هنا، لأن أحمد النَّصبي خَرَجَ مع أعشى همدان وكان قرابتَهُ وإلفَهُ في عسكر ابن الأشعث، فَقُتِلَ فيمن قُتِلَ. رَوى ذلك الثِّقات من أهل الكوفة، والعلم بأخبار الناس، وذلك يُذْكَرُ في جملة أخباره.

[كان موافياً لأعشى همدان]

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا: حَدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه، وذكره العنزي في أخبار أعشى همدان المذكورة عنه عن رجالِهِ المُسمَّين قال: كان أحمد النَّصبي مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له، فأكثرُ غنائِهِ في أشعاره مثل صنعته في شعرِهِ:

حيِّيا خولةَ مِنِّي بالسلام
لِمَنِ الظَّعائِنُ سَيرُهُنَّ تَرَجُّفُ
ويأيها القلب المطيعُ الهَوَى

[الكامل]

---

(١) العديل بن الفرخ العجلي، من رهط أبي النجم، ويلقب بالعباب. شاعر فحل. اشتهر في العصر المرواني. وهجا الحجاج بن يوسف، وهرب منه إلى بلاد الروم، فبعث الحجاج إلى قيصر: لترسلن به أو لأجهزن إليك خيلاً يكون أولها عندك وآخرها عندي؛ فبعث به إليه، فأنشده شعراً في مدحه يقول فيه:

بنى قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسول

فعفا عنه وأطلقه. وهو من شعراء الحماسة، توفي سنة ١٠٠ للهجرة.

(٢) البيت لأعشى همدان.

وهذه الأصوات قلائدُ صَنْعَتِهِ وغُرَرُ أغانيه. قال: وكان سببُ قوله الشعر في سَليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنْبريّ ـ وكان منزلُ سليم ساباطَ[١] المدائن ـ أنَّ أعشى همدان وأحمدَ النَّصبيّ خرجا في بعض مغازيهما، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابِّهما بِعُلُوفة[٢] وقَضِيم[٣]، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا، فعرض عليهما الشراب فأنعَمَا به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان؛ فقال أحمد النَّصبيّ للأعشى: قُلْ في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أُغَنِّي فيه فقال الأعشى يَمْدَحُهُ:

يا أَيُّها القَلبُ المُطيعُ الهَوى ... أَنّى أَعتَراكَ الطَّرَبُ النازِحُ
تَذكُرُ جُملاً فَإِذا ما نَأَتْ ... طارَ شَعاعاً قَلبُكَ الطامِحُ
هَلّا تَناهَيتَ وَكُنتَ اَمرَأً ... يَزجُرُكَ المُرشِدُ وَالناصِحُ
ما لَكَ لا تَترُكُ جَهلَ الصِّبا ... وَقَد عَلاكَ الشَّمَطُ الواضِحُ
فَصارَ مَن يَنهاكَ عَن حُبِّها ... لَم تَرَ إِلّا أَنَّهُ كاشِحُ
يا جُملُ ما حُبّي لَكُم زائِلٌ ... عَنّي وَلا عَن كَبِدي نازِحُ
حُمِّلتُ وُدًّا لَكُمُ خالِصاً ... جِدًّا إِذا ما هَزَلَ المازِحُ
ثُمَّ لَقَد طالَ طِلابيكُمُ ... أَسعى وَخَيرُ العَمَلِ الناجِحُ
إِنّي تَوَسَّمتُ اَمرَأً ماجِداً ... يَصدُقُ في مِدحَتِهِ المادِحُ
ذُؤابَةَ العَنبَرِ فَاختَرتُهُ ... وَالمَرءُ قَد يُنعِشُهُ الصالِحُ
أَبلَجَ بُهلولاً[٤] وَظَنّي بِهِ ... أَنَّ ثَنائي عِندَهُ رابِحُ
سَليمُ ما أَنتَ بِنَكسٍ[٥] وَلا ... ذَمُّكَ لي غادٍ وَلا رائِحُ
أُعطيتَ وُدّي وَثَنائي مَعاً ... وَخَلَّةً ميزانُهما راجِحُ
أَرعاكَ بِالغَيبِ وَأَهوى لَكَ الرُّشدَ وَجَيبي[٦] فَاعلَمَن ناصِحُ

(١) ساباط: موضع في المدائن لكسرى أبرويز.
(٢) العلوفة: جمع علف وهو ما يطعم للدواب.
(٣) القضيم: شعير الدابة.
(٤) رجل بُهلُول: حَيِيٌّ كريم، قال: ويقال: امرأةٌ بُهلول. أبو عبيد، عن الأصمعي قال: البُهلول: الضَّحَّاك من الرجال.
(٥) النكس من الرجال: المقصر عن غاية النجدة والكرم.
(٦) الجيب: القلب والصدر.

إنّي لِمَن سالَمتَ سِلمٌ وَمَن ... عادَيتَ أُمسي وَلَهُ ناطِحُ
في الرَّأسِ مِنهُ وَعَلى أَنفِهِ ... مِن نَقَماتي ميسَمٌ لائِحُ
نِعمَ فَتى الحَيِّ إِذا لَيلَةٌ ... لَم يُورِ فيها زَندَهُ القادِحُ
وَراحَ بِالشَّولِ[1] إِلى أَهلِها ... مُغبَرَّةً أَذقانُها كالِحُ[2]
وَهَبَّتِ الريحُ شَآمِيَّةً ... فَآنجَحَرَ القابِسُ وَالنابِحُ
قَد عَلِمَ الحَيُّ إِذا أَمحَلوا ... أَنَّكَ رَفّادٌ لَهُم مانِحُ
في اللَّيلَةِ القالي قِراها الَّتي ... لا غابِقٌ فيها وَلا صابِحُ
فَالضَّيفُ مَعروفٌ لَهُ حَقُّهُ ... لَهُ عَلى أَبوابِكُم فاتِحُ
وَالخَيلُ قَد تَعلَمُ يَومَ الوَغى ... أَنَّكَ مِن جَمرَتِها[3] ناضِحُ[4]

[السريع]

قال: فَغَنَّى أحمد النَّصبيّ في بعض هذه الأبيات، وجاريةٌ لسليم في السطح، فَسَمِعَتِ الغناء، فَنَزَلَتْ إلى مولاها وقالت: إنِّي سَمِعْتُ من أضيافِكِ شِعْراً ما سَمعْتُ أحسنَ منه؛ فَخَرَجَ مَعَها مولاها فاستمَعَ حتى فهم ثم نَزَلَ فَدَخَلَ عليهما، فقال لأحمد: لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما؟ فقال: الشعر لهذا، وهو أبو المصبِّح أعشى همدان، والغناء لي، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهمداني؛ فانكَبَّ على رأس أعشى همدان فقبله وقال: كَتَمْتُمَاني أنفسكما، وكِدْتُما أن تُفَارِقاني ولم أعرفكما، ولم أعلم خبركما، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسين، وقال: خَلِّفا عندي ما كان من دوابكما، وارجعا من مَغْزَاكما إليَّ. فمضيا إلى مغزاهما، فأقاما حيناً ثم انصرفا، فلما شارفا منزله قال أحمد للأعشى: إنِّي أَرَى عَجَباً! قال: وما هو؟ قال: أرى فوق قصر سليم ثعلباً، قال: لئن كُنْتُ صادقاً فما بقي في القرية أحد. فدخلا القرية، فوجدا سليماً وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فماتَ أكثرهم وانتقل باقيهم. هكذا ذكر إسحاق، وذكر غيره: أن الحجَّاج طالبَ سَلِيماً بمالٍ عظيم، فَلَمْ يَخْرُجْ منه حتى باع كل ما يملكه، وخَرُبَتْ قرْيتُهُ وتفرَّق أهلها؛ ثم باعه الحجَّاج عبداً، فاشتراه بعضُ أشراف أهل الكوفة، إما أسماءُ بنُ خارجةَ وإما بعض نظرائه، فأعتقه.

(١) الشائِلُ بلا هاءٍ فهي الناقةُ التي تَشولُ بذَنَبِها للّقاح ولا لبن لها أصلاً؛ والجمع شُوَّلٌ.
(٢) الكالح: الأمر الشديد.
(٣) الجمرة: القبيلة فيها ألف فارس.
(٤) الناضح: المدافع الرامي.

نسبة هذا الصوت الذي
قال الأعشى شعره وصنع أحمد النّصبيّ لحنه في سَليم

يـا أَيُّـهـا الـقَـلـبُ الـمُـطـيـعُ الـهَـوى ... أَنّـى ٱعـتَـراكَ الـطَّـرَبُ الـنـازِحُ
تَـذكُـرُ جُـمـلاً فَـإِذا مـا نَـأَت ... طـارَ شَـعـاعـاً قَـلـبُـكَ الـطـامِـحُ
أُعـطـيـتَ وُدّي وَثَـنـائـي مَـعـاً ... وَخَـلَّـةً مـيـزانُـهـا راجِـحُ
إِنّـي تَـخـيّـرْتُ ٱمـرَأً مـاجِـداً ... يَـصـدُقُ فـي مِـدحَـتِـهِ الـمـادِحُ
سَـلِـيـمُ مـا أَنـتَ بِـنَـكـسٍ وَلا ... ذَمُّـكَ لـي غـادٍ وَلا رائِـحُ
نِـعـمَ فَـتـى الـحَـيِّ إِذا لَـيـلَـةٌ ... لـم يُـورِ فـيـهـا زَنـدَهُ الـقـادِحُ
وَراحَ بِـالـشَّـولِ إِلـى أَهـلِـهـا ... مُـغـبَـرَّةً أَذقـانُـهـا كـالِـحُ
وَهَـبَّـتِ الـريـحُ شَـآمِـيَّـةً ... فَـٱنـجَـحَـرَ الـقـابِـسُ وَالـنـابِـحُ

[السريع]

الشعرُ لأعشى همدان. والغِنَاءُ لأحمد النُّصبيّ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لمالكٍ لحناً ولسنان الكاتب لحناً آخر.

صـوت

من المائة المختارة

تَـنَـكَّـرَ مـن سُـعـدَى وأقـفـر مـن هـنـدِ ... مُـقـامُـهـمـا بـيـن الـرَّغـامـيـن[1] فـالـفـردِ
مـحـلٌّ لِـسُـعـدى طـالـمـا سَـكَـنَـتْ بِـهِ ... فـأوحـشَ مـمـن كـان يَـسْـكُـنُـهُ بـعـدي

[الطويل]

الشعر لحمَّاد الراوية. والغناء لعبادِلٍ، ولحنه المختار من الثقيل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف ثقيل أوَّل بالوسطى، ذكر الهشاميّ أنه للهذلي، وذكر عمرو بن بانة أنه لعبادل بن عَطِيَّة.

(١) الرَّغام: اسم رملة من نواحي اليمامة بالوشم.

أخبار حمَّاد الراوية ونسبه

[نسبه وولاؤه]

هو حمَّاد بن مَيْسرة، فيما ذكره الهَيثم بن عديّ، وكان صاحبَهُ وراويتَهُ وأعلمَ الناسَ بِهِ، وَزَعَمَ أنَّه مولى بني شيبان. وذكر المَدائنيّ والقَحْذَمِيّ أنه حَمَّاد بن سابور، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها. وكانت ملوك بني أمية تُقَدِّمُه وتؤثِره وتستزيره، فَيَفِد عليهم ويُنادمُهُم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويُجْزِلون صِلَته.

حدثنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ وعمي إسماعيل العَتكيّ... قالوا: حَدَّثنا الرِّياشيّ قال: قال الأصمعيّ: كان حَمَّاد أعلم الناس إذا نَصَحَ. قال وقُلْتُ لحمَّاد: ممن أنتم؟ قال: كان أبي من سبي سَلمان بن ربيعة، فَطَرَحَتْنا سَلمانُ لبني شَيبان، فولاؤنا لهم. قال: وكان أبوه يُسمَّى مَيْسرة، ويُكَنى أبا ليلى. قال العَتكيّ في خبرِهِ: قال الرِّياشيّ: وكذلك ذَكَرَ الهيثم بن عديّ في أمر حمَّاد.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثني الكِرانيّ قال: حَدَّثنا العُمَري عن العُتْبيّ والهيثم بن عَديّ ولَقِيط[1] قالوا: قال الوليد بن يزيد لِحَمَّاد الراوية: بِمَ استحقَقْتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأنِّي أروي لِكُلِّ شاعر، تعرفه يا أمير المؤمنين أو سَمِعْتَ به، ثم أروي لاكثر منهم ممن تعرف أنك لم تَعرفْهُ ولم تسمعْ بِهِ، ثم لا أُنْشَد شعراً قديماً ولا مُحْدَثاً إلا مَيَّزْتُ القديم منه من المُحْدَثِ فقال: إنَّ هذا لعلم وأبيك كثير! فكم مِقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً، ولَكِّنِي أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المُقطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام! قال: سَأَمْتَحِنُكَ في هذا، وأمَرَهُ بالإنشاد. فأنشد الوليدَ حتى ضَجِرَ، ثم وكَّل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه؛ فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليدَ بذلك، فأمَرَ له بمائة ألف درهم.

---

(١) هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي من بني محارب كان شاعراً سيء الخلق، بالإضافة إلى ذلك هو كاتب لعدد من الكتب منها: كتاب السحر، وكتاب الحراب واللصوص، وكتاب الجن.

[ما كان بينه وبيت مروان بن أبي حفصة]

أخبرني يحيى بن عليّ المُنَجِّم قال: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثني إسحاق الموصليّ عن مروان بن أبي حفصة، وأخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثني أبو بكر العامريّ عن الأثرَم[١] عن مروان بن أبي حفصة قال: دَخَلْتُ أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثَّقفِي والحسين بن مُطَير الأسدي في جماعة من الشعراءِ على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها، وإذا رجل عنده، كلما أنشد شاعرٌ شعراً، وَقَفَ الوليدُ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نَقَلَهُ من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعر؛ فَقُلْتُ: من هذا؟ فقالوا: حَمَّاد الراوية. فلما وقَفْتُ بين يدي الوليد أُنْشِدُهُ قُلْتُ: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحنة لحَّانة فأقبل الشيخ عليّ وقال: يأبن أخي، إنِّي رَجُلٌ أكلِّم العامة فأتكلمُ بكلامِها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فَذَهَبَ عنِّي الشعرُ كله إلا شعر ابن مُقبل، فَقُلْتُ له: نعم، شعرَ ابن مُقبل قال: أنشِدْ، فأنشدْتُهُ قوله:

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنبيْ حِبرٍّ[٢] فَوَاهِبٍ[٣] إذا مَا رَأَى هَضْبَ القَلِيبِ[٤] المُضَيَّحُ[٥][٦]

[الطويل]

ثم جُزْتُ؛ فَقَالَ لي: قف فَوَقَفْتُ فَقَالَ لي: ماذا يقول؟ فلم أدرِ ما يقول! فقالَ لي حَمَّاد: يأبن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب. يقال: تراءى الموضعان إذا تقابلا.

[سأل الهيثم بن عدي عن معنى شعر فعجز]

حَدَّثني عَمِّي قال: حَدَّثني الكِرانيّ عن العُمَري عن الهيثم بن عدي قال: قُلْتُ لِحَمَّاد الراوية يوماً: ألقِ عليَّ ما شئت من الشعر أفسِّرْهُ لك، فَضَحِكَ وقال لي: ما معنى قول ابن مُزاحِم الثُّماليّ:

---

(١) هو أبو الحسن علي بن المغيرة صاحب الأصمعيّ وأبي عبيدة.

(٢) حبر: جبل لبني سليم.

(٣) وهب: جبل لبني سليم.

(٤) هضب القليب: ماء لبني قنفذ من بني سليم.

(٥) المضيح: ماء لبني البكاء.

(٦) ينسب هذا البيت لتميم بن أبيّ، وهو تميم بن أبيّ بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة أبو كعب. شاعر جاهلي وُلِد عام ٧٠ق.هـ، أدرك الإسلام وأسلم فكان يبكي أهل الجاهلية !! عاش نيفاً ومئة سنة وعدَّ في المخضرمين وكان يهاجي النجاشي الشاعر، توفي سنة ٣٧هـ.

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تامِكاً[١] قَرِداً[٢] كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[٣]
[البسيط][٤]

فلم أدرِ ما أقولُ، فقال: تخوَّف: تنقَّص. قال اللَّه عزَّ وجلَّ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] أي على تنقُّص. قال الهيثم: ما رأيْتُ رَجُلاً أعلَم بِكلامِ العرب من حَمَّاد.

[كَذَبَ الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقرَّ]

حَدَّثني محمد بن خلف وَكِيع قال: حَدَّثني الكِرانيّ محمد بن سعد عن النَّضْرِ ابن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال: أنشدني الفرزدق وحمَّادٌ الراوية حاضر:

وَكُنتَ كَذِئبِ السوءِ لَمّا رَأى دَماً بِصاحِبِهِ يَوماً أَحالَ عَلى الدَّمِ
[الطويل]

فقال له حَمَّاد: أنت تقوله؟ قال: نعم؛ قال: ليس الأمر كذلك، هذا لرجل من أهل اليمن؛ قال: ومن يعلم هذا غيرُك! أفأرَدْتَ أن أتركه وقد نحلنيه الناس وروَوْه لي لأنك تعلمه وَحْدَكَ ويجهلُهُ الناسُ جميعاً غيرك!.

حَدَّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثني الفَضْلُ قال: حَدَّثني ابن النَّطَّاح قال: حَدَّثني أبو عمرو الشَّيباني قال: ما سألْتُ أبا عمرو بنَ العلاء قطُّ عن حمَّاد الراوية إلا قدَّمه على نفسه، ولا سألْتُ حَمَّاداً عن أبي عمرو إلا قدَّمه على نفسِهِ.

حَدَّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد اللَّه بن مسلم، وذكر عبد اللَّه بن مسلم عن الثَّقَفيّ عن إبراهيم بن عُمَر والعامري قالا: كان بالكوفة ثلاثةُ نَفَرٍ يُقالُ لهم الحمَّادون: حَمَّاد عجرد، وحماد بن الزِّبرِقان، وحمَّاد الراوية، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرةً جميلةً، وكانوا كأنَّهم نفسٌ واحدةٌ، وكانوا يُرمَوْن بالزندفة جميعاً.

[كان بخيلاً]

أخبرني الحسن بن يحيى المِرْداسيّ قال: حَدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دَخَلَ مُطِيع بن إياس ويحيى بن زياد على حمَّادٍ الراوية، فإذا سِراجُهُ على ثلاث

(١) التامك: السنام ما كان. وقيل: هو السنام المرتفع.
(٢) القرد: يقال: إنه لقرد الفم إذا كانت أسنانه صغاراً. وصوف قرد: ملتصق متلبّد.
(٣) السفن: الحديدة التي تبرد بها القسيّ.
(٤) هذا البيت لتميم بن أبيّ.

قَصَبات قد جمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين، فقال له يحيى بن زياد: يا حمَّاد، إنَّكَ لَمُسْرِف مُبْتذِل لحرّ المتاع؛ فقال له مُطيع: ألا تبيع هذه المنارة وتشتري أقلَّ ثمناً منها وتُنْفِقُ علينا وعلى نفسك الباقي وتتَّسِع به؟ فقال له يحيى: ما أَحسنَ ظَنَّكَ بِهِ! ومن أين له مثل هذه؟ إنَّما هي وديعة أو عارية؛ فقال له مُطيع: أما إنَّه لعظيم الأمانة عند الناس! قال له يحيى: وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يُخْرِجُ مثل هذه من دارِهِ ويأمن عليها غيرَه! قال مُطيع: ما أظنها عاريةً ولا وديعة ولكنِّي أظنُّها مرهونةً عنده على مال، وإلا فمن يُخرِجُ هذه من بيته! فقال لهما حَمَّاد: قوما عني يابْني الزانيتين واخرُجا من منزلي، فشرٌّ منكما من يُدخلكما بيته.

حَدَّثني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن عُبَيد وأبو عصيدة قال: حَدَّثني محمد بن عبد الرحمن العَبْدي عن حُميد بن محمد الكوفي عن إبراهيم بن عبد الرحمن القُرَشي عن محمد بن أنس، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن الهَيثم بن عديّ عن حَمَّاد الراوية، وخبر حمَّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له.

قال حمَّاد الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد، فلما مات يزيد وأفضَت الخِلافةُ إلى هشام خِفْتُهُ، فَمَكَثْتُ في بيتي سنةً لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرًّا؛ فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنةً أمِنْتُ فَخَرَجْتُ فَصَلّيْتُ الجمعة، ثم جَلَسْتُ عند باب الفيل فإذا شُرَطِيان قد وقفا عليّ فقالا لي: يا حمَّاد، أجِبِ الأميرَ يوسف بن عمر فقلت في نفسي: من هذا كنت أحذر، ثم قُلْتُ للشُّرطيَّينِ: هل لكما أن تَدَعاني آتي أهلي فأودّعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه؟ فقالا: ما إلى ذلك من سبيل. فاستسْلَمْتُ في أيديهما وصِرْتُ إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان[1] الأحمر، فَسَلَّمْتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، ورمى إليَّ كتاباً فيه: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم. من عبد اللَّه هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد، فاذا قَرَأْتَ كتابي هذا فابعثْ إلى حَمَّاد الراوية من يأتيك به غير مُرَوَّع ولا مُتَعْتَع، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً[2] يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق». فأَخَذْتُ الخمسمائة الدينار، ونَظَرْتُ فإذا جمل مَرْحول، فَوَضَعْتُ رجلي في الغَرْز[3] وسِرْتُ

(١) الإيوان وهو أَعجمي، ومنه إيوانُ كِسْرى؛ وهو الصفة العظيمة كالأزج وهو البيت يبنى طولاً.

(٢) المهرية من الأبل هي التي تنسب إلى مهرة بن حيدان وهو حي من قضاعة من عرب اليمن وهي نجائب تسبق الخيل.

(٣) الغَرْزُ: رِكابُ الرحْل، وقيل: ركاب الرحْل من جُلود مخروزة، فإذا كان من حديد أَو خشب فهو=

اثنتي عشرةَ ليلةً حتى وافيْتُ باب هشام، فاستأذَنْتُ فأُذِنَ لي، فَدَخَلْتُ عليه في دارٍ قَوْراء[١] مفروشة بالرُّخام، وهو في مجلس مفروش بالرخام، وبين كل رخامتين قضيبُ ذَهَبٍ، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراء وعليه ثياب خَزّ حُمر وقد تضمَّخَ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلِّبُهُ بيده فتفوح روائحه، فَسَلَّمَت فردَّ عليَّ، واستدناني فَدَنَوْتُ حتى قبَّلْتَ رجله، وإذا جاريتان لم أرَ قبلهما مثلهما، في أُذُني كلّ واحدة منهما حلقتان من ذهب فيهما لؤلؤلتان تتوقَّدان فقال لي: كيف أنت يا حمَّاد وكيف حالك؟ فَقُلْتُ بخير يا أمير المؤمنين؛ قال: أتدري فيم بَعَثْتُ إليك؟ قُلْتُ: لا، قال: بَعَثْتُ إليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدرِ من قاله؛ قُلْتُ: وما هو؟ فقال:

فَدَعَوا بالصَّبُوحِ يوماً فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ في يمينِها إبريقُ

[الخفيف][٢]

قُلْتُ: هذا يقوله عَديّ بن زيد في قصيدة له قال: فأنشدنيها، فأنشدْتُهُ:

بَكَرَ العاذِلونَ في وَضَحِ الصُّبح يَقولونَ لي أَلا تَستَفيقُ
وَيَلومونَ فيكِ يا ٱبنَةَ عَبدِ الـ ـلَّه وَالقَلبُ عِندَكُم مَوهوقُ[٣]
لَستُ أَدري إِذ أَكثَروا العَذلَ[٤] فيها أَعَدُوٌّ يَلومُني أَم صَديقُ
زانَها حُسْنُها وفَرْعٌ[٥] عميم واثيثٌ[٦] صَلْتُ[٧] الجبين أنيق

= رِكابٌ، وكل ما كان مِساكاً للرِّجْلَين في المَرْكَب غَرْزٌ. وغَرَزَ رِجْلَه في الغَرْزِ يَغْرِزُها غَرْزاً: وضعها فيه ليركب وأثبتها.

(١) الدار القوراء: الدار الواسعة.

(٢) البيت لعدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هنداً بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة توفي سنة ٣٦ق.هـ.

(٣) الوَهَقُ: الحبلُ المُغارُ، يُرمَى في أُنْشُوطة، فيُؤْخَذُ به الدَّابَّة والإنسانُ. والمُواهَقَةُ: المُواظبةُ في السّير، ومدُّ الأعناق، يُقال: تَواهَقَتِ الرِّكاب. قال: تَنَشَّطتْها كلُّ مِغلاةِ الوَهَق.

(٤) العذل: الملامة.

(٥) الفرع: الشعر.

(٦) أَثَّ النباتُ يَئِثُّ، أي كَثُرَ والتفَّ. ونبات أَثيثٌ وشَعَرٌ أثيثٌ. ونساء أَثائِثُ: كثيراتُ اللحم.

(٧) الصَّلْتُ: الجَبين الواضح. تقول منه: صَلُتَ بالضم صُلوتَةً. سَيْفٌ إِصْليتٌ، أي صقيل، ويجوز أن يكون في معنى مُصْلَتٍ.

وثـنـايـا مُـفَـلَّـجـات عِـذاب لا قِـصَـارٌ تُـرَى ولا هُـنَّ رُوق[١]
فَـدَعَـوْا بـالـصَّـبُـوحِ يـومـاً فَـجَـاءَتْ قَـيْـنَـةٌ فـي يـمـيـنِـهـا إبـريـقُ
قَـدَّمَـتْـهُ عَـلـى عُـقـارٍ كَـعَـيـنِ الـدِّيـكِ صَـفّـى سُـلافَـهـا الـرَّاووقُ[٢]
مُـرَّةٌ قَـبـلَ مَـزجِـهـا فَـإذا مـا مُـزِجَـتْ لَـذَّ طَـعـمَـهـا مَـن يَـذوقُ
وَطَـفـا فَـوقَـهـا فَـقـاقـيـعُ كَـالـدُّرِّ[٣] صِـغـارٌ يُـثـيـرُهـا الـتَّـصـفـيـقُ
ثُـمَّ كـانَ الـمِـزاجُ مـاءَ سَـمـاءٍ غـيـرَمـا آجِـنٍ وَلا مَـطـروقُ

[الخفيف]

قال: فَطَرِبَ، ثم قال: أحسنت واللَّه يا حَمَّاد، يا جاريةُ اسقيه، فسقتني شَرْبة ذهبت بثلث عقلي. وقال: أعِد، فأعدت، فاستخفه الطرب حتى نَزَلَ عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فَسَقَتْنِي شربة ذهبت بثلث عقلي. فَقُلْتُ: إن سقتني الثالثة افتضَحْتُ، فقال: سَلْ حوائجك، فَقُلْتُ كائنةً ما كانت؟ قال: نعم؛ قُلْتُ: إحدى الجاريتين؛ فقال لي: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتني شَرْبَةً سَقَطْتُ معها، فلم أعقل حتى أصبَحْتُ فإذا بالجاريتين عند رأسي، وإذا عِدَّةٌ من الخدم مع كل واحد منهم بَدْرة، فقال لي أحدهم: أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خَذْ هذه فانتفع بها، فَأَخَذْتُها والجاريتين وانصرَفْتُ. هذا لفظ حَمَّاد عن أبيه. ولم يقل أحمد بن عُبيد في خبره أنه سقاه شيئاً، ولكنَّه ذكر أنه طَرِبَ لإنشادِهِ، وَوَهَبَ له الجاريتين لمَّا طلب إحداهما، وأنزله في دار، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أعدّه له، فانتقل إليه فَوَجَدَ فيه الجاريتين وما لهما وكلَّ ما يحتاجُ إليه، وأنَّه أقام عنده مدّة فَوَصَلَ إليه مائةُ ألف درهم، وهذا هو الصحيح؛ لأنَّ هشاماً لم يكن يشرب ولا يُسقى أحد بحضرته مُسْكِراً، وكان يُنْكِرُ ذلك ويعيبه ويعاقب عليه.

في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناءٌ، نِسبته:

---

(١) الروق: الطوال.

(٢) الرّاوُوقُ: المِصْفاةُ، ورُبّما سَمّوا الباطِيَةَ رَاوُوقاً. وقالَ اللَّيْثُ: الرّاوُوقُ: ناجُودُ الشرابِ الذِي يُرَوَّقُ بِهِ فيُصَفَّى والشَّرابُ يَتَرَوَّقُ منهُ من غيرِ عَصْرٍ. قلتُ: وقد تَقَدَّمَ في موضِعِه أَنّ الناجُودَ هي الباطِيَةُ، قال العِبادِيُّ:

قَـدَّمَـتْـهُ عـلـى عُـقـارٍ كـعَـيْـنِ الـدِّيـكِ صَـفَّـى سُـلافَـهُ الـرّاوُوقُ

وقالَ ابنُ الأَعْرابِيّ: الرّاوُوقُ: الكأسُ بعَيْنِها قالَ شَمِرٌ: خالَفَ ابنُ الأَعْرابِي ـ أَي: في ذلك ـ جَمِيعُ النّاس.

(٣) ورد في بعض المصادر «الياقوت» بدل «الدر».

صـــوت

بَـكَـــرَ الـــعـــاذِلـــونَ فـــي وَضَـــحِ الـــصُّـــبـــح يَـــقـــولـــونَ مـــا لـــه لا يَـــفـــيـــقُ
وَيَـــلـــومـــونَ فـــيـــكِ يـــا ابْـــنَـــةَ عَـــبـــدِ الْ لَّـــه وَالـــقَـــلـــبُ عِـــنـــدَكُـــم مَـــوهـــوقُ
ثـــم نـــادَوْا بـــالـــصَّـــبُـــوحِ يـــومـــاً فَـــقـــامَـــتْ قَـــيْـــنَـــةٌ فـــي يـــمـــيـــنِـــهـــا إبـــريـــقُ
قَـــدَّمَـــتْـــهُ عَـــلـــى عُـــقـــارٍ كَـــعَـــيـــنِ الـــدِّيـــك صَـــفّـــى سُـــلافَـــهـــا الـــرّاووقُ

[الخفيف]

في البيتين الأوَّلين لحن من الثقيل الأول مُخْتلفٌ في صانعه، نَسَبَه يحيى بن المكيّ إلى معبد، ونسبه الهشاميّ إلى حُنين. وفي الثالث وهو «ثم نادوا» والرابع لعبد اللَّه بن العباس الرَّبيعيّ رَمَلٌ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنْسَبُ إلى مالك وخفيف ثقيل، ذكر حَبش أنه لِحُنين.

[أجازه يوسف بن عمر وأرسله إلى الوليد]

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى قالا: حَدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعيّ قال: قال حَمَّاد الراوية: كَتَبَ الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر: احمِل إليّ حمَّاداً الراوية على ما أحبّ من دوابّ البريد، وأعطِهِ عشرة آلاف درهم مَعونة له؛ فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إليّ، فَقُلْتُ: السمع والطاعة، فقال: يا دُكَين بن شَجرة، أعطه عشرة آلاف درهم، فأخذْتُها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيْتُ يوسف مودِّعاً، فقال: يا حمَّاد، أنا بالموضع الذي قد عَرَفْتَ من أمير المؤمنين، ولَسْتُ مستغنياً عن ثنائك، فَقُلْتُ: أصلح اللَّه الأمير: «إنَّ العوانَ[1] لا تعلَّم الخِمْرة»[2]. فَخَرَجْتُ حتى أتيْتُ الوليد بن يزيد وهو بالبَخراء[3]، فاستأذنْتُ فأذِنَ لي، فإذا هو على سرير مُمَهَّد وعليه ثوبان: إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً، وإذا عنده معبَد ومالكٌ وأبو كامل مولاه، فَتَرَكَني حتى سكن جَأشي، ثم قال: أنشدني:

أَمِـــنَ الـــمـــنـــونِ وريـــبـــهـــا تَـــتَـــوَجَـــعُ

(١) العوان: النصف في سنها.
(٢) الخمرة: من الاختمار اسم هيئة.
(٣) البَخْرَاءُ أيضا: ماءَةٌ مُنْتِنَة قُرْبَ القُلَيْعَةِ بالحِجَاز. على مِيلَيْن منها، وهي في طَرَفِ الحِجاز: نقلَه الصَّغانيّ. البَخْرَاءُ: نباتٌ مثلُ الكُشْنَا، وحَبُّه كحَبِّه سَواءٌ، سُمِّي بذلك لأنه إذا أُكِلَ أبْخَر الفمَ، حَكاه أبو حنيفةَ، قال: وهو مَرْعًى، وتُعْلَفُه المَواشِي فيسمِّنُها، ومَنابِتُه القِيعانُ.

فَأَنشَدْتُهُ إياها حتى أتيْتُ على آخرها. فقال لساقيه: اسقِهِ يا سَبرة أكؤساً، فسقاني ثلاث أكؤس خدَّرَت ما بين الذؤابة والنعل. ثم قال: يا معبد غنِّني:

أَلَا هـــل جـــاءَكَ الأظـــعـــا نُ إذ جـــاوزن مُـــطَّـــلَـــحـــا

[مجزوء الوافر]

فَغَنَّاه. ثم قال: غَنِّني:

أَتَـنـسـى إِذ تُـوَدِّعُـنـا سُـلَـيـمـى بِـفَـرعِ بَـشـامَـةٍ سُـقِـيَ الـبَـشـامُ[1]

[الوافر]

فَغَنَّى. ثم قال: غَنِّني:

جـلا أُمَـيَّـة عَـنَّـا كـلَّ مَـظـلِـمـة سـهـلُ الـحـجـابِ وأوفـى بـالـذي وَعَـدا

[البسيط]

فَغَنَّاه. ثم قال: اسقني يا غلام بِزُبِّ فرعون، فأتاه بقدح معوَجٍّ فيه طول فسقاه به عشرين قدحاً. ثم أتاه الحاجب فقال: أصلح اللَّه أمير المؤمنين، الرجلُ الذي طلبْتَ بالباب فقال: أدخله، فَدَخَلَ غلامٌ شابٌّ لم أرَ أحسن منه وجهاً في رجله فَدَع[2]، فقال: يا سبرة اسقه كأساً، فسقاه، ثم قال له: غنِّني:

وَهِـيَ إذ ذاك عـلـيـهـا مِـئْـزَرٌ ولـهـا بـيـتٌ جـوارٍ مـن لُـعَـبْ

[الرمل]

فَغَنَّاه، فَنَبَذَ إليه أحد ثوبيه، ثم قال: غَنِّني:

طَـرَقَ الـخَـيـالُ فَـمَـرْحَـبـا ألـفـاً بـرؤيـةِ زيـنـبـا

[مجزوء الكامل]

فَغَضِبَ معبد وقال: يا أمير المؤمنين، إنا مُقْبِلون إليك بأقدارنا وأسناننا، وإنَّكَ تَتْرُكُنا بِمَزجر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبي، فقال: واللَّه يا أبا عَبَّاد ما جهلت قَدْرَكَ ولا سِنَّكَ، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطَّياجن[3] من حرارة غنائه. فَسَأَلْتُ عن الغلام. فإذا هو ابن عائشة.

[أنشد من شعر هفان بن همام]

حدَّثني الحسن بن محمد المادَرانيّ الكاتب قال: حَدَّثني الرياشيّ عن العُتْبيّ،

(١) هذا البيت لجرير، والبشام: البَشامُ: شجَرٌ طيِّب الريح يُسْتاكُ به.
(٢) الفدع: عوج وميل في المفاصل كلها خلقة أو داء.
(٣) الطياجن: الطوابق يقلى عليها.

وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشيّ ـ وليس خبره بتمام هذا ـ قال: طَلَبَ المنصور حَمَّاداً الراوية، فَطُلِبَ ببغداد فلم يوجد، وسُئِلَ عنه إخوانه فعرَّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجهوا إليه برسول يُشْخِصُهُ. قال الرسول: فوجدته في حانة وهو عُريان يشربُ نبيذاً من إجَّانة[١] وعلى سوأته رأس دَسْتَجة[٢]، فَقُلْتُ: أجب أمير المؤمنين. فما رأيْتُ رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من تلك. فأجاب، فأشخَصْتُهُ إليه. فلما مَثُلَ بين يديه، قالَ لَهُ: أنشدني شعرَ هِفَّان بن همام بن نضلة يرثي أباه فأنشده:

خَلِيلَيَّ عُوجا إنَّها حاجَةٌ لَنا ... على قَبْرِ هَمّامٍ سَقَتْهُ الرَّواعِدُ
على قَبْرِ مَنْ يُرْجَى نَداهُ ويُبْتَغَى ... جَداهُ إذا لَمْ يَحْمَدِ الأَرْضَ رائِدُ[٣]
كَرِيمُ النَّثا[٤] حُلْوُ الشَّمائِلِ بَيْنَهُ ... وبَيْنَ المُزَجَّى[٥] نَفْنَفٌ[٦] مُتباعِدُ
إذا نازَعَ القَوْمُ الأَحادِيثَ لم يَكُنْ ... عَيِيًّا ولا عِبْئاً على مَنْ يُقاعِدُ
صَبُورٌ على العِلَّات يُصْبِحُ بطنُهُ ... خَميصاً وآتيه على الزاد حامد
وَضَعْنا الفَتَى كُلَّ الفَتَى في حَفِيرَةٍ ... بِحُرِّينَ[٧] قد ناحَتْ عليهِ العَوائِدُ
صَرِيعاً كنَصْلِ السَّيْفِ تَضْرِبُ حَوْلَهُ ... تَرائِبَهُنَّ[٨] المُعْوِلاتُ الفَواقِدُ[٩]

[الطويل]

قالَ: فَبَكَى أبو جعفر حتى أخضَل لحيته، ثم قال: هكذا كان أخي أبو العباس رضي اللَّه عنه.

---

(١) الإجانة: آنية تغسل فيها الثياب.
(٢) الدستجة: لفظ معرب وهو الإناء الكبير من الزجاج.
(٣) ورد في بعض المصادر: حامد بدل «طرائد».
(٤) النَّثا مقصورٌ مثل الثَّناءِ، إلا أنه في الخير والشر جميعاً، والثَّناءُ في الخير خاصّةً. ونَثَوْتُ الخبر نَثْواً: أظهرته. وتَناثَوا الشيء، أي تذاكَروه.
(٥) المزَجَّى من كل شيء: الذي ليس بتام الشرف ولا غيره من الخلال المحمودة، قال:

فذاك الفتى كلُّ الفَتى كان بينه ... وبين المُزَجَّى نَفْنَفٌ متباعِد

الحكاية عن ابن الأعرابي والإنشاد لغيره. وقيل: إن المُزَجَّى هنا كان ابن عم لأهبان هذا المرثي، وقد قيل: إنه المسوق إلى الكرم على كره منه.
(٦) النَّفْنَفُ: الهواءُ. وكلُّ مهوًى بين الجبلين فهو نَفْنَفٌ.
(٧) حرين: بلد قرب آمد.
(٨) التَّريبَةُ: واحِدَةُ الترائِبِ وهي عِظامُ الصَّدْرِ ما بين التَّرْقَوةِ إلى الثَّنْدُوَةِ.
(٩) الفواقد: من فقدن أزواجهن أو أولادهن.

[طلب منه جعفر إنشاد شعر لجرير]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيّ قال: حَدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان جعفر بنُ أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرديَّة يستخفّ مطيع بن إياس ويُحِبُّهُ، وكان مُنْقَطِعاً إليه وله معه منزلة حسنة، فَذَكَرَ له حمَّاداً الراوية، وكان صديقه، وكان مطَّرَحاً مجفوًّا في أيامهم، فقال: أئتنا به لنراه. فأتى مطيع حمَّاداً فأخبره بذلك وأمره بالمَسيرِ معه إليه؛ فقال له حمَّاد: دعني فإنَّ دولتي كانت مع بني أمية وما لي عند هؤلاء خير، فأبى مطيعٌ إلَّا الذهاب إليه، فاستعار حَمَّاد سواداً وسيفاً ثم أتاه، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر. فلما دَخَلَ عليه سَلَّمَ عليه سلاماً حسناً وأثنى عليه وذكر فَضله؛ فَرَدَّ عليه وأمره بالجلوس فَجَلَسَ. فقال جعفر: أنشِدني فقال: لمن أيها الأمير. ألشاعر بعينه أم لِمَنْ حَضَرَ؟ قال: بل أنشدني لجرير. قال حَمَّاد: فَسُلِخَ واللَّه شعر جرير كلّه من قلبي إلا قوله:

بـانَ الـخَـلـيـطُ بِـرامَـتَـيـنِ[1] فَـوَدَّعـوا أَو كُـلَّـمـا اعـتـزمـوا لِـبَـيـنٍ تَـجـزَعُ

[الكامل]

فاندفَعْتُ فأنشدته إياه، حتى انتَهَيْتُ إلى قوله:

وَتَـقـولُ بَـوزَعُ قَـد دَبَـبـتَ عَـلـى الـعَـصـا هَـلّا هَـزِئـتِ بِـغَـيـرِنـا يـا بَـوزَعُ

[الكامل]

قال حَمَّاد: فقال لي جعفر: أعِدْ هذا البيت، فأعدْتُهُ؛ فقال: بَوْزع، أيُّ شيءٍ هو؟ فَقُلْتُ: اسم امرأة فقال: إمرأة اسمها بَوْزَع! هو بريء من اللَّه ورسوله ونفي من العباس بن عبد المطلب إن كانت بَوزع إلا غُولاً من الغِيلان! تركتني واللَّه يا هذا لا أنام الليلةَ من فزع بَوزع؛ يا غلمان! قفاه؛ فَصُفِعتُ واللَّه حتى لم أدر أين أنا، ثم قال: جُرُّوا برجله: فجروا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً، فَتَخَرَّقَ السواد وانكسر جفن السيف ولقيتُ شرًّا عظيماً مما جرى عليّ وكان أغلظ من ذلك كلّه وأشدّ بلاءً إغرامي ثمنَ السَّواد وجفنِ السيف؛ فلما انصرَفْتُ أتاني مُطيع، يتوجّع لي؛ فَقُلْتُ له: ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وأن حَظِيَّ قد مضى مع بني أمية!.

[حديثه مع مأبون]

حَدَّثني جعفر بن قُدامة قال: حَدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال: بَلَغَني أنَّ رجلاً تَحَدَّث في مجلس حمَّاد الراوية فقال: بلغني أنَّ المأبون له رحم كرحم المرأة ـ قال:

(١) رامتين: تثنية رامة، ورامة منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمرة.

وكان الرجل يُرمى بهذا الداء ـ فقال حمَّاد لِغُلامِهِ: اكتب هذا الخبر عن الشيخ، فإنَّ خير العلم ما حُمل عن أهله.

[كتب إلى الأشراف طالباً جبة]

قال: وكَتَبَ حَمَّاد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال:

إنَّ لي حاجَةً فَرَأيَكَ فيها لَكَ نَفسي فِدًى مِنَ الأَوصابِ
وَهِيَ لَيسَت مِمّا يُبَلِّغُها غَيري وَلا يَستَطيعُها في كِتابِ
غَيرُ أَنّي أَقولُها حينَ أَلقا كَ رُوَيداً أَسِرُّها في حِجابِ[1]

[الخفيف]

فَكَتَبَ إليه الرجل: اكتب إليَّ بحاجتك ولا تَشهَرني بشعرك فكتب إليه حَمَّاد:

إِنَّني عاشِقٌ لِجَبتِكَ الدَّكناءِ عِشقاً قَد حالَ دونَ الشَّرابِ
فَاكسُنيها فَدتكَ نَفسي وَأَهلي أَتَباهى بِها عَلَى الأَصحابِ
وَلَكَ اللَّهُ وَالأَمانَةُ أَن أَجعَلَها عُمرَها أَميرَ ثِيابي

[الخفيف]

فَبَعَثَ إليه بها. وقد رُوِيَتْ هذه القصة لِمُطيع بن إياس.

[هو والخزيمي وغلام أمرد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حَدَّثني أبو يعقوب الخُزَيميّ قال: كُنْتُ في مجلس فيه حَمَّاد عَجرد وحَمَّاد الراوية ومعنا غلام أمردُ، فَنَظَرَ إليه حَمَّاد الراوية نظراً شديداً وقال لي: يا أبا يعقوب، قد عَزَمْتُ الليلة على أن أدِبّ على هذا الغلام؛ فَقُلْتُ: شأنَكَ بِهِ ثم نِمنا، فلم أشعرْ بشيء إلا وحمَّاد يَنِيكَني، وإذا أنا قد غَلِطْتُ ونِمْتُ في موضع الغلام، فَكَرِهْتُ أنْ أتكلمَ فَيَنْتَبِهُ الناسُ فأفتضح وأُبْطِلَ عليه ما أراد، فأخَذْتُ بيده فوضعتها على عيني العوراء ليعرفني؛ فقال: قد عَرَفْتُ

(١) تنسب هذه الأبيات لابن أياس الكناني، وهو مطيع بن إياس الكناني أبو سلمى. شاعر، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ظريفاً، مليح النادرة ماجناً، متهماً بالزندقة. مولده ومنشؤه بالكوفة، وأصل أبيه من فلسطين، مدح الوليد بن يزيد ونادمه، في العصر الأموي، وانقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن المنصور فكان معه إلى أن مات سنة ١٦٦هـ . وكان صديقاً لحماد عجرد الشاعر وحماد الراوية . أقام ببغداد زمناً ، وولاه المهدي العباسي الصدقات بالبصرة فتوفي فيها ، وأخباره كثيرة ، وفي شعره ، ما كان يغنَّى به.

الآن، فيكون ماذا! وفديناه بِذَبْحٍ عظيمٍ. قال: وما بَرَحَ علم اللَّه وأنا أُعالِجُهُ جهدي فلا ينفعني حتى أنزل.

[أهدى إلى صديق له غلاماً]

قال إسحاق: وأهدى حمَّاد إلى صديقٍ له غُلاماً وكَتَبَ إليه: قد بَعَثْتُ إليك غلاماً تتعلَّم عليه كَظْمَ الغيظ.

قال: واستهدى من صديق له نبيذاً فأهدى إليه دُسَيتِجة نبيذ. فَكَتَبَ إليه: لو عَرَفْتَ في العدد أقلَّ من واحد، وفي الألوان شرًّا من السواد، لأهديتَهُ إليّ.

قال: وسَمِعَ مُغَنِّيةً تُغَنِّي:

عـادَ قـلـبـي مـن الـطـويـلـة عـاد

فقال: وثمود، فإنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لم يفرق بينهما. والشعر:

عـادَ قـلـبـي مـن الـطـويـلـة عـيـد[1]

[أنشده رجل شعراً فأنكره]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حَدَّثنا الرّياشيّ قال: حَدَّثني أبو عثمان اللاحقي، وأخبرني به محمد بن مَزْيَد عن حمَّاد عن أبيه عن محمد بن سَلَّام عن بِشر بن المفضَّل بن لاحق قال: جاءَ رَجُلٌ إلى حمَّاد الراوية فأنشده شعراً وقال: أنا قلته؛ فقال له: أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإنْ كُنْتَ صادقاً فاهجُني. فَذَهَبَ ثم عاد إليه فقالَ لَهُ: قَدْ قُلْتُ فيك:

سَـيَـعْـلَـمُ حَـمَّـاد إذا مـا هـجـوتُـهُ أأنْـتَـحِـلُ الأشـعـارَ أم أنـا شـاعِـرُ
ألـم تَـرَ حَـمَّـاداً تَـقَـدَّمَ بَـطْـنُـهُ وأُخّـر عـنـه مـا تُـجـنّ الـمـآزِرُ
فَـلَـيْـسَ بِـرَاءٍ خُـصْـيـتـيـه ولـو جَـثـا لـركـبـتـه، مـا دام لِـلـزَّيْـتِ عـاصـرُ
فَـيَـا لَـيْـتَـهُ أمـسـى قـعـيـدةَ بـيـتـه لـه بـعـلُ صـدقٍ كَـوْمـه[2] مـتـواتِـرُ
فَـحَـمَّـاد نـعـم الـعِـرْسُ لِـلْـمَـرْءِ يَـبْـتَـغِـي الـنّـكـاح وبِـئْـس الـمـرء فِـيـمَـنْ يُـفَـاخِـرُ

[الطويل]

---

(١) العادَةُ: الدَّيدان يُعادُ إليه وجمعها عادٌ وعِيدٌ، الأخيرة عن كراع وليس بقوي، إنما العِيدُ: ما عادَ إليك من الشوق والمرض ونحوه وسيأتي ذكره.

(٢) الكوم: النكاح.

فقال حَمَّادُ: حسبُنا، عافاك اللَّه، هذا المقدارُ وحسبُكَ! قَدْ عَلِمْنا أنَّكَ شاعر وأنَّكَ قائل الشعر الأول وأجوَد منه، وأحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعه فَتَفْضَحَني فقال له: قد كُنْتَ غنياً عن هذا. وانصرفَ الرجل وجَعَلَ حَمَّاد يقول: أسمعتم أعجب مما جَرَرْتُ على نفسي من البلاء!

[عاب حمَّاد شعراً لأبي الغول فهجاه]

حَدَّثني الأسدي أبو الحسن قال: حَدَّثنا الرّياشيّ قال: حَدَّثنا أبو عبد اللَّه الفَهميّ قال: عابَ حَمَّاد الراوية شعراً لأبي الغول فقال يهجوه:

نِعْمَ الفتى لو كان يَعْرِفُ رَبَّهُ ... ويُقيمُ وَقْتَ صَلاته حمَّادُ
هَدَلَتْ مشافِرَه الدنَّان فأنفُهُ ... مثل القَدوم يَسُنُّها الحدَّادُ
وابيضَّ من شرب المدامة وجهه ... فبياضُهُ يوم الحساب سوادُ
لا يُعْجِبَنَّكَ بَزُّهُ وثيابُهُ ... إنَّ اليهود تُرَى لها أَجْلادُ[1]
حَمَّاد يا ضَبُعاً تَجرّ جِعارَها[2] ... أَخْنَى[3] لها بالقريتين جَرَادُ
سبعاً يُلاعِبُها ابنها وبناتها ... ولها من الخرقِ الكِبارِ وِسادُ

[الكامل]

قال معنى قوله:

أَخْنَى لها بالقريتين جَرَادُ

هو مثل قول العرب للضَّبُع: خامري[4] أمَّ عامر، أَبْشِري بِجَرادٍ عِظال[5] وكَمَرِ رجال؛ فإنَّ الضَّبُعَ تجيءُ إلى القتيل وقد استلقى على قفاه، وانتَفَخَ غُرْمُوله[6] فكان كالمنعظ[7]، فَتَحْتَكُّ بِهِ وتحيضُ من الشهوة، فَيَثِبُ عليها الذئب حِيْنَئِذٍ فتلد منه السِّمع، وهو دابة، لا يولد له مثل البغل. وفي مثل هذا المعنى يقول الشَّنْفَرَى الأزدي:

(١) هو عظيم الأجلاد والتجاليد وهي جسمه وأعضاؤه.
(٢) الضَّبع تسمّى جَعارِ لكثرة جعرها، والأنثي أم جعار.
(٣) أخنى الجراد: كثر بيضه.
(٤) خامري: استتري.
(٥) الجراد العظال: الذي ركب بعضه بعضاً.
(٦) الغُرْمولُ: الذَّكَرُ.
(٧) نَعَظَ ذكرُ الرّجلِ يَنْعَظُ نَعْظاً ونُعُوظاً. وأَنْعَظَهُ يُنْعِظُهُ. وهو أن ينتشر ما عند الرّجل، ومن المرأة الاهتياج إذا علاها الشبق. يقال: أنعظت المرأة.

تَـضـحَـكُ الـضَّـبـعُ لِـقَـتـلـى هُـذَيـلٍ وَتَـرى الـذِّئـبَ لَـهـا يَـسـتَـهِـلُّ[١]

[المديد]

تَضْحَكُ: تَحِيْضُ.

[كان لصاً ثم تاب]

وقال ابن النطَّاح: كان حَمَّاد الراوية في أوَّلِ أمره يَتَشَطَّرُ ويَصْحَبُ الصعاليكَ واللصوص، فَنَقَّب ليلةً على رجل فَأَخَذَ مَالَهُ وكان فيه جزءٌ من شِعْرِ الأنصار، فَقَرَأَهُ حَمَّاد فاستحلاه وتحفَّظه، ثم طَلَبَ الأدبَ والشعر وأيامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك، وَتَرَكَ ما كان عليه فَبَلَغَ في العلم ما بلغ.

[استنشده المهدي أحسن أبيات في السكر]

حَدَّثنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حَدَّثني عَمِّي الفضل عن أبيه عن جَدِّهِ عن حَمَّاد الراوية قال: دَخَلْتُ على المهديّ فقال: أنشدني أحسنَ أبيات قيلت في السُّكرِ، ولك عشرة آلاف درهم وخِلعتان من كُسْوة الشتاء والصيف؛ فأنشدْتُهُ قول الأخطل:

تَرى الزُّجاجَ وَلَم يُطمَثْ[٢] يَطوفُ[٣] بِها كَـأَنَّـهُ مِـن دَمِ الأَجـوافِ مُـخـتَـضِـبُ

حَـتّـى إِذا ٱفـتَـضَّ مـاءُ الـمُـزنِ عُـذرَتَـهـا راحَ الـزُّجـاجُ وَفـي أَلـوانِـهِ صَـهَـبُ

تَـنـزو[٤] إِذا شـجَّـهـا[٥] بـالـمـاءِ مـازجُـهـا نَـزْوَ الـجَـنـادِبِ[٦] مِـن رَمْـضـاءَ تَـلـتَـهِـبُ

راحـوا وَهُـم يَـحـسِـبـونَ الأَرضَ فـي فُـلُـكٍ إِن صُـرِّعـوا وَقَـتِ الـرّاحـاتُ وَالـرُّكَـبُ

[البسيط]

فَقَالَ لي: أحسَنْتَ وأمر لي بما شَرَطَه ووعدني به فأخذْتُهُ.

(١) الشنفرى، هو عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان. شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية وكان من فتاك العرب وعدائيهم، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتلهُ بنو سلامان سنة ٧٠ق.هـ، وقيست قفزاته ليلة مقتلهِ فكان الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة، وفي الأمثال (أعدى من الشنفري). وهو صاحب لامية العرب.

(٢) يطمس: يلمس.

(٣) ورد في بعض المصادر «يدور» بدل «يطوف».

(٤) النَّزْوُ: الوَثَبانُ، ومنه نَزْوُ التَّيْس. ولا يقال ينزو إلّا في الدّوابِّ والشّاء والبقر في معنى السِّفاد.

(٥) شجها: مزجها.

(٦) الجنادب: نوع من الجراد.

[مدح بلال بن أبي بردة]

حَدَّثني اليزيديّ قال: حَدَّثني عَمِّي عبيد اللَّه قال: حَدَّثني سليمان بن أبي شيخ قال: حَدَّثني صالح بن سليمان قال: قَدِمَ حَمَّاد الراوية على بلال بن أبي بُرْدة البصرةَ، وعند بلال ذو الرُّمّة، فأنشدَهُ حمَّادٌ شعراً مَدَحَهُ به؛ فَقَالَ بلال لذي الرُّمَّة: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: جَيِّداً وليس له؛ قال: فَمَنْ يقولُهُ؟ قال: لا أدري إلَّا أنَّه لم يقله؛ فلما قضى بلالٌ حوائجَ حماد وأجازه، قال له: إنَّ لي إليك حاجةً قال: هي مقضيةٌ؛ قال: أنت قُلْتَ ذلك الشعرَ؟ قال: لا؛ قال: فَمَنْ يقولُهُ؟ قال: بعضُ شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيري؛ قال: فَمِنْ أين عَلِمَ ذو الرُّمّة أنَّه ليس من قولِكَ؟ قال: عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام.

[أنشد بلالاً شعراً في مدح أبي موسى نسبه للحطيئة]

قال صالح: وأنشدَ حَمَّاد الراوية بلالَ بن أبي بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالها ونحلها الحطيئةَ يمدحُ أبا موسى الأشعري يقول فيها:

جَمَعتَ مِن عامِرٍ فيها وَمِن جُشمِ[1] وَمِن تَميمٍ وَمِن حاءٍ وَمِن حامِ
مُستَحقِباتٍ رَواياها جَحافِلُها يَسمو بِها أَشعَرِيٌّ طَرفُهُ سامي

[البسيط]

فقال له بلال: قد عَلِمْتُ أن هذا شيء قُلْتَهُ أنت ونسبته إلى الحطيئة، وإلا فهل كان يجوزُ أن يمدح الحطيئةُ أبا مرسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه! ولكن دَعْها تذهب في الناس وسيّرها حتى تشتهرَ، ووصله.

[يرى المفضل الضبي أنه أفسد شعر العرب]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: سَمِعْتُ أحمد بن الحارث الخَرَّاز يقول: سَمِعْتُ ابن الأعرابي يقول سَمِعْتُ المفضل الضَّبِّيّ يقول: قد سُلِّطَ على الشعر من حمَّاد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً. فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطىءُ في روايته أم يَلْحَن؟ قال: ليته كان كذلك، فإنَّ أهلَ العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكِنَّه رَجُلٌ عالِمٌ بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهبَ رجل ويُدْخِلُهُ في شعره، ويُحْمَلُ ذلك عنه في الآفاق، فَتَخْتَلِطُ أشعارَ القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالِمٍ ناقِدٍ، وأين ذلك!

---

(١) ورد في بعض المصادر «جشم» بدل «أسد».

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال: حَدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال: حَدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال: حَدَّثني السَّعيدي الراوية وأبو إياد المؤدِّب ـ وكان مؤدِّبي ثم أدَّبَ المعتصم بعد ذلك وقد تعالت سنُّهُ ـ وحَدَّثني بنحوٍ من ذلك عبد اللَّه بن مالك وسعيد بن سَلم وحدَّثني به ابن غَزالة أيضاً، واتفقوا عليه: أنَّهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهديّ بعيساباذ[1]، وقد اجتمع فيها عدَّةٌ من الرواة والعلماء بأيام العرب، وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضَّل الضَّبِيّ الراوية فَدَخَلَ، فَمَكَثَ مَلِياً ثم خَرَجَ إلينا ومعه حَمَّاد والمفضَّل جميعاً وقد بان في وجه حمادٍ الانكسارُ والغم، وفي وجه المفضَّل السرور والنشاط، ثم خَرَجَ حُسين الخادم معهما، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم: إنّ أمير المؤمنين يُعلِمُكُم أنه قد وصل حمَّاداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، وَوَصَلَ المفضَّلَ بخمسين ألفاً لِصِدْقِهِ وصحة روايته، فمن أراد أن يَسْمَعَ شِعْراً جيداً مُحدَّثاً فَلْيَسْمَع من حمَّاد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخُذْها عن المفضَّل، فَسَأَلنا عن السبب فأخبرنا أن المهديّ قال للمفضل لما دعا به وحده: إنِّي رأيت زُهَيرَ بن أبي سُلْمى افتَتَحَ قَصِيدته بأنْ قال:

دَع ذا وَعَـدِّ الـقَـولَ فـي هَـرَمِ[2]

ولَمْ يَتَقَدَّم له قبل ذلك قول، فما الذي أَمَرَ نَفْسَهُ بتركِهِ؟ فقال له المفضَّل: ما سَمِعْتُ يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أنِّي توهمته كان يُفَكِّرُ في قولِهِ يقول، أو يُرَوِّي في أن يقول شعراً فَعَدَلَ عنه إلى مدح هرم وقال: دع ذا، أو كان مفكراً في شيء من شأنِهِ فَتَرَكَهُ وقال دع ذا، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعَدّ القول في هرم؛ فأمسك عنه. ثم دعا بِحَمَّادٍ فَسَأَلَهُ عن مثل ما سأل عنه المفضَّل، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ يا أمير المؤمنين؛ قال فكيف قال؟ فأنشدَهُ:

لِـمَـنِ الـدِّيـارُ بِـقُـنَّـةِ[3] الـحِـجْـرِ[4] أَقْـوَيـنَ مُـذ حِـجَـجٍ وَمُـذ شَـهـرِ

(١) عيساباذ: أي عمارة عيسى، لأن كلمة باذ في الفارسية تعني عمارة، وهذه محلة كانت شرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهديّ وكانت إقطاعاً له.

(٢) البيت هو:

دَع ذا وَعَـدِّ الـقَـولَ فـي هَـرَمٍ خَـيـرِ الـبُـداةِ وَسَـيِّـدِ الـحَـضـرِ

(٣) القنة: أعلى الجبل.

(٤) الحجر: حطيم الكعبة وهو المدار بالبيت كأنه حجره مما يلي المَثْعَب. وقيل هو كنصف دائرة مفروش الصحن بالرخام الأبيض، وهو من الركن الشامي إلى الركن الغربي، وله باب مما يلي الركن الشامي، وباب مما يلي الركن الغربي، وذرعه من جدار الكعبة الذي تحت الميزاب إلى=

قَـفـراً بِـمُـنـدَفَـعِ الـنَّـحـائِـتِ[١] مِـن ضَـفـوى[٢] أُولاتِ الـضَّـالِ[٣] وَالـسِّـدرِ[٤]
دَع ذا وَعَـــدِّ الـــقَـــولَ فـــي هَـــرَمٍ خَـيـرِ الـبُـداةِ وَسَـيِّـدِ الـحَـضـرِ
[الكامل]

قال: فأطرَقَ المهديُّ ساعةً، ثم أقبل على حَمَّاد فقال له: قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بُدَّ من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البَيعة وكل يمين مُحرجة لِيَصْدُقَنَّه عن كلِّ ما يسألُهُ عنه، فَحَلَفَ له بما توثَّقَ منه. قال له: اصدُقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زُهير، فأقرَّ لَهُ حينئذ أنَّه قائلها، فأمَرَ فيه وفي المفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكشفه.

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حَدَّثنا أحمد بن عُبيد قال: حَدَّثنا الأصمعيّ قال: قال حَمَّاد الراوية: أرسل إليَّ أميرُ الكوفة فقال لي: قد أتاني كتابُ أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك. فحُملت فقدَّمت عليه وهو في الصيد، فلما رَجَعَ أذِن لي، فَدَخَلْتُ عليه وهو في بيت منجَّد[٥] بالأرمَنيّ أرضه وحيطانُهُ، فقال لي: أنت حَمَّاد الراوية؟ فَقُلْتُ لَهُ: إنَّ الناس ليقولون ذلك؛ قال: فما بلغ من روايتك؟ قُلْتُ: أروي سبعمائة قصيدة أوَّلُ كلّ واحدة منها: بانت سعاد؛ فقال: إنها لرواية! ثم دعا بشراب فأتَتْهُ جارية بكأس وإبريق فَصَبَّتْ في الكأس ثم مَزَجَتْهُ حتى

= جدار الحجر سبعة عشر ذراعاً وثماني أصابع، وذرع ما بين بابيه عشرون ذراعاً، وعرض داخله ثمانية وثلاثون ذراعاً، ومن خارج أربعون ذراعاً. وذكر الزهري أنه سمع ابن الزبير رضي اللَّه عنهما يقول: على الميزاب هذا المحدودب قبورعذارى بنات إسماعيل. والحجر هذا هو الذي جلس فيه أبو سفيان وعمير بن وهب وصفوان بن أمية بعد وقيعة بدر فذكروا مصابهم بمن أصيب من قريش يومئذ، الحديث بطوله، وفيه أن عمير بن وهب جاء إلى المدينة للفتك برسول اللَّه ﷺ فأتي به إليه ملبباً، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «جلست أنت وفلان وفلان بالحجر فذكرتم أصحاب القليب فقلت أنت كذا وكذا» إلى آخر الحديث وهو بطوله في سيرة ابن إسحاق. والحجر أيضاً على لفظه بلد ثمود بين الشام والحجاز، وقيل هو من وادي القرى وهو حصين بين الجبال، وبه بيوت منقورة في الحجر، وبها الآن بئر ثمود، ويحيط بالحجر من كل ناحية جبال ورمال لا يكاد أحد يرتقي ذروتها إلا بعد الجهد والمشقة، ومن الحجر إلى تيماء أربع مراحل.

(١) النحائت: آبار في موضع معروف.
(٢) ضفوى: جانبي، وهو مكان دون المدينة.
(٣) الضّالُ: السِّدْرُ البرِّيُّ، الواحدة ضالَةٌ. قال الفراء: أضْيَلَتِ الأرضُ وأَضالَتْ، أي صارَ فيها الضّالُ.
(٤) السِّدْرُ: شجرُ النَّبْقِ، الواحدة سِدْرَةٌ، والجمع سِدْرَاتٌ وسِدِرَاتٌ وسِدَراتٌ وسِدَرٌ.
(٥) المنجد: المزين.

رأيت له حباباً؛ قال: أنشدني في مثل هذه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هي كما قال عديّ بن زيد:

بَكَرَ العاذِلونَ في وَضَحِ الصُّبحِ يَقولونَ ما لَه لا يَفيقُ
ثم ثاروا بالصَّبُوحِ يوماً فَقامَتْ قَيْنَةٌ في يمينِها إبريقُ
قَدَّمَتْهُ عَلى سُلافٍ كَريحِ المِسكِ صَفّى سُلافَها الرَّاوُوقُ
فَتَرَى فوقَها فقاقيعَ كاليا قوت يجري خلالها التصفيقُ

[الخفيف]

قال: فَشَرِبَها ولم يزل يستعيدني الأبياتَ ويَشْرَبُ عليها حتى سَكِرَ؛ ثم قام فتناول مِرفَقةً من تلك المرافق فَجَعَلها على رأسه ونادى: من يَشتري لحومَ البقرِ؟ ثم قال لي: يا حَمَّاد، دونك ما في البيت فهو لك؛ فكان أوَّل مالٍ تأثَّلْتُهُ[1].

[حمقه خلف الأحمر وطعن في روايته]

حدَّثني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حَدَّثنا دَماذ[2] عن أبي عُبَيدة قال: قال خلف: كُنْتُ آخذ من حمَّاد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأعطيه المنحول، فَيَقْبَلُ ذلك منِّي ويُدْخِلُهُ في أشعارها. وكان فيه حمق.

[أنشد زياداً شعراً للأعشى]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال: حَدَّثني العُمَري عن الهيثم بن عَديّ قال: حَدَّثني المِسوَر العَنْزِيّ ـ وكان من رُواةِ العرب وكان أسنَّ من سِماك بن حرب عن حمَّاد قال: دَخَلْتُ على زياد[3] فقال لي: أنشدْني فَقُلْتُ: من شعر مَنْ أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى، فأنشدْتُهُ:

رَحَلَت سُمَيَّةُ غُدوَةً أَجمالَها[4]

[الكامل]

قال: فما أتمَمْتُ القصيدة حتى تبيَّنْت الغضبَ في وجهه؛ وقال الحاجب للناس: ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أعُد واللَّه إليه. قال حمَّاد: فَكُنْتُ بعد ذلك إذا

(١) الاسْتِئَالُ: أخْذُ المالِ قَهْراً وظُلْماً.
(٢) دماذ: هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة. ودماذ لقب كان ينبز به.
(٣) هو زياد بن أبيه، وأمه سمية.
(٤) البيت هو:
رَحَلَت سُمَيَّةُ غُدوَةً أَجمالَها غَضبى عَلَيكَ فَما تَقولُ بَدا لَها

استنشدني خليفة أو أمير تَنَبَّهت قبل أن أنشدَهُ لئلّا يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة.

[سأله الوليد لم سميت الراوية]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيّ قال: قال الوليد بن يزيد لِحمَّاد الراوية: لِمَ سُمِّيت الراوية؟ وما بَلَغَ من حفظك حتى استحقَقْتَ هذا الاسم؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ كلامَ العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً، أنا أنشدك على كُلِّ حَرْفٍ منها مائة قصيدة؛ فقال: إنَّ هذا لحفظ! هاتِ، فاندَفَعَ يُنْشِدُ حتى ملَّ الوليد، ثم استخلَفَ على الاستماع منه خليفةً حتى وفَّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صِلَتَهُ وصرَفَهُ.

[أمر الوليد يوسف بن عمر بإرساله إليه]

أخبرني الحَرميّ بن أبي العَلاء قال: حَدَّثني الحُسينُ بن محمد بن أبي طالب الدِّينارِيّ قال: حَدَّثني إسحاق الموصليّ قال: قال حَمَّاد الراوية: أرسَلَ الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار، وأمر يوسفَ بن عمر بحملي إليه على البريد. قال: فَقُلْتُ: لا يسألني إلا عن طرَفَيْه قريش وثَقيف، فَنَظَرْتُ في كتابيّ قريش وثقيف. فلما قَدِمْتُ عليه سألني عن أشعار بَلِيّ، فأنشدْتُهُ منها ما استحسنه ثم قال: أنشدني في الشراب ـ وعنده وجوه من أهل الشام ـ فأنشدته:

إصبَحِ القومَ قهوةً ... في أباريق تُحْتَذى
من كُميتٍ[1] مدامةٍ ... حبذا تلك حبذا
يَترُكُ الأُذنَ شَربُها ... أُرجُواناً بِهِ خَذا[2]

[مجزوء الخفيف]

فقال: أعدها، فأعدتها فقال لخدمه: خذوا آذان القوم، فأُتينا بالشراب فَسُقينا حتى ما دَرَينا متى نُقلنا؛ قال: ثم حُملنا وطُرحنا في دار الضِّيفان، فما أيقظَنا إلا حرُّ

(١) الكميت: الخمر التي تضرب حمرتها إلى السواد.

(٢) الشعر لعمار بن عمرو بن عبد الأكبر يلقب ذا كِبار، الهمداني الكوفي. شاعر الكوفة أصالة وشهرة في الربع الأول من القرن الثاني الهجري. كان زنديقاً مولعاً بالشراب وقد حدَّ فيه مرات، وكان متهماً بالزندقة، نظم شعراً في العبث والمجون. وهو من أصحاب حمّاد الراوية. وكان الوليد بن يزيد مولعاً بشعره.

الشمس. وجَعَلَ شيخ من أهل الشام يشتُمُنِي ويقولُ: فَعَلَ اللَّهُ بِكَ وفَعَلَ، أنت الذي صَنَعْتَ بنا هذا.

[أنشده الطرماح شعراً فزاد فيه وادَّعاه لنفسه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حَدَّثنا أبو غسان دَمَاذ قال: حَدَّثني أبو عُبَيدة قال: حَدَّثني يحيى بن صُبَيرة بن الطِّرمَّاح بن حَكيم عن أبيه عن جدِّهِ الطِّرمّاح قال: أنشَدْتُ حمَّاداً الراوية في مسجد الكوفة ـ وكان أذكى الناس وأحفظهم ـ قولي:

بـانَ الـخَـلـيـطُ بِـسُـحـرَةٍ[1] فَـتَـبَـدَّدوا[2]

[الكامل]

وهي ستون بيتاً، فَسَكَتَ ساعةً ولا أدري ما يريدُ ثم أقبل عليّ فقال: أهذه لك؟ قُلْتُ: نعم؛ قال: ليس الأمر كما تقول، ثم ردَّها عليّ كلَّها وزيادةَ عشرين بيتاً زادها فيها في وقته؛ فَقُلْتُ لَهُ: ويحك! إنَّ هذا الشعر قُلْتُهُ منذ أيام ما اطلع عليه أحد؛ قال: قد واللَّه قُلْتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فَعَلَيَّ وعَلَيَّ فَقُلْتُ: للَّه عليّ حِجَّة حافياً راجِلاً إنْ جَالَسْتُكَ بعد هذا أبداً؛ فَأَخَذَ قبضةً من حَصَى المسجد وقال: لِلَّه عليّ بِكُلِّ حصاة من هذا الحصى مائةُ حِجَّة إنْ كُنْتُ أبالي؛ فَقُلْتُ: أنت رجلٌ ماجِنٌ والكلام معك ضائع ثم انصَرَفْتُ. قال دَمَاذ: وكان أبو عبيدة والأصمعيّ يُنْشدان بيتي الطِّرمَّاح في هذه القصيدة وهما:

مُـجـتـابُ حُـلَّـةِ[3] بُـرجُـدٍ[4] لِـسَـراتِـهِ قِـدداً وَأَخـلَـفَ مـا سِـواه الـبُـرجُـدُ[5]

يـبـدو وتُـضْـمِـرُهُ الـبـلاد كـأَنَّـهُ سـيـفٌ عـلـى شـرفٍ يُـسَـلُّ ويُـغْـمَـدُ

[الكامل]

وكانا يقولان: هذا أشعر الناس في هذين البيتين.

(١) السحرة: السحر الأعلى أي أول السحر.

(٢) البيت على الشكل التالي:

بـانَ الـخَـلـيـطُ بِـسُـحـرَةٍ فَـتَـبَـدَّدوا وَالـدارُ تُـسـعِـفُ بِـالـخَـلـيـطِ وَتُـبـعِـدُ

(٣) اجتاب حلة: لبس الحلة.

(٤) البُرْجُدُ: كساء غليظ من الصوف.

(٥) هذان البيتان في وصف ثور.

أخبار عبادل ونسبه

[نسبه ومنزلته من الغناء]

عَبَادل بن عَطِّية مولى قريش، مَكيّ، مُغَنٍّ مُحْسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التي منها يونُس الكاتب وسِياطٌ ودَحمان. وكان حسنَ الوجه، نظيف الثيابِ ظريفاً، ولم يُفارقِ الحجاز ولا وَفَدَ إلى ملوك بني أمية كما وفد غيرُهُ من طبقتِهِ ومن هو فوقها. ويقال إنه كان مقبولَ الشهادة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدَّثنا حَمَّاد عن ابن أبي جناح قال: كان عَبَادل بن عطية سَريًّا نبيلاً نظيفاً ساكِنَ الطَّرْف حسنَ العشرة، وكان يُعَاشِرُ مَشْيَخَةَ قريش وجِلَّة أحداثها، فإذا أرادوا الغناء منه غنَّى فأحسن وأطرب. وكانت له صنعة كثيرة.

منها:

تَقُولُ يا عَمَّتا كُفِّي جوانبَهُ ... وَيْلي بَلَيْتُ وأبلى جِيديَ الشَّعَرُ

[البسيط]

ومنها:

أمِنْ حَذَرِ البين ما ترقُدُ ... ودَمْعُكَ يَجْرِي فَمَا يَجْمُدُ

[المتقارب]

ومنها:

إنِّي استَحَيْتُكُ أنْ أفوه بحاجتي ... فإذا قَرَأْتَ صحيفتي فَتَفَهَّم

[الكامل]

ومنها:

قُولا لِنَائِلَ ما تَقْضِين في رجلٍ ... يَهوَى هواكِ وما جَنَّبتِهِ[1] اجتنبا

[البسيط]

---

(١) جنبه: جانبه.

ومنها:

عـلام تَـرَيـن الـيـوم قَـتْـلِـي لـديـكـمُ حـلالاً بـلا ذنـبٍ وقـتـلـي مـحـرَّمُ

[الطويل]

قال: وكانوا يقولون له: ألا تُكثر الصنعة؟ فيقولُ: بأبي أنتم، إنما أنحتُهُ من صخر، ومَنْ أكثر أرذل:

نسبة هذه الأصوات

صـوت

أَمِـنْ حَـذَرِ الـبَـيْـن مـا تـرقـد وَدَمـعُـكَ يَـجْـرِي فـمـا يَـجْـمُـدُ

دعـانـي إلـى الـحَـيْـن فـاقـتـادنـي فـؤادٌ إلـى شِـقْـوَتِـي يَـعْـمِـدُ

فـلَـو أَنّ قَـلْـبِـي صَـحَـا وارعـوى لـكـان لـه عَـنْـكُـمُ مَـقـعَـدُ

يَـبِـيْـدُ الـزّمـان وحُـبـي لـكـم يَـزيـد خـبـالاً ومـا يَـنْـفَـدُ

[المتقارب]

الغناءُ لِعَبادل ثقيلٌ أوَّل بالسبابة والوسطى عن ابن المَكيّ. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل.

ومنها:

صـوت

إنّـي اسـتَـحَـيـتُـكَ أَن أَفـوهَ بـحـاجَـتـي فَـإذا قَـرأتَ صَـحـيـفَـتـي فَـتَـفَـهَّـم

وَعَـلَـيـكَ عَـهـدُ الـلَّـهِ إن أَنـبـأتَـهُ أَهـلَ الـسَّـيـالَـةِ إن فَـعَـلـتَ وَإن لَـم

[الكامل]

هكذا قال ابن هَرْمة، والمغنُّون يغنُّونه:

وَعَـلَـيـكَ عَـهـدُ الـلَّـهِ إن أَخْـبَـرتَـهُ أَحـداً وإن أظـهـرتـه بـتـكـلُّـم

[الكامل]

الشعر لابن هَرمة. والغناء لعبَادل.

الوشاية به:

أخبرني عمِّي حدَّثني هارون بن عبد الملك قال: حدَّثني عبد اللَّه بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن أبيه:

أنَّ حسن بن حسن بن عليّ[١] كان صاحب شراب، وفيه يقول ابنُ هرمة:

إنّي استَحيتُكَ أَن أَفوهَ بحاجَتي فَإِذا قَرأتَ صَحيفَتي فَتَفَهَّم
وَعَلَيكَ عَهدُ اللَّهِ إِن أَنبَأْتَهُ أَحداً وإن أظهرتَه بتكلُّم

[الكامل]

قال عبد اللَّه بن محمد الجعفَريّ: وكان ابن هرمة ـ كما حدَّثني أبي ـ يشربُ هو وأصحابٌ له بشَرَف السَّيالة[٢] عند سَمُرَةٍ بالشَّرف يقال لها سَمُرَةُ جرانة فنَفِد شرابُهم؛ فكتب إلى حسن بن حسن بن عليّ يطلب منه نبيذاً، وكتب إليه بهذين البيتين. فلما قرأ حسنٌ رقعتَه قال: وأنا عليَّ عهدُ اللَّه إن لم أُخبر به عامل السَّيالة، أمِنِّي يطلب الدعيُّ الفاعل نبيذاً! وكتب إلى عامل السَّيالة أن يجيء إليه فجاء لوقته، فقال له: إن ابن هرمة وأصحابه السفهاء يشربون عند سَمُرَةِ جرانة، فاخرج فخُذهم؛ فخرج إليه العامل بأهل السيالة، وأُنذِرَ بهم ابنُ هرمة فسبقهم هَرَباً، وتعلَّق هو وأصحابُهُ بالحبل ففاتوهم. وقال في حسن:

كَتَبتُ إِلَيكَ أَستَهدي نَبيذاً وَأُدلي بالجِوارِ وَبالحُقوقِ
فَخَبَّرتَ الأَميرَ بذاكَ غَدراً وَكُنتَ أَخا مُفاضَحَةٍ وَمُوقِ[٣]

[الوافر]

صوت

عَلامَ تَرينَ اليومَ قَتلي لديكُمُ حلالاً بِلا ذنب وقتلي محرَّمُ
لكِ النفسُ ما عاشت وِقاءً من الرَّدى ونحنُ لكُم فيما تجنَّبْتِ أظلمُ

[الطويل]

وأما صنعته في:

قولا لِنائِلَ ما تَقضِين في رجلٍ

فإنَّ الشعر لِمَسعَدة بن البَخْتريّ ابن أخي المهلَّب بن أبي صُفرة. والغناء لِعبادِل. وقد ذَكَرْتُ ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد، لأنَّ نائلة التي عُنِيَت بهذا

(١) لا يمكن أن تكون الحادثة واقعة مع حسن بن حسن، لتقدم عصره على عصر ابن هرمة الذي وُلِدَ سنة ٩٠هـ. والصحيح أنها مع ابنه ابراهيم وقد كان ابن هرمة على اتصال مع إبراهيم.
(٢) شرف السَّيالة: منزل بين ملل والروحاء.
(٣) الموقُ: حُمْقٌ في غباوة. يقال: أحمقُ مائِقٌ؛ والجمع مَوْقى.

الشعر هي بنت المَيلاء، ولها أخبار ذُكِرت في موضع منفرد صَلَحَتْ له.

صـوت

تَـقـولُ يـا عَـمَّـتـا كُـفّـي جَـوانِـبَـهُ وَيـلـي بُـلـيـتُ وَأَبـلـى جـيـدِيَ الـشَّـعَـرُ
مِـثـلُ الأَسـاوِدِ[1] قَـد أَعـيـا مَـواشِـطَـهُ تَـضِـلُّ فـيـهِ مَـداريـهـا[2] وَتَـنـكَـسِـرُ
فَـإِن نَـشَـرتَ عَـلـى عَـمـدٍ ذَوائِـبَـهـا أَبـصَـرتَ مِـنـهُ فَـتـيـتَ الـمِـسـكِ يَـنـتَـشِـرُ

[البسيط]

الشعرُ لِعُمر بن أبي ربيعة. والغناءُ لِعَبَادل ثقيلٌ أوَّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيفُ ثقيل أوَّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى دحمان وإلى الغريض وإلى عبادل أيضاً.

صـوت

من المائة المختارة

ولَيْسَت نَعَمْ مِنْكَ لِلعافينَ مُسجَلَة[3] مِـن الـتَّـخَـلُّـقِ لـكِـن شـيـمَـةٌ خُـلُـقُ
يَـكَـاد بـابُـك مـن عِـلـم بـصـاحـبِـهِ مـن دون بَـوَّابـه لـلـنـاس يَـنـدَلِـقُ

[البسيط]

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوَّل بالبنصر عن عمرو. وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أنَّ الشعر لِطُرَيْح. وذَكَرَ يعقوب بن السِّكِّيت أنَّه لابن هَرْمة. والغناءُ في اللحن المختار لِشَهِيَّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر في مجراها. فمن روى هذه الأبيات لابن هَرْمَة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سلمان بن عبد الملك؛ ومن ذكر أنها لِطُرَيح ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها الوليدَ بن يزيد. والصحيح من القولين أنَّ البيت الأوّل من البيتين لِطُرَيح والثاني لابن هَرْمة. فبيت طُرَيح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة، يقول في تشبيبها:

تَـقـولُ وَالـعـيـسُ[4] قَـد شُـدَّتْ بـأرحُـلِـهـا أَلـحَـقُّ أَنَّـكَ مِـنّـا الـيَـومَ مُـنـطَـلِـقُ؟

---

(١) الأساود: الحيات السود. (٢) المداري: المشط.
(٣) مسجلة: مبذولة أو مرسلة.
(٤) العيسُ بالكسر: الإبل البيضُ يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعْيَسُ، والأنثى عَيْساءُ بيِّنة العَيَسِ.

قُلتُ نَعَم فاكظُمي قالَت وَما جَلَدي ... وَما أَظُنُّ اجتِماعاً حينَ نَفتَرِقُ
فَقُلتُ إن أَحْيَ لا أُطْوِل بِعادَكُمُ ... وكيفَ والقلبُ رهنٌ عِنْدَكُم غَلَقُ[1]
فارَقتُها لا فُؤادي مِن تَذكُّرِها ... سالي الهُمومِ وَلا حَبلي لَها خَلَقُ
فاضَت عَلى إِثرِهِم عَيناكَ دَمعُهُما ... كَما تَتابَعَ يَجري اللؤلؤُ النَّسَقُ[2]

[البسيط]

صوت

فَٱستَبِقِ عَينَكَ لا يُودي البُكاءُ بِها ... واكفُفْ بَوادرَ دمعٍ مِنْكَ تَستَبِقُ[3]
لَيسَ الشؤونُ وَإِن جادَت بِباقيَةٍ ... وَلا الجُفونُ عَلى هَذا وَلا الحَدَقُ

[البسيط]

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوَّل بالبنصر عن عمرو يقول فيها في مدح الوليد:

وما نَعَمْ مِنْكَ لِلعافين مُسجَلة ... مِنَ التَّخَلُّقِ لَكِنْ شِيمةٌ خُلُقُ
سَاهَمْتَ فيها وفي لا فاختصصتَ بها ... وطارَ قَوْمٌ بلا والذمِّ فانطلقوا
قَومٌ لَهُم شَرَفُ الدُّنيا وَسؤدُدها ... صَفوٌ عَلى الناسِ لَم يُخلَط بِهِم رَنَقُ
إِن حارَبوا وَضَعوا أَو سالَموا رَفَعوا ... أَو عاقَدوا ضمنوا أَو حَدَّثوا صَدَقوا

[البسيط]

وأما قصيدة إبراهيم بن هَرْمَة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها. ومن أبي أحمد رَحِمَهُ اللَّه سَمِعْنَا ذلك أجمع. ولَكِنَّهُ حكي عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق. ولعلَّهُ لم يتفقد ذلك، أو لعلَّ أحد الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله.

---

(١) غلق الرهن: استحقه المرتهن.

(٢) نسق الدرّ وغيره ونسّقه، ودرّ منسوق ومنسّق ونسقٌ، وتنسّقت هذه الأشياء وتناسقت. ومن المجاز: كلام متناسق، وقد تناسق كلامه، وجاء على نسقٍ ونظامٍ. وثغر نسقٌ. وقام القوم نسقاً. ويقال لكواكب الجوزاء: النّسق، قال ريحان بن معقل:

زارت بريح خزامى طلّةٍ أنفٍ ... جاءت بها الدّلو فالأشراط فالنّسق

(٣) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

فَٱستَبِقِ عَينَكَ لا يُودي البُكاءُ بِها ... واكفُفْ مَدامِعَ مِن عَينَيكَ تَستَبِقُ

[مدح وتعريض]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: أخبرنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدَّثني به وكيع قال: حَدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حَمَّاد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ـ وخبره أتم ـ قال: قال العبَّاس بن الوليد بن عبد الملك ـ وكانَ بَخِيلاً لا يحبّ أن يُعْطِي أحداً شيئاً ـ ما بالُ الشُّعَرَاء تمدحُ أهلَ بيتي أجمع ولا تمدحني! فَبَلَغَ ذلك ابن هرمة، وكان قد مدحه فلم يُثبه، فقال يُعَرِّضُ به ويَمْدَحُ عبد الواحد بن سليمان:

وَمُعجَبٍ بِمَديحِ الشِّعرِ يَمنَعُهُ ... مِن المَديحِ ثَوابُ المَدحِ وَالشَّفَقُ
يا آبيَ المَدحِ مِن قَولٍ يُحَبِّرُهُ ... ذو نيقَةٍ في حَواشي شِعرِهِ أَنَقُ
إِنَّكَ وَالمَدحَ كالعَذراءِ يُعجِبُها ... مَسُّ الرِّجالِ وَيَثني قَلبَها الفَرَقُ
لَكِن بِمَديَنَ مِن مَفضى سوَيمَرَةٍ ... مَن لا يُذَمُّ وَلا يُشنا لَه خُلُقُ
أَهلُ المَدائِحِ تأتيهِ فَتَمدَحُهُ ... وَالمادِحونَ إِذا قالوا لَه صَدَقوا

[البسيط]

ـ يعني عبد الواحد بن سليمان ـ :

لا يَستَقِرُّ وَلا تَخفى عَلامَتُهُ ... إِذا القَنا شالَ في أَطرافِها الحرَقُ
في يَوم لا مالَ عِندَ المَرءِ يَنفَعُهُ ... إِلّا السِّنانُ وَإِلّا الرُّمحُ وَالدَّرَقُ
يَطعَنُ بالرمحِ أَحياناً وَيضرِبُهُ ... بِالسَّيفِ ثُمَّ يُدانيهِم فَيَعتَنِقُ

[البسيط]

وهذا البيت سَرَقَهُ ابن هرمة مِنْ زُهَير ومن مُهْلهل جميعاً، فإنَّهما سبقا إليه. قال مهلهل[1] وهو أقدمهما:

(١) المهلهل بن ربيعة، هوعدي بن ربيعة بن مرّة بن هبيرة من بني جشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل. من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد. وهو خال امرىء القيس الشاعر. قيل: لقب مهلهلاً، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه. وكان من أصبح الناس وجهاً ومن أفصحهم لساناً. عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء، فسماه أخوه كليب (زير النساء) أي جليسهن. ولما قتل جساس بن مرة كليباً ثار المهلهل فانقطع عن الشراب واللّهو، وآلى أن يثأر لأخيه، فكانت وقائع بكر وتغلب، التي دامت أربعين سنة، وكانت للمهلهل فيها العجائب والأخبار الكثيرة إلى أن توفي سنة ٩٤ق.هـ.

أَنبَضوا[١] مَعجِسَ[٢] القِسِيِّ وَأَبرَقـ ـنا كَما تُوعِدُ الفُحولُ الفُحولا

[الخفيف]

يعني أنهم لما أخذوا القِسيّ ليرموهم من بعيد انتضَوا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها.

وقال زهير[٣] ـ وهو أشرح من الأوَّل ـ :

يَطعَنُهُم ما ٱرتَمَوْا حَتّى إِذا ٱطَّعَنوا ضارَبَ حَتّى إِذا ما ضارَبوا ٱعتَنَقا

[البسيط]

فما تَرَكَ في المعنى فضلاً لغيره.

رجع إلى شعر ابن هرمة:

يَكادُ بابُكَ مِنْ جُودٍ ومِنْ كَرَمٍ مِنْ دون بَوّابه للناس يَنْدَلِقُ

ـ ويُروى: «إذا أطاف به الجادون». و«العافون» أيضاً. ويروى: «ينبلق»:

إِنّي لأطوي رِجالاً أَن أَزورَهُمُ وَفيهُمُ عَكَرُ[٤] الأَنعامِ وَالوَرقُ[٥]

طَيَّ الثِّيابِ الَّتي لَو كُشِّفَتْ وُجِدَتْ فيها المَعاوِزُ[٦] في التَّفتيشِ وَالخِرقُ

وَأَترُكُ الثَّوبَ يَوماً وَهوْ ذو سَعَةٍ وَأَلبَسُ الثَّوبَ وَهوَ الضَّيِّقُ الخَلَقُ

إِكرامُ نَفسي وَإِنّي لا يُوافِقُني وَلَو ظَمِئتُ فَحُمتُ، المشرَبُ الرَّنقُ[٧]

[البسيط]

---

(١) انبض الرامي القوس: جذب وترها لتصوت.

(٢) العَجْسُ والعُجْسُ والعِجْسُ: مَقْبِض القوس.

(٣) زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني، من مُضَر. حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. ولد في بلاد مُزَينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمّى (الحوليات)، أشهر شعره معلقته التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

ويقال: إن أبياته في آخرها تشبه كلام الأنبياء، توفي سنة ١٣ق.هـ.

(٤) العَكَرُ أيضاً: جمع عَكَرَةٍ، وهي القطيع الضخم من الإبل.

(٥) الورق: المال من الإبل والغنم.

(٦) المعاوز: المباذل والخلقان.

(٧) الرنق: الكدر.

قال هارون بن الزيات في خبره: فلما قال ابن هرمة هذه القصيدةَ أنشَدَها عبد الواحد بن سليمان ـ وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز ـ فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشِيَّة من ثيابه، وحَمَلَهُ على فرس وأعطاه ثلاثين لَقْحة ومائةَ شاة، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عِيَاله من البُرِّ والتمر، فأخبره به؛ فأمَرَ له بذلك أجمعَ لِسَنَةٍ، وقال له: هذا لك عليّ ما دِمْتُ ودُمْتَ في الدنيا، واقتطعه لنفسه وأنِسَ بِهِ، وقال له: لَسْتُ بِمُحوجك إلى غيري أبداً. فلما عُزِلَ عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدَّى للوالي مكانَهُ وامتدحه. ولم يَلْبَثْ أن وُلِّيَ عبدُ الواحد بعد ذلك وبَلَغَهُ الخبرُ، فَأَمَرَ أن يُحْجَبَ عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه، حتى تَحَمَّلَ[1] عليه بعبد اللَّه بن الحسن بن الحسن، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حَدَّثنا الرِّياشيّ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثَعلب عن الرِّياشيّ ـ وخبره أتم ـ قال الرِّياشيّ حَدَّثني أبو سَلْمَة الغِفاريّ قال: قال ابن رُبَيح راوية ابن هرمة قال حَدَّثني ابن هرمة قال: أوَّل من رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ عليّ ألَّا أمدح أحداً غيره، وكان والياً على المدينة، وكان لا يدع بِرّي وصلتي والقيامَ بمؤونتي. فلم يَنْشَبْ أن عُزِلَ ووُلِّيَ غيرُهُ مكانَهُ، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب. فَدَعَتْنِي نفسي إلى مدحِهِ طَمَعاً أن يَهَبَ لي كما كان عبد الواحد يهب لي، فمدحته فلم يصنع بي ما ظَنَنْتُ. ثم قَدِمَ عبد الواحد المدينةَ، فأُخْبِرَ أنّي مَدَحْتُ الذي عُزِلَ به، فأمَرَ بي فَحُجِبْتُ عنه، وَرُمْتُ الدخولَ عليه فمنعت، فلم أدَعْ بالمدينة وجهاً ولا رَجُلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألْتُهُ أنْ يَشْفَعَ لي في أن يُعِيدني إلى منزلتي عنده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتني الحيل أَتَيْتُ عبدَ اللَّه بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ صلوات اللَّه عليه وعليهم ـ فَقُلْتُ: يابن رسول اللَّه، إنَّ هذا الرجل قد كان يُكْرِمُنِي وأخَذَ عليّ ألا أمدحَ غَيْرَه، فأعطَيْتُهُ بِذَلِكَ عَهْداً، ثم دعاني الشَّرَه والكَدّ إلى أن مَدَحْتُ الوالي بعده. وقَصَصْتُ عليه قصتي وسَأَلْتُهُ أنْ يَشْفَعَ لي، فَرَكِبَ معي. فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد اللَّه بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جَنْبِهِ، ثم قال: أحاجةٌ غَدَتْ بِكَ أصلحك اللَّه؟ قال: نعم؛ قال: كُلُّ حاجة لك مَقْضِيَّة إلا ابن هرمة؛ فَقَالَ لَهُ: إنْ رَأَيْتَ ألَّا تَسْتَثْنِي في حاجتي فافعل؛ قال: قَدْ فَعَلْتُ قال: فَحَاجَتِي ابن هرمة؛ قال: قَدْ رَضِيْتُ عنه وأعدته إلى منزلته؛ قال: فَتَأْذَنَ له أن يُنْشِدَكَ قال: تُعْفِيني من هذه؛

(١) تحمَّلَ: تشفع به إليه.

قال: أسألك أن تفعل؛ قال ائتوا به؛ فَدَخَلْتُ عليه وأنشدته قولي فيه:

وَجَدنا غالِباً كانَت[1] جَناحاً وَكانَ أَبوكَ قادِمَةَ الجَناحِ

[الوافر]

قال فَغَضِبَ عبد اللَّه بن الحسن حتى انقطع رِزُّه[2] ثم وَثَبَ مُغْضَباً، وتَجوَّزْتُ في الإنشاد ثم لَحِقْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: جزاك اللَّه خيراً يابن رسول اللَّه؛ فَقَالَ: ولكن لا جزاك اللَّه خيراً يا ماصّ بَظْرَ أمه، أتقول لابن مروان:

وَكانَ أَبوكَ قادِمَةَ الجَناحِ

بحضرتي وأنا ابن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ وابن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فَقُلْتُ: جَعَلَنِي اللَّه فداك، إنِّي قُلْتُ قَولاً أخدَعُهُ به طلباً لدنياه، واللَّه ما قِسْت بكم أحداً قطُّ. أَفَلَمْ تسمعني قد قُلْتُ فيها:

وبَعْضُ القولِ يذْهبُ بالرِّياحِ

فَضَحِكَ عبد اللَّه وقال: قاتَلَكَ اللَّه، ما أظرفك!

[حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد]

وهذه القصيدة الحائية التي مَدَحَ بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيِّد شعر ابن هرمة خاصةً، وأوَّلها:

صَرَمتَ حَبائِلاً مِن حُبِّ سَلمى لِهِندٍ ما عَمَدتَ لِمُستَراحِ
فَإنَّكَ إن تُقِمْ لا تَلقَ هِنداً وَإن تَرحَلْ فَقَلبُكَ غَيرُ صاحي
يَظَلُّ نَهارَهُ يَهذي بِهِندٍ وَيأرقُ لَيلَهُ حَتّى الصَّباحِ
أَعَبدَ الواحِدِ المَحمودَ إنِّي أَغَصُّ حذارَ سُخطِكَ بالقَراحِ
فَشُلَّتْ راحَتايَ وَجالَ مُهري فَأَلقاني بِمُشتَجَرِ الرِّماحِ
وَأَقعَدَني الزَّمانُ فَبِتُّ صِفراً مِنَ المالِ المُعَزَّبِ وَالمُراحِ
إذا فَخَّمْتُ غَيرَكَ في ثَنائي وَنُصحي في المَغيبَةِ وٱمتِداحي
كَأَنَّ قَصائِدي لَكَ فٱصطَنعني كَرائِمُ قَد عُضِلنَ عَنِ النِّكاحِ
فَإِنْ أَكُ قَد هَفَوتُ إلى أَميرٍ فَعَنْ غَيرِ التَّطَوُّعِ وَالسَّماحِ

(١) ورد في بعض المصادر «خُلِقت» بدل «كانت».
(٢) الرز: الصوت.

وَلَـكِـن سَـقـطَـةٌ عِـيـبَـتْ عَـلَـيـنـا وَبَـعـضُ الـقَـولِ يَـذهَـبُ فـي الـرِّيـاحِ
لَـعَـمـرُكَ إنَّـنـي وَبَـنـي عَـديٍّ[1] وَمَـن يَـهـوى رَشـادي أَو صَـلاحـي
إذا لَـم تَـرضَ عَـنّـي أَو تَـصِـلـنـي لَـفـي حَـيـنٍ أُعـالِـجُـهُ مُـتـاحِ
وَإنَّـكَ إن حَـطَـطْـتُ إلَـيـكَ رَحـلـي بِـغَـربـيِّ الـشَّـراةِ[2] لَـذو ٱرتـيـاحِ
هَـشَـشـتَ لـحـاجَـةٍ وَوَعَـدتَ أُخـرى وَلَـم تَـبـخَـلْ بِـنـاجِـزَةِ الـسَّـراحِ
وَجَـدنـا غـالِـبـاً خُـلِـقَـت جَـنـاحـاً وَكـانَ أَبـوكَ قـادِمَـةَ الـجَـنـاحِ
إذا جَـعَـلَ الـبَـخـيـلُ الـبُـخـلَ تُـرسـاً وَكـانَ سِـلاحُـهُ دونَ الـسِّـلاحِ
فَـإنَّ سِـلاحَـكَ الـمَـعـروفُ حَـتّـى تَـفـوزَ بِـعَـرْضِ ذي شِـيَـمٍ صِـحـاحِ

[الوافر]

أخبرني أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عَمَّار قال: حَدَّثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حَدَّثني إبراهيم بن إسحاق العُمريّ قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن إبراهيم الجُمَحيّ قال: قُلْتُ لابن هرمة: أَتَمْدَحُ عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مَدَحْتَ به غيرَهُ فتقول فيه هذا البيت:

وَجَـدنـا غـالِـبـاً خُـلِـقَـت جَـنـاحـاً وَكـانَ أَبـوكَ قـادِمَـةَ الـجَـنـاحِ

[الوافر]

ثم تقول فيها:

أعـبـدَ الـواحـد الـمـيـمـونَ إنِّـي أغـصّ حِـذارَ سـخـطـك بـالـقَـراحِ

[الوافر]

فبأيِّ شيء استوجب ذلك منك؟ فقال: إنِّي أخبرك بالقصة لِتَعْذُرَنِي: أصابتني أزمة بالمدينة، فاستنهضَتْنِي بنتُ عَمِّي للخروج؛ فَقُلْتُ لها: ويحك! إنَّه ليس عندي ما يُقِلّ جناحي؛ فَقَالَتْ: أنا أُنْهِضُكَ بما أمكنني، وكانت عندي نابٌ لي فَنَهَضْتُ عليها نُهَجِّد النُّوَّام ونؤذي السُّمَّار، وليس من مَنْزِلٍ أنزله إلا قال الناس: ابن هرمة! حتى دَفَعْتُ إلى دمشق، فَأَوَيْتُ إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فَجَلَسْتُ فيه أنتَظِرُهُ إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب يَنْفَلِقُ عن رَجُلٍ كأنَّهُ البدرُ، فدنا فأذَّنَ ثم صلّى رَكعتين، وتأملته فإذا هو عبد الواحد، فَقُمْتُ فَدَنَوْتُ منه وسَلَّمْتُ عليه فقال لي: أبو إسحاق! أهلاً ومرحباً، فَقُلْت لبيك، بأبي أنت وأمي! وحيَّاك اللَّه بالسلام وقرَّبَك

(١) بنو عدي: هم قوم ابن هرمة، وعدي هو عدي بن قيس بن الحارث بن فهر.
(٢) الشراة: صقع بالشام بين دمشق والمدينة.

من رضوانِهِ؛ فقال: أمَا آنَ لك أن تزورنا؟ فقد طال العهد واشتدَّ الشوقُ، فما وراءك؟ قلت: لا تسلني ـ بأبي أنت وأمي ـ فإنَّ الدهر قد أخنى عليّ فما وجدت مُسْتَغاثاً غيرك؛ فقال: لا تُرَعْ فَقَدْ وَرَدْتَ على ما تحب إن شاء اللَّه. فواللَّه إنِّي لأُخاطبه فإذا بثلاثة فتية قد خَرَجُوا كأنَّهم الأشطان[١]، فسلَّمُوا عليه، فاستدنى الأكبرَ منهم فَهَمَسَ إليه بشيء دوني ودون أخويه؛ فَمَضَى إلى البيت ثم رَجَعَ، فَجَلَسَ إليه فَكَلَّمَهُ بشيء دوني ثم ولى، فلم يلبث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[٢] يَحْمِلُ عِبئاً من الثياب حتى ضَرَبَ به بين يديّ؛ ثم هَمَسَ إليه ثانيةً فعاد، وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك، فَضَرَبَ به بين يديّ. فقال لي عبد الواحد: ادنُ يا أبا إسحاق، فإنِّي أعلم أنك لم تَصِر إلينا حتى تفاقم صَدْعُك، فخذ هذا وارجع إلى عيالك، فواللَّه ما سَلَلْنا لك هذا إلا من أشداقِ عيالنا؛ وَدَفَعَ إليَّ ألف دينار، وقال لي: قُمْ فارحل فأغِثْ من وراءك فَقُمْتُ إلى البابِ، فلما نَظَرْتُ إلى ناقتي ضِقْتُ فقال لي: تعال، ما أرى هذه مُبلغتَكَ، يا غلامُ، قَدِّم له جملي فلاناً. فواللَّه لقد كُنْتُ بالجمل أشدَّ سروراً مني بكل ما نِلْتُهُ؛ فهل تلومني أن أغصّ حِذارَ سخط هذا بالقَراح! وواللَّه ما أنشدْتُهُ ليلتئذ بيتاً واحداً.

[عتابه على مدح الأمويين]

أخبرني محمد بن خلف وَكيع قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حَدَّثني محمد بن عمر الجُرجانيّ قال: حَدَّثني عثمان بن حَفْص الثَّقَفيّ قال: حَدَّثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ قال: دَخَلْتُ مع أبي علي المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان، فلما اجتمع الناس قام ابن هرمة فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني اللَّه فداءك، شاعرك وصنيعتك إنْ رَأَيْتَ أن تأذن لي في الإنشاد؛ قال هاتِ؛ فأنشده قوله:

سَرى ثَوبَهُ[٣] عَنكَ الصِّبا المُتَخايِلُ[٤]

[الطويل]

حتى انتهى إلى قوله:

لَهُ لَحَظاتٌ عَن حِفافي[٥] سَريرِهِ إذا كَرَّها فيها عِقابٌ وَنائِلُ

(١) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل الطويل الملتف على بعضه.
(٢) الرّجلُ الضّابط: الشَّديدُ الأيْدُ. (٣) سرى الثوب: كشف الثوب.
(٤) البيت كالتالي:
سَرى ثَوبَهُ عَنكَ الصِّبا المُتَخايِلُ وَوَدَّعَ لِلبَينِ الخَليطُ المُزايِلُ
(٥) حفاف الشيء: جانبه.

فـأُمَّ الَّـذي آمَـنـتَ آمِـنَـةُ الـرَّدى وَأُمُّ الّـذي خـوَّفـتَ[١] بـالـثُّـكـلِ ثـاكِـلُ

[الطويل]

فقال له المنصور: أما لقد رأيْتُكَ فى هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنْشِدُهُ قولَكَ فيه:

وَجَـدنـا غـالِـبـاً كـانـت جَـنـاحـاً وَكـانَ أَبـوكَ قـادِمَـةَ الـجَـنـاحِ

[الوافر]

قال: فَقُطِعَ بابنِ هرمة حتى ما قدَر على الاعتذارِ؛ فقال له المنصور: أنت رجل شاعر طالب خير، وكلّ ذلك يقول الشاعر، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار. فقام إليه الحسن بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ ابن هرمة رجل مِنفاق مِتلاف لا يُليقُ[٢] شيئاً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجْرَى عليه منها ما يكفيه ويكفي عيالَهُ ويَكْتُبَ بذلك إلى صاحب الجاري أن يُجرِيَها عليهم فعل؛ فقال: افعلوا ذلك به. قال: وإنَّما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنَّه كان مُغضَباً عليه لقوله يمدحُ عبدَ اللَّه بن حسن:

مـا غـيَّـرَتْ وَجـهَـهُ أُمٌّ مُـهـجـنَـةٌ[٣] إذا الـقَـتـامُ[٤] تَـغَّـشـى أَوجُـهَ الـهُـجُـنِ

[البسيط]

حَدَّثني يحيى بن علي بن يحيى، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجَحْظة قالا: حَدَّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه، قال يحيى بن علي في خَبَرِه عن الفضل بن يحيى، ولم يقله الآخران: دَخَلَ ابن هرمة على المنصور وقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي قَدْ مَدَحْتُكَ مَدِيحاً لم يَمْدَحْ أحدٌ أحداً بمثله وما عسى أن تقول فيّ بعد قول كعب الأشقريّ[٥] في المهلَّب:

بَـرَاكَ الـلَّـهُ حِـيْـنَ يَـراكَ بَـحْـراً وفَـجَّـرَ مِـنْـكَ أَنْـهَـاراً غِـزَارا

[الوافر]

---

(١) ورد في بعض المصادر «حاولت» بدل «خوَّفت».

(٢) لا يليق شيئاً: أي ما يمسكه ولا يلصق به.

(٣) ورد في بعض المصادر «مقصَّرة» بدل «مهجنة».

(٤) القتام: الغبار.

(٥) كعب بن معدان الأشقري، أبو مالك. فارس، شاعر، خطيب. من شعراء خراسان. كان معدوداً في جلة أصحاب المهلب بن أبي صفرة، المذكورين في حروب الأزارقة. وهو من (الأشاقر) من قبائل الأزد، له خبر مع (الحجاج) أورده القالي في (الأمالي) وقد سأله الحجاج: أشاعر أنت أم خطيب؟ فقال: كلاهما. وله قصيدة طويلة يذكر بها يوم (رامهرمز) وغيره، رواها الطبري، توفي سنة ٨٠ للهجرة.

فَقَالَ لَهُ: قد قُلْتُ أحسنَ من هذا؛ قال: هات، فانشده قوله:

لَـهُ لَـحَـظَـاتٌ عـن حِـفـافَـيْ سَـريـره إذا كَـرَّهـا فـيـهـا عِـقـابٌ ونـائِـلُ

[الطويل]

قال: فَأَمَرَ له بأربعةآلاف درهم. فقال له المهديّ: يا أمير المؤمنين، قد تَكَلَّفَ في سفرِهِ إليك نحوها؛ فَقَالَ له المنصور: يا بُنيَّ، إنِّي قد وَهَبْتُ له ما هو أعظم مِنْ ذَلِكَ، وَهَبْتُ له نَفْسَهُ، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان:

إذا قِـيـلَ مَـنْ خَـيْـرُ مَـنْ يُـرْتَـجَـى لِـمُـعْـتَـرٍّ[1] فِـهْـرٍ ومُـحْـتـاجِـهـا

ومَـنْ يُـعـجِـل الـخَـيْـلَ يـوم الـوغـى بـإِلْـجـامِـهـا ثُـمَّ إِسْـراجِـهـا[2]

أَشـارَتْ نِـسـاءُ بَـنِـي غـالِـب إِلـيـكَ بـه قَـبْـلَ أَزْواجِـهـا

[المتقارب]

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة، وأولُها:

أَجَـارَتَـنـا رَوِّحـي نَـغْـمَـةً عـلـى هـائِـمِ الـنـفـسِ مُـهْـتَـاجِـهـا

ولا خـيـرَ فـي وُدِّ مُـسْـتَـكـرِهٍ ولا حـاجـةٍ دون إنـضـاجِـهـا

[المتقارب]

ـ يقولُ فيها يَمْدَحُ عبدَ الواحد بن سليمان ـ :

كـأنَّ قُـتـودي[3] عـلـى خـاضِـبٍ زَفُـوفِ الـعَـشـيَّـات هَـدَّاجِـهـا

إلـى مَـلِـكٍ لا إلـى سُـوقـة كَـسَـتْـهُ الـمـلـوكُ ذُرا تـاجِـهـا

تَـحُـلّ الـوفـودُ بـأبـوابِـهِ فَـتَـلْـقَـى الـغِـنَـى قَـبـلَ إرتـاجِـهـا

بِـقَـرَّاع أبـواب دور الـمـلـو كِ عـنـد الـتـحـيـة وَلَّاجِـهـا

إلـى دار ذي حَـسَـبٍ مَـاجِـدٍ حَـمُـول الـمـغـارم فَـرَّاجِـهـا

رَكُـودِ الـجـفـان[4] غـداةَ الـصَّـبـا ويـومَ الـشَّـمـالِ وإرهـاجِـهـا[5]

---

(١) المعتر: الفقير والمتعرض للمعروف من غير أن يسأل.

(٢) ورد هذا البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

ومَـنْ يَـقْـرَعُ الـخَـيْـلَ تـحـتَ الـعَـجـاجِ بـإِلْـجـامِـهـا ثُـمَّ إِسْـراجِـهـا

(٣) القَتَد: مِن أَدَواتِ الرَّحْلِ، وقيل: جَمِيعُ أَداتِه، والجَمْعُ أَقْتَادٌ وأَقْتُدٌ وقُتُودٌ، قال الطِّرِمَّاحُ:

قَـطِـرَتْ وَأَدْرَجَـهـا الـوَجِـيفُ وضَـمَّـهـا شَـدُّ الـنُّـسُـوعِ إِلـى شُـجُـورِ الأَقْـتُـد

(٤) الجفنة الرَّكود: المملوءة الثقيلة.

(٥) الإرهاج: الإمطار.

وَقَـفْـتُ بِـمَـدحِـيـه عـنـد الـجِـمـا رِ أُنـشـده بـيـن حُـجَّـاجِـهـا
[المتقارب]

[دسيسة عليه من المنصور]

أخبرني محمد بن جعفرالنحويّ صهرُ المُبَرَّد قال: حَدَّثني أبو إسحاق طلحةُ بن عبد اللَّه الطلحيّ قال: حَدَّثني محمد بن سليمان بن المنصور قال: وَجَهَ المنصور رسولاً قاصِداً إلى ابن هرمة وَدَفَعَ إليه ألف دينار وخِلعة، ووصفه له وقال: امضِ إليه؛ فإنَّكَ تراه جالِساً في موضع كذا من المسجد، فانتسبْ لَهُ إلى بني أمية أو مواليهم، وسَلْهُ أن يُنْشِدَكَ قصيدتَهُ الحائية التي يقولُ فيها يَمْدَحُ عبدَ الواحد بن سليمان:

وَجَـدنـا غـالِـبـاً كـانـت جَـنـاحـاً وَكـانَ أَبـوكَ قـادِمَـةَ الـجَـنـاح
[الوافر]

فإذا أنشدكها فأخرجه من المَسْجِدِ واضرب عُنُقَهُ وجِئْنِي بِرَأسِهِ؛ وإن أنشدَكَ قَصِيدتَهُ اللامية التي يَمْدَحُنِي بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة، وما أُراه يُنْشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية. قالَ: فأتاه الرسولُ فَوَجَدَهُ كما قال المنصور، فَجَلَسَ إليه واستنشده قَصِيْدَتَهُ في عبد الواحد؛ فقال: ما قُلْتُ هذه القصيدةَ قَطُّ ولا أعرِفُها وإنَّما نحلها إياي من يُعاديني، ولكن إنْ شِئْتَ أنشدتك أحسنَ منها؛ قال: قد شَئْتُ فهات؛ فأنشده:

سَـرى ثَـوبَـهُ عَـنـكَ الـصِّـبـا الـمُـتَـخـايِـلُ
[الطويل]

حتى أتى على آخِرِها؛ ثم قال له: هاتِ ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليَّ؛ فَقَالَ: أيَّ شيء تقولُ يا هذا وأيّ شيء دَفَعَ إليّ؟ فقال: دعْ ذا عَنْكَ، فواللَّه ما بعثك إلا أميرُ المؤمنين وَمَعَكَ مالٌ وكسوة إليَّ، وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإنْ أَنْشَدْتُكَ إياها ضَرَبْتَ عُنُقِي وحَمَلْتَ رأسي إليه، وإنْ أنشدتك هذه اللامية دَفَعْتَ إليَّ ما حَمَّلَكَ إياه فَضَحِكَ الرسول ثم قال: صَدَقْتَ لعمري؛ ودفع إليه الألف الدينار والخِلعة. فما سَمِعْنا بشيء أعجب من حديثهما.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثنا عَمِّي عن جدِّي قال: لما أنشد ابنُ هرمة المنصور قَصِيدَتَهُ اللامية التي مَدَحَهُ بها أمرَ لَهُ بألف درهم؛ فَكَلَّمَهُ فيه المهديّ واستقلَّها فقال يا بُنِي، لَو رأيْتَ هذا بحيث رَأَيْتُهُ وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنْشِدُهُ:

وَجَـدنـا غـالِـبـاً كـانـت جَـنـاحـاً وَكـانَ أَبـوكَ قـادِمَـةَ الـجَـنـاح
[الوافر]

لاستكثرتَ لَهُ ما استقللتهُ، ولَرَأَيْتَ أنَّ حياته بعد ذلك القول ربح كثير. واللَّه إني يا بُنيَّ ما هَمَمْتُ له منذُ يَوْمَئِذٍ بخير فَذَكَرْتُ قولَهُ إلا زال ما عَرَضَ بِقَلْبِي إلى ضده حتى أهُمَّ بِقَتْلِهِ ثم أعفو عنه. فأمسك المهديّ.

[ما يُغنَّى من شعره]

ومما يُغنَّى فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قولُهُ من قصيدةٍ أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات، على أنَّ المُغَنِّين قد خَلَطوا مع أبياته أبياتاً لِغَيْرِهِ:

صوت

ولما أن دنا مِنَّا ارتِحَالٌ ... وقُرِّب ناجياتُ[١] السير كُومُ[٢]
تَحَاسَر واضِحَاتُ اللّون زُهْر ... على ديباج أوجهها النعيمُ
أتَيْنَ مُودِّعاتٍ والمطايا ... لَدَى أكوارها خوصٌ[٣] هُجومُ
فَكَم من حُرَّة بين المُنَقَّى[٤] ... إلى أُحُدٍ إلى ما حاز ريم[٥]

[الوافر]

ويُرْوى:

فَكَمْ بين الأقارع فالمُنَقَّى

وهو أجود.

إلى الجَمَّاء[٦] من خَدٍّ أسيل ... نَقِيِّ اللَّون ليس به كُلُومُ
كأنِّي من تذكُّر ما أُلاقي ... إذا ما أظْلَمَ اللَّيلُ البهيمُ

---

(١) الناجيات: النوق السريعة بنجو بمن ركبها.
(٢) الكُوم: العِظَم في كل شيء. وقد غلب على السنام. سنام أكوم: عظيم، أنشد ابن الأعرابي:
وعَجُز خَلْف السّنَام الأكوم
وبعير أكوم: عظيم. وناقة كوماء: عظيمة السنام طويلته.
(٣) رجلٌ أَخْوَصُ بيِّن الخَوَصِ أي غائر العين. وقد خَوِصَ.
(٤) المُنقّى: طريق بين أُحُد والمدينة.
(٥) الريم: واد لمزينة قرب المدينة.
(٦) الجَمّاء: جبل بالمدينة سمي بذلك لأن ثم جبلين هي أقصرهما فكأنها جماء.
والجماء من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق الى الجُرَّف.

سَـلِـيـمٌ مَـلَّ مِـنْـهُ أقـربـوه وأسـلـمـه الـمُـداوِي والـحـمـيـمُ

[الوافر]

ذَكَرَ الزُّبيرُ بن بكَّار أنَّ هذا الشعر كلّه لأبي المِنهال نُفَيلة الأشجعيّ. قال: وسَمِعْتُ بعضَ أصحابِنا يقول: إنَّه لِمَعمَر بن العَنبر الهُذَليّ. والصحيحُ من القول، أنَّ بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يَمْدَحُ بِها عبدَ الواحد بن سليمان مخفوضة الميم، ولمَّا غُنِّي فيها وفي أبيات نُفَيْلة وَخَلَطَ فيه ما أوجب خفض القافية غَيّر إلى ما أوجب رفعها. فأمَّا ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أوّلها:

أَجارَتَنا بِذي نَفَرٍ[1] أَقيمي فَما أَبكي عَلى الدَّهرِ الذَّميمِ
أَقيمي وَجهَ عامِكِ ثُمَّ سيري بِلا وَاهِي الجِوارِ وَلا مُليمِ
فَكَم بَينَ الأَقارعِ فالمُنَقَّى إِلى أُحُدٍ إِلى أَكنافِ ريمِ
إِلى الجَمّاءِ مِن خَدٍّ أَسيلٍ نَقيِّ اللَّونِ لَيسَ بِذي كُلومِ
وَمِن عَينٍ مُكَحَّلَةِ الأَماقي بِلا كُحلٍ وَمِن كَشْحٍ هَضيمِ
أَرِقْتُ وَغابَ عَنّي مَن يَلومُ وَلَكِن لَم أَنَمْ أَنا لِلهُمومِ
أَرِقْتُ وَشَفَّني وَجَعٌ بِقَلبي لِزَينَبَ أَو أُميمَةَ أَو رَعومِ
أُقاسي لَيلَةً كاللَحوَلِ حَتّى تَبَدّى الصُّبحُ مُنقَطِعَ البَريمِ[2]
كَأَنَّ الصُّبحَ أَبلَقُ في حُجُولٍ يَشِبُّ وَيَتَّقي ضَربَ الشَّكيمِ
رَأَيتُ الشَّيبَ قَد نَزَلَتْ عَلَينا رَوائِعُهُ بِحُجَّةِ مُستَقيمِ
إِذا ناكَرْتُهُ ناكَرْتُ مِنهُ خُصومَةَ لا أَلَدَّ وَلا ظَلومِ
وَوَدَّعَني الشَّبابُ فَصِرْتُ مِنهُ كَراضٍ بِالصَّغيرِ مِنَ العَظيمِ
فَدَعْ ما لا يَرُدُّ عَلَيكَ شَيئاً مِنَ الجاراتِ أَو دِمَنِ الرُّسومِ
وَقُل قَولاً تُطَبّقُ مِفصَلَيهِ[3] بِمَدْحَةِ صاحِبِ الرأيِ الصَّرومِ[4]

(١) ذو نفر: موضع على ثلاثة أيام من السليلة بينها وبين الربذة، وقيل: خلف الربذة بمرحلة في طريق مكة.

(٢) البَريمُ خَيْطان يكونان من لَوْنَيْن. والبَريمُ: ضَوْءُ الشمس مع بَقِيَّة سَوادِ الليل. والبَريمُ: الصبْح لِما فيه من سَوادِ الليل وبَياض النهار، وقيل: بَريمُ الصبح خَيْطه المُخْتلط بِلَوْنَيْن، وكل شيئين اختلَطا واجْتمعا بَريمٌ.

(٣) تُطَبّقُ مَفصَلَيهِ: تصيب فيه الحجة.

(٤) سيف صارِمٌ: أي قاطع. وصَرَامٍ: من أسماء الحرب. والرأي الصروم: قاطع وسديد.

لـعَـبـدِ الـواحِـدِ الـفَـلْـجُ[١] الـمُـعَـلّـى عَـلا خُـلـقَ الـنَّـفـورةِ[٢] وَالـخُـصـومِ
دَعَـتْـه الـمَـكـرُمـاتُ فَـنـاوَلَـتْـهُ خِـطـامَ الـمَـجـدِ فـي سِـنِّ الـفَـطـيـم
[الوافر]

وهي طويلة. فَمِنَ الأبيات التي فيها الغناء أربعةُ أبيات لابن هرمة قد مَضَتْ في هذه القصيدة؛ وإنَّها غُيّرت حتى صارت مرفوعةً، فاتفقت الأبياتُ وغُنِّيَ فيها. وأمَّا أبيات نُفَيلة فَمَا بَقِيَ من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له. ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قوله:

يُـضِـيءُ دجـى الـظـلام إذا تـبـدَّى كَـضَـوْءِ الـفـجـر مَـنْـظَـرُه وَسـيـمُ
وقـائِـلـةٍ ومُـثْـنـيـةٍ عَـلَـيـنـا تـقـولُ ومـا لـهـا فـيـنـا حـمـيـمُ
وأُخـرى لُـبُّـهـا مـعـنـا ولـكـن تَـصَـبَّـرُ وهـي واجـمـةٌ كـظـومُ
تَـعُـدّ لـنـا الـلـيـالـي تَـحْـتَـصِـيـهـا مـتـى هـو حـائـنٌ مـنـه قُـدومُ
مَـتَـى تَـرَ غَـفـلـةَ الـواشـيـن عـنـهـا تَـجُـدْ بِـدُمُـوعِـهـا الـعـيـنُ الـسَّـجـومُ
[الوافر]

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد، ولَحْنُهُ من الثقيل الأوَّل بالوسطى عن عمرو ويونس. وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الوابصيّ. وفيها خفيف ثقيل يُنْسَبُ إلى معبد وإلى ابن سريج.

[الوابصي وأخباره]

وهذا الوابصيّ هو الصَّلت بن العاصي بن وابِصَة بن خالد بن المُغيرة بن عبد اللَّه بن عمرو بن مخزوم. كان تَنَصَّرَ ولحق بِبَلادِ الروم؛ لأن عمر بن عبد العزيز ـ فيما ذُكِرَ ـ حده في الخمر، وهو أمير الحجاز، فَغَضِبَ فَلَحِقَ بِبِلادِ الروم وتَنَصَّرَ هناك، ومات هنالك نَصْرَانياً.

[رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفك الأسرى]

فأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثنا أحمد بن زُهَير قال: حَدَّثنا

(١) فلجت على خصمك، وفلجت حجّتك. وخرج لك سهمٌ فالج أي فائز. واللَّه أفلجك عليه وأظفرك. قال الطّرماح:

وأفـلـجـهـم فـي كـلّ يـوم كـريـهـة كـرام الـفـحـول واعـتـيـام الـحـواصـن

وتقول: قضي لك الفلج، فقضى لي الثّلج.

(٢) نفورة الرجل: نافرته وهي أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه.

الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن عبد العزيز قال: أخبرني ابن العلاء ـ أظُنُّهُ أبا عمرو أو أخاه ـ عن جُوَيرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكِيم، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عُمَر بن شبَّة قال: حَدَّثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم، وقد جَمَعْتُ الروايتين، قال اليزيديّ في خَبَرِه: إنَّ إسماعيل حَدَّث: أنَّ عمر بن عبد العزيز بَعَثَ في الفِداء. وقال عمر بن شَبَّة: إنَّ إسماعيل حَدَّث قال: كُنْتُ عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فَحَدَّثَهُ قال: بينا أنا أجولُ في القسطنطينية إذ سَمِعْتُ رَجُلاً يُغَنِّي بِلسانٍ فَصيح وصوت شَجٍ:

فَكَمْ مِنْ حُرَّة بين المُنَقَّى إلى أُحُدٍ إلى جَنَباتِ رِيم

[الوافر]

فَسَمِعْتُ غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ مِنْهُ. فلما سَمِعْتُ الغناء وحُسْنَهُ، لم أدرِ أهو كذلك حَسَنٌ، أم لغربته وغربة العربية في ذلك الموضع. فَدَنَوْتُ من الصوت، فلما قَرُبْتُ منه إذا هو في غرفة، فَنَزَلْتُ عن بَغْلَتِي فأوثقتها ثم صَعِدت إليه فَقُمْتُ على باب الغرفة، فإذا رجل مُستلقٍ على قَفاه يُغَنِّي هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى، فإذا فَرَغَ بكى فيبكي ما شاء اللَّه ثم يعيد الغناء. فَفَعَلَ ذلك مراراً؛ فَقُلْتُ: السلام عليكم؛ فَوَثَبَ وَرَدَّ السلام؛ فَقُلْتُ: أبشِرْ فقد فَكَّ اللَّه أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغية في فداء الأسارى. ثم سألْتُهُ: مَنْ أنْتَ. فقال: أنا الوابصيّ، أُخِذْتُ فَعُذِّبْتُ حتى دَخَلْتُ في دينهم؛ فَقُلْتُ لَهُ: أنت واللَّه أحبُّ من أفتديه إلى أمير المؤمنين وإليَّ إن لم تكن دَخَلْتَ في الكفر؛ فقال: قد واللَّه دخلت فيه؛ فَقُلْتُ: أنشُدك اللَّه إلَّا أسلَمْتَ؛ فقال: أأسلم وهذان ابناي وقد تَزَوَّجت امرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دَخَلْتُ المدينة قيل لي يا نصرانيّ وقيل مثل ذلك لولديّ وأمهما! لا واللَّه لا أفعل. فَقُلْتُ له: قد كُنْتَ قارئاً للقرآن فما بقي معك منه؟ قال: لا شيء إلا هذه الآية: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]. قال: فعاوَدْتُهُ وقُلْتُ له: إنَّك لا تُعَيَّر بهذا فقال: وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير؟ فَقُلْتُ: سبحان اللَّه أما تقرأُ: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] فَجَعَلَ يُعيدُ عليَّ قولَهُ: فَكَيف بما فعلت! ولم يجبني إلى الرجوع. قال: فَرَفَعَ عمر يده وقال: اللَّهم لا تمتني حتى تُمَكنني منه. قال: فواللَّه ما زلت راجياً لإجابة دعوة عمر فيه. قال جويرية في حديثه: وقَدْ رَأَيْتُ أخا الوابصيّ بالمدينة.

وقال يعقوبُ بن السِّكيت في هذا الخبر. أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أُنسيت اسمه قال: نَزلنا في ظلِّ حصن من الحصون التي للروم، فإذا أنا بقائل يقولُ من فوق الحصن:

فَكَم بَينَ الأَقارعِ فالمُنَقَّى ... إِلى أُحُدٍ إِلى أَكنافِ ريم
إِلى الزَّوراءِ[1] من ثغر نَقِيٍّ ... عوارضه ومن دَلٍّ رَخيمِ[2]
وَمِن عَينٍ مُكَحَّلَةِ الأَماقي ... بِلا كُحلٍ وَمن كَشْحٍ هَضيمِ

[الوافر]

وهو يُنْشِدُ بِلَسانٍ فصيح ويبكي، فناديْتُهُ: أيها المنشد، فأشرف فتًى كأحسن الناس. فَقُلْتُ: من الرجل وما قصتك؟ فقال: أنا رجل من الغُزاةِ من العربِ نَزَلْتُ مكانَكَ هذا، فأشرفت عليّ جارية كأحسن الناس فَعَشِقْتُها. فَكَلَّمْتُها فقالت: إنْ دَخَلْتَ في ديني لم أخالفك؛ فغلب عليّ الشيطانُ فَدَخَلْتُ في دينِها، فأنا كما ترى. فَقُلْتُ: أَكُنْتَ تقرأُ القرآن؟ فقال: إي واللَّه لقد حفظته. قُلْتُ: فما تحفظ منه اليوم؟ قال: لا شيء إلا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]. قُلْتُ: فهل لك أن نُعْطِيَهم فداءك وتخرج؟ قال: فَفَكَّرَ ساعة ثم قال: انطلقْ صَحِبك اللَّه.

ومما ورد في الأخبار من شعر ابن هرمة:

صـــوت

من المائة المختارة

في حاضِرٍ[3] لَجِبٍ بِاللَّيلِ سامِرُهُ[4] ... فيهِ الصَّواهِلُ وَالرَّاياتُ وَالعُكَرُ[5]
وَخُرَّدٌ كالمَها حُورٌ مَدامِعُها ... كَأَنَّها بَينَ كُثبانِ النَّقا بَقَرُ

[البسيط]

الشعرُ لابن هرمة. والغناءُ في اللحن المُختار لِحُنَين، ولحنُهُ من الثقيل الأوَّل

(١) الزوراء: اسم يطلق على أكثر من موضع، والمقصود منها موضع عند سوق المدينة.
(٢) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
إِلى الجَمّاءِ مِن خَدٍّ أَسيلٍ ... نَقيٍّ اللَّونِ لَيسَ بِذي كُلومِ
(٣) الحاضرُ: الحيّ النُّزولُ على الماءِ.
(٤) السامرُ: الجَمَاعةُ من الحيّ يسْمُرونَ ليلاً.
(٥) العَكَرُ: جمع عَكَرَةٍ، وهي القطيع الضخم من الإبل.

بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال إسحاق: وفيه لأبي هَمهَمَة لحن من الثقيل الأوَّل أيضاً. وأبو هَمهَمَة هذا مغَنٍّ أسودُ من أهل المدينة، ليس بمشهور ولا ممن نادمَ الخلفاء ولا وَجَدْتُ له خبراً فأذكره.

صـوت

من المائة المختارة

بـزيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـلَ الـرَّكـبُ وَقُـلْ إِن تَـمَـلِّـيـنـا فَـمـا مَـلَّـك الـقَـلـبُ
وَقُـل فـي تَـجـنِّـيـهـا لَـكَ الـذَّنـبَ: إِنَّـمـا عِـتـابُـك مَـنْ عـاتَـبْـتَ فـيـمـا لَـهُ عَـتْـبُ

[الطويل]

الشعرُ لِنُصَيْب. والغناءُ في اللحن المختار لِكَرْدَم بن معبد، ولَحْنُهُ المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوَّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لِمَعْبَد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشاميّ ودَنانيرَ. وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأول ذكره الهشاميّ.

[بعض أخبار لنصيب]

وقد تَقَدَّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية، وإنَّما تَأَخَّرَ منها ما له موضع يصلُحُ إفرادُهُ فيه، مثل أخبار هذا الصوت.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حَدَّثنا عَمِّي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن ابن كُناسة قال: قال نُصيب: ما تَوَهَّمْتُ أنِّي أحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت:

بـزيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـلَ الـرَّكـبُ

[الطويل]

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثنا إبراهيم ابن المنذر الحِزاميّ عن محمد بن مَعْن الغِفاريّ قال: أخبرني ابن الربيح قال: مَرَّ بنا جَميل ونحن بِضرِّية[1]، فاجتمعنا إليه فَسَمِعْتُهُ يقولُ: لأن أكون سَبَقْتُ الأسود إلى قوله:

بـزيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـلَ الـرَّكـبُ

[الطويل]

(١) ضرية: قرية في طريق مكة من البصرة من بلاد نجد، وقيل: هي صقيع واسع بنجد ينسب إليه حمى ضرية، يليه أمراء المدينة وينزل به حاج البصرة بين الجديلة وطحفة.

أحبُّ إليَّ من كذا وكذا ـ لشيءٍ قالَهُ عظيم ـ .

أخبرني الحرميّ قال: حَدَّثني الزُّبيرُ قال: حَدَّثني سعيد بن عمرو عن حَبيب بن شوذب الأسدي قال:

مَرَّ بنا جريرُ بن الخَطَفي ونحن بِضَرِّية، فاجتمعنا إليه فَسَمِعْتُهُ يقول: لأن أكون سَبَقْتُ العبدَ إلى هذا البيت أحبُّ إليَّ من كذا وكذا يعني قوله:

بـزيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـلَ الـرَّكـبُ

[الطويل]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثني عَمِّي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كُناسة قال: اجتمع الكُميت بن زيد ونُصَيب في الحَمَّام، فقال له الكُميت: أنشدني قولك:

بـزيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـلَ الـرَّكـبُ

[الطويل]

فقال: واللَّه ما أحفظها؛ فقال الكُميت: لكنِّي أحفظها، أفأنشدك إياها؟ قال: نعم، فأقبل الكُميتُ يُنْشِدُهُ وهو يبكي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال ذكر ابن أبي الحُوَيرث عن مولاة لهم، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت: إنّا لَبِمِنًى إذ نَظَرْتُ إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة، فلم أدرِ لِمَنْ هي، حتى أُنيخ بعير، فَنَزَلَ عنه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع، ومَرَّ راكب يتغنَّى غناء الركبان:

بـزيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـلَ الـرَّكـبُ

[الطويل]

فَرَأَيْتُ السوداء تخبط الأسود وتقول له: شَهَّرتني وأذعت في الناس ذكري؛ فإذا هو نُصَيب وزوجته. قال إسحاق في خبره: وكان الذي اجتاز بهم وتغنَّى ابن سريج.

[كان ابن سريج يغني لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه [قال: قال:] عن محمد بن كُناسة عن أبيه قال: قال نُصَيب: واللَّه إنِّي لأسير على راحلتي إذا أدرَكْتُ نسوةً ذواتِ جمالٍ يتناشدن قولي:

بـزيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـلَ الـرَّكـبُ

[الطويل]

وإذا معهنّ ابن سُرَيج، فقلن له: يا أبا يحيى، غَنِّنا في هذا الشعر، فغناهُنَّ فأحسن؛ فَقُلْنَ: وَدِدنا واللَّه يا أبا يحيى أنَّ نُصيباً معنا فيتمّ سرورنا؛ فَحَرَكْتُ بعيري لأتعرَّف بهنّ وأنشدهنّ؛ فالتفتَتْ إحداهُنَّ إليَّ فَقَالَتْ حين رأتني: واللَّه لقد زَعَموا أنَّ نُصيباً يَشْبُهُ هذا الأسود لا جَرَم، فَقُلْتُ: واللَّه لا أتعرّف بهنَّ سائرَ اليوم، وَمَضَيْتُ وتركتهُنَّ. قال: وكان الذي تغنّى به ابنُ سُريج من شعري:

بـزيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـلَ الـرَّكـبُ وَقُـلْ إِن تَـمَـلِّـيـنـا فَـمـا مَـلَّـك الـقَـلـبُ
وَقُـل إِن تُـنَـلْ بِـالـود مِـنـكَ مَـوَدةٌ[1] فَـمـا مِـثـلُ مـا لُـقِّـيـتُ مـن حُـبِّـكُـم حُـبُّ
وَقُـل فـي تَـجـنِّـيـهـا لَـكَ الـذَّنـبَ إِنَّـمـا عِـتـابُـك مـن عـاتَـبـت فـيـمـا لَـهُ عَـتْـبُ
فَـمـن شـاءَ رامَ الـوَصـل أَو قـالَ ظـالِـمـاً لـذي وُدِّهِ ذَنـبٌ وَلَـيـسَ لـهُ ذَنـب

[الطويل]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثني إبراهيم بن عبد اللَّه السَّعْدي عن جدَّتِهِ جَمال بنت عَوْن عن جَدِّها قال: قُلْتُ للنُّصَيب: أنشدني يا أبا مِحجَن من شعرك شيئاً؛ فقال: أيّه تريد؟ قُلْتُ: ما شِئْتَ؛ قال: لا أنشدك أو تقترح ما تريد؛ فَقُلْتُ: قولك:

بـزيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـلَ الـرَّكـبُ

قال: فتبسَّمَ وقال: هذا شعرٌ قُلْتُهُ وأنا غلام؛ ثم أنشدني القصيدةَ. قال الزُّبيرُ: وهي أجود ما قال.

[توبة نُصيب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا: حَدَّثنا المدائني عن أبي بكر الهُذَلِيّ عن أيوب بن شاس، ونَسَخْتُ هذا الخبرَ من كتاب أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس ـ وروايته أتم من رواية عمر بن شَبَّة ـ قال أيوب: حَدَّثني عبد اللَّه بن سعيد: أنَّ النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمَّا ولِي الخلافة؛ فَقَالَ لَهُ: هِيه يا أسود:

بـزيـنَـبَ أَلْـمـم قَـبـل أَن يَـرحَـل الـرَّكـب وَقُـل إِن تَـمَـلّـيـنـا فَـمـا مَـلَّـك الـقَـلـبُ

[الطويل]

أأنت الذي تَشهَر النساء وتقول فِيهنَ! فقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي قد تركت

(١) ورد في بعض المصادر «محبة» بدل «مودة».

ذلك وتُبْتُ من قولِ الشعر، وكان قد نَسَكَ؛ فأثنى عليه القومُ وقالوا فيه قولاً جميلاً؛ فقال له: أمَّا إذ أثنى عليك القومُ فَسَلْ حاجتَكَ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، لي بُنيَّاتٌ سويداوات أَرغَب بهنَّ عن السودان ويَرْغب عَنْهُنّ البيضان، فإنْ رأيْتَ أن تفرض لهن فافعل؛ فَفَعَلَ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن شبيب عن محمد بن المؤمّل بن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحَّاك الحِزامي قال: خَرَجْتُ على بعير لي أريد الحج، فَنَزَلْتُ في فِنَاء خيمة بالأبواء[1]، فإذا جاريةٌ قد خَرَجت مِنَ الخيمة ففتحت الباب بيديها؛ فاستلهاني حسنُها، فَتَمَثَّلْتُ قول نُصَيب:

بزينَبَ أَلْمم قَبل ان يَرحَل الرَّكبُ وَقُل إِن تَمَلّينا فَما مَلَّك القَلبُ

[الطويل]

فقالَتِ الجاريةُ: أتعرف قائِلَ هذا الشعر؟ قُلْتُ: نعم، ذاك نُصَيب؛ قالت: أفتعرف زينبَ هذه؟ قُلْتُ: لا؛ قالت: فأنا واللَّه زينبُهُ، وهو اليوم الذي وعدني فيه الزيارةَ، ولَعَلَّكَ لا ترحَل حتى تراه. فَوَقَفْتُ ساعة فإذا أنا بِرَاكَبٍ قد طَلَعَ فَجَاءَ حتى أناخ قريباً منها، ثم نَزَلَ فَسَلَّمَ عليها وسَلَّمَتْ عليه فقلت: عاشقان التقيا ولا بدّ أن يكون لهما حاجة، فَقُمْتُ إلى راحلتي فَشدِدْتُ عليها؟ فقال: على رِسْلِك، أنا معك؛ فَلَبِثَ ساعةً ثم رَحَلَ وَرَحَلْتُ معه؛ فقال لي: كأَنَّكَ قُلْتَ في نَفْسِكَ كذا وكذا؛ قلت: قد كان ذاك! فقال: لا، وربِّ الكعبة البَنيَّة المستورة ما جَلَسْتُ معها مَجْلِساً قطُّ هو أقربُ من هذا.

حَدَّثني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدَّثني حَمَّاد بن إسحاق قال: قال لي أبو ربيعة: لو لم تكن هذه القصيدة:

بزينَبَ أَلْمم قَبل أَن يَرحَل الرَّكب

لِنُصيب، شِعرَ من كانت تُشبه؟ فَقُلْتُ: شعر امرىء القيس، لأنَّها جزلة الكلام جيدة. قال: سبحان اللَّه! قُلْتُ: ما شأنُكَ؟ فقال: سَأَلْتُ أباكَ عن هذا فقال لي مِثْلَ ما قلتَ، فَعَجِبْتُ من اتفاقكما.

قال هارون وحَدَّثني حَمَّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفيّ عن رَجُلٍ سماه

(١) الأبواء: قرية جامعة بين مكة والمدينة شرفهما اللَّه تعالى وسطاً من المسافة، ومعنى الأبواء أخلاط من الناس، وفي واديها من نبات الطرفاء ما لا يعرف بواد أكثر منه، وهي قرية حصينة كثيرة الأهل وماؤها من الآبار، والبحر منها قريب، وبينها وبين السقيا سبعة وعشرون ميلاً، وبها ماتت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، ورسول اللَّه ﷺ ابن ست سنين، وكانت قدمت به ﷺ المدينة على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم فماتت وهي راجعة به ﷺ إلى مكة، فكان ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم.

قال: أتاني مُنْقذٌ الهلالي ليلةً وضَرَبَ عليّ البابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هذا. فقال: منقذ الهلاليّ؛ فَخَرَجْتُ فَزِعاً، فَقُلْتُ: فيم السُّرى ـ أي ما جاء بك تسري إليّ ليلاً ـ في هذه الساعة؟ قال: خير، أتاني أهلي بدجاجةٍ مشويَّةٍ بين رغيفين، فَتَغَدَّيْتُ بها معهم، ثم أُتِيت بقنِّينة نبيذ قد التقى طرفاها، فَشَرِبْتُ وذَكَرْتُ قول نُصَيب:

بـزيـنَـبَ أَلْـمـم قَـبـل ان يَـرحَـل الـرَّكـب

فَأنشَدْتُها فأطرَبَتْنِي، وفَكَّرت في إنسان يفهمُ حُسن ذلك ويَعْرِفُ فَضْلَهُ فلم أجدْ غيرَكَ فأتَيْتُكَ. فَقُلْتُ: ما جاء بك إلا هذا؟! قال: لا، وانصرف.

قال حَمَّادُ: معنى قوله: «التقى طرفاها»، أي قد صَفَتْ وراقت فأسفلها وأعلاها سواء في الصفاء.

ومما يُغنَّى فيه من قصيدة نُصيب البائيَّة المذكورة قولُهُ:

صـــوت

خَـلـيـلـيَّ مـن كَـعْـبٍ أَلَـمَّـا هُـدِيـتُـمـا ... بِـزيـنَـبَ لا تَـفـقِـدكُـمـا أبـداً كَـعـبُ

مِـنَ الـيَـوم زُوراهـا فـإنَّ رِكـابَـنـا ... غـداةَ غـدٍ عَـنـهـا وعـن أَهـلَـهـا نُـكْـب

[الطويل]

الغناءُ لمالك خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة.

صـــوت

من المائة المختارة
على رِوَاية جحظة عن أصحابه

أَلَـنَّـشْـرُ مِـسْـكٌ والـوُجُـوهُ دَنـا ... نِـيـرٌ وأَطْـرافُ الـبَـنـانِ عَـنَـمْ

والـدَّارُ وحْـشٌ والـرُّسُـومُ كَـمـا ... رَقَّـشَ فـي ظَـهْـرِ الأَدِيـم قَـلَـمْ

لَـسْـتُ كـأقـوام خـلائِـقُـهُـم ... نَـثُّ أحـاديـث وهـتـكُ حُـرَمْ

[السريع]

ـ نَثُّ الحديث: إشاعته. والعَنَم: شجر أحمر، وقيل: بل هو دود أحمر كالأساريع يكون في البقل في أيَّام الربيع. والأديم: الجلد. وجلد كل شيء أديمه. ورقَّشَ: زين ـ الشعر لمرقِّش الأكبر، والغناءُ لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها.

أخبار المرقش الأكبر ونسبه

[لقبه]

المرقِّش لَقَبٌ غَلَبَ عليه بقولِهِ:

أَلَـــدَّارُ وَحـــشٌ والـــرُّسُـــومُ كَـــمـــا رَقَّـــشَ فـــي ظَـــهْـــرِ الأَدِيـــمِ قَـــلَـــمْ

[السريع]

[عوف بن مالك المعروف بالبرك]

وهو أحد من قال شعراً فَلُقِّبَ بِهِ. واسمه ـ فيما ذكر أبو عمرو الشيباني ـ عمرو. وقال غَيْرُهُ: عَوف بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعْلَبة الحِصْن بن عُكَابة بن صَعب بن علي بن بكر بن وائل. وهو أحد المتيَّمين. كان يهوى ابنةَ عَمه أسماءَ بنت عوف بن مالك بن ضُبَيعة، وكان المرقِّش الأصغر ابن أخي المرقِّش الأكبر. واسمه فيما ذكر ـ أبو عمرو ـ ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك. وقال غيرُهُ: هو عمرو بن حَرْمَلة بن سعد بن مالك. وهو أيضاً أحد المتيَّمين، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويَتَشَبَّبُ بها. وكان للمرقشين جميعاً موقعٌ في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب، وبأسٌ وشجاعة ونجدة وتقدُّم في المشاهد ونكايةٌ في العدوِّ وحسنُ أثر. كان عوف بن مالك بن ضُبَيْعة عمُّ المرقِّش الأكبر من فرسان بكر بن وائل. وهو القائلُ يوم قِضَة: يا لَبكر بن وائل، أفي كلِّ يوم فرار! ومَحلوفي لا يمرُّ بي رجل من بكر بن وائل مُنْهَزِماً إلا ضَرَبْتُهُ بسيفي. وبَرَكَ يُقَاتِلُ؛ فَسُمِّيَ البُرَكَ يومئذ.

[عمر بن مالك وأسره لمهلهل]

وكان أخوه عمرو بنُ مالِكٍ أيضاً مِنْ فُرسان بكر، وهو الذي أسرَ مُهَلهلاً، التقيا في خَيْلين مِنْ غَيْرِ مُزَاحفة في، بعض الغارات بين بكر وتغلب، في مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ نَقا الرَّمل، فانهزَمَتْ خَيْلُ مهلهل وأدرَكَه عمرو بن مالك فأسَرَهُ فانطَلَقَ بِهِ إلى قومِهِ، وهُمْ في نواحي هَجَر[1]، فَأحسَنَ إسارَه. ومرَّ عَليه تاجِرٌ يبيعُ الخمر قَدِمَ بها من هَجَر،

(١) هجر: قصبتها الصفا وبينها وبين اليمامة عشرة أيام وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوماً على الإبل لقربها من ديار بكر وتغلب.

وكان صديقاً لِمُهلهل يشتري مِنْهُ الخمر، فأهدى إليه وهو أسيرٌ زِقّ خمرٍ فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكراً وشربوا عند مهلهل في بيته ـ وقد أفرد له عمرو بيتاً يكون فيه ـ فلما أخذ فيهم الشرابُ تَغَنَّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كُلَيب؛ فَسَمِعَ ذلك عمرو بن مالك فقال: إنه لريَّان، واللَّه لا يشربُ ماءً حتى يَرِدَ رَبيبٌ ـ يعني جملاً كان لعمرو بن مالك، وكان يتناولُ الدَّهاس[١] من أجواف هجر فَيَرْعَى فيها غَبًّا بعد عشر في حَمّارة القَيْظِ ـ فَطَلَبَتْ رُكبانُ بني مالك ربيباً وهم حِراص على ألا يُقتَل مهلهل، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً. وَنَحَرَ عمرو بن مالك يَوْمَئِذٍ ناباً فأسرَجَ جلدها على مهلهل وأخرج رأسه. وكانت بنتُ خال مهلهل امرأتُهُ بنتُ المُحلِّل أحدِ بني تغلب قد أرادت أن تأتيه وهو أسير؛ فَقَالَ يَذْكُرُها:

ظَبْيَةٌ ما ٱبنَةُ المُحَلِّلِ شَنْبا ءُ[٢] لَعُوبٌ لَذيذَةٌ في العِناقِ[٣]

[الخفيف]

فلما بَلَغَها ما هو فيه لم تأتِهِ حتى مات. فكان هَبَنَّقَةُ القيسيّ أحدُ بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثَرْوان يقول ـ وكان مُحَمَّقاً وهو الذي تضرب به العربُ المثلَ في الحمق ـ : لا يكون لي جمل أبداً إلا سَمَيْتُهُ ربيباً (يعني أنَّ ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهلاً). ذَكَرَ ذلك أجمعَ، ابنُ الكلبي وغيرُهُ من الرواة. والقصيدة الميميَّة التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقش يقولها في مَرثِيَّةِ ابن عم له. وفيها يقول:

بَلْ هَلْ شَجتْكَ الظُّعْنُ[٤] باكِرَةً كأنَّهنَّ النَّخيلُ[٥] مِنْ مَلْهَمْ[٦]

[السريع]

---

(١) ابن عبّاد: الدَّهْس: النَّبت الذي لم يَغلِب عليه لون الخُضرَة. والدَّهْس والدَّهَاس ـ مثال نَبْت ونَبَات ـ : المكان السهل اللَّيِّن لا يَبْلُغُ أن يكون رَمْلاً وليس هو بِتُراب ولا طين.

(٢) الشنباء: الشَّنَبُ: حِدَّةٌ في الأسنان، ويقال بَرْدٌ وعُذوبَةٌ. وامرأةٌ شَنْباءُ، بَيِّنَةُ الشَّنَبِ. قال الجَرْميّ: سمِعت الأصمعيَّ يقول: الشَّنَبُ: بَرْدُ الفم والأسنانِ. فقلت: إنّ أصحابنا يقولون: هو حِدَّتُها حين تَطْلَعُ، فيراد بذلك حداثَتُها وطراءَتُها، لأنَّها إذا أتت عليها السِّنون احتكَّت. فقال: ما هو إلا بَرْدُها. وقول ذي الرُّمَّة:

لَمْياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللِّثاتِ وفي أنيابها شَنَبُ

(٣) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

طِفلَةٌ ما ٱبنَةُ المُجَلِّلِ بَيضا ءُ لَعوبٌ لَذيذَةٌ في العِناقِ

(٤) مَرَّت الظعن والأظعان والظعائن وهي الجمال عليها الهوادج.

(٥) في المفضليات «كأنهن النخل..».

(٦) ملهم: أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل.

[عشقه]

قال أبو عمرو ـ ووافقه المفضل الضّبيّ ـ: وكان من خبر المرقش الأكبر أَنَّهُ عَشِقَ ابنة عمِّه أسماء بنتَ عَوْف بن مالك، وهو البُرَك، عَشِقها وهو غلام فَخَطَبَها إلى أبيها؛ فقال: لا أزوّجك حتى تُعرَف بالبأس ـ وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن ـ وكان يَعِدُهُ فيها المواعيد. ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك فكان عنده زماناً ومَدَحَهُ فأجازه. وأصاب عوفاً زمانٌ شديدٌ؛ فأتاه رَجُلٌ من مُراد أحدُ بني غُطَيف، فَأَرْغَبَهُ في المال فزوَّجَهُ أسماء على مائةٍ من الإبلِ، ثم تنحَّى عن بني سعد بن مالك. وَرَجَعَ مرقش، فقال إخوته: لا تخبروه إلَّا أَنَّها ماتت؛ فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عِظَامَهُ... ولَفُّوها في مِلْحَفَة ثم قبروها. فلما قَدِمَ مرقش عليهم أخبروه أَنَّها ماتت، وأتوا به مَوضِعَ القبر؛ فَنَظَرَ إليه وصار بعد ذلك يعتادُهُ ويزورُهُ. فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطَّى بثوبِهِ وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب، فقال أحدُهما: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقِّش أخبرناه أَنَّه قبرُ أسماء. فَكَشَفَ مَرقِّش، عن رأسه ودعا الغلام ـ وكان قد ضَنِيَ ضَناً شديداً ـ فَسَأَلَهُ عن الحديث فأخبره به وبتزويج المراديّ أسماء؛ فَدَعا مرقِّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيْلة كان عسيفاً[1] لمرقِّش، فَأَمَرَها بأن تدعو له زوجها فَدَعَتْهُ، وكانت له رواحِلُ فأمره بإحضارِها لِيَطْلُبَ المراديَّ عليها، فأحضره إياها، فَرَكِبَها ومضى في طلبِهِ، فَمَرِضَ في الطريق حتى ما يُحْمَل إلَّا معروضاً. وإنَّهما نَزَلا كهفاً بأسفل نجران، وهي أرض مراد، ومع الغُفَليّ امرأتُهُ وليدةُ مرقِّش فَسَمِعَ مَرقِّش زوجَ الوليدة يقول لها: اتركيه فقد هلك سُقماً وهلكنا معه ضُرًّا وجُوعاً. فَجَعَلَتِ الوليدةُ تَبْكِي من ذلك؛ فَقَالَ لها زوجها: أطيعيني، وإلا فإنِّي تارِكُكِ وذاهب. قال: وكان مَرقِّش يكتب، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْمَلَةَ ـ وكانا أحبّ ولده إليه ـ إلى نصرانيّ من أهل الحيرة فعلَّمهما الخطَّ. فلما سَمِعَ مَرقِّش قول الغُفَليّ للوليدة كَتَبَ مرقِّش على مؤخَّرة الرحل هذه الأبيات:

يـا صـاحِـبـيَّ تَـلَـبَّـثـا لا تَـعْـجَـلا إنَّ الـرواح رَهِـيـنُ أَنْ لا تَـفـعـلا[2]

---

(١) قيل: العَسِيْفُ العبد المستهان به، قال:

أطعت النفس في الشَّهَواتِ حتى أعادتني عَسِيْفاً عبد عبدِ

وعَسفْتُه: إذا استخدمته. والعَسِيْفُ لا يخلو من أن يكون فعيلاً بمعنى فاعل، كعليم، أو بمعنى مفعول، كأسير. فهو على الأول من قولهم، هو يَعْسِفُ ضيعتهم: أي يرعاها ويكفيهم أمرها، يقال كم أعْسَفُ عليك: أي كم أعمل لكَ. وعلى الثاني من العَسْفِ، لأن مولاه يَعْسِفُه على ما يريد.

(٢) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

يـا صـاحِـبـيَّ تَـلَـوَّمـا لا تَـعْـجَـلا إنَّ الـرَّحـيـلَ رَهِـيـنُ أَنْ لا تَـعْـذُلا

فَـلَـعَـلَّ لُـبـثَـكُـمـا يُـفَـرِّطُ سَـيِّـئـاً أَوْ يَـسْـبِـقُ الإِسْـراعُ سَـيْـبـاً مُـقْـبِـلا[1]
يـا راكِـبـاً إِمَّـا عَـرَضْـتَ فَـبَـلِّـغَـنْ أَنَـسَ بْـنَ سَـعْـدٍ إِنْ لَـقِـيـتَ وحَـرْمَـلا[2]
لِـلّـهِ دَرُّكُـمـا ودَرُّ أَبِـيـكُـمـا إِنْ أَفْـلَـتَ الـعَـبْـدان[3] حـتَّـى يُـقْـتَـلا
مِـنْ مُـبْـلِـغُ الأَقْـوامِ أَنَّ مُـرقِّـشـاً أَمْـسـى عـلـى الأَصْـحـابِ عِـبـئـاً مُـثْـقِـلا
وكـأَنَّـمـا تَـرِدُ الـسِّـبـاعُ بِـشِـلْـوهِ إِذْ غـابَ جَـمْـعُ بَـنـي ضُـبَـيْـعَـةَ مَـنْـهـلا

[الكامل]

قال: فانطلق الغفليّ وامرأتُهُ حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا: مات المرقِّش. ونَظَرَ حَرْمَلة إلى الرَّحل وجَعَلَ يُقَلِّبُهُ فَقَرَأَ الأبيات؛ فدعاهما وخوَّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا، فقتلهما. وقد كانا وصفا له الموضعَ، فَرَكِبَ في طلب المرقِّش حتى أتى المكانَ، فَسَأَلَ عن خبره فَعَرَفَ أنَّ مَرقِّشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها. فلما بصر به قال له: من أنت وما شأنُكَ؟ فقال له مرقِّش: أنا رجلٌ من مُرَاد، وقال للراعي: من أنت؟ قال: راعي فلان، وإذا هو راعي زوج أسماء. فقال له مرقِّش: أتستطيع أن تُكَلِّمَ أسماء امرأةَ صاحبِكَ؟ قال: لا، ولا أدنو منها، ولكن تأتيني جَارِيَتُها كلَّ ليلة فأحلُب لها عنزاً فتأتيها بلبنها. فقال له: خُذْ خاتمي هذا، فإذا حَلَبْتَ فألقه في اللبن، فإنَّها سَتَعْرِفُهُ، وإنك مُصيبٌ بِهِ خيراً لم يُصبْهُ راعٍ قطُّ إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الراعي الخاتم. ولما راحت الجارية بالقدح وحَلَبَ لها العنزَ طَرَحَ الخاتم فيه، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها. فلما سَكَنَتِ الرَّغوة أَخَذَتْهُ فشربته، وكذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثَنِيَّتها، فأخذته واستضاءت بالنار فَعَرَفَتْهُ؛ فَقَالَتْ للجارية: ما هذا الخاتم؟ قَالَتْ: ما لي به علم؛ فأرسلَتْها إلى مولاها وهو في شَرَفٍ بنجران، فأقبل فَزِعاً فقال لها: لِمَ دعوتِني؟ قالت له: ادعُ عبدك راعي غنمك فدعاه؛ فَقَالَتْ: سَلْهُ أين وجد هذا الخاتم! قال: وَجَدْتُهُ مع رجل في كهف خُبَّان. ـ قال: ويقال كهف جبار ـ فقال: اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنَّكَ مُصِيبٌ به خيراً، وما أخبرني من هو، ولقد تركته بآخر رَمَق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقِّش، فأَعجِل السَّاعة في طلبه. فَرَكِبَ فَرَسَهُ وحملها على فرسٍ آخر وسارا حتى طرقاه من ليلتهما

---

(١) ورد البيت على الشكل التالي:
فَـلَـعَـلَّ بُـطْـأَكُـمـا يُـفَـرِّطُ سَـيِّـئـاً أَوْ يَـسْـبِـقُ الإِسْـراعُ سَـيْـبـاً مُـقْـبِـلا

(٢) أنس بن سعد وحرملة هما أخوا مرقش.

(٣) ورد في بعض المصادر «الغفلي» بدل «العبدان».

فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء. وقال قبل أن يموت:

سَرى لَيْلاً خَيالٌ مِنْ سُلَيْمى ... فأَرَّقَني وأصْحابي هُجُودُ
فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كلَّ حالٍ ... وأَذكرُ[1] أَهْلَها وهُمُ بعيدُ
عَلى أَنْ قَدْ سَما طَرْفِي لِنارٍ ... يُشَبُّ لها بذِي الأَرْطى[2] وَقُودُ
حَوالَيْها مَهاً بِيضُ[3] التَّراقي ... وآرامٌ وغِزْلانٌ رُقُودُ
نَواعِمُ لا تُعالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ ... أَوانِسُ لا تُروحُ[4] وَلا تَرُودُ
يَرُحْنَ مَعاً بِطاءَ المَشْيِ بُدًّا[5] ... عليهنَّ المَجاسِدُ والبُرُودُ
سَكَنَّ ببلْدَةٍ وسَكَنْتُ أُخرى ... وقُطِّعَتِ المواثِقُ والعُهُودُ
فَما بالي أَفِي ويُخانُ عَهْدِي ... وما بالي أُصادُ وَلا أَصِيدُ
ورُبَّ أَسِيلةِ الخَدَّيْنِ بِكْرٍ ... مُنَعَّمَةٍ لها فَرْعٌ وجِيدُ[6]
وذُو أُشُرٍ[7] شَتِيتُ النَّبْتِ عَذْبٌ ... نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بَرُودُ
لَهَوْتُ بها زَماناً في شَبابي[8] ... وزارَتْها النَّجائِبُ والقَصِيدُ
أُناسٌ كلَّما أَخْلَقْتُ وَصْلاً ... عَنانِي منهُمُ وَصْلٌ جَدِيدُ

[الوافر]

ثم مات عند أسماء، فَدُفِنَ في أرض مُراد.

وقال غيرُ أبي عمرو والمفضل: أتى رجل من مُراد يُقالُ له قرنُ الغزال، وكان مُوسِراً، فَخَطَبَ أسماء وخطبها المرقِّش وكان مُملِقاً، فَزَوَّجَها أبوها من المراديّ سراً؛ فَظَهَرَ على ذلك مرقِّش فقال: لئن ظَفَرْتُ به لأقتلنَّه. فلما أراد أن يهتديها[9] خافَ

(١) ورد في بعض المصادر «وأرقب» بدل «وأذكر».
(٢) الأَرْطى: شجرٌ من شجر الرمل. واحدته أَرْطاةٌ. وبعير مَأْروطٌ وأَرْطَوِيٌّ إذا كان يأكل الأَرْطى. والأَريطُ من الرجال: العاقرُ. وأَرَطَتِ الأرضُ: أخرجت الأَرْطى.
(٣) ورد في بعض المصادر «جمٌّ» بدل «بيض». ويريد الشاعر أن يقول إن عظامها قد غمرها اللحم فلا حجم لها.
(٤) ورد في بعض المصادر «لا تراح» بدل «تروح».
(٥) بد: جمع أبد والأنثى بداء. وهو كثرة لحم في الفخذين حتى تصطكا.
(٦) يستخدم هذا البيت في كتب النحو كمثل على حذف الصفة وإبقاء الموصوف، أي لها فرع فاحم وجيد طويلة. إذ هذا البيت للمدح، وهو لا يحصل بإثبات الفرع والجيد مطلقين بل بإثباتهما موصوفين بصفتين محبوبتين.
(٧) تَأْشيرُ الأسنانِ: تَحْزيزُهاوتحديدُ أطرافها والجُعَلُ مُؤَشَّرُ العَضُدين.
(٨) ورد في بعض المصادر «من شبابي» بدل «في شبابي».
(٩) يقالُ: اهتدى الرجل امرأته إذا جامعها إليه وضمّها.

أهلها عليها وعلى بعلها من مرقِّش، فَتَربَّصوا بها حتى عَزَبَ مرقِّش في إبله، وبنى المراديُّ بأسماء واحتملها إلى بلده. فلما رَجَعَ مرقِّش إلى الحيّ رأى غُلاماً يَتَعَرَّقُ عظماً؛ فقال له: يا غلام، ما حدث بعدي في الحيّ؟ وأوجس في صدره خيفةً لما كان؛ فقال الغلام: اهتدى المراديُّ امرأتَهُ أسماء بنت عوف. فَرَجِعَ المرقِّش إلى حيِّه فَلَبِسَ لأَمته وَرَكِبَ فرسه الأغرّ، واتَّبَعَ آثارَ القوم يريد قتلَ المراديّ. فلما طَلَعَ لهم قالوا للمراديّ: هذا مرقِّش، وإن لقيك فنفسك دون نفسه. وقالوا لأسماء: إنه سَيَمُرُّ عليك، فأطلعي رأسك إليه واسفِري، فإنَّه لا يرميك ولا يضرّك، ويلهو، بحديثك عن طلب بعلك، حتى يلحقَه إخوته فيردّوه. وقالوا للمراديّ: تَقَدّم فَتقدّم. وجاءهم مرقِّش. فلما حاذاهم أطلَعَت أسماءُ من خدرِها ونادته، فَغَضَّ[١] من فرسِهِ وسارَ بقربِها، حتى أدركه أخواه أنَسٌ وحَرْمَلة فعذلاه وردَّاه عن القوم. ومضى بها المُراديّ فألحقها بحيِّه. وضَنِيَ[٢] مرقِّش لفراق أسماء. فقال في ذلك:

أَمِنْ آلِ أَسماءَ الرُّسومُ[٣] الدَّوارِسُ تُخَطِّطُ فيها[٤] الطَّيْرُ قَفْرٌ بَسابِسُ

[الطويل]

وهي قصيدة طويلة. وقال في أسماء أيضاً:

أَغالِبُكَ القلبُ اللَّجوجُ صَبابَةً وشوقاً إلى أسماءَ أمْ أنتَ غالبُهْ
يهيمُ ولا يعْيا بأسماء قلبُه كذاك الهوى إمرارُه وعواقِبُهْ
أيُلحى امرؤ في حبِّ أسماءَ قد نأى بِغَمْزٍ من الواشين وازوَرَّ جانبُهْ
وأسماءُ هَمُّ النفس إن كنتَ عالماً وبادي أحاديثِ الفؤادِ وغائبُهْ
إذا ذكرَتْها النفسُ ظِلْتُ كأنَّني يُزعزعني قفقاف[٥] وِرْدٍ[٦] وصالبُهْ[٧]

[الطويل]

---

(١) غضّ من فرسه إذا نقص من غربه وحده.

(٢) ضَنِيَ الرجلُ ضَنًى شديداً اذا كان به مَرَضٌ مُخامِرٌ، كلَّما ظنَّ أنَّه بَرَأ نُكِسَ، قال:

اذا ارْعَوَى عاد الى جَهْلِهِ كذي الضَّنَى عاد الى نُكْسِه

وقد أضْناهُ المَرَضُ إضناءً. وَضَنِيتُ: دَوِيتُ.

(٣) ورد في بعض المصادر «الطلول» بدل «الرسوم».

(٤) تخطط الطيور: ترعى.

(٥) القفقاف: اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه.

(٦) ووردته الحمّى. وهو يوم الورد. قال:

إذا ذكرتها النفس ظلت كأنما علاها من الورد التهامي أفكل

ووُرِد المحموم فهو مورود.

(٧) صالبه: شدّة حرارته مع رعدة.

[كان مع المجالد بن ريان في غارته على بني تغلب]

وقال أبو عمرو: وقع المجالد بن ريان ببني تغلب بِجُمْران[١] فَنَكى فيهم وأصاب مالاً وأسرى، وكان معه المرقِّش الأكبر، فقال المرقِّش في ذلك:

أَتَتْنِي لِسانُ[٢] بَنِي عامِرٍ ... فَجَلَّتْ أَحادِيثُها[٣] عَنْ بَصَرْ
بِأَنَّ بَنِي الوَخْمِ[٤] سارُوا مَعاً ... بِجَيْشٍ كَضَوْءِ نُجُومِ السَّحَرْ[٥]
بِكُلِّ خَبوبٍ[٦] الَسُّرى نَهْدَةٍ[٧] ... وكُلِّ كُمَيْتٍ طُوالٍ أَغَرّ
فَما شَعَرَ الحَيُّ حَتَّى رَأَوْا ... بَرِيقَ[٨] القَوانِسِ[٩] فَوقَ الغُرَرْ[١٠]
فأَقْبَلْنَهُمْ ثُمَّ أَدْبَرْنَهُمْ ... فأَصْدَرْنَهُمْ قَبْلَ حِينِ الصَّدَرْ
فَيا رُبَّ شِلْوٍ[١١] تَخَطْرَفْنَه[١٢] ... كَرِيمٍ لَدى مَزْحَفٍ أَو مَكَر
وكائِنْ بِجُمْرانَ مِنْ مُزْعَفٍ ... ومِنْ رَجُلٍ وَجْهُهُ قد عُفِرْ

[المتقارب]

المرقش الأصغر

فهو ـ على ما ذكر أبو عمرو ـ رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة. والمرقِّش الأكبر عمّ الأصغر، والأصغر عمّ طَرَفَة بن العبد. قال أبو عمرو: والمرقِّش الأصغر أشعر المرقِّشَين وأطولهما عُمراً. وهو الذي عَشِقَ فاطمة بنت المُنْذِر، وكانت لها وليدةٌ يُقالُ لها بنت عَجْلان، وكان لها قَصْر بكاظمة[١٣]، وعليه حَرَس. وكان

(١) جمران: موضع ببلاد الرباب، أو هو ماء.
(٢) اللسان: الرسالة.
(٣) جلى أحاديثها عن بصر: أي كشفت أحاديثها العمى.
(٤) بنو الوخم: بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة.
(٥) نجوم السحر: هي النجوم التي تطلع في آخر الليل، وهي كبار النجوم ودراريها وهي المضيئة منها.
(٦) ورد في بعض المصادر «نسول» بدل «خبوب».
(٧) نهدة: ضخمة.
(٨) ورد في بعض المصادر «بياض» بدل «بريق».
(٩) قال النضر: القَوْنَسُ في البيضة سُنْبكها الذي فوق جُمجمتها وهي الحديدة الطويلة في أعلاها، والجمجمة ظهر البيضة، والبيضة التي لا جمجمة لها يقال لها المؤَأَّمة.
(١٠) الغرر: السادة من الرجال. (١١) الشلو: بقية الجسد.
(١٢) تخطرفنه: استلبنه.
(١٣) كاظمة: على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها آبار كثيرة.

الحرس يَجُرّون كل ليلة حَوْلَهُ الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان. وكان لِبِنْتِ عجلان في كُلِّ لَيْلَةٍ رجل من أهل الماء يبيتُ عندها. فقال عمرو بن جَنَاب بن مالك لِمُرقِّش: إنَّ بنت عجلان تأخذُ كلَّ عَشِيَّة رَجُلاً مِمَنْ يُعْجِبُها فَيَبِيْتُ معها. وكان مرقِّش تَرْعِيَّةً[1] لا يُفَارِقُ إبلَهُ، فأقامَ بالماء وترك إبلَهُ ظَمْأَى، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شَعْراً. وكانت فاطمةُ بنتُ المنذر تقعد فوق القصر فَتَنْظُرُ إلى الناس. فجاء مرقِّش فَبَاتَ عند ابنة عجلان؛ حتى إذا كان من الغد تجرَّدَتْ عِنْدَ مولاتها. فقالَتْ لها: ما هذا بفخذيك؟ ـ وإذا نُكَتٌ كأنَّها التينُ وكآثارِ السِّياط من شِدَّةِ حَفْزه إياها عند الجماع ـ قالت: آثار رجل بات معي الليلة. وقد كانَتْ فاطمةُ قالت لها: لقد رَأَيْتُ رَجُلاً جميلاً راح نَحْوَنا بالعشِيَّة لم أره قبلَ ذلك؛ قالت: فإنَّه فتى قَعَدَ عن إبله وكان يرعاها، وهو الفتى الجميل الذي رأيْتُهُ، وهو الذي بات معي فأثر فيَّ هذه الآثار. قالت لها فاطمة: فإذا كان غدٌ وأتاك فقدِّمي له مِجْمَراً ومُرِيه أن يَجْلِسَ عليه وأعطيه سِواكاً، فإن استاك به أو ردّه فلا خير فيه، وإنْ قَعَدَ على المجمر أو ردّه فلا خير فيه. فأتَتْهُ بالمجمر فقالت له: اقعُدْ عليه، فأبى وقال: أدنيه مني، فَدخَّنَ لِحيته وجُمّته وأبى أن يقعدَ عليه، وأخذَ السِّواك فَقَطَعَ رأسَهُ واستاك به. فَأَتَتْ ابنةُ عجلان فاطمةَ فأخبرتها بما صَنَعَ؛ فازدادت بِهِ عَجَباً وقالت: ائتيني به. فَتَعَلَّقَتْ بِهِ كما كانت تتعلق، فمضى معها وانصرف أصحابه. فقال القوم حين انصرفوا: لشَدَّ ما عَلِقَت بنت عَجلان المرقِّش! وكان الحرسُ يَنْثُرون التراب حول قُبَّة فاطمه بنت المنذر ويَجرُّون عليه ثوباً حين تُمْسِي ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلا ابنةُ عجلان، فإذا كان الغدُ بَعَثَ الملكُ بالقافة فينظرون أثرَ من دخل إليها ويعودون فيقولون له: لم نَرَ إلا أثر بنت عجلان. فلما كانت تلك الليلة حَمَلَتْ بنتُ عجلان مرقِّشاً على ظهرها وحَزَمَتْهُ إلى بطنها بِثَوبٍ، وأدخلته إليها فَبَاتَ مَعَها. فلما أصبح بَعَثَ الملكُ بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا: نَظَرْنا أثر بنت عجلان وهي مُثْقَلة. فَلَبِثَ بذلك حيناً يَدْخُلُ إليها. فكان عمرو بن جَنَاب بن عوف بن مالك يرى ما يُفْعَل ولا يَعرِف مذهبه. فقال له: ألم تكن عاهدتني عهداً لا تَكْتُمنِي شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب؟! فأخبرَهُ مرقِّشٌ الخبرَ؛ فقال له: لا أرضى عنك ولا أُكَلِّمك أبداً أو تُدخلني عليها، وحلف على ذلك. فانطلقَ المرقِّش إلى المكان الذي كان يُواعِدُ فيه بنتَ عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يَصْنَعُ، وكانا متشابهين غير أنَّ عمرو بن جناب كان أشعر، فأتَتْهُ بنت عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمَرَهُ بِهِ مرقِّش. فلما أراد مباشرتها وجدَتْ شعرَ

(١) رجلٌ تَرْعِيَّةٌ وتُرْعِيَّةٌ، للذي يجيد رِعْيَة الإبل. ويقال أيضاً: رجلٌ تِرْعايَةٌ في معنى تِرْعِيَّةٍ.

فخذيه فاستنكَرَتْهُ، وإذا هو يُرْعَد، فَدَفَعَتْهُ بِقَدَمِها في صدرِهِ وقالت: قَبَّحَ اللَّه سرًّا عند المُعَيدي. وَدَعَتْ بنتَ عجلان فَذَهَبَتْ بِهِ، وانطلق إلى موضع صاحبه. فلما رآه قد أسرع الكَرَّةَ ولم يَلْبَثْ إلا قليلاً، عَلِمَ أنَّه قد افتَضَحَ، فَعَضَّ على إصبعِهِ فقطعها. ثم انطلق إلى أهلِهِ وتَرَكَ المالَ الذي كان فيه ـ يعني الإبل التي كان مُقيماً فيها ـ حياءً مما صَنَعَ. وقال مرقِّش في ذلك:

أَلا يا اسْلَمِي لا صُرْمَ لِي اليومَ فاطِما ... ولا أَبَداً ما دامَ وَصْلُكِ دائِما
رَمتْكَ ابْنَةُ البَكْرِيِّ عَنْ فَرْعِ ضالَةٍ[١] ... وهُنَّ بِنا خُوصٌ[٢] يُخَلْنَ نَعائِما
تَراءَتْ لَنا يومَ الرَّحيلِ بِوارِدٍ ... وعَذْبِ الثَّنايا لم يَكُنْ مُتَراكِما
سَقاهُ حَباب[٣] المُزْنِ في مُتَكَلِلٍ[٤] ... مِنَ الشَّمسِ رَوَّاهُ رَباباً سَواجِما
أَرَتْكَ بِذاتِ الضَّالِ منها مَعاصِماً ... وخَدًّا أَسِيلاً كالوَذِلَةِ[٥] ناعِما
صحا قَلْبُهُ عنْها عَلى أنَّ ذِكْرَةً ... إذا خَطَرَتْ دارتْ به الأرضُ قائِما
تبَصَّرْ خَلِيلي هل تَرى مِنْ ظَعائِنٍ ... خَرَجْنَ سِراعاً واقْتَعَدْنَ المَفائِما[٦]
تَحَمَّلْنَ مِنْ جَوِّ الوَرِيعةِ[٧] بَعْدَما ... تَعالى النَّهارُ واجْتَزَعَنْ الصَّرائِما[٨]

---

(١) الضال من السدر: ما لم يشرب الماء.

(٢) الخوص: ضيقُ العين وصِغَرها. وقيل: الخَوَص: أن تكون إحدى العينين أصغر من الأخرى. وقيل: هو ضيق مَشَقّها، خِلْقةً أو داءً.

(٣) ورد في بعض المصادر «حبيّ» وفي المفضليات «حيّ» بدل «حباب».

(٤) ورد في بعض المصادر «المتهدل» بدل «المتكلل».

(٥) أقبل عليّ بوجه كالوذيلة وهي المرآة أو القطعة من الفضة. قال الهذلي:

وبياض وجه لم تحل أسراره ... مثل الوذيلة أو كشنف الأنضر

(٦) الفِئام: الجماعة من النّاس وغيرهم، قال:

كأنّ مجامعَ الرّبلات منها ... فِئامٌ يَنهَضُون إلى فِئام

والفِئامُ: وطاءُ الهَوْدَج، والجمعُ: فُؤُمٌ. ورَحْلٌ مُفْأَمٌ: مَوَسَّع. والمُفْأَم من الإبل: الواسعُ الجوف، ويقال: أَفْئِمْ دَلْوَكَ، أي: زِدْ فيها.

(٧) الوَرِيعةُ اسم فرس، قال: ونِصابٌ اسم فرس كان لمالك بن نويرة وإنما يريد أَعْقَبَه الوَرِيعةَ من نسل نِصابٍ. والوَرِيعةُ: موضع؛ قال جرير:

أَحَقًّا رأَيْتَ الظَّاعِنِينَ تَحَمَّلُوا ... منَ الجَزْعِ، أَو واري الوَدِيعةِ ذي الأَثْلِ؟

وقيل: هو وادٍ معروف فيه شجر كثير؛ قال الراعي يذكر الهَوادِجَ:

يُخَيَّلْنَ من أَثْلِ الوَرِيعةِ، وانْتَحَى ... لها القَيْنُ يَعْقُوبٌ بفَأْسٍ ومِبْرَدِ

(٨) الصرائم: جمع صريمة وهي القطعة من الرمل تقطع من معظم الرمل.

تَـحَـلَّـيْـنَ يـاقُـوتـاً وشَـذْراً[١] وصِـيـغَـةً ... وجَـزْعـاً[٢] ظَـفـارِيًّـا[٣] ودُرًّا تَـوائِـمـا
سَلَكْنَ القُرى والجِزْعَ[٤] تُحْدى جِمالُهُمْ ... ووَرَّكْنَ[٥] قَوًّا[٦] واجْتَزَعْنَ[٧] المَخارِما[٨]
أَلا حَـبَّـذا وَجْـهٌ تُـرِيـك بَـيـاضَـهُ ... ومُنْسَدِلاتٍ[٩] كالمَثانِي[١٠] فواحِما[١١]
وإنِّـي لأَسْـتَـحْـيِـي فُـطَـيْـمَـةَ جـائِـعـاً ... خَـمِـيـصـاً وأستـحـيـي فُـطَـيْـمَـةَ طـاعِـمـا
وإنِّـي لأَسْـتَـحْـيـيكِ والـخَـرْقُ[١٢] بَـيْـنَـنـا ... مـخـافـةَ أَنْ تَـلْـقَـيْ أَخـاً لِـيَ صـارِمـا
وإنِّـي وإنْ كَـلَّـتْ قَـلُـوصِـي لَـراجِـمٌ ... بِـهـا وبـنَـفْـسـي يـا فُـطَـيْـمَ الـمَـراجِـمـا
أَلا يا اسْلَمي بالكَوْكَبِ الطَّلْقِ[١٣] فاطِما ... وإنْ لـم يَـكُـنْ صَـرْفُ الـنَّـوى مُـتَـلائِـمـا
ألا يـا اسْـلَـمـي ثـمَّ اعْـلَـمِـي أَنَّ حـاجَـتِـي ... إلـيـكِ فَـرُدِّي مِـنْ نَـوالِـكِ فـاطِـمـا
أَفـاطِـمَ لَـوْ أَنَّ الـنِّـسـاءَ بِـبَـلْـدَةٍ ... وأَنْـتِ بـأُخْـرَى لابـتـغـيـتُـكِ[١٤] هـائِـمـا
مـتـى مـا يَـشـأْ ذُو الـوُدِّ يَـصْـرِمْ خَـلِـيـلَـهُ ... ويَـغْـضَـبْ عـلـيـهِ لا مَـحـالَـةَ ظـالِـمـا
وآلـى جَـنـابٌ حِـلْـفَـةً فـأَطـعْـتُـهُ ... فَـنـفْـسَـكَ وَلِّ الـلَّـوْمَ إنْ كُـنْـتَ لائِـمـا
فـمـن يَـلْـقَ خَـيْـراً يَـحْـمَـدِ الـنَّـاسُ أَمْـرَهُ ... ومـن يَـغْـوِ لا يَـعْـدَمْ عـلـى الـغَـيِّ لائِـمـا
أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـمَـرْءَ يَـجْـذِمُ[١٥] كـفَّـهُ ... ويَجْشَمُ مِنْ لَوْمِ الصَّدِيقِ المَجاشِما[١٦]

(١) الشَّذْرُ من الذَّهَبِ: ما يُلْقَطُ من المعدن من غير إذابةِ الحجارةِ، والقطعةُ منه شَذْرَةٌ. والشَّذْرُ أيضاً: صغارُ اللؤلؤ.

(٢) الجَزْع: الواحدة: جَزْعة من الخرز. قال امرؤ القيس:

كـأنّ عـيـونَ الـوحـشِ حـولَ خـبـائـنـا ... وأَرْحُـلِـنـا الـجَـزْعُ الّـذي لـم يُـثَـقّـب

(٣) ظفار: بلد في اليمن ينسب إليها الجزع.

(٤) ناحيتا الوادي: جزِعاه. (٥) وركن: عدلن.

(٦) قوّ: منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة. (٧) اجترعن: قطعن.

(٨) طلع مخرم الجبل وهو أنفه. وهو طلاع المخارم. وعيش خرم: ناعم. وعن بعض العرب: كان أخي معها بعيش خرم، فقيل له ما الخرم، فقال العيش الرغد.

(٩) الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر.

(١٠) المثاني: الحبل.

(١١) الفواحم: الشديدة السواد.

(١٢) مررنا بخريق من الأرض، وهي الواسعة الكثيرة النبات.

(١٣) يومٌ طَلْقٌ وليلةٌ طَلْقٌ أيضاً، إذا لم يكن فيها قُرٌّ ولا شَيء يؤذي.

(١٤) ورد في بعض المصادر «لاتَّبَعْتُكِ» بدل «لابتغيتك»

(١٥) يجذم: يقطع.

(١٦) يجشم: يركب المكروه.

أَمِنْ حُلُمٍ أَصْبَحْتَ تَنْكُتُ[١] واجِماً[٢] وقَد تَعتَرِي الأَحلامُ مَنْ كانَ نائِما
[الطويل]

صوت

من المائة المختارة

إذَا قُلْتُ تسلو النفسُ أو تنتهي المُنى أبى القلبُ إلَّا حبَّ أمِّ حكيم
مُنَعَّمَةٌ صفراءُ حُلْوٌ دلالُها أبيتُ بِها بعدَ الهُدُوء[٣] أهِيم
قَطُوفُ الخُطا[٤] مَحطوطةُ المتنِ[٥] زانها مع الحُسن خَلْقٌ في الجمال عَمِيم
[الطويل]

الشعرُ مُخْتَلف في قائلِهِ، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبد اللَّه العَبْشَمي، ومنهم من يرويه لِقَطَرِيّ بن الفُجاءة المازِنيّ، ومنهم من يرويه لِعُبيدة بن هِلال اليَشكُريّ. والغناءُ لسياط، وله فيه لحنان: أحدهما، وهو المختار، ثقيلٌ أوَّل بالوسطى، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. ولبعض الشُّراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية، وفيها ذِكرٌ لأمِّ حكيم هذه أيضاً، تُنْسَبُ إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة، ويُخْتَلَفُ في قائلها كالاختلاف في قائل هذه. وفيها أيضاً غناء وهو في هذه الأبيات. منها:

لَعَمْرُكَ إنِّي في الحياة لَزَاهِدٌ وفي العيشِ ما لم ألقَ أُمَّ حَكيمِ
وَلَوْ شَهِدَتْني يومَ دُولاب أبصرَت طِعانَ فَتى في الحرب غيرِ ذميمِ
[الطويل]

ذَكَرَ المبرّد أنَّ الشعرَ لِقَطَريّ بن الفُجاءة[٦]، وذكر الهيثم بن عديّ أنه لِعَمْرو

(١) تنكتُ: خطط فيها بعود.
(٢) واجماً: حزيناً.
(٣) أتانا فلان وقد هَدَأَتِ الرِّجْلُ، أي بعد ما سكن الناس بالليل، وأتانا وقد هَدَأَتِ العيونُ، وأتانا فلان هُدوءاً، إذا جاء بعد نَوْمَةٍ؛ وبعد هُدْءٍ من الليل، أي بعد هَزيع من الليل؛ وبعد ما هَدَأَ الناس، أي ناموا.
(٤) قطوف الخطا: ضيقتها.
(٥) محطوطة المتن: ممدودة حسنة ومستوية.
(٦) قطري بن الفجاءة، هو جعونة بن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي أبو نعامة. شاعر الخوارج وفارسها وخطيبها والخليفة المسمّى أمير المؤمنين في أصحابه، وكان من رؤساء الأزارقة وأبطالهم. من أهل قطر بقرب البحرين كان قد استفحل أمره في زمن مصعب بن الزبير، لما ولي=

القنا[١]، وذكر وَهب بن جِرير أنه لحبيب بن سهم التَّميمي، وذكر أبو مِخنَف أنه لعبيدة بن هلال اليَشْكُريّ[٢]، وذَكَرَ خالد بن خِداش أنَّه لعمرو القنا أيضاً. والغناء لمعبد ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس.

= العراق نيابة عن أخيه عبد اللَّه بن الزبير. وبقي قطري ثلاث عشرة سنة، يقاتل ويسلَّم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين والحجاج يسير إليه جيشاً إثر جيش ، وهو يردهم ويظهر عليهم. وكانت كنيته في الحرب نعامة و(نعامة فرسه) وفي السلم أبو محمد. قال صاحب سنا المهتدي في وصفه : كان طامة كبرى وصاعقة من صواعق الدنيا في الشجاعة والقوة وله مع المهالبة وقائع مدهشة، وكان عربياً مقيماً مغرماً وسيداً عزيزاً وشعره في الحماسة كثير، توفي سنة ٧٨هـ.

(١) عمرو بن عميرة العنبري السعدي التميمي، أبو المصدى. شاعر فحل من بني سعد بن زيد مناة، من تميم كان من رؤساء الأزارقة (الخوارج) وفرسانهم الشجعان الأشداء. يعرف بعمرو القنا. ويكنى بأبي المصدَّى. اشتهر بوقائعه في حروبهم مع المهلب. وكان حياً أيام اختلاف الأزارقة فيما بينهم (سنة٧٧هـ).

(٢) عبيد بن هلال اليشكري، أبو مالك. شاعر من رؤساء الأزارقة وشعرائهم الكبار وخطبائهم. كان في أول خروجه من المقدمين فيهم ، وأرادوا مبايعته فقال : أدلكم على من هو خير لكم مني قطري بن الفجاءة المازني. فبايعوا قطرياً ، وظل عبيدة إلى جانبه زمناً ، ووقع الخلاف بين الأزارقة ، ففارقه وانحاز إلى حصن قومس (في ذيل جبال طبرستان). وسير الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش عظيم ، فطلب قطري بن الفجاءة حتى لقيه في أحد شعاب طبرستان. وقتل قطري ، وتبع سفيان بن الأبرد عبيدة، وحاصره في حصن قومس إلى أن قتله وقتل من معه سنة ٧٧هـ.

خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران

وهي وقعة دولاب
وشيء من أخبار هؤلاء وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه

[وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة]

هذان الشعران قيلا في وقعة دولاب، وهي قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحوٌ من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مُسْلِم بن عُبَيس بن كُرَيز خليفةِ عبد اللَّه بن الحارث بن نَوْفَل بن عبد المطلب، وذلك في أيام ابن الزُّبير. أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شُبَّة عن المدائنيّ، وأخبرني بها عُبَيد اللَّه بن محمد الرازي عن الخرَّاز عن المدائنيّ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير بن حرب عن خالد بن خِداش: أنَّ نافعَ بن الأزرق، لمَّا تَفَرَّقَتْ آراءُ الخوارج ومذاهبُهم في أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس، وقد كان مُتَشَكِّكاً في ذلك. فقالت له امرأتُهُ: إنْ كُنْتَ قَدْ كَفَرْتَ بعد إيمانك وشَكَكْتَ فيه، فَدَعْ نِحْلَتَكَ ودَعْوتَكَ، وإنْ كُنْتَ قد خَرَجْتَ من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكُفَّارَ حيث لقيتهم وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. فَقَبِلَ قَوْلَها واستعرضَ[1] الناسَ وبَسَطَ سَيْفَهُ، فَقَتَلَ الرجالَ والنساءَ والولدان، وجعل يقول: إن هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم. وإذا وطيء بَلَداً فَعَلَ مثل هذا به إلى أن يُجيبَهُ أهلُهُ جميعاً ويدخلوا مِلَّتَهُ، فَيَرْفَعُ السيفَ ويضع الجباية فيجبي الخراجَ. فَعَظُمَ أمرُهُ واشتدَّتْ شوكته وفشا عمَّاله في السواد. فارتاع لذلك أهلُ البصرة ومشَوْا إلى الأحنف بن قيس فَشَكوا إليه أمرَهُم وقالوا له: ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان، وسيرتُهُم كما ترى، فقالَ لَهُمُ الأحنفُ: إنَّ سيرتَهم في مصرِكُم إنْ ظَفِروا به مثلُ سيرتهم في سوادكم، فخذوا في جهادِ عدوِّكم. وحَرَّضَهُم الأحنفُ، فاجتمعَ إليه عشرةُ آلاف رجل في السلاح. فأتاه عبدُ اللَّه بن الحارث بن نَوْفل، وسألَهُ أن يُؤمِّرَ عليهم أميراً، فاختارَ لهم مُسلم بنَ عُبَيس بن

(١) عرضهم على السيف أي قتلهم، وعلى النار أي أحرقهم. وعرض لفلان إذا جن.

كُرَيز بن رَبيعة، وكان فارساً شُجَاعاً ديِّناً، فأمَّره عليهم وشَيَّعَهُ. فلما نفذ من جِسْرِ البصرة أقبل على الناس وقال: إنِّي ما خَرَجْتُ لامتيار ذهب ولا فضة، وإنِّي لأُحارِبُ قَوْماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفُهم ورِماحهم. فَمَنْ كان من شأنِهِ الجهادُ فَلْيَنْهَضْ، وَمَنْ أحبَّ الحياةَ فَلْيَرْجِعْ. فَرَجَعَ نَفَرٌ يسيرٌ ومضى الباقون معه؛ فلما صاروا بِدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تَكَسَّرَتِ الرِّماحُ وعُقِرَتِ الخيلُ وكَثُرَتِ الجراحُ والقتلى، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد؛ فَقُتِلَ في المعركة ابنُ عُبَيس وهو على أهل البصرة، وذلك في جمادَى الآخرة سنةَ خمس وستين، وقُتِلَ نافعُ بن الأزرق يومئذٍ أيضاً؛ فَعُجِبَ الناس من ذلك، وأنَّ الفريقين تصابروا حتى قُتِلَ مِنْهُم خَلْقٌ كثيرٌ، وقُتِلَ رئيسا العسكرين، والشُّراة يومئذ ستُّمائة رجل، فَكَانَتْ الحدَّة يومئذ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سَدُوس. وأتى ابنُ عُبَيس وهو يجودُ بِنَفْسِهِ فاستخلَفَ على الناسِ الرَّبيعَ بن عمرو الغُدانيّ، وكان يُقالُ له الأجذم، كانت يَدُهُ أصيبت بكابُل مع عبد الرحمن بن سَمُرة. واستخلفَ نافعُ بن الأزرق عُبَيد اللَّه بن بشير بن الماحوز أحدَ بني سَليط بن يَرْبوع. فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يَرْبُوع، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يربوع، ورئيس الشُّراة من بني سَليط بن يربوع، فاتَّصَلَتِ الحربُ بينهم عشرين يوماً. قال المدائنيّ في خبره: وادَّعى قتلَ نافع بن الأزرق رجلٌ من باهلة يُقالُ له سلامة. وتحدَّث بعد ذلك قال: كُنْتُ لما قَتَلْتُهُ على بِرْذون[١] وَرْد فإذا أنا بِرَجُلٍ يُنَادي، وأنا واقف في خُمس[٢] بني تَميم، فإذا به يَعرض عليَّ المبارزةَ فَتَغَافَلْتُ عَنْهُ، وَجَعَلَ يَطْلُبُني وأنا أنتقلُ من خُمس إلى خُمس وليس يُزايلني، فَصِرْتُ إلى رَحْلِي ثم رَجَعْتُ فَدَعاني إلى المبارزة، فلما أكثر خَرَجْتُ إليه، فاختلفنا ضربتين فَضَرَبْتُهُ فَصَرَعْتُهُ، ونَزلْتُ فأَخَذْتُ رأسَهُ وسلبته، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعاً، فخرجت لتثأر به. قالوا: فلما قُتِلَ نَافِعٌ وابن عُبَيس ووُلِّي الجيش إلى رَبيع بن عمرو ولم يَزَلْ يُقَاتِلُ الشُّراة نَيِّفاً وعشرين يوماً، ثم أصبح ذات

(١) برذن: البِرْذَوْنُ: الدابة، معروف، وسَيْرَتُه البَرْذَنَةُ، والأُنثى بِرْذَوْنَةٌ، قال:

رأَيتُكَ، إذْ جالَتْ بكَ الخَيْلُ جَوْلةً، وأَنتَ على بِرْذَوْنةٍ غيرِ طائلِ

وجَمْعُه بَراذينُ. والبراذين من الخَيْلِ: ما كان من غير نِتاج العربِ. وبَرذَنَ الفرسُ: مَشَى مشيَ البَراذين. وبَرْذَنَ الرجلُ: ثَقُلَ؛ قال ابن دريد: وأَحسِبُ أَن البرْذَوْن مشتقّ من ذلك، قال: وهذا ليس بشيء، وحكي عن المؤرّج أَنه قال: سأَلتُ فلاناً عن كذا وكذا فبَرْذَنَ لي أَي أَعْيا ولم يُجِبْ فيه.

(٢) أخماس البصرة خمسة: الخمس الأول العالية، والثاني بكر بن وائل، والثالث تميم، والرابع عبد القيس، والخامس الأزد.

يوم فقال لأصحابِهِ: إنِّي مقتول لا محالة؛ قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إنِّي رَأَيْتُ البارحة كأنَّ يدي التي أُصيبت بكابُل انحطَّتْ من السماء فاستَشْلَتْنِي. فلما كان الغدُ قاتل إلى الليل ثم غاداهم[١] فَقُتِلَ يومئذٍ قال: استشلاه: أخذه إليه. يقال: استشلاه واشتلاه ـ قال: فلما قُتِلَ الربيع تدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَبَ إذ لم يكن لهم رئيس؛ ثم أجمعوا على الحجَّاج بن باب الحِمْيَريّ. وقد اقتتل الناسُ يومئذ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله، تطاعنوا بالرماح حتى تَقَصَفَتْ، ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لِأَحدٍ منهم قوة، وحتى كان الرجلُ مِنْهُم يضرب الرجل فلا يُغني شيئاً من الإعياء، وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون[٢] بالأفواه. فلما تَدَافَعَ القومُ الراية وأبوها واتفقوا على الحَجَّاج بن باب امتنع من أخذها. فقال له كُرَيب بن عبد الرحمن: خُذْها فإنَّها مَكرُمة، فقال: إنَّها لراية مشؤومة، ما أخذها أحدٌ إلا قُتِلَ. فَقَالَ له كُرَيب: يا أعور! تقارَعتِ العربُ على أمرها ثم صَيَّروها إليك فتأبى خوفَ القتلِ! خَذِ اللواءَ ويحك! فإنْ حَضَرَ أجلُكَ قُتِلْتَ إن كانت معك أو لم تكن. فأخذَ اللواءَ وناهضهم، فاقتتلوا حتى انتقَضَتِ الصفوفُ وصاروا كَراديسَ[٣] والخوارجُ أقوى عُدَّة بالدروع والجواشن[٤]. وَجَعَلَ الحجَّاجُ يُغْمِضُ عينيه ويحمل حتى يَغِيبَ في الشُّراةِ ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنَّه قَدْ قُتِلَ، ثم يرفع رأسَهُ وسيفُهُ يَقْطُرُ دماً، ويفتحُ عينيه فيرى الناسَ كراديسَ يُقَاتِلُ كلُّ قوم في ناحية. ثم التقى الحجَّاج بن باب وعمران بن الحارث الراسبيّ، فاختلفا ضربتين كلُّ واحد منهما قتل صاحبه، وجال الناسُ بينهما جولة ثم تحاجزوا؛ وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامّتُهم، وولَّوا حارثةَ بن بدر الغُدانيّ أمرَهم ليس بهم طِرْق[٥] ولا بالخوارج. فقالت امرأة من الشُّراة ـ وهي أم عمران قاتل الحجَّاج بن باب وقَتيله ـ ترثي ابنَها عِمران:

---

(١) غاداهم: باكرهم.

(٢) الكَدْم: العض بأدنى الفم، ككدم الحمار. والدواب تُكادِمُ الحشيش، إذا لم تستمكن منه. والكَدْمُ: اسم أثره، وجمعه: كُدُوم.

(٣) الكُرْدُوسَةُ، بالضَّمِّ: قِطْعَةٌ عَظيمَةٌ من الخَيْل: والجَمْع الكَرَادِيسُ، وهي كَتَائبُ الخَيْلِ، شُبِّهَتْ برُؤوُس العِظَام الكَثيرَة. وكُلُّ عَظمَيْن إلْتَقَيَا في مَفْصِل فهو كُرْدُوسٌ، نَحْو المَنْكِبَيْن والرُّكْبَتَيْن والوَرِكَيْن. وقيل: كُلُّ عَظْم كَثيرِ اللَّحْم.

(٤) ضرب جوشه وجوشنه أيّ صدره. وخرجوا عليهم الجواشن وهي الدروع جمع جوشن. ومن المجاز: مضى جوش من الليل وجوشن منه أي صدر. قال الطرماح:

وصلوا العشيّ إلى الجوا شن والغدو إلى الأصائل

(٥) الطرق: القوة.

أَلَـلَّـهُ أَيَّـدَ عِـمـرانـاً وَطَـهَّـرَهُ وَكـانَ عِـمـرانُ يَـدعـو الـلَّـهَ فـي الـسَّـحَـرِ
يَـدعـوهُ سِـرًّا وَإِعـلانـاً لِـيَـرزُقَـهُ شَـهـادَةً بِـيَـدي مِـلـحـادةٍ[١] غُـدَرِ[٢]
وَلَّـى صَـحـابَـتُـهُ عَـن حَـرِّ مَـلـحَـمَـةٍ وَشَـدَّ عِـمـرانُ كَـالـضَّـرغـامَـةِ[٣] الـذكـرِ[٤]

[البسيط]

قال: فلما عَقَدوا لحارثةَ بن بدر الرياسةَ وسلَّموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبُتوا، فإذا فَتَحَ اللَّه عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالي زيادة فريضة؛ فَنَدَبَ الناسَ فالتقوا وليس بأحد منهم طِرْق، وقد فَشَت فيهم الجِراحاتُ فلهم أنين، وما تطأُ الخيل إلا على القتلى. فبينما هم كذلك إذ أقبلَ من اليمامة جمعٌ من الشراة ـ يقول المكثِّر إنهم مائتان والمُعَلِّل إنَّهم أربعون، فاجتمعوا وهم مُريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبةً[٥] واحدة، فحملوا على المسلمين. فلما رآهم حارثة بن بدر[٦] نَكَصَ برايته فانهزَمَ وقال:

كَـرْنِـبـوا[٧] ودَوْلِـبـوا[٨] وحَـيْـثُ شِـئـتـم فـاذهـبـوا[٩]

[مجزوء الرجز]

وقال:

أيـر الـحـمـارِ فـريـضـةٌ لـعـبـيـدكـم والـخـصـيـتـان فـريـضـة الأعـرابِ

[الكامل]

---

(١) الملحادة: مفعال من الإلحاد، وهو كثير الالحاد.

(٢) وغدر: كثير الغدر.

(٣) الضِرْغامَةُ: الأسدُ. وضَرْغَمَ الأبطالُ بعضُها بعضاً في الحرب.

(٤) ورد في بعض المصادر «الهصر» بدل «الذكر». الكسرُ. وقد هَصَرَهُ واهْتَصَرَهُ، بمعنًى. وهَصَرْتُ الغُصنَ وبالغصنِ، إذا أخذت برأسه فأمَلْته إليك. قال امرؤ القيس:

فلـمَّـا تَـنـازَعـنـا الـحـديـثَ وأسـمـحَـتْ هَـصَـرْتُ بـغـصـنٍ ذي شَـمـاريـخَ ميَّـالِ

والهَيْصَرُ: الأسدُ؛ وهو الهَصورُ، والهَصَّارُ، والهُصَرُ.

(٥) قال تعالى: «فكبكبوا فيها» أي جمعوا، مأخوذ من الكبكبة.

(٦) حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني. تابعي، من أهل البصرة، وقيل أدرك النبي (ﷺ)، له أخبار في الفتوح، وقصة مع عمر، ومع عليّ، وأخبار مع زياد وغيره، في دولة معاوية وولده، وأمّر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرا (من نواحي الأهواز) فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه فغرقت بهم سنة ٦٤هـ.

(٧) كرنبوا: انزلوا كرنبى وهي موضع في الأهواز.

(٨) دولبوا: انزلوا دولاب.

(٩) قال الحارثة هذا البيت عندما خلف الحجاج بن باب على إمرة الجيش، وجاء الخوارج هذا المدد الكثير المريح حملوا على المسلمين فانهزموا، وبقي حارثة يناوش الخوارج بمنزل نزله بمن بقي معه بالأهواز.

وتَتَابَعَ الناسُ على أثرِهِ مُنْهَزِمين، وتبعتهم الخوارج، فالقوا أنفسَهُم في دُجَيْل[١] فَغَرِقَ منهم خلقٌ كثير وسلمت بَقِيَّتُهم. وكان ممن غَرِقَ دَغْفَل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان. ولَحِقَتْ قِطعةٌ من الشراة خيلَ عبد القيس فأكبُّوا عليهم، فَعَطَفَتْ عليهم خيلٌ من بني تَميم فعاونوهم وقاتلوا الشراة حتى كشفوهم وانصرفوا إلى أصحابِهم. وعَبَرَتْ بَقِيَّةُ الناس، فَصَارَ حارثةُ ومن معه بنهر تِيرَى[٢] والشُّراة بالأهواز، فأقاموا ثلاثة أيام. وكان على الأزد يومئذ قَبِيصة بن أبي صُفرة أخو المُهَلَّب، وهو جدّ هَزارُمَرْد . قال: وغَرِقَ يومئذ من الأزد عدد كثير. فقال شاعر الأزارقة:

يَـرَى مَـنْ جـاءَ يَـنْـظُـرُ مِـنْ دُجَـيْـلٍ شُـيـوخَ الأزْدِ طـافـيـةً لِـحَـاهَـا

[الوافر]

وقالَ شاعرٌ آخر منهم:

شَـمِـتَ ابـنُ بـدرٍ، والـحـوادثُ جـمّـةٌ والـظـالـمـون بـنـافـع بـن الأزرقِ
والـمـوتُ حـتـمٌ لا مـحـالـة واقِـعٌ مَـنْ لا يُـصَـبِّـحْـهُ نـهـاراً يَـطْـرق[٣]
فـلـئـن أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن[٤] أصـابـهُ ريـبُ الـمـنـون، فَـمَـنْ تُـصِـبْـه يَـغـلـقِ[٥]

[الكامل]

قال قَطَريُّ بن الفجاءة، فيما ذَكَرَ المُبَرّد، وقال المدائنيّ في خبرِه: إنَّ صالحَ ابن عبد اللَّه العَبْشَميّ قائلُ ذلك؛ وقال خالد بن خِداش: بل قائلها عمرو القنا؛ قال وهب بن جرير عن أبيه فيما حَدَّثني به أحمد بن الجَعْد الوَشَّاء عن أحمد بن أبي خَيْثمة عن أبيه عن وَهْب بن جَرير عن أبيه: إن حَبيب بن سَهم قائلها:

لَـعَـمـرُكَ إنّـي فـي الـحَـيـاةِ لَـزاهِـدٌ وَفـي الـعَـيـشِ مـا لَـم أَلـقَ أُمَّ حَـكـيـمِ
مِـنَ الـخَـفَـراتِ الـبـيـضِ لَـم أرَ مِـثـلَـهـا شِـفـاءً لِـذي بَـثٍّ وَلا لِـسَـقـيـمِ
لَـعـمـرُك إنّـي يـومَ ألـطِـمُ وجـهـهـا عـلـى نـائـبـات الـدهـرغـيـرُ حـلـيـمِ
وَلَـو شَـهِـدَتـنـي يَـومَ دولابَ أَبـصَـرَتْ طِـعـانَ فَـتًـى فـي الـحَـربِ غَـيـرِ لَـئـيـمِ[٦]

(١) دُجيل: نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس، ومخرجه من أرض أصبهان ومصبه في بحر فارس.
(٢) تيرى: نهرٌحفره أردشير الأصغر بن بابك في بلدة تيرى من نواحي الأهواز.
(٣) طرق: أتاه ليلاً.
(٤) أمير المؤمنين هو نافع بن الأزرق أحد زعماء الخوارج.
(٥) يغلق: أي لا ينفك ولا ينجو.
(٦) ورد في بعض المصادر «ذميم» بدل «لئيم».

غَـداةَ طَـفَـتْ عَ الـمـاءِ بَـكـرُ بـنُ وائِـلٍ وَأُلّافـهـا مِـن حِـمـيـرٍ[١] وَسَـلـيـمِ[٢]
وَمـالَ الـحِـجـازِيّـونَ نَـحـوَ بِـلادِهِـم وَعُـجْـنـا صُـدورَ الـخَـيـلِ نَـحـوَ تَـمـيـمِ
وَكـانَ لِـعَـبـدِ الـقَـيـسِ أَوَّلُ جِـدِّهـا وَوَلَّـتْ شُـيـوخُ الأَزدِ فَـهِـيَ تَـعـومُ
فَـلَـم أَرَ يَـومـاً كـانَ أَكـثَـرَ مَـقْـعَـصـاً[٣] يَـمُـجُّ دَمـاً مِـن قـائِـظٍ[٤] وَكَـلـيـمِ[٥]
وَضـارِبَـةٍ خَـدًّا كَـريـمـاً عَـلـى فَـتًـى أَغَـرَّ نَـجـيـبِ الأُمَّـهـاتِ كَـريـمِ
أُصـيـبَ بِـدولابٍ وَلَـم تَـكُ مَـوطِـنـاً لَـهُ أَرضُ دولابٍ وَديـرُ حَـمـيـمِ[٦]
فَـلَـو شَـهِـدَتْـنـا يَـومَ ذاكَ وَخَـيـلُـنـا تُـبـيـحُ مِـنَ الـكُـفّـارِ كُـلَّ حَـريـمِ
رَأَتْ فِـتـيَـةً بـاعـوا الإِلـهَ نُـفـوسَـهُـم بِـجَـنّـاتِ عَـدنٍ عِـنـدَهُ وَنَـعـيـمِ

[الطويل]

حَدَّثني حبيب بن نصر المهلَّبي قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثنا خَلَّاد[٧] الأرقط قال: كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدِّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يَهيج بعضهم بعضاً. فتواقف يوماً عبيدة بن هِلال اليَشْكُريّ وأبو حُزابة[٨] التَّميمي وهما في الحرب؛ فَقَالَ عُبَيدة: يا أبا حُزابة، إنِّي سائلك عن أشياء، أَفَتُصْدقُني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تَضَمَّنَتْ لي مثل ذلك؛ قال: قد فَعَلْتُ. قال: سل عما بدا لك. قال: ما تقول في أئمتكم؟ قال: يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفَرْج الحرام. قال: ويحك! فكيف فِعْلُهُم في المال؟ قال:

---

(١) حِمْيَرٌ: أَبو قبيلة، ذكر ابن الكلبي أَنه كان يلبس حُلَلاً حُمْراً، وليس ذلك بقوي. الجوهري: حِمْيَر أَبو قبيلة من اليمن، وهو حمير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ، ومنهم كانت الملوك في الدهر الأَوَّل، واسم حِمْيَر العَرَنْجَجُ؛ وقوله أَنشده ابن الأَعرابي:

أَرَيْتكَ مَوْلايَ الذي لسْتُ شاتِماً ولا حارِماً، ما بالُه يَتَحَمَّرُ

(٢) سليم: أبو قبيلة، وهو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر.

(٣) القَعْصُ: القَتْلُ. ضَرَبَهُ فَقَعَصَهُ وأَقْعَصَهُ: أي قتلهُ في مكانه، قال يصف الحرب:

فأَقْعَصتهُمْ وحكّتْ بَرْكَها بِهِمُ وأَعْطتِ النَّهْب هيَّان بن بَيَّانِ

ومات فُلان قَعْصاً أي أصابتْه ضَرْبَةٌ أو رَمْيَةٌ فمات مكانه.

(٤) القائظ: الميت.

(٥) الكليم: الجريح.

(٦) دير حميم: موضع في الأهواز.

(٧) هو خلاد بن يزيد الباهلي البصري المعروف بالأرقط صهر يونس بن حبيب النحوي.

(٨) هو الوليد بن حنفية أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم من شعراء الدولة الأموية.

يحبونه من غير حِلّه، ويُنْفِقُونه في غير حقه. قال: فكيف فِعْلُهُم في اليتيم؟ قال: يظلمونه مالَهُ، ويمنعونه حقه، وينيكون أمّه. قال: ويلك يا أبا حُزابة! أفَمِثْلَ هؤلاء تتَّبع؟! قال: قد أجَبْتُ، فاسمع سؤالي وَدَعْ عَنْكَ عتابي على رأيي؛ قال: قُل. قال: أيُّ الخمر أطيبُ: أخمر السهل أم خمر الجبل؟ قال: ويلك! أتسأل مثلي عن هذا؟ قال: قد أوجَبْتَ على نفسِكَ أن تُجِيبَ، قال: أمَّا إذ أبَيتَ فإنَّ خمر الجبل أقوى وأسكر، وخَمْرُ السهل أحسنُ وأسلس. قال أبو حُزابة: فأيّ الزَّواني أفْره: أزواني رامَهُرْمُز[1] أم زواني أَرَّجان[2] ؟ قال: ويلك! إنَّ مثلي لا يُسأل عن مثل هذا؛ قال: لا بُدَّ من الجواب أو تغدُر، فقال: أما إذ أبيت فزواني رامَهُرْمُز أرقُّ أبشاراً، وزواني أرَّجان أحسن أبداناً. قال: فأيّ الرجلين أشعر: أجرير أم الفرزدق؟ قال: عليك وعليهما لعنة اللَّه! أيّهما الذي يقول:

وَطَوى الطِّرادُ مَعَ القِيادِ بُطونَها طَيَّ التِّجارِ بِحَضرَموتَ بُرودا

[الكامل]

قال: جرير، قال: فهو أشعرهما. قال: وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلَّب محكِّمين له في ذلك؛ فَقَالَ: أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني! ما كنت لأحكم بينهما، ولكني أدلُّكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سِبابُهما، عليكم بالشُّراة فَسَلُوهم إذا تواقفتم. فلما تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال: حَدَّثني ميمون بن هارون قال: حُدِّثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قَطَريّ بن الفُجاءة يقال لها أمُّ حكيم[3]، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنهم بدينهم تمسُّكاً، وخطبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِبْ إلى ذلك؟ فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز:

---

(١) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان والعامة يسمونها «رامز» اختصاراً.

(٢) أرجان: مدينة كبيرة وفيها الكثير من الثروات، وفيها تنوع كبير بالتضاريس، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً.

(٣) أم حكيم الخارجية. شاعرة من الخوارج، وذهب أبو الفرج إلى أنها هي أم حكيم التي ذكرها قطري، وأنها كانت معه في معسكره. وكانت من أجمل الناس وجهاً وأشجعهم وأحسنهم بدينها تمسكاً، وكان قطري يحبها ويجلها وقد أخبر من شاهدها في تلك الحروب تقول رجزاً. والخوارج يفدونها بالآباء والأمهات.

أَحـمِـلُ رَأساً قَـد سَـئِـمـتُ حَـمـلَـه وَقَـد مَـلَـلـتُ دَهـنَـهُ وَغَـسـلَـه
أَلا فَـتًـى يَـحـمِـلُ عَـنّـي ثِـقـلَـه

[الرجز]

قال: وهم يُفَدّونها بالآباء والأمّهات، فما رأيْتُ قبلها ولا بعدها مثلها. أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حَدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال: حَدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ قال: كان عُبَيدة بن هلال إذا تكافَّ الناسُ ناداهم: لِيَخْرُج إليَّ بَعْضُكُم، فيخرج إليه فتيان من العسكر؛ فيقول لهم: أيَّما أحبُّ إليكم: أقرأُ عليكم القرآن أو أُنشدُكُم الشعر؟ فيقولون له: أما القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك، فأنشدنا؛ فيقولُ لهم: يا فَسَقةُ، واللَّه قد علمت أنكم تختارون الشعرَ على القرآن، ثم لا يزال يُنْشِدُهُم ويستنشدهم حتى يَمَلُّوا ثم يفترقون.

أخبار سياط ونسبه

سِياطٌ لقب غَلَبَ عليه، واسمُهُ عبد اللَّه بن وهب، ويُكنى أبا وهب، مكيّ مولى خزاعة. وكان مُقدَّماً في الغناء روايةً وصنعةً، ومُقَدَّماً في الضرب معدوداً في الضُّرَّاب. وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصليّ، وعنه أخذا ونقلا ونقل نظراؤهما الغناءَ القديم، وأخذه هو عن يونس الكاتب. وكان سياط زوجَ أمِّ ابن جامع. وفيه يقول بعض الشعراء:

ما سَمِعْتُ الغناءَ إلا شَجاني مِنْ سياطٍ وزادَ في وسواسِي
غَنِّنِي يا سياطُ قد ذَهَبَ اللّيل غِنَاءً يطيرُ منه نُعاسي
ما أُبالي إذا سَمِعْتُ غناءً لسياطٍ ما فاتني للرُّؤْاسِي

[الخفيف]

والرُّؤاسِي الذي عَنَاه هو عباس بن مِنْقار، وهو من بني رُؤاس. وفيه يقول محمد بن أبان الضبِّيّ:

إذا وَاخَيْتَ عَبَّاساً فَكُنْ مِنْهُ عَلَى وَجْلِ
فَتًى لا يقبل العذرَ ولا يَرْغَب في الوصْلِ
وما إن يتغنَّى مَنْ يُواخيه من النُّبْلِ

[الهزج]

[سبب تلقيبه بسياط]

قال حَمَّاد بن إسحاق: لُقِّب سِياطٌ هذا اللّقب لأنَّه كان كثيراً ما يتغنَّى:

كَأَنَّ مَزاحِفَ الحَيّاتِ فيهِ قُبَيلَ الصُّبحِ آثارُ السِّياطِ[1]

[الوافر]

وأخبرني محمد بن خَلَف قال: حَدَّثني هارون بن مخارق عن أبيه، وأخبرني به

(١) البيت هو لمالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي من مضر أبو أثيلة. شاعر من نوابغ هذيل، أثبت له صاحب الأغاني صوتاً من قصيدة قالها في رثاء ابنه أثيلة. وقال الآمدي: شاعر محسن، قال الأصمعي: هو صاحب أجود قصيدة خائبة قالتها العرب، وأورد بيتين منها.

عبد اللَّه بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسواسة الموصليّ ـ ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة ـ عن حماد عن أبيه، قالا:

[عند المهديّ]

غنَّى إبراهيم الموصليّ يوماً صوتاً لِسِياط؛ فقال له ابنه إسحاق: لمن هذا الغناء يا أبت؟ قال: لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكلُهُ، لسياط. قال: وقال المهديّ يوماً وهو يشربُ لِسَلَّام الأبرش[1]: جِئْنِي بسياط وعقاب وحِبال؛ فارتاعَ كلُّ من حضر وظنَّ جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم، فجاءه بسياط المُغَنِّي وعقاب ـ المدني ـ وكان الذي يُوقِعُ عليه ـ وحبال الزامر. فَجَعَلَ الجلساء يشتمونهم والمهديّ يَضْحَكُ.

أخبرني محمد بن خلف قال: حَدَّثني أبو أيّوب المدنيّ قال: حَدَّثني حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: مَرَّ سياط على أبي ريحانة المدنيّ في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رَثّ؛ فَوَثَبَ إليه أبو ريحانة وقال: بأبي أنت يا أبا وهب، غنِّني صوتَكَ في شعر ابن جُنْدَب:

فُـؤادي رَهِـيـنٌ فـي هـواك ومُـهْـجَـتـي تـذوبُ وأجـفـانـي عـلـيـك هُـمـولُ

[الطويل]

فَغَنَّاه إياه، فَشَقَّ قَمِيصَه وَرَجَعَ إلى موضعِهِ من الشمس وقد ازداد برداً وجَهداً. فقال له رجلٌ: ما أغنى عنك ما غَنَّاك من شقِّ قميصكَ! فقال له يابْن أخي، إن الشعر الحسنَ مِنَ المُغَنِّي الحسن ذي الصوتِ المُطرب أدفأ للمقرور من حَمَّام مُحْمًى. فَقَالَ لَـهُ رَجُـلٌ: أنـت عـنـدي مـن الـذيـن قـال الـلَّـه جـلَّ وعـزَّ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]. فقال: بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]. وقد أخبرني بهذا الخبر عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرداذْبه فَذَكَرَ قريباً من هذا؛ ولَفْظُ أبي أيوب وخبرُهُ أتم.

وأخبرني إسماعيل بن يُونس الشِّيعي، المعروف بابن أبي اليَسَع، قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة: أنَّ سياطاً مَرَّ بأبي رَيحانة المَدَنيّ، فقال له: بحق القبر ومَنْ غَنَّنِي بِلَحْنِكَ في شعر ابن جُنْدب:

لِـكُـلِّ حـمـامٍ أنـت بـاكٍ إذا بَـكَـى وَدَمْـعُـكَ مـنـهـلٌ وقـلـبُـكَ يَـخْـفِـقُ

(١) هو سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية في أيام البرامكة، وهو أحد الذين ترجموا كتاب السماع الطبيعي لأرسطو بسمع الكيان، وهو ثماني مقالات. وقد ترجم الكتاب من اللغة اليونانية إلى السريانية فالعربية.

مَـخَـافَـةَ بُـعـدٍ بَـعـدَ قُـرْبٍ وهُـجـرةٍ تـكـون ولـمـا تـأتِ والـقَـلْـبُ مُـشْـفِـقُ
وَلِي مُـهْـجَـةٌ تَـرْفَـضُّ مـن خـوف عَـتْـبـهـا وقـلـبٌ بـنـارِ الـحُـبِّ يَـصـلـى ويُـحْـرَقُ
أظـلُّ خَـلِـيـعـاً بـيـن أهـلـي مُـتـيَّـمـاً وقـلـبـي لـمـا يـرجـوه مـنـهـا مـعـلَّـقُ

[الطويل]

فَغَنَّاه إياه، فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقَّه حتى خَرَجَ منه وغُشي عليه. فقالَ لَهُ رَجُلٌ لمَّا أفاق: يا أبا ريحانة، ما أغنى عنك الغناء، ثم ذَكَرَ باقيَ الخبر مثلَ ما تَقَدَّم. أخبرني إسماعيل قال: حَدَّثني عمر بن شَبَّة قال: مَرَّتْ جارية بأبي ريحانة يوماً على ظَهْرِها قِربةٌ وهي تغنِّي وتقول:

وأبـكـي فـلا لـيـلـى بَـكَـتْ مـن صـبـابـةٍ إلـيَّ ولا لـيـلـى لـذي الـودِّ تـبـذلُ
وأخـنَـعُ بـالـعُـتْـبَـى إذا كـنـتُ مـذنـبـاً وإن أذنـبـت كـنـتُ الـذي أتـنـصَّـلُ

[الطويل]

فَقَامَ إليها فقال: يا سيِّدتي أعيدي؛ فقالت: مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري؛ فقال: أنا أحملها عنك؛ فدفعتها إليه فَحَمَلَها، وغَنَّتْهُ الصوت، فَطرِبَ فَرَمَى بالقربة فشقَّها. فقالت له الجارية: أمن حَقِّي أن أُغَنِّيك وتشقّ قربتي! فقال لها: لا عليك، تعالي معي إلى السُّوقِ، فَجَاءَتْ معه فباع مِلْحَفتَهُ واشترى لها بِثَمَنِها قِربةً جديدةً. فقال له رجل: يا أبا ريحانة، أنت واللَّه كما قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، فقال: بل أنا كما قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الزمر: ١٨].

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوكبيّ قال: حَدَّثني أبو العَيناء قال: قال إسحاق الموصليّ: بَلَغَنِي أنَّ أبا ريحانة المدنيّ كان جالساً في يوم شديد البرد وعليه قميص خَلَق رَقِيق؛ فَمَرَّ بِهِ سِياط المُغَنِّي فَوَثَبَ إليه وأخذ بِلِجَامِهِ وقال له: يا سيِّدي، بِحَقِ القبرِ ومَنْ فيه غَنِّنِي صوت ابن جُندب، فَغَنَّاه:

فُـؤادي رَهِـيـنٌ فـي هـواك ومُـهْـجَـتـي تـذوبُ وأجـفـانـي عـلـيـك هُـمـولُ

[الطويل]

فَشَقَّ قَميصَهُ حتى خَرَجَ مِنْهُ وبَقِيَ عارياً وغُشِيَ عليه، واجتمع الناس حولَهُ وسياطٌ واقفٌ مُتَعَجِّبٌ مما فعل. ثم أفاق وقام إليه، فَرَحِمَهُ سِياط وقال له: مالك يا مشؤوم؟ أيَّ شيءٍ تريد؟ قال: غَنِّنِي باللَّه عليك:

وَدِّعْ أُمـامـةَ حَـانَ مِـنْـكَ رحِـيـلُ إنَّ الـوِداعَ لِـمَـنْ تـحـبّ قـلـيـلُ

مـثـلُ الـقَـضـيـب تـمـايـلَـتْ أعـطـافُـهُ فـالـرِّيـحُ تَـجْـذِبُ مَـتْـنـه فَـيَـمِـيـلُ
إنْ كـان شـأنـكـم الـدَّلال فـإنّـه حَـسَـنٌ دلالـكِ يـا أمـيـمَ جَـمـيـلُ

[الطويل]

فَغَنَّاه إياه؛ فَلَطَمَ وجهه ثم خَرَجَ الدم من أنفه وَوَقَعَ صريعاً. ومضى سياط، وحَمَلَ الناس أبا ريحانة إلى الشمس. فلما أفاق قيل له: ويحك! خَرَقْتَ قميصك وليس لك غيره! فقال: دعوني، فإنَّ الغناء الحسن من المُغَنِّي المطرب أدفأ للمقرور من حَمَّام المهديّ إذا أُوقِد سبعةَ أيام. قال: ووَجَّهَ له سِياط بقميص وجُبَّة وسَراويلَ وعِمامة.

[وصية مغن]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدَّثني أبو أيّوب المدنيّ قال: حَدَّثني محمد بن عبد اللَّه الخُزاعيّ وحمَّاد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال: كان سياط أستاذَ أبي وأستاذ ابن جامع ومن كان في ذلك العصر. فاعتلَّ عِلَّةً، فَجَاءَهُ أبي وابن جامع يعودانه. فقال له أبي: أَغْرِزْ عليَّ بعلّتك أبا وهب! ولو كانت مما يُفْتَدى لَفَدَيْتُكَ منها. قال: كيف كُنْتُ لكم؟ قُلْنا: نِعْمَ الأستاذ والسيِّد. قال: قَدْ غَنَّيْتُ لنفسي ستين صوتاً فأُحبّ ألَّا تغيِّروها ولا تنتحلوها. فقال له أبي: أفعلُ ذلك يا أبا وهب، ولكن أيَّ ذلك كَرِهْتَ: أن يكون في غنائك فَضْلٌ فأقصَر عنه فَيُعْرَف فضلُكَ عليَّ فيه، أو أن يكون فيه نقصٌ فأُحسنه فَيُنْسَبُ إحساني إليك ويأخُذُهُ الناس عني لك؟ قال: لقد استَعْفَيْتَ مِنْ غيرِ مكروه. قال الخُزاعيّ في خَبَرِه: ثم قال لي إسحاق: كان سياط خُزاعيًّا، وكان له زامر يُقالُ له حِبال، وضَارِبٌ يُقَالُ له عقاب. قال حَمَّاد قال أبي: أدركت أربعةً كانوا أحسنَ الناس غِناءً، سِياطٌ أحدُهُم. قال: وكان موتُهُ في أوَّل أيام موسى الهادي.

أخبرني يحيى قال: حَدَّثنا أبو أيوب عن مصعب قال: دَخَلَ ابنُ جامع على سِياط وقد نَزَلَ به الموت؛ فقال له: ألك حاجة؟ فقال: نعم، لا تَزِد في غِنَائِي شيئاً ولا تُنْقِص منه، دعه رأساً برأس، فإنما هو ثمانيةَ عشرَ صوتاً.

أخبرنا محمد بن مَزْيَد قال: حَدَّثنا حمَّاد قال: حَدَّثني محمد بن حَديد أخو النَّضر ابن حديد: أنَّ إخواناً لسياط دعَوْه، فأقامَ عندهم وبات، فأصبحوا فوجدوه مَيِّتاً في منزلِهم، فجاؤوا إلى أُمِّه وقالوا: يا هذه، إنَّا دعونا ابنَكِ لِنُكرمه ونُسَرَّ بِهِ ونأنسَ بِقُرْبِهِ فَمَاتَ فجأة، وها نَحْنُ بين يديك فاحتكمي ما شِئْتِ، ونَشَدْناكِ اللَّه ألا تعرِّضينا

للسلطان أو تدَّعي فيه علينا ما لم نَفْعَلْه. فقالت: ما كُنْتُ لأفعل، وقد صَدَقْتُم، وهكذا مات أبوه فجأة. قال: فَجَاءَتْ معنا فَحَمَلَتْهُ إلى منزلها فأصلَحَتْ أمره ودفنته. وقد ذُكِرَتْ هذه القصةُ بعينها في وفاة نُبَيْه المُغَنِّي، وخبره في ذلك يُذْكَرُ مع أخباره إن شاء اللَّه تعالى.

أخبرنا يحيى بن عليّ وعيسى بن الحسين الزيات ـ واللفظ له ـ قالا: حَدَّثنا أبو أيّوب قال: حَدَّثنا أحمد بن المكيّ قال: غَنَّيْتُ إبراهيمَ بن المهديّ لِسياط:

ضَـافَ قـلـبـي الـهـوى فـأكـثـر سَـهـوي

فاستحسنه جداً، وقال لي: مِمَّن أخذتَهُ؟ قُلْتُ: من جارية أبيك قُرشيَّةَ الزَّبَّاء؛ فقال: أُشعرتُ أنه كان لأبي ثلاثُ جوارٍ مُحسنات كلُّهن تسمَّى قرشيَّة، منهن قرشيَّة الزَّبَّاء وقرشيَّة السوداء وقرشيَّة البيضاء، وكانت الزَّبَّاء أحسنهن غناءً ـ يعني التي أَخَذْتُ منها هذا الصوت ـ، قال: وكُنْتُ أسمعها كثيراً تقول: قد سَمِعْتُ المُغَنِّين وأَخَذْتُ عنهم وتفقَّدت أغانيَهم، فما رَأَيْتُ فيهم مثلَ سِياط قطُّ. هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة.

نسبة هذا الصوت

صـــوت

ضَـافَ قـلـبـى الـهـوى فـأكـثـر سَـهْـوي ... وجَـوَى الـحـبّ مُـفْـظِـعٌ غـيـرُ حُـلْـوِ
لَـوْ عـلا بـعـضُ مـا عـلانـي ثَـبِـيـراً[1] ... ظَـلَّ ضَـعـفـاً ثَـبـيـرُ مِـنْ ذاك يَـهْـوي
مَـنْ يَـكُـنْ مـن هـوى الـغـوانـي خَـلِـيًّـا ... يـا ثِـقـاتـي فـإنـنـي غـيـرُ خِـلْـوِ

[الخفيف]

الغناءُ لِسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق.

صـــوت

من المائة المختارة

يـا أمَّ عـمـرو لـقـد طَـالَـبْـتُ ودّكُـمُ ... جُـهْـدِي وأَعْـذَرْتُ فـيـه كـلَّ إعـذارِ
حَتى سَقِمْتُ، وقد أصبحتِ سالمةً ... مـمـا أُعـالِـجُ مـن هـمٍّ وتـذكـارِ

[البسيط]

(١) ثبير: جبل معروف بمكة من ناحية الشرق في طريق منى.

لم يُسَمَّ قائلُ هذا الشعر. والغناء للرَّطَّاب. والرَّطَّاب مدنيّ قليل الصنعة ليس بمشهور. وقيل له الرَّطَّاب لأنَّه كان يبيع الرُّطب بالمدينة. ولَحْنُهُ المختار هزجٌ بالوسطى.

صـوت

من المائة المختارة

تَـصَـدَّع الأنـسُ[1] الـجـمـيـعُ أمـسـى فـقـلـبـي بـه صُـدوعُ
فـي إثـرِهـم وجـفـونُ عـيـنـي مُـخـضَـلَّـةٌ كـلـهـا دُمـوعُ

[المنسرح]

لم يُسَمَّ لنا قائل هذا الشعر ولا عَرَفناه. والغناء لِدُكَين بن يزيد الكوفي. وَلَحْنُهُ المختار من خفيف الثقيل بالوسطى، وهكذا ذَكَرَ إسحاق في الألحان المختارة للواثق. وَذَكَرَ هذا الصوت في مجرَّد شجا فَنَسَبَهُ إلى دكين، وجَنَّسَهُ في الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وَذَكَرَ أيضاً فيه لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر، فَزَعَمَ أنه يُنْسَبُ إلى مَعْبَد وإلى الغريض. وفيه بيتان آخران وهما:

فـالـقَـلْـبُ إن سِـيـمَ عَـنْـكَ صـبـراً كُـلِّـفَ مـا لـيـس يـسـتـطـيـعُ
عَـاصٍ لِـمَـنْ لامَ فـي هـواكـم وهْـوَ لَـكُـمْ سَـامِـعٌ مُـطـيـعُ

[المنسرح]

صـوت

من المائة المختارة

يَـا أَيُّـهَـا الـرجـلُ الـذي قـد زانَ مَـنْـطِـقَـه الـبـيـانُ
لا تَـعـتِـبـنَّ عـلـى الـزمـا ن فـلـيـس يُـعْـتِـبُـكَ الـزمـانُ

[مجزوء الكامل]

الشعرُ لعبد اللَّه بن هارون العَرُوضيّ. والغناءُ لِنُبَيه المُغَنِّي، ولحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر.

(١) الأنس: الحي المقيمون.

فأمَّا عبد اللَّه بن هارون فما أعلم أنه وقع إليَّ له خبر إلَّا ما شُهِرَ من حاله في نفسه. وهو عبد اللَّه بن هارون بن السَّمَيدع، مولى قريش، من أهل البصرة. وأخذ العروضَ من الخليل بن أحمد، فكان مُقَدَّماً فيه. وانقطعَ إلى آل سليمان بن عليّ وأدَّبَ أولادَهُم، وكان يمدحُهم كثيراً، فأكثرُ شعره فيهم. وهو مُقِلّ جدًّا. وكان يقول أوزاناً من العروض غريبةً في شعره، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضيّ فأتى فيه بِبَدائعَ جَمَّة، وجَعَلَ أكثرَ شعره من هذا الجنس. فأمَّا عبد اللَّه بن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إليّ من أمرِهِ شيء غير ما ذكرته.

ذكر نبيه وأخباره

[نسبه وأصله]

زَعَمَ ابن خُرْداذبه أنَّه رَجُلٌ من بني تَميم صَلِيبةٌ، وأنَّ أصلَهُ مِنَ الكوفة، وأنَّه كان في أوَّلِ أمره شاعِراً لا يُغَنِّي، ويَقُولُ شعراً صالحاً. فهويَ قينة ببغداد فَتَعَلَّمَ الغناء من أجلها وَجَعَلَهُ سبباً للدخول عليها؛ وَلَمْ يَزَلْ يَتَزَيَّد حتى جاد غناؤه وَصَنَعَ فأحسن واشتهر، ودُوِّن غناؤه وعُدَّ في المحسنين. فمما قاله في هذه الجارية وغَنَّى فيه قولُهُ:

يـا رَبِّ إنّـي مـا جَـفَـوْتُ وقـد جَـفَـتْ فَـإلَـيـكَ أَشـكـو ذاكَ يـا رَبّـاهْ
مَـولاةُ سَـوْءٍ مـا تَـرِقُّ لِـعَـبـدِهـا نِـعْـمَ الـغُـلامُ وَبِـئْـسَـتِ الـمَـولاه
يـا رَبِّ إن كـانَـت حَـيـاتـي هَـكَـذا ضُـرًّا عَـلَـيَّ فَـمـا أُريـدُ حَـيـاه

[الكامل]

الغناءُ لِنُبَيه ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى. ومن الناس من يَنْسب الشعر والغناء إلى عُلَيَّة بنت المهديّ[١].

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: قُلْتُ لمخارق، وقد غَنَّى هذا الصوت يوماً:

مَـتـى تَـجـمَـعِ الـقَـلـبَ الـذَّكِـيَّ وَصـارِمـاً وَأَنـفـاً أَبِـيًّـا تَـجـتَـنِـبـكَ الـمَـظـالِـمُ[٢]

[الطويل]

---

(١) علية بنت المهدي. أخت هارون الرشيد، أديبة شاعرة تحسن صناعة الغناء، من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة. كان أخوها إبراهيم بن المهدي يأخذ الغناء عنها، وكان في جبهتها اتساع يشين وجهها فاتخذت عصابة مكللة بالجوهر لتستر جبينها وهي أول من اتخذها. قال الصولي لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتاً مثلها، كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة، ودرس القرآن ولزوم المحراب، فإذا لم تصلي اشتغلت بلهوها وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره وهي تأبى ذلك وتوفيه حقه. تزوجها موسى بن عيسى العباسي، وقد لا يكون من التاريخ ما يقال عن صلتها بجعفر بن يحيى البرمكي. لها ديوان شعر وفي شعرها إبداع وصنعة مولدها ووفاتها ببغداد بين١٦٠هـ و٢١٠هـ.

(٢) هذا البيت لعمرو بن براق، وهو عمرو بن الحارث بن عمرو بن منبه البنهمي من همدان، ويعرف=

فَسَأَلْتُهُ لِمَنْ هو، فقال: هذا لِنُبَيه التَّميمي؛ وكان له أخوان يُقالُ لهما مُنَبِّه ونَبهان، وكان يَنْزِلُ شَهارْ سُوْج الهيثم[1]: في دَرْبِ الرَّيحان. قال أبو زيد: وسَمِعْتُ مُخَارِقاً يُحَدِّثُ إسحاق بن إبراهيم قال: سَمِعْتُ أباك إبراهيم بن مَيْمون يقول ـ وقد ذكر نُبَيْهاً ـ : إنْ عاشَ هذا الغلام ذَهَبَ خَبَرُنا. قال: وَكُنْتُ قَدْ غَنَّيْتُهُ صوتاً أخذته عنه، وهو:

شَكَوْتُ إلى قَلْبِي الفِراق فَقَالَ لي ... مِنَ الآن فايأس لا أغُرَّك بالصبرِ
إذا صدَّ من أهوى وأسلمني العزا ... فَفُرْقة من أهوى أحرُّ مِنَ الجَمْرِ

[الطويل]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حَدَّثني ابن أبي سعد عن محمد بن عبد اللَّه بن مالك قال: حَدَّثني عليّ بن المفضَّل قال: اصطبحنا يوماً أنا ونُبَيه عند عبيد اللَّه بن أبي غسَّان، فغنَّاه نُبَيه لحنَهُ:

يا أَيُّها الرجل الذي ... قد زان مَنْطِقَهُ البيانُ

[مجزوء الكامل]

فما سَمِعْتُ أحسنَ منه، وكان صوتُنا عليه بقيةَ يومنا. ثم أرَدْنا الانصراف، فسألنا عُبَيد اللَّه أن نَبِيتَ عنده ونَصْطَبِح مِنْ غد فأجبناه. وقال لِنُبَيه: أيَّ شيء تشتهي أن يُصْلَحَ لك؟ قال: تشتري لي غَزَالاً فَتُطْعِمُني كبدَه كَباباً، وتَجْعَلُ سائر ما آكله من لحمه كما تحب؛ فقال: أفعل. فلما أصبحنا جاءه بِغَزالٍ فأصلحه كما أحبّ. فلما استوفى أكله استلقى لِينامَ، فَحَرَّكناه فإذا هو ميت، فَجَزِعْنا من ذلك. وَبَعَثَ عبيدُ اللَّه إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فلما رأتْهُ استرجَعَتْ[2] ثم قالت: لا بأس عليكم! هو رابع أربعة ولدتُهم كانت هذه مِيْتَتَهم جميعاً ومِيتةَ أبيهم من قبلهم؛ فَسكنَّا إلى ذلك. وغُسِّلَ في دار عُبَيد اللَّه وأُصلح شأنه وصُلِّي عليه، ومضينا به إلى مقابرهم فَدُفِنَ هناك.

= بعمرو بن بَرّاقة وهي أمه. شاعر همدان قبيل الإسلام. له أخبار في الجاهلية. عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب، ووفد عليه، قال الكلبي: أذن عمر للناس فدخل عمرو بن بَرّاقة وكان شيخاً كبيراً يعرج، توفي سنة ١١هـ. وقد قال هذا البيت عندما استرد إبله وخيله من حريم الهمداني وكان قد أغار عليها وأخذها.

(١) شهار سوج الهيثم: كانت محلة من محال بغداد في قبلة الحربية، والهيثم الذي أضيف هو ابن معاوية من القوة الخراسانية.

(٢) قالت: إنا للَّه وإنا اليه راجعون.

صـوت

من المائة المختارة

وَقَـفْـتُ عـلـى رَبـعِ لِـسُـعْـدَى وعَـبْـرَتـي تَـرَقـرقُ فـي الـعـيـنـيـن ثـم تَـسـيـلُ
أُسَـائِـلُ ربـعـاً قَـدْ تَـعَـفَّـتْ رُسـومُـه عـلـيـه لأصـنـاف الـريـاح ذُيـولُ

[الطويل]

لَمْ يُسمَّ لنا قائلُ هذا الشعر. والغناءُ لِسُلَيم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار سليم

[انقطع إلى إبراهيم الموصليّ]

هو سُلَيم بن سلَّام الكوفي، ويُكَنى أبا عبد اللَّه. وكان حَسنَ الوجه حسن الصوت. وَقَدِ انقطَعَ وهو أمردُ إلى إبراهيمَ الموصليّ، فَمَالَ إليه وَتَعَشَّقَه، فَعَلَّمَهُ وناصحه، فَبَرَعَ وكَثُرَتْ روايتُهُ، وصَنَعَ فأجاد. وكان إسحاق يهجوه ويطعنُ عليه. واتفق له اتِّفاقٌ سيِّء: كان يخدمُ الرشيدَ فيتَّفِق مع ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُلَيح بن العوَراء وحكم الواديّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط. وكان من أبخل الناس، فلما مات خَلَّف جملة عظيمة وافرة من المال؛ فَقَبَضَها السلطان عنه.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه:

أن إسحاق قال في سُلَيم:

سليمُ بنُ سلَّامٍ على بَردِ خَلْقِهِ أحرُّ غناءً من حُسَين بنِ مُحرزِ

[الطويل]

[نقد فني]

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق: أنَّ الرشيد قال لبرصوما الزامر وكانت فيه لُكْنة ما تقول في ابن جامع؟ قال: زِقٌّ من أَسَل «يُريدُ من عَسَل». قال: فإبراهيم؟ قال: بستان فيه فاكهة وريحان وشوك. قال: فَيَزيدُ حَوراء، قال: ما أُبيدَ أسنانه! «يريد ما أبيض». قال: فحسين بن محرز؟ قال: ما أهسن خظامه! «يُريدُ ما أحسن خضابَهُ». قال: فَسُلَيم بن سلَّام؟ قال: ما أنظف ثيابه!

قال إسماعيل بن يونس في خبرِهِ عن عمر بن شَبَّة عن إسحاق: وغَنَّى سُلَيم يوماً وبَرْصوما يزمِر عليه بين يدي الرشيد، فَقَصَّرَ سُلَيم في موضع صيحة، فَأَخْرَجَ برصوما الناي من فيه ثم صاح به وقال له: يا أبا عبد اللَّه، صَيهة أشدّ من هذا؛ فَضَحِكَ الرشيد حتى استلقى. قال: وما أذكر أنِّي ضَحِكْتُ قطُّ أكثرَ من ذلك اليوم.

[يجيد الأهزاج]

وأخبرني محمد بن مزيد قال: حَدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال محمد بن الحسن بن مصعب: إنَّما أخَّرَ سُليماً عن أصحابه في الصنعة وَلَعُهُ بالأهزاج، فإن ثُلْثي صنعته هَزَج، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم. قال: ثم قال محمد: غَنَّى سُلَيم يوماً بين يدي الرشيد ثلاثةَ أصوات من الهزَج وِلاءً، أوَّلها:

مُتْ على مَنْ غِبْتَ عنه أسَفا

والثاني:

أسرفْتَ في الإعراض والهَجْرِ

والثالث:

أصبح قلبي به نُدوبُ

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال له: لو كُنْت الحَكَمَ الواديّ ما زِدْتَ على هذا الإحسان في أهزاجك «يعني أنَّ الحكم كان مُنْفَرِداً بالهزج».

نسبة هذه الأصوات

صوت

مُتْ على من غِبْتَ عنه أسفا ... لَسْتَ منه بِمُصِيبٍ خَلَفا
لَنْ تَرَى قُرَّة عين أبداً ... أو ترى نحوَهُمُ مُنْصَرَفا
قُلْتُ لما شَفَّنِي وجدي بهم ... حَسبيَ اللَّه لِمَا بي وكفى
بيّن الدمعُ لمن أبصرني ... ما تَضَمَّنتُ إذا ما ذَرَفا

[الرمل]

الشعرُ للعبَّاس بن الأحنف. والغناءُ لِسُلَيم، وله فيه لحنان، أحدهما في الأوّل والثاني هَزَج بالوسطى، والآخر في الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق. وفيهما لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

أَسْرَفْتَ في الإعراضِ والهجرِ ... وَجُزْتَ حدَّ التِّيه والكبرِ

ألـهـجـرُ والإعـراضُ مـن ذي الـهـوى سُـلَّـمُ ذي الـغـدر إلـى الـغـدر
مـا لـي ولـلـهِـجْـران حَـسـبـي الـذي مَـرَّ عـلـى رأسـي مِـنَ الـهَـجْـرِ
ودون مـا جـرَّبْـتُ فـيـمـا مـضـى مـا عـرّف الـخـيـرَ مـن الـشـرِّ

[السريع]

الغناء لسيلم هزج بالبنصر.

صـوت

أَصـبَـحَ قَـلـبـي بِـهِ نُـدوبُ أَنـدَبَـهُ الـشـادِنُ الـرَّبـيـبُ
تَـمـادِيـاً مِـنـهُ فـي الـتَّـصـابـي وَقَـد عَـلا رَأسِـيَ الـمَـشـيـبُ
أَظُـنُّـنـي ذائِـقـاً حِـمـامـي وَأَنَّ إِلـمـامَـهُ قَـريـبُ
إِذا فُـؤادٌ شَـجـاهُ حُـبٌّ فَـقَـلَّـمـا يَـنـفَـعُ الـطَّـبـيـبُ

[مجزوء البسيط]

الشعرُ لأبي نُواس. والغناء لسليمَ، وله فيه لحنان: خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق، وَهَزَجَ بالوسطى عن الهشاميّ. وزَعَمَتْ بَذْلُ أنَّ الهزج لها.

أخبرني عمِّي قال: حَدَّثنا أحمد بن أبي طاهر قال: حَدَّثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: كان سُلَيم بن سلَّام كوفيًّا، وكان أبوه من أصحاب أبي مُسلم صاحب الدولة ودُعاتِهِ وثقاته، فكان يُكَاتِبُ أهلَ العراقِ على يده. وكان سُليم حسن الصوت جَهيرَه، وكان بخيلاً.

قال أحمد بن أبي طاهر وحدَّثني أبو الحواجب الأنصاريّ، واسمه محمد، قال: قال لي سُلَيم يوماً: إمضِ إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادعُهُ ووافِياني مع الظهر؛ فجئناه مع الظهر، فأخرَجَ إلينا ثلاثين جارية مُحْسِنَة ونبيذاً، ولم يُطْعِمنا شيئاً، ولم نكن أكلنا شيئاً. فَغَمَزَ موسى غُلامَه فَذَهَبَ فاشترى لنا خبزاً وبيضاً، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل؛ فَدَخَلَ علينا، فلما رآنا نأكلُ غَضِبَ وخاصمنا وقال: أهكذا يفعل الناس! تأكلون ولا تُطعمونني! وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فَنِي الخبز والبيض.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثني الفضل بن محمد اليزيديّ قال: حدثني أبي قال: كان سُلَيم بن سلَّام صديقي وكان كثيراً ما يغشاني. فجاءني يوماً وأعلمني الغلامُ بمجيئِهِ، فأمَرْتُ بإدخاله، فدخل وقال: قد جئتك في حاجة؛ فَقُلْتُ: مقضيَّة.

فقال: إنَّ المِهرجان بعد غد، وقد أُمِرْنا بحضور مجلس الخليفة، وأريد أن أُغَنِّيه لحناً أصنعه في شعر لم يعرفه هو ولا من بحضرته، فَقُلْ أبياتاً أُغَنِّي فيها مِلاحاً؛ فقلت: على أن تُقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن؛ قال: أفعل. فَرَدّوا دابّته وأقام عندي، وقُلْتُ:

صـوت

أَتَـيـتُـكَ عـائِـذاً بِـكَ مـنـ ـك لـمَّـا ضَـاقـت الـحِـيَـلُ
وَصَـيَّـرنـي هـواك وبـي لِـحَـيـنـي يُـضْـرب الـمـثـلُ
فـإنْ سَـلِـمَـتْ لـكـم نـفـسـي فـمـا لاقَـيْـتُـهُ جَـلَـلُ
وإنْ قَـتَـلَ الـهـوى رجـلاً فـإنِّـي ذلـك الـرجـلُ

[مجزوء الوافر]

فَغَنَّى فيه وشربنا يومئذٍ عليه، وغنَّانا عدةَ أصوات من غنائه، فما رأيْتُهُ مذ عرفته كان أنشطَ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ.

أخبرني أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عمَّار قال: حَدَّثني محمد بن داود الجرّاح قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن محمد اليزيديّ قال: حَدَّثني أخي محمد قال: سَمِعْتُ أبي يقول: ما سَرَقْتُ من الشعر قطُّ إلا معنيين: قال مسلم بن الوليد:

ذاك ظـبـيٌ تَـحَـيَّـر الـحـسـن فـي الأر كـان مـنـه وجـال كـلَّ مـكـانِ
عَـرَضَـتْ دونَـه الـحـجـالُ فـمـا يَـلـ ـقـاك ألا فـي الـنـوم أو فـي الأمـانـي

[الطويل]

فاستعرت معناه فَقُلْتُ:

صـوت

يـا بـعـيـدَ الـدار مـوصـو لاً بـقـلـبـي ولـسـانـي
ربـمـا بـاعَـدَك الـدّهـرُ فـأدنـتْـك الأمـانـي[1]

[مجزوء الرمل]

ـ الغناء في هذين البيتين لِسُلَيم هزج بالبنصر عن الهشاميّ ـ

(١) يُنسَب هذان البيتان ليحيى بن المبارك اليزيدي المقري النحوي اللغوي صاحب أبي عمرو بن العلاء وهو والد محمد اليزيدي المنسوب اليه الشعر هنا.

قال: وقال مسلم أيضاً:

مَتى ماتسمعي بقتيلِ أرض فإنِّي ذلك الرجلُ القتيلُ

[مجزوء الوافر]

ـ ويُروى: «أصيب فإنني ذاك القتيل» ـ فَقُلْتُ:

أَتَيْتُكَ عائذاً بك منـ ـك لمَّا ضَاقت الحِيَلُ

وَصَيَّرَني هواك وبي لحيني يُضْرَبُ المثلُ

فإنْ سَلِمتْ لكم نفسي فما لاقيْتُهُ جَلَلُ

وإنْ قَتَلَ الهوى رَجُلاً فإنِّي ذلك الرجلُ

[مجزوء الوافر]

وَجَدْتُ في كتاب عليّ بن محمد بن نصر عن جَدِّهِ حمدون بن إسماعيل، ولم أسمَعْهُ من أحد: أنَّ إبراهيمَ بن المهديّ سألَ جماعةً من إخوانِهِ أن يصطبحوا عنده ـ قال حمدون: وكُنْتُ فيهم، وكان فيمن دعا مُخَارِق، فَسَار إليه وهو سكران لا فضلَ فيه لِطَعَام ولا لشراب، فاغتمَّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع؛ فقال: لا واللَّه أيها الأمير، ما كانَ آفتي إلا سُليم بن سلَّام فإنَّه مرَّ بي فَدَخَلَ عليَّ فغنَّاني صَوتاً له صنعه قريباً فَشَرِبْتُ عليه إلى السَّحَر حتى لم يبقَ فيَّ فضلٌ وأخذْتُهُ. فقال له إبراهيم: فَغَنِّناه إملالاً[1]، فغنَّاه:

صوت

إذا كُنْتَ نَدْماني فباكِرْ مُدامةً مُعَتَّقةً زُفَّت إلى غير خاطِبِ

إذاعُتِّقَتْ في دنِّها العامَ أقبَلَتْ تَردَّى[2] رداءَ الحُسْنِ في عين شاربِ

[الطويل]

ـ الغناءُ لسليم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ـ قال: فَبَعَثَ إبراهيم إلى سُلَيم فأحضره، فَغَنَّاه إياه وطَرَحَهُ على جواريه وأمَرَ له بجائزة، وشربنا عليه بقيَّةَ يومنا حتى صِرْنا في حالة مُخارِق وصار في مثل أحوالنا.

صوت

من المائة المختارة

عَتَقَ الفؤادُ من الصِّبا ومِنَ السَّفاهة والعلاقِ

(١) يريد غننا اياه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص.

(٢) تردى: لبس الرداء.

وحَـطَـطْـتُ رحـلـي عـن قَـلـو ص الـحـبّ فـي قُـلُـصٍ عِـتـاقِ
ورفَـعْـتُ فـضـل إزاري الـمـجـرور عـن قـدمـي وسـاقِـي
وكَـفَـفْـتُ غـربَ الـنـفـسِ حـتـى مـا تَـتُـوقُ إلـى مَـتـاقِ

[مجزوء الكامل]

لم يَقَعْ إلينا قائلُ هذا الشعر. والغناء لابن عَبَّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل: إنه لغيرِهِ، بَلْ قيل: إنَّه لعمرو.

أخبار ابن عبّاد ونسبه

[نسبه وكنيته وصناعته]

هو محمد بن عَبَّاد، مولى بني مخزوم، وقيل: إنَّه مولى بني جُمَح، ويُكَنى أبا جعفر. مَكِّيّ، من كبراء المُغَنِّين من الطبقة الثانية منهم. وقد ذَكَرَهُ يونس الكاتب فيمن أَخَذَ عَنْهُ الغناء، مُتْقِنُ الصنعةِ كثيرُها. وكان أبوه من كتَّاب الديوان بمكة؛ فلذلك قيل ابنُ عبَّاد الكاتب.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفي عن أبي خالد الكِنانيّ عن ابن عبَّاد الكاتب قال: واللَّه إنِّي لأمشي بأعلى مكة في الشِّعْب ، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة، فَظَنَنْتُ أنَّهم قالوا له: هذا ابن عَبَّاد؛ فمال إليَّ فَمِلْتُ إليه، فقال لي: أنت ابن عبَّاد؟ قُلْتُ: نعم؛ قال: مِلْ معي ها هنا، فَفَعَلْتُ؟ فأدخلني شعبَ ابن عامر ثم أدخلني دِهْليز ابن عامر وقال: غَنِّني، فَقُلْتُ: أُغَنِّيك هكذا وأنت مالِك! ـ وقد كان يبلغني أنه يثلبُ أهلَ مكة ويتعصَّبُ عليهم ـ فقال: باللَّه إلا غَنَّيْتَني صوتاً من صنعتك. فاندفعت فَغَنَّيْتُهُ:

صـــوت

ألا يـــا صـــاحـــبـــيّ قِـــفَـــا قـــلـــيـــلاً ... عـــلـــى ربـــع تـــقـــادمَ بـــالـــمُـــنـــيـــفِ[1]
فَـــأَمْـــسَـــتْ دارهـــم شَـــحِـــطَـــتْ وبـــانـــت ... وأضـــحـــى الـــقـــلـــبُ يَـــخْـــفِـــقُ ذا وجـــيـــف[2]

[الوافر]

وما غَنَّيْتُهُ إياه إلا على احتشام. فلما فَرَغْتُ نَظَرَ إليّ وقال لي: قد واللَّه أحسنتَ! ولكنَّ حلقك كأنَّهُ حلقُ زانية. فَقُلْتُ: أمَّا إذ أفلتُّ مِنْكَ بهذا فقد أفلتُّ.

---

(١) المنيف اسم لمواضع كثيرة، فهو موضع قبل عمق، وحصن في جبل صبر من أعمال تعز باليمن، ومنيف لحج وهو حصن قرب عدن.

(٢) الوجيف: دون التَّقريب من السير.

وهذا اللحن من صدور غناء ابن عبَّاد. ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

[وفاته ببغداد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا: حَدَّثنا أبو أيّوب المديني قال: حَدَّثني جماعة من أهل العلم: أنَّ ابنَ عباد الكاتب تُوفي ببغداد في الدولة العباسية ودُفِنَ بباب حرب[١]. وقال أبو أيوب: أظُنُّهُ فِيْمَنْ قَدِمَ من مُغَنِّي الحجاز على المهديّ.

صـوت

من المائة المختارة

يـا طَـلَـلاً غَـيَّـره بَـعـدِي ... صـوبُ رَبـيـع صـادق الـرعـدِ
أراكَ بـعـد الأنـس ذا وَحـشَـةٍ ... لَـسْـتُ كـمـا كُـنْـتَ عـلـى الـعـهـدِ
مـا لـي أُبـكّـي طَـلَـلاً كُـلَّـمـا ... سـاءلْـتُـهُ عَـيَّ عـن الـردِّ
كـان بـه ذو غُـنُـج[٢] أهـيَـفٌ ... أحـورُ مـطـبـوعٌ عـلـى الـصَّـدِّ

[السريع]

لم يُسَمِّ أبو أحمد[٣] قائل هذا الشعر. والغناءُ ليحيى المكيّ، ولحنُهُ المختار من الهزج بالوسطى.

---

(١) باب حرب: موضع في بغداد ينسب إلى حرب بن عبد اللّه البلخي أحد قواد أبي جعفر المنصور وكان يتولى شرطة بغداد.
(٢) الغنج: التدلل والتكسر.
(٣) أبو أحمد: يحيى بن علي بن يحيى بن المنجم.

أخبار يحيى المكي ونسبه

[اسمه وكنيته]

هو يحيى بن مرزوق، مولى بني أمية، وكان يَكْتُمُ ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه، فإذا سُئِلَ عن ولائِهِ انتمى إلى قريش ولم يَذْكُرِ البطن الذي ولاؤه لهم، واستعفى مَنْ سَأَلَهُ عن ذلك. ويُكَنَى يحيى أبا عثمان. وذكر ابن خُرداذْبَه أنه مولى خُزَاعة. وليس قولُهُ مما يحصَّل، لأنَّه لا يَعْتَمِدُ فيه على رِوَاية ولا دِرَاية.

أخبرني عبد اللَّه بن الرَّبيع أبو بكر الرَّبيعي صديقنا رَحِمَهُ اللَّه قال: حَدَّثني وسواسة بن الموصليّ ـ وقد لَقِيْتُ وسواسة هذا، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان مُعَلِّماً، ولم أسمعْ هذا منه فَكَتَبْتُهُ وأشياء أخر عن أبي بكر رحمه اللَّه ـ قال: حَدَّثني حَمَّاد بن إسحاق قال: قال لي أبي: سَأَلْتُ يحيى المكيّ عن ولائِهِ، فانتمى إلى قريش فاستزدتُهُ في الشرح فسألني أن أعفيه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا: حَدَّثنا أبو أيوب المديني قال:

كان يحيى المكيّ يُكَنَّى أبا عثمان، وهو مولى بني أُمَيَّة، وكان يكتمُ ذلك ويقول: أنا مولى قريش.

ولما قال أعشى بني سُلَيم يمدح دَحمان:

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبَتِهم ... لمَّا انبرى لهمُ دَحْمَان خِصيانا

فأبلِغوه عن الأعشى مقالتَهُ ... أعشى سُلَيم أبي عمرو سُليمانا

قولوا يقول أبوعمرو لِصُحْبَته ... ياليت دحمانَ قبل الموت غنَّانا

[البسيط]

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ، ـ ويُقالُ إنَّ ابنه حَمْدان بن أبان قالها. والأشبه عندي أنَّها لأبان، وما أظنّ ابنه أدرك يحيى ـ :

يا مَنْ يُفَضِّلُ دحماناً ويَمْدَحُهُ ... على المُغَنِّين طُرًّا قُلْتَ بهتانا

لـو كُـنْـتَ جالـستَ يـحيى أو سَـمِـعْـتَ بِـهِ لـم تـمـتـدحْ أبـداً مـاعِـشْـتَ إنـسـانـا
ولـم تَـقُـلْ سَـفَـهـاً فـي مـنـيـةٍ[1] عَـرَضَـتْ يـا لـيـت دحـمـانَ قـبـلَ الـمـوتِ غَـنَّـانـا
لَـقَـدْ عَـجِـبْـتُ لِـدَحـمـانٍ وَمـادِحـه لا كـان مـادحُ دحـمـانٍ ولا كـانـا
مـا كـان كـابـن صـغـيـرالـعَـيـن إذ جـرَيـا بَـلْ قـامَ فـي غـايـة الـمـجـرى ومـا دانـى
بَـذَّ الـجـيـادَ أبـو بـكـر وصـيَّـرَهـا مـن بـعـد مـا قَـرِحَـتْ جُـذْعـاً وثُـنـيـانـا[2]

[البسيط]

يعني بأبي بكر ابنَ صغير العين، وهو من مُغنِّي مكة. وله أخبار تذكر في موضعها إنْ شاء اللَّه تعالى.

[منزلته في الغناء]

وعُمّر يحيى المكيّ مائةً وعشرين سنة، وأصاب بالغناء ما لم يُصِبْهُ أحد من نظرائه، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل. وكان قَدِمَ مع الحجازيين الذين قَدِموا على المهديّ في أول خلافته، فَخَرَجَ أكثرُهم وبقي، يحيى بالعراق هو وولده يَخْدِمون الخلفاء إلى أن انقرضوا. وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ، وكان يُغَنِّي مُرْتَجِلاً، ويحضرُ مجلس المعتمد مع المغنِّين فَيُوَقِّعُ بقضيب على دواة. وَلَقِيَه جماعة من أصحابنا، وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا من عجائِزِ المُغَنِّيات، منهم قمرية العَمْريَّة، وكانت أمَّ ولد عمرو بن بانة. وممن أدركه من أصحابنا جَحْظة، وكتبنا عنه عن ابن المكيّ هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله. وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفُلَيح يفزَعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه، ويعايي[3] بعضُهُم بعضاً بما يأخذُهُ منه ويُغْرِبُ بِهِ على أصحابِهِ؛ فإذا خَرَجَتْ لهم الجوائز أخذوا منها ووفَّروا نصيبَهُ. وله صنعة عجيبة نادرة متقدّمة. وله كتاب في الأغاني ونسبها وأخبارها أو أجناسها، كبيرٌ جليلٌ مشهور، إلَّا أنه كان كالمطَّرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته. والعملُ على كتاب ابنه أحمد، فإنَّه صَحَّح كثيراً مما أفسده أبوه، وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه، وحقَّقَ ما نسبه من الأغاني إلى صانعه. وهو يَشْتَمِلُ على نحو ثلاثة آلاف صوت.

---

(١) المنية: البغية وما يتمنى.

(٢) الثنيان: جمع ثني وهو ما كان في الثالثة من سنه.

(٣) عيّ بالأمر وتعيّا به وتعايا، وأعياه الأمر إذا لم يضبطه. وعايا صاحبه معاياة إذا ألقى عليه كلاماً أو عملاً لا يهتدي لوجهه. وتقول: إياك ومسائل المعاياة، فإنها صعبة المعاناة. وداء عياء. وفحل عياء: لا يلقح.

[كتابه في الأغاني]

أخبرني عبد اللَّه بن الرَّبيع قال: حَدَّثني وسواسة بن الموصليّ قال: حَدَّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ قال: عَمِل جَدِّي كِتَاباً في الأغاني وأهداه إلى عبد اللَّه بن طاهر، وهو يومئذ شابّ حديث السن، فاستحسنه وسُرَّ به؛ ثم عَرَضَهُ على إسحاق فَعَرّفه عواراً[1] كثيراً في نَسَبِه، لأنَّ جدِّي كان لا يُصَحِّح لأحد نسبة صوت البتَّة، ويَنْسِبُ صنعته إلى المتقدمين، ويَنْحَلُ بعضَهُم صنعة بعض ضنًّا بذلك على غيره، فَسَقَطَ من عين عبد اللَّه وبقي في خِزانته؛ ثم وقع إلى محمد بن عبد اللَّه، فدعا أبي، وكان إليه مُحْسِناً وعليه مُفْضِلاً، فَعَرَضَهُ عليه؛ فقال له: إنَّ في هذه النسب تخليطاً كثيراً، خَلَطَها أبي لضنه بهذا الشأن على الناس، ولكنِّي أعملُ لك كتاباً أصحح هذا وغيرَهُ فيه. فَعَمِلَ له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه، فَوَصَلَهُ محمد بثلاثين ألف درهم. وصَحَّحَ له الكتاب الأول أيضاً فهو في أيدي الناس. قال وَسواسة: وَحَدَّثني حمَّاد أن أباه إسحاق كان يقدِّمُ يحيى المكيّ تقديماً كثيراً ويُفَضِّلُهُ ويُنَاضِلُ أباه وابنَ جامع فيه، ويقولُ: ليس يخلو يحيى فيما يَرْويه من الغناء الذي لا يعرفه أحدٌ مِنْكُم من أحد أمرين: إما أن يكون مُحقًّا فيه كما يقول، فقد عَلِمَ ما جهلتم، أو يكون من صنعتِهِ وقد نحله المتقدِّمين، كما تقولون، فهو أفضل له، وأوضح لتقدّمه عليكم. قال: وكان أبي يقول: لولا ما أفسد به يحيى المكيّ نَفسه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدِّمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقِلَّة ثباته على ما يحكيه من ذلك، لما تقدّمه أحد. وقال محمد بن الحسن الكاتب: كان يحيى يخلِّط في نسب الغناء تخليطاً كثيراً، ولا يزال يصنعُ الصوت بعد الصوت يتشبَّه فيه بالغريض مرَّة وبمعبد أخرى وبابن سُرَيج وابن مُحْرز، ويجتهدُ في إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعِهِ؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنَّاه على ما أحدث فيه، من ذلك، فيأتي بأحسن صنعة وأتقنها، وليس أحد يعرفها؛ فَيُسْأَلُ عن ذلك فيقول: أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل، فلا يُشَكّ في قوله، ولا يثبت لمباراته أحد، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مَظانّه ودوّنه، وكشف عوار يحيى في منحولاته وبيَّنَها للناس.

[أظهر إسحاق غلطه]

أخبرني عَمِّي قال: سَمِعْتُ عُبَيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر يذكر عن أحمد بن

(١) العوار: العيب.

سعيد المالكيّ ـ وكان مُغَنِّياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القوَّاد ـ قال: حَضَرْتُ يحيى المكيّ يوماً وقد غَنَّى صَوْتاً فَسُئِلَ عنه فقال: هذا لمالك ـ ولم يَحْفَظْ أحمد بن سعيد الصوت ـ ثم غَنَّى لحناً لمالك فَسُئِلَ عن صانعه فقال: هذا لي؛ فقال له إسحاق: قُلْتَ ماذا؟ فَدَيْتُكَ، وتضاحك به. فَسُئِلَ عن صانعه فأخبر به، ثم غَنَّى الصوت. فَخَجِلَ يحيى حتى أمسك عنه؛ ثم غَنَّى بعد ساعة في الثقيل الأول، واللحن:

صـوت

إنَّ الـخـلـيـطَ أجَـدّ فـاحـتَـمَـلا وأراد غـيـظَـكَ بـالـذي فـعـلا
فَـظَـلِـلْـتَ تـأمُـل قـربَ أوبَـتِـهـم والـنـفـسُ مـمـا تـأمُـل الأمـلا

[الكامل]

فَسُئِلَ عنه فنسبه إلى الغَريض. فقال له إسحاق: يا أبا عثمان، ليس هذا من نَمَط الغريض ولا طريقته في الغناء، ولو شِئْتَ لأخذتَ مالَكَ وتركْتَ للغريض مالَه ولم تَتْعَب. فاستحيا يحيى ولم يَنْتَفِعْ بِنَفْسِهِ بَقِيَّةَ يومه. فلما انصرف بعث إلى إسحاق بألطافٍ كثيرةٍ وبِرٍّ واسع، وَكَتَبَ إليه يعاتِبُهُ ويستكفُّ شرَّه ويقولُ له: لَسْتُ من أقرانك فَتُضادَّني، ولا أنا ممن يتصدَّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدَني، ولأنت إلى أن أفيدَكَ وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فَتَسمو به على أكفائك أحوجُ مِنْكَ إلى أن تباغضني، فَأُعطي غيرَكَ سلاحاً إذا حَمَلَهُ عليك لم تقم له، وأنت أولى وما تختار. فَعَرَفَ إسحاق صُدْقَ يحيى، فَكَتَبَ إليه يَعْتَذِرُ، وردَّ الألطافَ التي حَمَلَها إليه، وَحَلَفَ لا يعارضه بعدها، وشَرَطَ عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائد، فَوفَّى له بها، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدمين. وكان إذا حَزَبَهُ أمرٌ في شيء منها فَزِعَ إليه فأفاده وعاونه ونَصَحَهُ؛ وما عاود إسحاق معارضتَهُ بعد ذلك. وحَذِره يحيى، فكان إذا سُئِلَ بحضرته عن شيء صَدَقَ فيه، وإذا غاب إسحاق خَلَطَ فيما يُسْأَلُ عنه. قال: وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحه، ويقولُ لابنه أحمد: تعالَ حتى تأخذ مع أبي محمد ما اللَّه يعلم أنِّي كُنْتُ أبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق. قال: وكان إسحاق بعد ذلك يَتَعَصَّبُ ليحيى تعصُّباً شديداً، ويصفه ويُقَدِّمُهُ ويَعْتَرِفُ برياسته، وكذلك كان في وَصْفِ أحمد ابنه وتقريظه.

[عدد أصواته التي صنعها]

قال أحمد بن سعيد: والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا

تخليط يحيى. قال أحمد بن سعيد: وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلافِ صوت، منها زُهاء ألف صوت لم يُقَارِبْهُ فيها أحد، والباقي متوسِّط. وذَكَرَ بعضُ أصحابِ أحمد ابن يحيى المكيّ عنه أنه سُئِلَ عن صنعة أبيه فقال: الذي صَحَّ عندي منها ألف وثلثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتاً غَلَبَ فيها على الناس جميعاً مَنْ تقدَّم منهم ومن تأخّر، فلم يُقم له فيها أحد.

وقال حَمَّاد بن إسحاق قال لي أبي: كان يحيى المكيّ يُسألُ عن الصوت، وهو يعلم لمن هو، فَيَنسِبُهُ إلى غير صانعه، فَيُحْمَلُ ذلك عنه كذلك، ثم يسألُهُ آخرون فينسِبُهُ غيرَ تلك النسبة؛ حتى طال ذلك وكَثُرَ منه وقلَّ تحفظه، فَظَهَرَ عَواره، ولولا ذلك لما قاومه أحد.

وقال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبرِهِ: قال إسحاق يوماً للرشيد، قبل أن تَصلُح الحال بينه وبين يحيى المكيّ: أتحب يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كَذبَ يحيى فيما ينسِبُهُ من الغناء؟ قال: نعم. قال: أعطني أيَّ شعر شِئْتَ حتى أصنع فيه، واسألني بحضرة يحيى عن نِسْبَتِهِ فإنِّي سأنسبه إلى رجل لا أصلَ له، واسأل يحيى عنه إذا غَنَّيْتُهُ، فإنَّه لا يمتنع من أن يَدَّعي معرفته. فأعطاه شعراً فَصَنَعَ فيه لحناً وغَنَّاه الرشيدَ؛ ثم قال له: يسألني أمير المؤمنين عن نِسْبَتِهِ بين يديه. فَلَما حَضَرَ يحيى غَنَّاه إسحاقُ فسأله الرشيدُ: لمن هذا اللحن؟ فقال له إسحاق: لغناديس المديني؟ فأقبل الرشيد على يحيى فقال له: أَكُنْت لَقِيْتَ غناديس المديني؟ قال: نعم، لَقِيْتُهُ وأخذت عنه صوتين؛ ثم غَنَّى صوتاً وقال: هذا أحدهما. فلما خَرَجَ يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثاً وعِتْق جواريه: أن اللَّه ما خلق أحداً اسمه غناديس، ولا سُمِعَ في المغنين ولا غيرهم، وأنه وَضَعَ ذلك الاسم في وقته ذلك لِيَنْكَشِفَ أمرُهُ.

حَدَّثني أحمد بن جعفر جَحظة قال: حَدَّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ المرتجل قال: غَنَّى جدِّي يوماً بين يدي الرشيد:

صـــوت

هَـلْ هَـيَّـجـتـك مَـغَـانِـي الـحـيّ والـدُّورُ ... فـاشـتـقْـتَ إنَّ الـغـريـبَ الـدارِ مـعـذورُ
وهـل يَـحِـلّ بـنـا إذ عـيـشُـنـا أنِـقٌ[1] ... بِـيـضٌ أوانـسُ أمـثـالُ الـدُّمـى حُـورُ

[البسيط]

(١) أنق الشيء: راع حسنه.

ـ والصنعةُ له خفيفُ ثقيلٍ ـ فَسَارَ إليه إسحاق وسأله أن يُعيدَهُ إياه، فقال: نعم، حبًّا وكرامةً لك يابْن أخي، ولو غيرُك يَرُومُ ذلك لَبَعُد عليه؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق. فلما انصرف بَعَثَ إلى جَدِّي بِتَخْت[١] ثياب وخاتم ياقوت نفيس.

حَدَّثني جحظة قال: حَدَّثني القاسم بن زُرْزُور عن أبيه عن مولاه عليّ بن المارِقيّ قال: قال لي إبراهيم بن المهديّ: وَيْلَكَ يا مارقيّ! إنَّ يحيى المكيّ غَنَّى البارحةَ بِحَضْرَةِ أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكرُ زينبَ، وقد كان النّبيذ أخذَ مِنِّي فَأُنْسِيْت شعرَه، واستعدتُهُ إياه فلم يُعده، فاحتَلْ لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك عليّ سَبَق[٢]. فقال لي المارقيّ ـ وأنا يومئذٍ غلامُهُ ـ، اذهب إليه فقل له إنِّي أسأله أن يكون اليومَ عندي؛ فَمَضَيْتُ إليه فجئته به. فلما تغدَّوا وُضِعَ النّبيذ؛ فقال له المارقيّ: إنِّي كُنْتُ سمعتك تُغَنِّي صوتاً فيه زينب وأنا أحب أن آخذه منك ـ وكان يحيى يُوَقِّي هذا الشأنَ حَقَّه من الاستقصاء، فلا يخرج عنه إلا بحذر، ولا يدع الطلبَ والمسألة، ولا يُلقي صوتاً إلا بِعوَض. قال لي جحظة في هذا الفصل: هذا أفديتك ـ فعلُ يحيى مع ما أفاده من المال، ومع كرم مَنْ عاشره وخَدَمَهُ من الخلفاء مثلِ الرشيد والبرامكة وسائر الناس، لا يُلامُ ولا يُعابُ، ونحنُ مع هؤلاء السُّفل إن جئناهم نُكَارِمُهم[٣] تغافلوا عَنَّا، وإن أعطَوْنا النَّزْر اليسير مَنُّوا به علينا وعابونا، فَمَنْ يَلُومني أن أشتُمَهُم؟ فَقُلْتُ: ما عليك لوم.

ـ قال: فقال له يحيى: وأيّ شيء العِوَض إذا ألقَيْتُ عليك هذا الصوتَ؟ قال: ما تريد؛ قال: هذه الزَّربيَّة[٤] الأرمينيَّة، كم تقعد عليها! أما آن لك أن تَمَلَّها؟ قال: بلى، وهي لك. قال: وهذه الظباء الحرمِيَّة، وأنا مكيّ لا أنت، وأنا أولى بها، قال: هي لك، وأمر بِحَمْلِها معه. فلما حَصَلَتْ له، قال المارقيّ: يا غلام، هاتِ العود؛ قال يحيى: والميزانَ والدراهم، وكان لا يُغَنِّي أو يأخذ خمسين درهماً، فأعطاه إياه؛ فألقى عليه قولَهُ:

بـزيـنَـبَ ألْـمِـمْ قَـبـل أن يَـرحَـل الـرَّكـبُ وَقُـلْ إن تَـمَـلّـيـنـا فَـمـا مَـلّـكِ الـقَـلـبُ[٥]

[الطويل]

---

(١) التَّخْت: وعاء تصان فيه الثياب، فارسي، وقد تكلمت به العرب.

(٢) سابقته فسبقته، وتسابقنا واستبقنا. وتقول: من رزق السبقة أخذ السبقة؛ وهي ما يتراهن عليه. يقال: أحرز السبقة والسبق، وأحرزوا السبق والأسباق. وكان السبق مائةً من الإبل. وخيل سوابق وسبق. وسابق بين الخيل وسبق بينها.

(٣) نكارم: نثيبه ونكافئه.

(٤) الزِّرْبيَّةُ: الطِّنْفِسةُ، وقيل: البِساطُ ذو الخَمْلِ، وتُكْسَرُ زايُها وتفتح وتضم، وجمعها زَرابيُّ.

(٥) الشعر لنصيب بن رباح.

ـ ولحنُهُ لِكَرْدَم ثقيلٌ أوّل، فلم يشكّ المارقيّ أنه قد أخذ الصوتَ الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجته. فَبَكَّرَ إلى إبراهيم وقد أَخَذَ الصوتَ، فقال له: قد جِئْتُكَ بالحاجة. فدعا بالعود فَغَنَّاه إياه؛ فقال له: لا واللَّه ما هو هذا، وقد خَدَعَكَ، فعاود الاحتيال عليه. فَبَعَثَنِي إليه وَبَعَثَ معي خمسين دِرْهَماً. فلما دَخَلَ إليه وأكلا وشربا قال له يحيى: قد واليتَ بين دَعَواتك لي، ولم تكن بَرًّا ولا وَصولاً، فما هذا؟ قال: لا شيء واللَّه إلا محبتي للأخذ عنك والاقتباس منك؛ فقال: سَرَّك اللَّه، فَمَهْ. قال: تَذَكَّرْتُ الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي ألقَيْتَ عليّ. قال: فتريدُ ماذا؟ قال: تذكر الصوت. قال: أفعل، ثم اندفع فَغَنَّاه:

أَلْمِم بِزَينَبَ إِنَّ البَينَ قَد أَفِدا[1] قَلَّ الثَّواءُ لَئِن كانَ الرَّحيلُ غَدا[2]

[البسيط]

ـ والغناءُ لمعبد ثقيل أوّل ـ فَقَالَ له: نعم، فَدَيْتُكَ يا أبا عثمان، هذا هو، ألقه عليَّ، قال: العِوَضَ؛ قال: ما، شِئْتَ؟ قال: هذا المِطرَف الأسود؛ قال: هو لك. فأخذه وألقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له، وبَكَرَ إلى إبراهيم؛ فقال له: ما وراءك؟ قال: قد قَضَيْتُ الحاجةَ؛ فدعا له بعود فغنَّاه؛ فقال: خدعك واللَّه، ليس هذا هو؛ فعاود الاحتيالَ عليه، وكلُّ ما تعطيه إياه ففي ذِمَّتي. فلما كان اليومُ الثالث بَعَثَ بي إليه، فَدَعَوْتُهُ وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس. فقال له يحيى: فما لك أيضاً؟ قال له: يا أبا عثمان، ليس هذا الصوتُ هو الذي أرَدْتُ؛ فقال له: لَسْتُ أعلم ما في نفسك فأذكُرَه، وإنَّما عليّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمَسْتَ حتى لا يبقى عندي زينبُ البتَّةَ إلا أحضرتها؛ فقال: هاتِ على اسم اللَّه؛ قَالَ: اذكرِ العِوَضَ؛ قُلْتُ: ما شِئْتَ؛ قال: هذه الدُّرَّاعة[3] الوَشيُ التي عليك؛ قال: فخذها والخمسين الدرهم، فأحضرَها. فالقى عليه ـ والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل ـ :

لِزَينَبَ طَيفٌ تَعتَريني طَوارِقُهْ هُدوءاً إِذا النَّجمُ ٱرجَحنَّتْ[4] لَواحِقُهْ[5]

[الخفيف]

فَأَخَذَهُ منه ومضى إلى إبراهيم، فَصَادَفَهُ يشربُ مع الحُرَم؛ فَقَالَ له حاجبه: هو متشاغِلٌ؛ فقال: قُلْ لَهُ: قد جئتك بحاجَتِكَ. فَدَخَلَ فأعلمه؛ فَقَالَ: يدخل فَيُغَنِّيه في الدار وهو قائم، فإن كان هو وإلا فليخرج، فَفَعَلَ؛ فقال: لا واللَّه ما هو هذا، ولقد

(١) أفد: دنا.
(٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة.
(٣) الدُّرَّاعَةُ: جُبَّةٌ مَشقُوقَةُ المُقَدَّم.
(٤) إرجحنت: اهتزت ومالت.
(٥) الشعر لمحمد بن عبد اللَّه النَميري.

خدعك، فعاودَ الاحتيالَ عليه. ففعل مثل ذلك بيحيى، فقال له يحيى وهو يضحك: أمَا ظَفِرتَ بزينبك بعدُ؟ لا واللَّه يا عثمان، وما أشكّ في أنَّك تعتمدني بالمنع مما أُريده، وقد أخذْتَ كلّ شيء عندي معابثةً. فضحك يحيى وقال: قد استحييتُ منك الآن، وأنا ناصحك على شريطة؛ قال: نعم، لك الشريطة؛ قال: لا تلُمني في أن أعابثك لأنَّك أخذت في معابثتي، والمطلوب اليه أقدر من الطالب، فلا تعاود أن تحتال عليَّ فإنَّك تظفرُ منّي بما تريد، إنَّما دسَّك إبراهيم بن المهديّ عليّ لتأخذ مني صوتاً غنَّيْتُهُ، فسألني إعادته فمنعْتُهُ بخلاً عليه لأنه لا يلحقني منه خير ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائي باطِلاً، وطَمِعَ بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد؛ لا واللَّه إلا بأوفر ثمن وبَعْد اعترافك، وإلا فلا تطمع في الصوت. فقال له: أمَّا إذا فطنتَ فالأمر واللَّه على ما قلت، فتُغنِّيه الآن بعينه على شرط أنه كان هو هو وإلا فعليك إعادتُهُ، ولو غنَّيتني كلَّ شيء تعرفه لم احتسب لك إلا به؛ قال: اشتره. فتساوما طويلاً وماكسه[1] حتى بَلَغَ الصوتُ ألفَ درهم، فدفعها إليه؛ وألقى عليه:

صـــوت

طَـرَقَـتْـك زيـنـبُ والـمـزار بـعـيـدُ ... بـمـنًـى ونـحـن مـعـرِسّـون هـجـودُ

فـكـأنَّـمـا طَـرَقـتْ بـريَّـا روضـةٍ ... أُنُـفٍ تُـسَـحـسِـح مُـزنَـهـا وتَـجـودُ

[الكامل]

ـ لحنُهُ خفيف ثقيل. قال: وهو صوت كثير العمل، حلو النَّغم، مُحكم الصنعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع ـ فأخذه وبكَّر إلى إبراهيم بن المهديّ، فقال له: قد أفقرني هذا الصوت وأعراني، وأبلاني بوجه يحيى المكيّ وشحِّه وطلبه وشَرَهه، وحدَّثه بالقصَّة؛ فضحك إبراهيم. وغنَّاه إياه، فقال: هذا وأبيك هو بعينه. فألقاه عليه حتى أخذه، وأخلف عليه كلَّ شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسة آلاف درهم، وحَمَلَه على بِرْذون أَشهبَ فارِهٍ بسرجِهِ ولجامِهِ. فقال له: يا سيِّدي، فغُلامُك زُرزُور المسكين قد تردّد حتى ظَلَعَ[2]، هَبْ له شيئاً، فأمر له بألف درهم.

[غنى للأمين]

حَدَّثني جحظة قال: حدَّثني هِبة اللَّه بن إبراهيم بن المهديّ قال حدَّثني رَيِّق

(١) مَكَسَ في البيع يَمْكِسُ بالكسر مَكْساً. وماكَسَ مُماكَسَةً ومِكاساً. والمَكْسُ أيضاً: الجِباية. والماكِسُ: العَشَّارُ. وفي الحديث: «لا يدخل صاحبُ مَكْسٍ الجنة». والمَكْسُ: ما يأخذُه العَشَّارُ.

(٢) ظلع: عرج وغمز في مشيه.

وشارية جميعاً قالتا: كان مولانا ـ تعنيان أبي ـ في مجلس محمد الأمين يوماً والمغنون حضور فغنَّى يحيى المكيّ ـ واللحن له خفيف ثقيل ـ :

صـــوت

خـــلـــيـــلٌ لـــي أَهـــيـــمُ بِـــهِ فـــمـــا كـــافـــا ولا شَـــكَـــرَا
بـــلـــى يُـــدْعَـــى لـــه بـــاســـمـــي إذا مـــا ريـــعَ أو عـــثـــرَا

[مجزوء الوافر]

فاستردّه سيِّدنا وأحبّ أن يأخذه فجَعَل يحيى يُفسِدُه. وفطن الأمين بذلك، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمرَه بردّه وترْكِ التخليط، فدعا له وقَبَّلَ الأرض بين يديه وردَّ الصوت وجوَّده؛ ثم استعاده. فقال له يحيى: ليست تطيب لك نفسي به إلا بعوَض من مالك، ولا أنصحك واللَّه فيه، فهذا مال مولاي أخذته، فلِمَ تأخذ أنت غنائيَ! فضحكَ الأمين وحَكَم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها. فقبَّلَ يحيى يدَه وأعاد الصوت وجوَّده، فنظر إلى مُخارِق وعَلُّويه يتطلَّعان لأخذه فقطع الصوت؛ ثم أقبل عليهما وقال: قطعة من خُصية الشيخ تغطِّي أستاه عدّة صبيان، واللَّه لا أعدتُهُ بحضرتِكما. ثم أقبل على مولانا ـ تعنيان إبراهيم بن المهديّ ـ فقال: يا سيِّدي، إنِّي أصير إليك حتى تأخذَه عنِّي متمكِّنا ولا يشركك فيه أحد. فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه، وأخذناه معه.

[غنّى للرشيد]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدَّثنا أبو أيّوب المديني قال حدَّثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه: أرسل إليَّ هارونُ الرشيد، فدخلْتُ وهو جالس على كرسيّ بَتلَ دارا[1] فقال: يا يحيى، غنِّني:

مـتـى تـلـتـقـي الألّاف والـعـيـسُ كُـلَّـمـا تَـصـعَّـدنَ مـن وادٍ هـبـطـن إلـى وادِ

[الطويل]

فلم أزل أغنِّيه إياها ويتناول قدحاً إلى أن أَمسى. فعددتُ عَشرَ مرَّات استعاد فيها الصوت، وشَرِبَ عشرةَ أقداح، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، وأمرني بالانصراف.

[مدح إسحاق غناءه]

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ في خبرِهِ حدّثني أبي أحمدُ بن يحيى

(١) دارا: بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين، وهي من بلاد الجزيرة، ذات بساتين ومياه جارية.

قال: قال لي إسحاق: يا أبا جعفر، لأبيك مائةٌ وسبعون صوتاً، من أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابح . فقُلتُ لأبي: أيَّ شيء تعرف منها؟ فقال: لحنه في شعر الأخطل:

صـوت

خَفَّ القَطينُ[١] فَراحوا مِنكَ وابتكَروا[٢] وَأَزعَجَتهُم نَوًى في صَرفِها غِيَرُ
كَأَنَّني شارِبٌ يَومَ استُبِدَّ بِهِم مِن قَهوةٍ[٣] عتَّقتها حِمصُ أَو جَدَرُ[٤]

[البسيط]

لحن يحيى المكيّ في هذين البيتين ثقيل أوّل ـ هكذا في الخبر ـ ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أوّل، ولابن سُرَيج رمل.

قال: ومنها:

صـوت

بانَ الخَليطُ فَما أُؤمِلُهُ وعفا مِن الرَّوْحاء[٥] منزِلُهُ

(١) قطن بالمكان: أقام به. وهو قاطن الدار وقطينها: ساكنها. قال:

في دور نهدٍ جسدي قاطن والقلب مني في بيوت السكون

وخفّ القطين: أهل الدار، وهم قطّان مكة وقطينها: لمجاوريها، ويقال لأهل مكة وعاكفيها: قطين الله. وهو قطن النار: للقيّم على نار المجوس وموقدها. وهؤلاء قطين فلان: لخدمه وحاشيته. وضربه على القطن وهو ما بين الوركين.

(٢) ورد في الديوان«أو بكروا» بدل «وابتكروا».

(٣) ورد في الديوان «قرقف» بدل «قهوة».

(٤) جدر: قرية بين حمص وسلمية، تنسب إليها الخمر، وهي قرب دير اسحاق.

(٥) الروحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما أحد وأربعون ميلاً. وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما، وروى غير واحد أن رسول اللَّه ﷺ قال، وقد صلى في المسجد الذي ببطن الروحاء عند عرق الظبية: «هذا واد من أودية الجنة، قد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبياً، وقد مر به موسى بن عمران حاجاً أو معتمراً في سبعين ألفاً من بني إسرائيل على ناقة له ورقاء، عليه عباءتان قطويتان يلبي، وصفاح الروحاء تجاوبه». وقال مالك: إذا كانت القرية متصلة البيوت كالروحاء وشبهها لزمتهم الجمعة. قيل: وسميت الروحاء لكثرة أرواحها، وفيها ما يزعمون أنه قبر مضر بن نزار. والروحاء هي السيالة وفيها أهل وسوق صغير، وماؤها من الآبار وتباع بها شواهين وصقور. ومن قصيدة لأبي عبد اللَّه بن الأبار الكاتب ذكر فيها البقاع الحجازية=

مـــا ظَـــبـــيـــةٌ أدمـــاءُ عـــاطـــلـــة تـــحـــنـــو عـــلـــى طـــفـــل تُـــطَـــفِّـــلُـــهُ

[الكامل]

لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقيل بالبنصر. قال أحمد: قال لي إسحاق: وَدِدْتُ أن هذا الصوت لي أو لأبي وأنِّي مُغرَّم عشرة آلاف درهم. ثم قال: «هل سمعتم بأحسن من قوله: «على طفل تطفّله».

قال: ومنها:

صـــوت

وَكَّـفٍ كـعُـوّاذ[1] الـنـقـا لا يَـضـيـرهـا إذا بـــرزَتْ ألَّا يـــكـــون خِـــضـــابُ

أنـامـل فُـتـخ[2] لا تـرى بـأصـولـهـا ضـمـوراً ولـم تَـظـهَـر لـهـن كِـعـابُ

[الطويل]

ولحنُه من الثقيل الثاني.

قال: ومنها:

صـــوت

صـادتـك هـنـدٌ وتـلـك عـادتـهـا فـالـقـلـبُ مـمـا يَـشُـفُّـه كَـمِـدُ

كـم تـشـتـكـي الـشـوقَ مـن صـبـابـتـهـا ولا تُـبـالـي هـنـدٌ بـمـا تـجـدُ

[المنسرح]

ولحنه من خفيف الثقيل:

وقال: ومنها:

صـــوت

أعَـسـيـتَ مـن سَـلـمـى هـوا كَ الـيـومَ مـحـتـلاً جـديـدا

ومَـرابِـطَ الـخـيـلِ الـجِـيـا دِ ومـنـزلاً خَـلَـقـا هـمُـودَا

[مجزوء الكامل]

= يتشوق إليها ويتطلب إلى ممدوحه الأمير الأجل أبي زكريا ملك إفريقية تسريحه إلى الحجاز:

ويـرتـاح لـلـروحـاء قـلـبـي وفـجـهـا إذا سـلـكـت شـعـبـاً ركـابـي أو فـجـا

(١) يـقـصـد الـشـاعـر بـقـولـه: الـيـد الـتـي تـعـوذ بـالـكـثـيـب مـن الـرمـل وتـلـوذ بـه.

(٢) أنامل فتخ: أنامل رخصة ولينة.

ولحنه خفيف ثقيل أيضاً.

قال: ومنها.

صـوت

ألا مَـرْحـبـاً بـخـيـالٍ ألـمْ وإن هـاج لـلـقـلـبِ طـولَ الألَـمْ
خـيـالٌ لأسـمـاءَ يَـعـتـادنـي إذا الـلـيـلُ مَـدَّ رِواقَ الـظُّـلَـمْ

[المتقارب]

ولحنه ثقيل أوَّل.

قال: ومنها:

صـوت

كَـمْ لـيـلـةٍ ظَـلـمـاءَ فـيـكِ سـريـتـهـا أتْـعَـبْـتُ فـيـهـا صُـحـبـتـي وركـابـي
لا يُـبـصِـرُ الـكـلـبُ الـسَّـروق خِـبـاءَهـا ومـواضـعَ الأوتـاد والأطـنـابِ[1]

[الكامل]

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى. وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغريض. قال ابن المكيّ: غنَّى أبي الرشيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأطربه، ثم قال له: قُمْ يا يحيى فخُذ ما في ذلك البيت، فظنَّه فرشاً أو ثياباً، فإذا فيه أكياس فيها عين وورق؛ فحُمِلَت بين يديه فكانت خمسين ألف درهم مع قيمة العين.

قال: ومنها:

صـوت

إنِّـي امـروٌ مـالـي يَـقـي عِـرْضـي ويَـبـيـت جـارِي آمِـنـاً جَـهـلـي
وأرى الـذّمـامـةَ[2] لـلـرَّفـيـق إذا ألـقـى رِحـالـتَـه إلـى رَحـلـي[3]

[الكامل]

---

(١) الطُّنُبُ: حَبلُ الخِباء والسُّرادق ونحوهما وأطناب الشَّجر: عروقها، وأطنابُ الجَسَدِ: عَصَبٌ يصل المفاصل والعِظامَ ويَشُدُّها.

(٢) الذمامة: الحرمة والحق.

(٣) الرحالة والرحل: مركب للبعير، وهما أيضاً منزل الرجل ومسكنه وبيته.

ولحنُهُ خفيفُ ثقيل. قال ابن المكيّ غنّى ابنُ جامع الرشيدَ يوماً البيتَ الأوَّل من هذين البيتين ولم يَزِدْ عليه شيئاً؛ فأُعجب به الرشيدُ واستردّه مِراراً، وأسكت لابن جامع المغنِّنين جميعاً، وجعل يسْمعُهُ ويشربُ عليه، ثم أمرَ له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتيمَ وعشر خِلَع، وانصرف. فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكيّ فاستأذن عليه، فأذِنَ له، فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع واستغاث به. فقال يحيى: أفزاد على البيت الأول شيئاً؟ قال: لا؛ قال: أفرأيتَ إن زدْتُكَ بيتاً ثانياً لم يعرفه اسماعيل أو عرفه ثم أُنسيه، وطرحتُهُ عليك حتى تأخذه ما تجعلُ لي؟ قال: النصف مما يصل إليّ بهذا السبب؛ قال: واللَّه؟! فأخذ بذلك عليه عهداً وشرطاً واستحلفه عليه أيماناً مؤكدة؛ ثم زاده البيت الثاني وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف. فلما حضر المغنُّون من غد ودُعي به كان أوَّل صوت غنَّاه إبراهيمُ هذا الصوتُ، وجاء بالبيت الثاني وتحفَّظ فيه فأصاب وأحسن كلَّ الإحسان، وشَرِبَ عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكِرَ، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خلع؛ فحمل ذلك كلَّه، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزلِهِ. وانصرف ابن جامع في صدر بوّابه ودخل إليه، فقال له: إيه يا يحيى، كيف صنعت! ألقيتَ الصوت على الجُرْمُقانيّ[1]! لا رفع اللَّه صَرعتَك ولا وهبَ لك العافية. وتشاتما ساعةً، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مدوَّخ.

حَدَّثني عمِّي قال: حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدَّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال: قال لي إسحاق:

كنتُ أنا وأبوك وابن جامع وفُليح بن أبي العوراء وزبير بن دَحمان يوماً عند الفضل بن الربيع؛ فانبرى زُبير بن دحمان لأبيك «يعني يحيى»، فجعلا يُغنِّيان ويباري كلُّ واحد منهما صاحبه، وذلك يُعجِبُ الفضل، وكان يتعصَّب لأبيك ويعجب به. فلما طال الأمر بينهما قال له الزبيرُ: أنت تنتحلُ غناء الناس وتدَّعيه وتنحَلهم ما ليس لهم. فأقبلَ الفضل عليّ وقال: أحكم أيها الحاكم بينهما، فلم يخفَ عليك ما هما فيه؛ فقُلْتُ: لَئِن كان من صنعته إنه لأحسن الناس صنعةً، وما أعرف أحداً أروى منه ولا أصحَّ أداءً للغناء، كان ما يغنِّيه له أو لغيره. فسُرَّ بذلك الفضل وأعجبه. ومازال أبوك يشكره لي.

---

(١) جَرامِقةُ الشام: أَنباطها، واحدهم جُرْمُقانيٌّ؛ ومنه قول الأَصمعي في الكُميت: هو جُرْمُقانِيٌّ. التهذيب: الجَرامِقةُ جيل من الناس. الجوهري: الجرامقة قوم بالمَوْصِل أَصلهم من العجم.

صـوت

من المائة المختارة

أَهـاجَـتـكَ الـظَّـعـائِـنُ يَـومَ بـانـوا بِـذي الـزَّيِّ الـجَـمـيـلِ مِـنَ الأَثَـاثِ
ظَـعـائِـنُ أُسْـلِـكَـت نَـقـبَ الـمُـنـقّـى تَـحُـثُّ إِذا وَنَـت أَيَّ احـتِـثـاثِ

[الوافر]

الشعرُ للنُّميري. والغناءُ للغريض، ولحنه المختار ثقيل أوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

أخبار النميري ونسبه

هو محمد بن عبد اللَّه بن نُمَيْر بن خَرَشة بن ربيعة بن حُبيب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسيّ؛ وقسيّ هو ثَقيف. شاعرٌ غَزِل، مُوَلَّد؛ ومنشؤه بالطائف، من شُعَراء الدولة الأموية، وكان يهوى زينبَ بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجَّاج بن يوسف، وله فيها أشعار يتشبَّب بها.

حَدَّثني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حَدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم قال: حَدَّثنا العُمَريّ عن لَقِيط بن بكير المحاربيّ، وأخبرني أحمد بن عُبَيْد اللَّه بن عمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة: أنَّ النُّميريّ كان يَهْوى زينبَ بنتَ يوسف أختَ الحجَّاج بنِ يوسف بن الحكم لأبيه وأمّه. وأمهما الفارعة بنت همَّام بن عُروة بن مَسْعود الثَّقَفيّ؛ وكانت عند المغيرة بن شُعْبة فرآها بُكرةً وهي تتخلَّل، فقالَ لها: واللَّه لَئِن كان من غداء لَقَدْ جَشِعت، ولئن كان من عَشاء لقد أنتنتِ، وطلقها. فقالت: أبعدَكَ اللَّه! فَبِئْسَ بعلُ المرأة الحرة أنت! واللَّه ما هو إلا مِن شظيَّة من سواكي استمسكت بين سِنَّين من أسناني. قال حبيب بن نصر خاصّة في خبره: قال عمر بن شبَّة حدَّثنا بذلك أبو عاصم النّبيل.

أخبرني حَبيب بن نصر قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة عن يعقوب بن داود الثَّقَفيّ، وحَدَّثنا به ابن عمَّار والجوهريّ عن عمر بن شبَّة ـ ولم يذكرا فيه يعقوب بن داود ـ قالوا جميعاً:

قال مُسلم بن جُنْدب الهُزَليّ ـ وكان قاضي الجماعة بالمدينة ـ إنِّي لمع محمد بن عبد اللَّه بن نُمَير بِنَعمان[1] وغلام يَسيرُ خَلْفَه يشتمُهُ أقبح الشتيمة؛ فَقُلْتُ: من هذا؟ فقال هذا الحجَّاج بن يوسف، فإنِّي ذكرت أخته في شعري، فأحفظه ذلك.

قال عمر بن شَبَّة في خبره: وولدت الفارعة أمُّ الحجَّاج من المُغِيرة بن شُعْبَة بنتاً فماتت؛ فَنَازَعَ الحجاجُ عروةَ بن المغيرة إلى ابن زياد في ميراثِها؛ فَأَغْلَظَ الحجَّاج لِعُروة، فأمر به ابنُ زياد فَضُرِبَ أسواطاً على رأسه. وقال لأبي عبد اللَّه تقول هذه

(١) نعمان: هو نعمان الأراك، واد بينه وبين مكة نصف ليلة.

المَقالة! وكان الحجَّاج حاقداً على آل زياد ينفيهم من آل أبي سفيان ويقول آل أبي سفيان سُتْه[١] حُمْش[٢] وآل زياد رُسْحٌ[٣] حُدْلٌ[٤].

وكان يوسف بن الحكم اعتلَّ عِلَّةً فَطَالَتْ عَلَيه؛ فَنَذَرتْ زينب إن عُوفِيَ أن تمشي إلى البيت[٥]، فَعُوفي فَخَرَجَتْ في نسوة فقطعنَ بطن وَجّ[٦] وهو ثلثمائة ذراع، في يوم جعلته مرحلةً لِثِقَلِ بدنها، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا في شهر. فبينا هي تسير إذ لَقِيها إبراهيم بن عبد اللَّه النُّمَيريّ أخو محمد بن عبد اللَّه منصرفاً من العمرة. فلما قَدِمَ الطائف أتى محمداً يسلِّمُ عليه؛ فقال له: أَلَكَ عِلْمٌ بزينب؟ قال: نعم؛ لقيتها بالهَماء[٧] في بطن نَعْمان؛ فقال ما أحسبك إلا وقد قلت شيئاً؛ قال: نعم، قُلْتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهةَ أن يَنْشَبَ بيننا وبين إخواننا شرّ. فقال محمد هذه القصيدةَ وهي أوَّل ما قاله

صـوت

[شعره في زينب]

تَضوَّعَ مِسكاً بَطنُ نعمانَ إذ[٨] مَشَت ... بِهِ زينَبٌ في نِسوَةٍ عَطراتِ

فَأَصبَحَ ما بَينَ الهَماءِ فَحُزوَةً ... إلى الماءِ ماءَ الجَزعِ ذي العَشَراتِ[٩]

لَهُ أَرَجٌ مِن مَجمَرِ الهِندِ ساطِعٌ ... تَطلَّعُ رَيَّاهُ مِنَ الكَفراتِ[١٠]

تَهادينَ ما بَينَ المُحَصَّبِ[١١] مِن مِنًى ... وَأقبَلنَ لا شُعثاً وَلا غَبِراتِ

---

(١) السَّتَهُ: مصدر الأسْته، وهو الضّخُم الأسْتِ. ويُقال للواسعةِ الدُّبُر: ستهاءُ وسُتْهُمٌ.

(٢) الحَمْشُ: الدَّقيقُ القوائِم. وساقٌ حَمْشةٌ، جزم، وتجمَع على: حُمْش وحِماش.

(٣) يقال: منه امرأةٌ رَسْحاءَ أيْ لا عَجيزَة لها. قد رَسَحَتْ رَسْحاً. وقد يوصف به الذئب.

(٤) الأحْدَلُ: ذو الخُصْيَة الواحدة من كُلِّ شيء، ويقال لِمائِل الشِّقَّين أيضاً.

(٥) البيت هو مكة المكرمة.

(٦) وجّ: اسم واد بالطائف وهو ما بين جبلي المحترق والاحيحين.

(٧) الهماء: موضع بنعمان بين مكة والطائف.

(٨) ورد في بعض المصادر «إن» بدل «إذ».

(٩) العشرات: جمع عشر(بضم ففتح). وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو، وهو عريض الورق ينبت صعداً في السماء، وله سكر يخرج من شعبه ومواضع زهره يقال له سكر العشر، وفي سكره شيء من مرارة.

(١٠) الكَفِرُ: العظيم من الجِبال. والجمع: كَفِرات.

(١١) المحصب: بمكة معروف مأخوذ من الحصباء، وقال الشاعر:

ولـم أر لـيـلـى قـبـل مـوقـف سـاعـة ... بخيف منى ترمي جمار المحصب

أَعـانَ الَّـذي فَـوقَ الـسَّـمـاواتِ عَـرشَـهُ مَـواشـيَ بِـالـبَـطـحـاءِ مُـؤتَـجَـراتِ[١]
مَـرَرنَ بَـفَـخٍّ[٢] ثُـمَّ رُحـنَ عَـشِـيَّـةً يُـلَـبِّـيـنَ لِـلـرَّحـمـنِ مُـعـتَـمِـراتِ
يُـخَـبِّـئـنَ أَطـرافَ الـبَـنـانِ مِـنَ الـتُّـقـى وَيَـقـتُـلـنَ بِـالأَلـحـاظِ مُـقـتَـدِراتِ
تَـقَـسَّـمـنَ لُـبِّـي يَـومَ نـعـمـانَ إِنَّـنـي رَأَيـتُ فـؤادي عـارِمَ[٣] الـنـظـراتِ[٤]
جَلونَ وُجوهاً لَم تَلُحها[٥] سَمائِمٌ[٦] حَـرُورٌ وَلَـم يَـسـفَـعـنَ بِـالـسَّـبـراتِ[٧]
فَـقُـلـتُ يـعـافـيـرَ الـظِّـبـاءِ تَـنـاوَلَـت يِـنـاعَ[٨] غُـصـونِ الـوَرد مُـهـتَـصِـراتِ[٩]
وَلَـمـا رَأَت رَكـبَ الـنُّـمـيـريِّ راعَـهـا[١٠] وَكُـنَّ مِـنَ آن يَـلـقـيـنَـهُ حَـذِراتِ
فَـأَدنـيـنَ، حَـتّـى جـوَّزَ الـرَّكـبُ، دونَـهـا حِـجـاباً مِـن الـقَـسِّـيِّ[١١] وَالـحَـبَـراتِ[١٢]
وَكِـدتُ اشـتِـيـاقـاً نَـحـوَهـا وَصَـبـابَـةً تَـقـطَّـعُ نَـفـسـي إِثـرَهـا حَـسَـراتِ
فَـراجَـعَـتُ نَـفـسـي وَالـحَـفـيـظَـة بـعـدمـا بَـلَـلـتُ رِداءَ الـعَـصـبِ[١٣] بِـالـعَـبـراتِ

[الطويل]

ـ غَنَّى ابن سُرَيج في الأوَّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان»، ولحنه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ قال أبو زيد: فَبَلَغَتْ هذه القصيدةُ عبد الملك بن مروان، فَكَتَبَ إلى الحجَّاج: قَدْ بلغني قول الخبيث في

(١) مؤتجرات: طالبات للأجر.
(٢) فخ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال وبه كانت وقعة الحسين وعقبة.
(٣) أي شارد النظرات حائرها.
(٤) ورد في بعض المصادر:
تَـقَـسَّـمـنَ لُـبِّـي يَـومَ نـعـمـانَ إِنَّـنـي بُـلـيـتُ بِـطَـرفٍ فـاتِـكِ الـلَّـحـظـاتِ
(٥) لاحته الشمس: لفحته وغيرت وجهه.
(٦) السمائم: السَّمُومُ: الرِّيحُ الحارّة في النهار.
(٧) السَّبرَة: الغَداة الباردةُ، ومنه إِسباغُ الوُضوءِ في السَّبَراتِ.
(٨) هكذا وردت في الأصول، ولكن من الأصح القول «نياع»، فهذا أصوب للمعنى. ويُقال: ناعَ الغُصْنُ يَنُوعُ ويَنِيعُ، نَوْعاً ونَيْعاً: مالَ وقالَ في تَرْكيبِ سجع: النَّوائِعُ منَ الغُصُونِ: المَوائِلُ منْ ناعَ يَنِيعُ. ومنْ قَوْلِهِم: جائِعٌ نائِعٌ، أي: مُتَمايِلٌ ضَعْفاً.
(٩) الهَصْرُ: أن تأخُذَ برأس الشّيء ثم تَكْسِرُه إليه من غيرِ بَيْنونةٍ.
(١٠) ورد في بعض المصادر «أعرضت» بدل «راعها».
(١١) القسي: ضرب من الثياب، وهو منسوب إلى قس.
(١٢) الحبرات: وهو ضرب من برود اليمن موشى.
(١٣) يقال: عليهم أردية العصب وهو ضرب من البرود يعصب غزله ثم يصبغ ثم يحاك.

زينب، فالهُ عنه وأعرِض عن ذكرِهِ فإنَّك إنْ أدنيتَهُ أو عاتبتَهُ أطمعته وإن عاقبته صَدَّقته.

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبي قال: حَدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال: حَدَّثنا أبو سَلمة الغِفاريّ قال: هَرَبَ النُّميريّ من الحجَّاج إلى عبد الملك واستجار بِهِ؛ فَقَالَ له عبد الملك أنشدني ما قلت في زينب فأنشده. فلما انتهى إلى قوله:

وَلَـمـا رَأَت رَكـبَ الـنُّـمـيـريِّ راعَـهـا وَكُـنَّ مِـنَ ٱن يَـلـقـيـنَـهُ حَـذِراتِ

[الطويل]

قال له عبد الملك: وما كان ركبك يا نميريّ؟ قال: أربعة أحْمِرة لي كنت أجلُب عليها القَطْران، وثلاثة أحمرة صحبتي تحمل البعر. فَضَحِكَ عبد الملك حتى استغرق ضحكاً، ثم قال: لقد عَظَّمْتَ أمرَكَ وأمرَ ركبك؛ وكتب له إلى الحجَّاج أن لا سبيل له عليه.

فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له: أنا بريء من بَيْعَةِ أمير المؤمنين، لَئِنْ لم يُنْشِدني ما قال في زينب لآتينّ على نفسه، ولئن أنشدني لأعفونّ عنه وهو إذا أنشدني آمن. فقال له يزيد: وَيْلَكَ! أنشده؛ فأنشده قوله:

تَـضـوَّعَ مِسـكـاً بَـطـنُ نـعـمـانَ إِذ مَـشَـت بِـهِ زيـنَـبٌ فـي نِـسـوَةٍ عَـطـراتِ

[الطويل]

فقال: كَذَبْتَ واللَّه؛ ما كانت تَتَعَطَّر إذا خَرَجَتْ مِنْ مَنْزِلِها ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

وَلَـمـا رَأَت رَكـبَ الـنُّـمـيـريِّ راعَـهـا وَكُـنَّ مِـنَ ٱن يَـلـقـيـنَـهُ حَـذِراتِ

[الطويل]

قال له: حقَّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خَفِرات صالحات ثم أنشده حتى بَلَغَ إلى قوله:

مَـرَرنَ بَـفَـخٍّ[1] ثُـمَّ رُحـنَ عَـشِـيَّـةً يُـلَـبِّـيـنَ لِـلـرَّحـمـنِ مُـعـتَـمِـراتِ

[الطويل]

فقال: صَدَقْتَ، لقد كانت حَجَّاجَة صَوّامة ما علمْتُها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

يُـخـمِّـرنَ أَطـرافَ الـبَـنـانِ مِـنَ الـتُّـقـى وَيـخـرجـنَ جـنـحَ الـلـيـل مُـعـتـجِـراتِ

[الطويل]

---

(١) فخ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال وبه كانت وقعة الحسين وعقبة.

فقال له: صَدَقْتَ هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة. ثم قال له: وَيْحَكَ! إنِّي أرى ارتياعَكَ ارتياعَ مُريب، وقولك قولَ بريء، وقد أمَّنْتَك، ولم يَعرِض له.

قال أبو زيد[١]: وقيل إنَّه طالب عريفَه به وأقسم لَئِن لم يجئه به لَيَضْرِبَن عُنْقَه فجاءه به بعد هرب طويل منه؛ فخاطبه بهذه المخاطبة.

[من شعره في زينب]

قال أبو زيد: وقال النميريّ في زينب أيضاً:

صـــوت

طَرِبْتَ وَشاقَتكَ المَنازِلُ مِن جَفنِ[٢] أَلّا رُبَّما يَعتادُكَ الشَّوقُ بِالحُزنِ
نَظَرْتُ إِلى أَظعانِ زينَبَ بِاللِّوى فَأَعوَلتَها[٣] لَو كانَ إِعوالُها يُغني
فَوَاللَّهِ لا أَنساكِ زينَبُ ما دَعَت مُطوَّقَةٌ وَرقاءُ شَجواً عَلى غُصنِ
فَإِنَّ احتِمالَ الحَيِّ يَومَ تَحَمَّلوا عَناكِ وَهَل يَعنيكِ إِلّا الَّذي يَعني
وَمُرسِلَةٌ في السِّرِّ أَن قَد فَضَحتَني وَصَرَّحتَ بِاسمي في النَّسيبِ فَما تَكني
وَأَشمَتَّ بي أَهلي وَجُلَّ عَشيرَتي لِيَهنَئكَ ما تَهواهُ إِن كانَ ذا يَهني
وَقَد لا مَني فيها اِبنُ عَمّيَ ناصِحاً فَقُلتُ لَهُ خُذ لي فُؤادِيَ أَو دَعني

[الطويل]

ـ غَنَّى ابنُ سُرَيج في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات لحناً من الرمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ قال أبو زيد: فَيُقالُ إنَّه بَلَغَ زينبَ بنتَ يوسف قولُهُ هذا فَبَكَتْ؛ فقالت لها خادمتها: ما يُبْكيكِ؟ فقالت: أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهِلٌ بي لا يَعْرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقًّا.

قال: وقال النميريّ فيها أيضاً:

أَهاجَتكَ الظَّعائِنُ يَومَ بانوا بِذي الزَّيِّ الجَميلِ مِنَ الأَثاثِ

---

(١) هو أبو زيد عمر بن شبَّة النميري البصري، كان شاعراً إخبارياً فقيهاً صادق اللهجة غير مدخول الرواية واسع الاطلاع. ولد سنة ١٧٣هـ وتوفي بسر من رأى سنة ٢٦٣هـ.

(٢) جفن: اسم واد بالطائف لثقيف، وهو بين الطائف وبين معدن البرام.

(٣) أعول: رفع صوته بالبكاء.

ظَـعـائِـنُ أُسـلِـكَـت نَـقـبَ الـمُـنـقّـى تَـحُـثُّ إذا وَنَـت أَيَّ احـتِـثـاثِ
تُـؤَمِّـلُ أَن تُـلاقـي أَهـلَ بُـصـرى فَـيـا لَـكَ مِـن لِـقـاءٍ مُـسـتَـراثِ[١]
كَـأَنَّ عَـلـى الـحَـدائِـجِ[٢] يَـومَ بـانـوا نِـعـاجـاً[٣] تَـرتَـعـي بـقْـلَ الـبُـراثِ[٤]
يُـهـيِّـجُـنـي الـحَـمـامُ إذا تَـداعَـى كَـمـا سَـجَـعَ الـنَّـوائِـحُ بِـالـمَـراثـي
كَـأَنَّ عُـيـونَـهُـنَّ مِـنَ الـتَّـبَـكِّـي فُـصـوصَ الـجَـزْعِ[٥] أَو يَـنـعَ الـكـبـاثِ[٦]
أَلاقٍ أَنـتَ فـي الـحِـجَـجِ الـبَـواقـي كَـمـا لاقَـيـتَ فـي الـحِـجَـجِ الـثَّـلاثِ

[الوافر]

[أمان عبد الملك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق قال: قَرَأْتُ على أبي: حَدَّثنا عثمان بن حَفْص وغيره أنَّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مروان لمَّا بَعَثَ بالحجَّاج لحرب ابن الزبير، وقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ غُلاماً منا قال في ابنتي زينبَ ما لا يزال الرجلُ يقول مثله في بنت عمِّه، وإن هذا «يعني ابنه الحجَّاج» لم يزل يَتَتوَّق إليه ويَهُمُّ به، وأنت الآن تبعثه إلى ما هناك، وما آمنه عليه. فدعا بالحجَّاج فقال له: إنَّ مُحَمداً النُّميري جاري ولا سلطان لك عليه، فلا تعرض له.

قال إسحاق فَحَدَّثني يعقوب بن داود الثَّقَفي قال: قال لي مسلم بن جُندَب الهُذَليّ: كُنْتُ مع النُّميريّ وقد قتل الحجَّاجُ، عبد اللَّه بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة، فتأخَّرَ النُّميريّ حتى كان في آخرهم، فدعا به ثم قال له: إنَّ مكانَكَ لم يخفَ عليَّ، ادنُ فبايعْ.

ثم قال له: أنشدني ما قُلْتَ في زينب؛ قال: ما قُلْتُ إلا خيراً؛ قال: لَتُنْشِدَنّي. فأنشده قوله:

تَـضـوَّعَ مِـسـكـاً بَـطـنُ نَـعـمـانَ إن مَـشَـت بِـهِ زيـنَـبٌ فـي نِـسـوَةٍ عَـطـراتِ

(١) مستراث: مستبطأ.
(٢) الحدائج جمع حديجة، وهي من مراكب النساء نحو الهودج.
(٣) نساء كنعاج الرمل وهي البقر. وإبل نواعج: سراع، وقد نعجت في سيرها. قال أبو حرام: سمّيت بذلك لأن النّعاج كانت تصاد عليها. ونعج نعجاً: خلص بياضه. يقال: جمل ناعج، وامرأة ناعجة، ونساء نعج المحاجر، دعج النّواظر.
(٤) برث: حبذا تلك البراث الحمر، والدماث العفر، وهي الأراضي السهلة اللينة.
(٥) الجزع (بالفتح): الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض.
(٦) الكَباث بالفتح: النَّضيجُ من ثمر الأراكِ. وكَبِثَ اللحمُ بالكسر، أي تَغَيَّرَ وأَرْوَحَ.

أَعـانَ الَّـذي فَـوقَ الـسَّـمـاواتِ عَـرشُـهُ مَـواشـيَ بِـالـبَـطـحـاءِ مُـؤتَـجَـراتِ
يُـخـمِّـرنَ أَطـرافَ الـبَـنـانِ مِـنَ الـتُّـقـى ويـخـرُجـن جـنـحَ الـلـيـل مُـعـتـجِـراتِ[1]

[الطويل]

فما ذَكرتُ أيها الأمير إلا كرماً وخيراً وطيباً. قال: فأنشد كلمتك كلَّها فأنت آمن؛ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

وَلَـمـا رَأَت رَكـبَ الـنُّـمـيـريِّ أَعـرَضَـت وَكُـنَّ مِـنَ آن يَـلـقـيـنَـهُ حَـذِراتِ

[الطويل]

فقال له: وما كان ركبُك؟ قال: واللَّه ما كان إلا أربعة أحْمِرة تحمل القَطران. فَضَحِكَ الحجَّاج وأمره بالإنصراف ولم يَعْرِض له.

[هربه من الحجَّاج]

أخبرني عمِّي قال: حَدَّثنا الكِرانيّ عن الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن عَطاء عن عاصم بن الحَدَثان قال: كان ابن نُمَير الثَّقفيّ يُشَبِّبُ بزينبَ بنتِ يوسف بن الحَكَم فكان الحَجَّاج يتهدَّده ويقول: لولا أن يقول قائل صَدَقَ لَقَطَعْتُ لسانَهُ. فَهَرَبَ إلى اليمن ثم رَكِبَ بحر عَدَن[2]، وقال في هربه:

أَتَـتـنـي عَـنِ الـحَـجَّـاجِ وَالـبَـحـرُ بَـيـنَـنـا عَـقـارِبُ تَـسـري وَالـعُـيـونُ هَـواجِـعُ
فَـضِـقـتُ بِـه ذَرعـاً وَأَجـهَـشـتُ خِـيـفَـةً وَلَـم آمَـنِ الـحَـجَّـاجَ وَالأَمـرُ فـاظِـعُ
وَحَـلَّ بِـيَ الـخَـطـبُ الَّـذي جـاءَنـي بِـهِ سَـمـيـعٌ فَـلَـيـسَـت تَـسـتَـقِـرُّ الأَضـالِـعُ
فَـبِـتُّ أُديـرُ الأَمـرَ وَالـرَّأيَ لَـيـلَـتـي وَقَـد أَخـضَـلَـت خَـدّي الـدُّمـوعُ الـتَّـوابِـعُ[3]
وَلَـم أَرَ خَـيـراً لـي مِـنَ الـصَّـبـرِ إِنَّـهُ أَعـفُّ وَخَـيـرٌ إِذ عَـرَتـنـي الـفَـواجِـعُ
ومـا أَمِـنَـت نَـفـسـي الَّـذي خِـفـتُ شَـرَّهُ وَلا طـابَ لـي مِـمّـا خَـشِـيـتُ الـمَـضـاجِـعُ
إِلـى أَن بـدا لـي رأس إِسْـبِـيـلَ[4] طـالـعـاً وإِسـبـيـلُ حـصـن لـم تَـنَـلْـه الأَصـابـعُ
فـلـي عـن ثَـقـيـفٍ إِن هـمـمـتُ بـنَـجْـوة مَـهـامِـهُ تَـهْـوِي بـيـنـهـنّ الـهَـجـارِعُ[5]

(١) ورد العجز في بعض المصادر على الشكل التالي:
وَيَـقـتُـلـنَ بِـالأَلـحـاظِ مُـقـتَـدِراتِ
(٢) بحر عدن: هو بحر القلزم، ويسمى كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع.
(٣) ورد في بعض المصادر «الدوافع» بدل «التوابع».
(٤) إسبيل: جبل في مخلاف ذمار.
(٥) الهِجْرَعُ من وصف الكلاب السَّلُوقيّةِ الخِفافِ.

وَفي الأَرضِ ذاتِ العَرضِ عَنكَ ٱبنَ يوسُفٍ إذا شِئتَ مَنأى لا أَبا لَكَ واسِعُ
فَإِن نِلتَني حَجَّاجُ فَاشتَفِ جاهِداً فَإِنَّ الَّذي لا يَحفَظُ اللَّهُ ضائِعُ
[الطويل]

فطلبه الحَجَّاج فلم يَقْدِرْ عليه وطال على النُّميريّ مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه فجاء حتى وقف على رأس الحَجَّاج؛ فقال له: إيه يا نُميريّ! أنت القائل:

فإن نلتَني حَجَّاجُ فاشْتَفِ جاهداً

فقال: بل أنا الذي أقول:

أَخافُ مِنَ الحَجّاجِ ما لَستُ خائِفاً مِنَ الأَسَدِ العَرباضِ[1] لَم يثنِهِ ذُعرُ
أَخافُ يَدَيهِ أَن تَنالا مَقاتِلي بِأبيَضَ عَضبٍ لَيسَ مِن دونِهِ سَترُ
[الطويل]

وأنا الذي أقولُ:

فَها أَنَذا طَوَّفتُ شَرقاً وَمَغرِباً وَأُبتُ وَقَد دوَّختُ[2] كُلَّ مَكانِ
فَلَو كانَتِ العَنقاءُ مِنكَ تَطيرُ بي لَخِلتُكَ إِلا أَن تَصُدَّ تَراني
[الطويل]

قال: فتبسَّم الحجاج وأمَّنه، وقال له: لا تعاود ما تعلم؛ وخَلَّى سبيله.

[زواج زينب أخت الحجاج]

رَجَعَ الخبر إلى رواية حَمَّاد بن إسحاق.

قال حَمَّاد فَحَدَّثني أبي قال: ذَكَرَ المدائنيّ وغيره:

أنَّ الحجَّاج عرض على زينبَ أن يَزَوِّجها محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عَقِيل ـ وهو ابن سبعَ عشرةَ سنة، وهو يَوْمَئِذٍ أشرف ثقفيّ في زمانِهِ ـ أو الحكم بن أيوب بن الحكم بن عَقِيل، وهو شيخ كبير، فاختارت الحكم، فَزَوَّجَها إياه، فأخرجها إلى الشام.

وكان محمد بن رياط كَرِيَّها وهو يومئذٍ يكري. فلما وُلِّيَ الحجاجُ العراق استعمل الحَكَمَ بن أيوب على البصرة؛ فَكَلَّمَتْهُ زينب في محمد بن رياط فولَّاه شرطته بالبصرة. فَكَتَبَ إليه الحَجَّاج إنَّك وُلِّيتَ أعرابياً جافياً شِرْطَتَكَ وقد أجزنا ذلك لكلام

(١) قال الأصمعيُّ: العِرْباضُ من الإبل: الغليظُ الشديد، وكذلك العِرَبْضُ مثال الهَزَبْرِ.
(٢) دوخ فلان البلاد: سار فيها حتى عرفها ولم تخف عليه طرقها.

مَنْ سألك فيه. قال: ثم أنكر الحَكَمُ بعض تَعَجْرُفِهُ فعزله. ثم استعمل الحجَّاجُ الحكم بن سعد العُذْريّ على البصرة وَعَزَلَ الحكم بن أيّوب عنها واستقدمه لِبَعْضِ الأمر، ثم ردَّه بعد ذلك إلى البصرة، وجَهَّزَه من مالِهِ فلمَّا قَدِمَ البصرةَ هيَّأَتْ له زينبُ طعاماً وخَرَجَتْ مُتَنَزِّهَةً إلى بعض البساتين ومعها نسوة. فَقِيل لها: إنَّ فيهن امرأة لم يُرَ أحسن ساقاً منها. فَقَالَتْ لها زَيْنَبُ: أَرِيني ساقَكِ؛ فقالت: لا إلا بخلوة؛ فقالت: ذاك لَكِ، فَكَشَفَتْهُ لها فأعطتها ثلاثين ديناراً وقالت: اتَّخذي منها خَلخَالاً.

قال: وكان الحجَّاج وجَّهَ بزينب مع حُرَمِه إلى الشام لما خَرَجَ ابنُ الأشعث خوفاً عليهنَّ. فلما قُتِلَ ابنُ الأشعث كَتَبَ إلى عبد الملك بن مروان بالفتح، وَكَتَبَ مع الرسول كِتَاباً إلى زينب يُخْبِرُها الخبرَ، فأعطاها الكتاب، وهي راكبة على بغلة في هودج، فَنَشَرَتْهُ تقرأه، وسَمِعَتِ البغلة قعقعةَ الكتاب فَنَفَرَتْ، وسَقَطَتْ زينب عنها فاندقّ عَضُداها وتَهَرَّأ[1] جوفها فماتت.

[رثاؤه زينب]

وعاد إليه الرسول، الذي نَفَذَ بالفتح، بوفاة زينب فقال النُّميري يرثيها:

صـــوت

لِـزيـنَـبَ طَـيـفٌ تَـعـتَـريـنـي طَـوارِقُـهْ هُـدوءاً إذا النَّـجـمُ ارجَـحـنَّـت[2] لَـواحِـقُـهْ
سَـيَـبـكـيـكَ مـرنـانُ الـعَـشـيِّ[3] يُـجـيـبُـهُ لَـطـيـفُ بِـنـانِ الـكَـفِّ دَرمٌ[4] مَـرافِـقُـهْ
إذا مـا بِـسـاطُ الـلَّـهـوِ مُـدَّ وَأُلـقِـيـت لِـلَـذّاتِـهِ أَنـمـاطُـهُ وَنَـمـارِقُـهْ[5]

[الخفيف]

غَنَّاه معبد، ولحنه ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وما بقي من شعره من الأغاني في نَسيب النميريّ لم نذكر طَرِيقَتَهُ وصانعه لنذكر أخباره معه.

---

(١) تهرأ اللحم: طبخ اللحم حتى يتفسخ ويسقط عن العظم.
(٢) ارجحن النجم: مال نحو الغرب.
(٣) مرنان العشيّ: كنى به عن الصنج ذي الأوتار وهو من آلات الطرب.
(٤) دَرَمَتِ الأرنب وغيرها تَدْرمُ بالكسر دَرْماً ودَرماً ودَرَماناً، إذا قاربت الخُطى. ودَرَمَتِ الدابّةُ، إذا دبّتْ دبيباً. والدَّرَم في الكعب: أن يواريَه اللحمُ حتّى لا يكونَ له حجمٌ.
(٥) نسب هذا البيت في بعض المصادر لنصيب.

صـوت

تَضوَّعَ مِسكاً بَطنُ نَعمانَ إذ[١] مَشَت بِهِ زينَبٌ في نِسوَةٍ عَطراتِ
مَرَرنَ بَفَخٍّ[٢] ثُمَّ رُحنَ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ لِلرَّحمنِ مُعتَمِراتِ
[الطويل]

الغناءُ لإبن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا: حَدَّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني[٣] عن عبد اللَّه بن مُسْلِم الفِهريّ[٤] قال: خَرَجَ عبد اللَّه بن جعفر مُتَنَزِّهاً فصادف ابنَ سُريج وعَزَّة الميلاء مُتَنَزِّهين؛ فأناخ ابنُ جعفر راحلته وقال لِعَزَّة: غَنِّيني فَغَنَّتْهُ ثم قال لابن سُرَيج غَنِّني يا أبا يحيى، فَغَنَّاه لحنه في شعر النميريّ :

تَضوَّعَ مِسكاً بَطنُ نَعمانَ إذ مَشَت

فَأَمَرَ براحلته فَنُحِرَتْ وشَقَّ حُلَّتَهُ فألقى نِصْفَها على عَزَّة والنصف الآخر على ابن سريج فباع ابنُ سُرَيج النصفَ الذي صار إليه بمائة وخمسين ديناراً. وكانت عَزَّة إذا جلست في يوم زينة أو مباهاة ألقت النصف الآخرَ عليها تتجمَّل به.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حَدَّثني الحسن بن عليّ بن منصور قال: أخبرني أبو عَتَّاب عن إبراهيم بن محمد بن العباس المُطَّلبي: أنَّ سعيد بن المُسيِّب[٥] مَرَّ في بعض أَزِقَّة مكة، فَسَمِعَ الأخضرَ الحربيّ يتغنَّى في دار العاص بن وائل :

تَضوَّعَ مِسكاً بَطنُ نَعمانَ إذ[٦] مَشَت بِهِ زينَبٌ في نِسوَةٍ خَفِراتِ
[الطويل]

فَضَرَبَ بِرِجْلِهِ وقال: هذا واللَّه مما يَلذّ استماعه، ثم قال :

وليستْ كأخرى وسَّعتْ جَيْبَ دِرْعِها وأبدتْ بنانَ الكفِّ للجمراتِ

(١) ورد في بعض المصادر «إن» بدل «إذ».
(٢) فخ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال وبه كانت وقعة الحسين وعقبة.
(٣) هو أبو الحسن علي كان من رواة الأخبار المشهورين. ولد سنة ١٣٥هـ وتوفي سنة ٢٢٥هـ.
(٤) هو أول محمد عبد اللَّه بن وهب، ولد سنة ١٢٥هـ، وتوفي سنة ١٩٧هـ، وكان ممن جمع وصنف.
(٥) المسيب: هو ابن حزن بن أبي وهب المخزومي، وأهل العراق يفتحون وأهل المدينة يكسرون.
(٦) ورد في بعض المصادر «إن» بدل «إذ».

وَعَلَّتْ[١] بنانَ المسكِ وَحْفاً[٢] مُرَجَّلا عـلـى مـثـلِ بـدرٍ لاح فـي الـظـلـمـاتِ
وقـامـت تـراءى يـومَ جـمـعٍ[٣] فـأفـتـنـت بـــرؤيـــتـــهـــا مـــن راح مـــن عـــرفـــاتِ
[الطويل]

قال: فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المُسيب.

[عائشة بنت طلحة تستنشده شعره في زينب]

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثني الكرانيّ قال: حَدَّثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه أخي الأصمعيّ عن عبد اللَّه بن عِمران الهَرَويّ، وأخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حَدَّثني المُغيرة بن محمد المهلَّبيّ قال: حَدَّثني محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه عن عبد اللَّه بن عِمران الهَرَويّ قال: لمَّا تأيَّمَتْ[٤] عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنة وبالمدينة سنةً، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزَّه فيه، وتَجْلِس بالعشيَّات، فيتناضل بين يديها الرُّماة. فَمَرَّ بها النُّميريّ الشاعر؛ فَسَأَلَتْ عنه فَنُسِبَ لها، فقالت ائتوني به، فأتوها به. فقالت له: أنشِدْنِي مما قُلْتَ في زينبَ؛ فامتنعَ عليها وقال: تلك ابنة عَمِّي وقد صارت عِظاماً بالية. قالت أقسَمْتُ عليك باللَّه إلا فعلتَ؛ فأنشدها قولَهُ:

تَـضـوَّعَ مِـسـكـاً بَـطـنُ نـعـمـانَ إذ مَـشَـت

الأبيات. فقالت: واللَّه ما قُلْتَ إلا جميلاً، ولا ذكرتَ إلا كرماً وطيباً ولا وصفت إلا ديناً وتُقًى أعطوه ألفَ دِرْهَم. فلما كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها؛ فقالت: عليَّ به فَأُحضِر. فقالت له: أنشدني من شعرك في زينبَ؛ فقال لها: أو أُنْشِدُكَ من شعر الحارث بن خالد فيك؟ فَوَثَبَ مواليها إليه؛ فقالت: دعُوه فإنَّه أراد أن يَسْتَقيد[٥] لبنت عمه؛ هاتِ مما قال الحارثُ[٦] فيّ؛ فأنشدها:

---

(١) مصحفة عن «غلّت» وغل شعره بالطيب: أدخله فيه، وغلَّ الدهن في رأسه: أدخله في أصول الشعر.

(٢) الليث: الوَحْفُ: الشَّعَر الكثير الأسود، ومن النَّبات: الرَّيان. تقول: وَحُفَ ـ بالضم ـ يَوْحُفُ وَحافَةً ووُحُوفَةً، قال ذو الرُّمة يَصف نبتاً:

وَحْـفٌ كـأنَّ الـنَّـدى والـشَّـمْـسُ مـاتِـعَـةٌ إذا تَـوَقَّـدَ فـي أفْـنـانِـهِ الـتُّـوْمُ

والوَحْفُ ـ أيضاً ـ: الجناح الكثير الريش. ويقال ـ أيضاً ـ: شعَر وَحَفٌ ـ بالتحريك ـ.

(٣) جمع: علم للمزدلفة، سميت به لاجتماع الناس بها.

(٤) تأيمت المرأة: مات عنها زوجها ولم تتزوج.

(٥) يستقيد: أي يأخذ بثأرها.

(٦) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش. شاعر غزل، من أهل مكة نشأ في=

ظَـعَـنَ الأَمـيـرُ بِـأَحـسَـنِ الـخَـلـقِ وَغَـدا بِـلُـبِّـكَ مَـطـلَـعَ الـشَّـرقِ
[أخذ الكامل]

فقالت: واللَّه ما ذكر إلا جميلاً، ذكر أني إذا صبَّحْتُ زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطَّلْق[1]، وأنِّي غَدَوْتُ مع أميرٍ تزوَّجني إلى الشرق، وأنِّي أحسن الخلق في البيت ذي الحسب الرفيع؛ أعطوه ألف درهم واكسوه حُلَّتين ولا تَعُدْ لإتياننا بعد هذا يا نُميريّ.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حَدَّثنا عمر بن شبَّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه: أنَّ الرشيد غَضِبَ على إبراهيم أبيه بالرَّقة فَحَبَسَهُ مُدَّةً ثم اصطبح يوماً، فبينا هو على حاله إذ تذكره، فقال: لو كان الموصليّ حاضراً لانتظم أمرُنا وتَمَّ سرورنا.

قالوا: يا أمير المؤمنين، فَجيء به، فما له كبيرُ ذنب. فَبَعَثَ فجيء به. فلمَّا دَخَلَ أطرق الرشيد فلم ينظرْ إليه، وأومأ إليه مَنْ حضر بأن يُغَنِّي؛ فاندفع فَغَنَّى:

تَـضـوَّعَ مِسكـاً بَـطـنُ نـعـمـانَ إِن مَشَـت بِـهِ زيـنَـبٌ فـي نِـسـوَةٍ خَـفِـراتِ
[الطويل]

فما تمالك الرشيد أنْ حَرَّك رأسه مراراً واهتزَّ طرباً، ثم نَظَرَ إليه وقال: أحسنتَ واللَّه يا إبراهيم! حُلُّوا قيوده وغَطُّوه بالخِلَع ففُعِلَ ذلك. فقال يا سيِّدي، رِضاك أوَّلاً؛ قال لو لم أرضَ ما فَعَلْتُ هذا، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم.

ومما قاله النُّميريّ في زينبَ وغُنِّي فيه:

صـوت

تَـشـتـو بِـمَـكَّـةَ نِـعـمَـةً وَمَـصـيـفُـهـا بِـالـطـائِـفِ
أَحـبِـبْ بِـتِـلـكَ مَـواقِـفـاً وَبِـزيـنَـبٍ مِـن واقِـفِ
وَعَـزيـزَةٌ لَـم يَـغـذُهـا بُـؤسٌ وَجَـفـوَةُ حـائِـفِ

= أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء. وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها، وله معها أخبار كثيرة. ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد اللَّه بن الزبير، فاستتر الحارث خوفاً، ثم رحل إلى دمشق وافداً على عبد الملك بن مروان فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة وتوفي بها الحارث المخزومي عام ٨٠هـ.

(١) إشارة إلى قول المخزومي في القصيدة نفسها:

مـا صَـبَّـحَـت أَحَـداً بِـرُؤيَـتِـهـا إِلاّ غَـدا بِـكـواكِـبِ الـطَّـلـقِ

غَـــرّاء يَـــحـــكـــيـــهـــا الـــغَـــزا لُ بِـــمُـــقـــلَـــةٍ وَسَـــوالِـــفِ

[مجزوء الكامل]

الغناء ليحيى المكيّ خفيف رمل عن الهشاميّ، وذكر عمر بن بانة أنه لابن سُرَيج وأنه بالبنصر. وزعم الهشاميّ أنَّ فيه لإبن المكيّ أيضاً لحناً من الثقيل الأوَّل.

ومن الغناء في أشعاره في زينبَ:

صـــوت

أَلا مَـــن لِـــقَـــلـــبٍ مَـــعـــنَّـــى غَـــزِلْ يُـــحِـــبُّ الـــمُـــحِـــلَّـــةَ أُخـــتَ الـــمُـــحِـــلْ

تَـــــراءَتِ لَـــــنـــــا يَـــــومَ فَـــــرعِ الأَرا كِ بَـــيـــنَ الـــعِـــشـــاءِ وَبَـــيـــنَ الأَصـــلْ

كَـــأَنَّ الـــقـــرَنـــفُـــلَ وَالـــزَّنـــجَـــبـــيـــل وَريـــحَ الـــخُـــزامـــي وَذوبَ الـــعَـــسَـــلْ

يُـــعَـــلُّ بِـــهِ بَـــردُ أَنـــيـــابِـــهـــا إِذا مـــا صَـــفـــا الـــكَـــوكَـــبُ الـــمُـــعـــتَـــدِلْ

[المتقارب]

الغناءُ لِمَعْبَد ثقيل أوَّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وَذَكَرَ يونس لمالك فيه لحناً في:

كَـــأَنَّ الـــقَـــرَنـــفُـــلَ وَالـــزَّنـــجَـــبـــيـــل

والبيت الذي بعده وبيتين آخرين وهما:

وَقـــالَـــت لِـــجـــارَتِـــهـــا هَـــل رَأَيـــ ـتِ إِذ أَعـــرَضَ الـــرَّكـــبُ فِـــعْـــلَ الـــرّجـــلْ

وَأَنَّ تَـــبـــسُّـــمَـــهُ ضـــاحِـــكـــاً أَجَـــدّ اشـــتِـــيـــاقـــاً لِـــقَـــلـــبٍ غَـــزِلْ

[المتقارب]

وذكرَ حَمَّاد عن أبيه أن فيها للهذليّ لحناً، ولم يَذْكُرْ طريقته.

المُحِلّ الذي عناه النُّميريّ ها هنا: الحجَّاج بن يوسف؛ سُمِّي بذلك لإحلاله الكعبة، وكان أهل الحجاز يُسمُّونه بذلك ويُسَمِّي أهلُ الشام عبد اللَّه بن الزبير المُحِلَّ لأنَّه أحلَّ الكعبة، زعموا أنه بُمقامه فيها، وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاؤوا بها.

فأخبرني الحُسين بن يحيى المِرْداسيّ قال: قال حَمَّاد بن إسحاق: قَرَأْتُ على أبي: وبلغني أنَّ إسماعيل بن عليّ بن عبد اللَّه بن عبَّاس تَزَوَّجَ أسماء بنت يعقوب «امرأة من ولد عبد اللَّه بن الزُّبير» فَزفَّتْ إليه من المدينة وهو بفارس، فَمَرَّتْ بالأهواز على السيد الحُمَيريّ فسأله عنها فنسبت له؛ فقال فيها قوله:

مـــرّت[١] تُـــزفُّ عـــلـــى بَـــغـــلـــة وفـــوقَ رِحـــالـــتـــهـــا[٢] قُـــبَّـــهْ
زبـــيـــريّـــةٌ مـــن بـــنـــات الـــذي أحـــلَّ الـــحـــرامَ مـــن الـــكـــعـــبَـــهْ
تُـــزفُّ إلـــى مـــلـــكٍ مـــاجـــدٍ فـــلا اجـــتـــمـــعـــا وبـــهـــا الـــوَجْـــبَـــهْ[٣]

[المتقارب]

وقد قيل بأن الأبيات اللامية التي أوَّلها:

أَلَا مَـــنْ لـــقـــلـــبٍ مـــعـــنًّـــى غَـــزِلْ

لِخَالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلة بنت الزُّبير وقيل: إنها لأبي شَجرة السُّلميّ[٤].

[إنشاد شعره في المصلّى]

حَدَّثني الحسين بن الطَّيِّب البَلْخِي الشاعر، قال: حَدَّثنا قُتَيبةُ بن سعيد قال: حَدَّثنا أبو بكر بن شُعَيب بن الحَبحاب المَعْوَليّ[٥] قال: كُنْتُ عِنْدَ ابن سِيرينَ فجاءه إنسانٌ يسأله عن شيءٍ من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابنُ سِيرين:

كَـــأَنَّ الـــقـــرنـــفـــل[٦] وَالـــزَّنـــجَـــبـــيـــل وَريـــحَ الـــخُـــزامـــي وَذوْب الـــعَـــسَـــلْ
يُـــعـــلُّ بِـــهِ بَـــردُ أَنـــيـــابِـــهـــا إِذا الـــنـــجـــم وَسْـــطَ الـــســـمـــاء اعـــتـــدلْ[٧]

[المتقارب]

وقال: اللَّه أكبر، وَدَخَل في الصلاة.

صـــوت

من المائة المختارة

يَا قَلبُ وَيحكَ لا تَذهَب بِكَ الخُرُقُ[٨] إِنَّ الأُلَى كُنتَ تَهوَاهُم قَد انطَلَقُوا

[البسيط]

---

(١) ورد في بعض المصادر «أتتنا» بدل «مرّت».
(٢) الرحالة: الرَّحْلُ: مَرْكَبٌ للبَعِير، والرِّحَالَةُ نَحْوُه.
(٣) لعلّ الوجبة مصدر للمرة من وجب القلب يجب وجيباً أي خفق واضطرب.
(٤) هو أبو شجرة عمرو بن عبد العزى، كان من فتاك العرب، ويسكن البادية.
(٥) أي من بني معولة ابن شمس بن عمرو.
(٦) ورد في بعض المصادر «المدامة» بدل «القرنفل».
(٧) ورد العجز في بعض المصادر على الشكل التالي:
إِذا مـا صَـفـا الـكَـوكَـبُ الـمُـعـتَـدِلْ
(٨) الخرق: نقيض الرفق.

ـ ويُروى: يذهب بك الحُرق ـ

مـا بـالُـهُـم لَـم يُـبَـالُـوا إِذ هَـجَـرتَـهُـمُ وأَنـتَ مِـن هَـجـرهـم قـد كِـدتَ تَـحـتَـرقُ

[البسيط]

الشعر لوضَّاح اليمن. والغناء لصَبَّاح الخيَّاط، ولحنه المختار ثقيلٌ أوَّل بالوسطى في مجراها.

وفي أبيات من هذه القصيدة ألحانٌ عدَّة، فجماعة من المُغنِّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرمة؛ فأخَّرتُ ذكرَها إلى أن تنقضي أخبارُ وَضَّاح، ثم أذكرها بعد ذلك إن شاء اللَّه تعالى.

أخبار وضاح اليمن ونسبه

وَضَّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمد. ثم يُخْتَلَفُ في تحقيق نسبه، فيقول قومٌ: إنَّه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليَمن مع وَهْرِز لِنُصْرَة سَيْف بن ذي يَزَن على الحبشة. وَيَزْعَمُ آخرون أنه من آل خولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَريب بن زُهير بن أيمن بن الهَمَيْسَع بن العَرنجَج[١] وهو حمير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعف بن قَحطان. فممن ذكر أنه من حمير خالد بن كُلْثوم، قال: كان وضَّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ بن أبي جَمَد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحِمْيَريّ.

فمات أبوه وهو طفل، فانتقلت أمه إلى أهلها، وانقضَتْ عدتها فَتَزَوَّجَتْ رَجُلاً من أهلِها من أولاد الفرس. وشبَّ وضَّاح في حجر زوج أمّه. فجاء عَمُّهُ وجدّته أمُّ أبيه، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذي قَيفان ثم من آل ذي جَدَن يطلبونه، فادعى زوج أمه أنه ولده. فحاكموه فيه وأقاموا البيِّنة أنه وُلِدَ على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه، فَحَكَمَ به الحاكم لهم، وقد كان اجتمع الحِميريّون والأبناء[٢] في أمره وَحَضَرَ معهم.

فلما حكم به الحاكم للحميريين، مَسَحَ يَدَهُ على رأسه وأعجبه جمالُهُ وقال له: إذهب فأنت وضَّاح اليمن، لا من أتباع ذي يزن[٣] «يعني الفرس الذين قدم بهم ابنُ ذي يَزَن لنصرته» فَعَلِقَت به هذه الكلمة منذ يومَئِذٍ فَلُقِّبَ وَضَّاحَ اليمن. قال خالد: وكانت أمّ داذ بن أبي جَمَد جَدَّةُ وضَّاح كِنْديّةً؛ فذلك حيث يقول في بنات عمه:

---

(١) تفرَّقتْ قبائل اليمنِ من كَهلانَ وحميرَ ابنَيْ سبأ. واسم حميرَ العَرَنْجَج، وليس النُّون فيه زائدةً، وهو من قولهم: إعرنجج الرّجلُ في أمره، إذا جدَّ فيه، كأنه إفْعَنْلَلَ. وكَهْلان: فَعْلان من الكَهْل من النَّاس أو من النَّبت.

(٢) الأبناء: هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن، وكانوا يسمون بصنعاء بني الأحرار، وباليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة، وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة.

(٣) هو سيف بن ذي يزن الذي بقتله دخلت اليمن في ملك الأحباش.

إِنَّ قَـلـبـي مُـعـلَّـقٌ بِـنِـسـاءٍ وَاضـحَـاتِ الـخُـدُودِ لَـسـنَ بِـهُـجـنِ
مِـن بَـنَـاتِ الـكَـرِيـمِ داذَ وفـي كِـنـدَةَ يُـنـسَـبـنَ مِـن أُبَـاةِ الـلَّـعـنِ
[الخفيف]

وقال أيضاً يَفْتَخِرُ بجدِّه أبي جَمَد:

بَـنَـى لـيَ إسـمـاعِـيـلُ مَـجـداً مُـؤَثَّـلاً وَعَـبـدُ كُـلالٍ قَـبـلَـهُ وَأَبُـو جَـمَـد
[الطويل]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حَدَّثني عَمِّي عن العبَّاس بن هشام عن أبيه قال: كان وضَّاح اليمن والمقنَّع الكنديّ وأبو زُبَيْد الطائيّ يَرِدُون مواسمَ العرب مُقَنَّعين يسترون وجُوهَهُم خوفاً من العين وحَذَراً على أنفسهم من النساء لجمالِهم. قال خالد بن كلثوم: فَحَدَّثْتُ بهذا الحديث مَرَّةً وأبو عُبيدة مَعمر بن المُثَنَّى حاضرٌ ذلك، وكان يزعم أنَّ وضَّاحاً من الأبناء؛ فقال أبو عبيدة: داذ اسم فارسي فَقُلْتُ له: عبد كلال اسمٌ يَمانٍ، وأبو جَمَد كنية يمانية، والعجم لا تكتني، وفي اليمن جماعة قد تسمَّوا بأبرَهة، وهو اسم حبشيّ، فينبغي أن تنسبَهم إلى الحبشة. وأيّ شيء يكون إذا سُمِّي عربيّ بإسم فارسيّ! وليس كل من كُنِي أبا بكر هو الصديق، ولا من سُمِّي عُمَر هو الفاروق، وإنَّما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه. قال فَوَجَمَ أبو عُبيدة وأفحم فما أجاب.

وَمِمَّن زعم أنه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمد بن زِياد الكِلابيّ.

وقال خالد بن كلثوم: إنَّ أمّ إسماعيل أبي الوضَّاح بنت ذي جَدَن، وأم أبيه بنت فُرعانَ ذي الدروع الكِنْديّ من بني الحارث بن عمرو.

[شعره في حبيبته روضة]

وكان وضَّاح يهوَى امرأةً من أهل اليمن يقال لها رَوْضة. أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: ذَكَرَ هشام بن الكلبيّ أنها رَوْضة بنت عمرو، من ولد فُرعانَ ذي الدروع الِكنْديّ: أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال: حَدَّثني محمد بن سعيد الكرانيّ قال: حَدَّثنا العمريّ عن الهيثم بن عَديّ عن عبد اللَّه بن عَيَّاش: أن وضَّاحاً هَوِي امرأةً من بنات الفرس يُقَالُ لها روضة؛ فَذَهَبَتْ بِهِ كلّ مذهب. وخطبَها فامتنعَ قومها من تزويجه إياها؛ وعاتبه أهلُهُ وعشيرته. فقال في ذلك:

صـــوت

يَـا أَيُّـهَـا الـقَـلـبُ بـعـضَ مـا تَـجِـدُ قَـد يَـعـشَـقُ الـمـرءُ ثـم يَـتَّـئِـدُ

قَـد يـكـتـمُ الـمـرءُ حُـبَّـه حِـقَـبـاً وهـوَ عَـمِـيـدٌ وَقَـلـبُـهُ كَـمِـدُ
مَـاذَا تُـريـديـن مِـن فـتًـى غَـزِلٍ قَـد شَـفَّـهُ الـسُّـقْـمُ فـيـكِ والـسَّـهَـدُ
يُـهَـدِّدُونِـي كَـيـمـا أَخَـافَـهُـمُ هَـيـهـاتَ أَنَّـى يُـهَـدَّدُ الأَسَـدُ

[المنسرح]

الغناء لابن مُحرز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها لحن لابن عَبَّاد، من كتاب إبراهيمَ غير مجنس.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثني سالم بن زيد قال: أخبرني التَّوَّزيّ قال حَدَّثنا الأصمعي عن الخليل بن أحمد قال: كان وضَّاح يهوَى امرأةً من كِنْدة يُقالُ لها رَوْضة فلما اشتهر أمرُهُ معها خطبها فلم يُزَوَّجها وزُوِّجَتْ غَيْرَهُ، فَمَكَثَتْ مدة طويلة. ثم أتاه رجل من بلدها فأسرَّ إليه شيئاً فَبَكَى. فقال له أصحابه: ما لك تبكي؟ وما خبرك؟ فقال: أخبرني هذا أنَّ روضةَ قَدْ جُذمت، وأنه رآها قد أُلْقِيَت مع المجذومين، ولم نَجِدْ لهما خبراً يرويه أهلُ العلم إلا لمعاً يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره، فأمَّا خبرٌ متصل فلم أجده إلا في كتاب مصنوع غَثّ الحديث والشعر لا يُذكر مِثْلُه. وأصابها الجُذام بعد ذلك، فانقطع ما بينهما. ثم شبَّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَروان زوجةِ الوليد بن عبد الملك، فقتله الوليد لذلك.

وأخبارهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حَدَّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرب، قال: حَدَّثنا مصعب بن عبد اللَّه قال: كان وضَّاحُ اليمن يهوى امرأةً يُقالُ لها روضة ويشبِّبُ بها في شعره، وهي امرأة من أهل اليمن. وفيها يقول:

صـوت

يـا رَوضـةَ الـوضَّـاحِ قَـد عَـنَّـيـتِ وَضَّـاحَ الـيَـمَـنْ
فـاسـقِـي خَـلِـيـلَـكِ مِـن شَـرا بٍ لَـم يُـكَـدِّره الـدَّرَنْ
أَلـريـحُ ريـحُ سَـفَـرجَـلٍ والـطَّـعـمُ طَـعـمُ سُـلافِ دَنّ
إنِّـي تُـهَـيِّـجُـنِـي إِلَـيـكِ حَـمَـامَـتَـانِ عَـلـى فَـنَـنْ

[مجزوء الكامل]

قال مُصْعَب فَحَدَّثني بعضُ أهل العلم ممن كان يعرف خبر وضاح مع روضة من أهل اليمن: أنَّ وضاحاً كان في سفر مع أصحابه. فبينا هو يسيرُ إذ استوقفهم وعَدَلَ

عنهم ساعةً، ثم عادَ إليهم وهو يبكي. فسألوه عن حاله؛ فقال: عَدَلْتُ إلى روضة، وكانت قد جُذِمَتْ فَجُعِلَتْ مع المجذومين، وأُخْرِجَتْ من بلدها، فأصلحت من شأنِها وأعطيْتُها صدراً[١] من نفقتي. وَجَعَلَ يبكي غَمًّا بها.

الغِنَاءُ في الأبيات المذكورة في هذا الخبر يُنْسَبُ مع تمام الأبيات؛ فإنَّ في جميعها غناء.

ومما قاله وضاح في روضةَ المذكورة وفيه غناء، وأنشدَنا حَرَميّ عن الزُّبير عن عمه:

صـوت

أَيَـا رَوضَـةَ الـوَضَّـاحِ يـا خَـيـرَ رَوضَـةٍ ... لأهـلِـكِ، لَـو جَـادُوا عَـلَـيـنـا بـمَـنـزِلِ
رَهِـيـنُـكِ وَضَّـاحٌ ذَهَـبـتِ بِـعَـقـلِـهِ ... فَـإِن شِـئـتِ فَـاْحـيـيـهِ وَإِن شِـئـتِ فَـاقـتُـلِـي
وَتُـوقِـدُ حِـيـنـاً بِـالـيَـلَـنـجُـوجِ[٢] نَـارَهـا ... وَتُـوقِـدُ أَحـيَـانـاً بِـمِـسـكٍ وَمَـنـدَلِ[٣]

[الطويل]

والأبيات الأُوَل النونية فيها زيادة على ما رواه مصعب، وفي سائرِها غناء. وتمامُها بعد قوله:

إنـي تُـهَـيِّـجُـنِـي إِلَـيـ ... ـكِ حَـمَـامَـتَـانِ عَـلـى فَـنَـنْ
ألـزَّوجُ يَـدعـو إِلـفَـهُ ... فَـتَـطَـاعَـمـا حُـبَّ الـسَّـكَـنْ
لا خـيـرَ فـي نَـثِّ الـحـديـثِ ولا الـجَـلـيـسِ إذا فَـطَـنْ
فـاعـصِـي الـوُشَـاةَ فَـإِنَّـمـا ... قَـولُ الـوشَـاةِ هـو الـغَـبَـنْ
إِنَّ الـوُشَـاةَ إِذَا أَتَـو ... كِ تَـنَـصـحُـوا ونَـهَـوكِ عَـنْ
دَسَّـت حُـبَـيـبَـةُ مَـوهِـنـاً ... إِنِّـي وَعَـيـشِـكِ يَـا سَـكَـنْ
أُبـلِـغـتُ عـنـكِ تَـبَـدّلاً ... وأَتَـى بِـذَلِـكِ مُـؤتَـمَـنْ
وَظَـنَـنـتُ أَنَّـكِ قَـد فَـعَـلـ ... ـتِ فَـكِـدتُ مِـن حَـزَنٍ أُجَـنْ

(١) الصدر: الطائفة من الشيء.
(٢) اليالونج: التهذيب: الأَلَنْجُوجُ واليَلَنْجُوجُ: عود جيِّد. اللحياني: يقال عودٌ أَلَنْجُوجٌ ويَلَنْجيجٌ ويَلَنْجُوجٌ ويَلَنْجُوجِيٌّ، وهو عودٌ طَيِّبُ الريحِ؛ وقال ابن السكيت: هو الذي يُتَبَخَّرُ به.
(٣) المندل: أجود أنواع البخور الهندي.

ذَرَفَـت دُمـوعـي ثـمَّ قُـلـتُ بِـمَـن يُـبَـادِلُـنـي بِـمَـنْ
أَسـكُـت فَـلَـسـتَ مُـصَـدَّقـاً مَـا كَـانَ يَـفـعَـلُ ذَا أَظُـنْ
إِنِّـي وَجَـدِّكَ لَـو رَأَيـ ـتُ خَـلِـيـلَـنـا ذَاكَ الـحَـسَـنْ
يَـجـفُـوهُ ثُـمَّ يُـحِـبُّـنَـا والـلَّـهِ مِـتُّ مِـنَ الـحَـزَنْ
أَخـبـره إِمَّـا جِـئـتَـهُ أَنَّ الـمـؤادَ بـهِ يُـجَـنْ
أبـغَـضـتُ فـيـهِ أَحِـبَّـتـي وقَـلَـيـتُ[1] أهـلـي وَالـوَطَـنْ
أَتَـرَكـتَـنِـي حَـتَّـى إِذَا عُـلِّـقـتُ أبـيَـضَ كـالـشَّـطَـنْ
أَنـشَـأتَ تَـطـلُـبُ وَصـلَـنـا: فـي الـصَّـيـفِ ضَـيَّـعـتِ الـلَّـبَـنْ[2]

[مجزوء الكامل]

هكذا قال، وغيره يرويه: «في الصيف ضيحت اللبن» أي مذقته. قال:

لَـو قِـيـلَ يَـا وَضَّـاحُ قُـم فَـاخـتَـر لِـنَـفـسِـكَ أَو تَـمَـنْ
لَـم أَعـدُ رَوضَـةَ وَالَّـذي سَـاقَ الـحَـجِـيـجُ لَـهُ الـبُـدنْ

[مجزوء الكامل]

الغناء في الأوَّل من القصيدة وهو «يا روضة الوضَّاح» يُنْسب إن شاء اللَّه. وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعةٌ، وبعضها لم يَقَع إليَّ أنه صُنِعَ فيه. فَمِنْ قوله فيها:

---

(١) قلى: هجر وبغض.

(٢) الصيف ضيعت اللبن: ضيعت بكسر التاء، وإن خاطبت به مذكراً، لأن الأمثال تحكى، ومعنى ذلك أن المثل يتمثل به أول مرة، ثم لا يغير عن صيغته في سائر الأحوال. ويضرب مثلاً للرجل يضيع الأمر، ثم يريد استدراكه. وأصله أن عمرو بن عمرو بن عدس تزوج بنت عمه دختنوس بنت لقيط بن زرارة بعد ما أسن، وكان أكثر قومه مالاً، ففركته فطلقها، فتزوجها فتى ذو شباب وجمال من آل زرارة، ثم غزتهم بكر بن وائل، فنبهت زوجها، وقالت: الغارة، فجعل يقول: الغارة، ويضرط حتى مات، وأغاروا فأخذوها سبية، فأدركهم الحي وعمرو بن عمرو في السرعان، فقتل منهم ثلاثةً، واستنقذها، وقال:

أي حـلـيـلـيـك وجـدت خـيـرا أألـعـظـيـم فـيـشـةً وأيـرا
أم الـشـديـد لـلـعـداة ضـيـرا أم الـذي يـأتـي الـعـدو سـيـرا

فتزوجت منهم شاباً مملقاً، فمرت بها إبل عمرو كأنها الليل، فقالت لخادمها: قولي له: ليسقنا من اللبن، فأتته، فقال: قولي لها: في الصيف ضيعت اللبن فضربت يدها على كتف زوجها، وقالت: هذا ومذقة خير فذهبت كلمتاهما مثلين.

صـــوت

يـا رَوضُ جـيـرانُـكُـمُ الـبَـاكِـرُ ... فَـالـقَـلـبُ لَا لَاهٍ ولا صَـابِـرُ
قَـالَـت أَلَا لَا تَـلِـجَـن دَارَنـا ... إِنَّ أَبَـانـا رَجُـلٌ غَـائِـرُ
قُـلْـتُ فـإنّـي طـالـبٌ غَـرَّةً ... مـنـه وَسَـيـفـي صـارمٌ بـاتـرُ
قَـالَـت فَـإنَّ الـقَـصـرَ مِـن دُونِـنـا ... قُـلـتُ فَـإنّـي فَـوقَـهُ ظَـاهِـرُ
قَـالَـت فَـإنّ الـبَـحـرَ مِـن دُونِـنَـا ... قُـلـتُ فـإنّـي سَـابـحٌ مَـاهِـرُ
قَـالَـت فَـحَـولِـي إِخـوَةٌ سَـبـعَـةٌ ... قُـلـتُ فَـإنّـي غَـالِـبٌ قَـاهِـرُ
قَـالَـت فَـلَـيـثٌ رابـضٌ بَـيـنـنَـا ... قُـلـتُ فَـإنّـي أَسَـدٌ عَـاقِـرُ
قَـالَـت فَـإنّ الـلَّـه مـن فـوقـنـا ... قُـلـتُ فَـرَبـيِّ رَاحِـمٌ غَـافِـرُ
قَـالَـت لَـقَـد أَعـيَـيـتَـنـا حِـجَّـةً ... فَـأْتِ إِذَا مَـا هَـجَـع الـسَّـامِـرُ[1]
فَـاسـقُـط عَـلَـيـنـا كَـسُـقُـوطِ الـنَّـدى ... لَـيـلَـةَ لا نَـاهٍ وَلا زَاجِـرُ

الغِناءُ في هذه الأبيات هَزَجٌ يمنيّ، وذَكَرَ يحيى المكي أنه له. [السريع]

وقال في روضةَ وهو بالشام:

أَبَـت بـالـشَّـام نَـفـسِـي أَن تَـطـيـبَـا ... تَـذَكَّـرَتِ الـمـنَـازِلَ والـحَـبـيـبَـا
تَـذَكَّـرَتِ الـمـنـازلَ مِـن شَـعُـوب[2] ... وَحـيًّـا أَصـبَـحُـوا قُـطِـعُـوا شُـعُـوبـا
سَـبَـوا قَـلـبـي فَـحَـلَّ بـحـيـث حـلُّـوا ... ويُـعـظِـمُ إِن دَعَـوا أَلَّا يُـجـيـبَـا
أَلا لَـيـتَ الـرِّيـاحَ لـنـا رَسُـولٌ ... إِلَـيـكُـم إِن شَـمـالاً أَو جَـنُـوبَـا
فَـتَـأتِـيَـكُـم بـمـا قُـلـنَـا سَـريـعـاً ... ويـبـلُـغَـنـا الـذي قُـلـتُـم قَـرِيـبَـا
أَلا يـا رَوضُ قَـد عَـذَّبـتِ قَـلـبـي ... فَـأَصـبَـحَ مِـن تَـذَكُّـرِكُـم كَـئِـيـبَـا
وَرَقَّـقَـنـي هَـوَاكِ وكُـنـتُ جَـلـداً ... وَأَبـدى فـي مَـفَـارِقِـيَ الـمَـشـيـبَـا
أَمَـا يُـنـسـيـكَ رَوضَـةَ شَـحـطُ دارٍ ... وَلا قـربٌ إِذَا كَـانَـت قَـريـبَـا

[الوافر]

ومما قال فيها أيضاً:

طَـرِبَ الـفـؤادُ لِـطَـيـفِ رَوضَـةَ غَـاشِـي ... والـقـومُ بـيـن أَبـاطِـحٍ وعِـشـاشِ[3]

(١) اسم جمع بمعنى المتسامرين.
(٢) شعوب: موضع قريب من صنعاء.
(٣) العشاش: جمع عشة، وهي الأرض القليلة الشجر، وقيل: هي الأرض الغليظة.

أَنَّـى اهـتَـدَيـتِ ودُونَ أَرضـكِ سَـبـسَـبٌ ... قَـفـرٌ وَحَـزنٌ فـي دُجًـى ورِشَـاشِ
قَـالَـت تَـكَـالِـيـفُ الـمُـحِـبِّ كَـلِـفـتُـهـا ... إِنَّ الـمُـحِـبَّ إِذَا أُخِـيـفَ لَـمَـاشِـي
أَدعُـوكِ روضَـةَ رَحـب واسـمُـكِ غَـيـرُه ... شَـفَـقـاً وأَخـشَـى أَن يَـشِـي بـكِ واشِـي
قـالَـت فَـزُرنـا قـلـتُ كـيـفَ أَزُورُكـم ... وأَنـا امـرُؤٌ لِـخُـرُوجِ سِـرِّكِ خَـاشـي
قَـالَـت فَـكُـن لِـعُـمـومَـتـي سَـلْـمـاً مَـعَـاً ... والْـطُـفْ لإِخـوَتِـيَ الَّـذِيـنَ تُـمَـاشِـي
فَـتَـزورَنـا مَـعَـهُـم زِيـارَةَ آمِـنٍ ... والـسـرُّ يـا وَضَّـاحُ لَـيـس بـفَـاشِـي
وَلَـقِـيـتُـهـا تَـمـشِـي بـأَبـطَـحَ مَـرَّةً ... بِـخَـلَاخِـلٍ وَبِـحُـلَّـةٍ أَكـبَـاشِ[1]
فَـظَـلِـلـتُ مَـعـمُـوداً وبِـتُّ مُـسَـهَّـداً ... وَدُمـوعُ عَـيـنـي فـي الـرِّدَاءِ غَـواشـي
يَـارَوضُ حُـبُّـكِ سَـلَّ جِـسـمـي وانـتَـحى ... فـي الـعَـظـمِ حتى قَـد بَـلَـغـتِ مُـشَـاشِـي[2]

[الكامل]

ومما قال فيها أيضاً:

طَـرَقَ[3] الـخَـيـالُ فَـمَـرحَـبـاً سَـهـلا ... بـخـيـالِ مَـن أَهـدَى لـنـا الـوَصـلا
وسَـرى إِلـيَّ وَدونَ مَـنـزِلِـهِ ... خَـمـسٌ دَوائـمُ تُـعـمِـلُ الإِبِـلا[4]
يَـا حَـبَّـذا مَـن زَار مُـعـتَـسِـفـاً[5] ... حَـزْنَ الـبِـلادِ إِلـيَّ والـسَّـهـلا
يـا حَـبَّـذا هِـي حَـسـب قَـدك بـي ... والـلّـهِ مـا أَبـقَـيـتِ لِـي عَـقـلا
والـلَّـهِ مـا لـي عَـنـكِ مُـنـصَـرَفٌ ... إِلَّا إِلَـيـكِ فَـأَجـمـلـي الـفِـعـلا

[أحذ الكامل]

[رأته أم البنين فَهَوِيَتْهُ]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثنا القاسم بن الحسن المَرْوَزيّ قال: حَدَّثنا العُمَريّ عن لَقِيط والهيثم بن عَدِيّ: أنَّ أم البنين بنت عبد العزيز بن

---

(١) الأكباش: من برود اليمن.

(٢) المُشاشَةُ: واحدة المُشاشِ، وهي رؤوس العِظام اللينّة التي يمكن مضغُها. والمُشاشُ أيضاً: أرضٌ ليِّنة. وفلان طيِّب المُشاشِ، أي كريم النفس. وتَمَشَّشْتُ العظمَ: أكلت مُشاشَهُ، أو تمَكَّكْتُهُ. ومَشِشَتِ الدابَّة بالكسر مَشَشاً، وهو شيء يشخص في وظيفها حتَّى يكون له حجمٌ، وليس له صلابة العظم الصحيح.

(٣) ورد في بعض المصادر «طاف» بدل «طرق».

(٤) ورد في بعض المصادر «الأسلا» بدل «الإبلا».

(٥) ورد في بعض المصادر «من زائر متعسف».

مروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك في الحجِّ فَأَذِنَ لها، وهو يَوْمَئِذٍ خليفة وهي زوجته. فَقَدِمْتْ مكَّةَ ومعها من الجواري ما لم يُرَ مثلُهُ حسناً. وَكَتَبَ الوليدُ يتوعَّدُ الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر أحداً ممن تَبِعَها. وقَدِمَتْ، فَتَرَاءَتْ للناسِ، وَتَصدَّى لها أهلُ الغَزَلِ والشعر، وَوَقَعَتْ عينُها على وَضَّاح اليمن فَهويَتْهُ.

فَحَدَّثنا الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال: حَدَّثني إبراهيم ابن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرِي عن محمد بن جعفر مولى أبي هُرَيرة عن أبيه عن بُدَيح قال: قَدِمَتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجَّةً، والوليدُ يَوْمَئِذٍ خليفة.

فَبَعَثَتْ إلى كُثَيِّر وإلى وضَّاح اليمن أن انْسُبا بي. فأمَّا وضَّاح اليمن فإنَّه ذَكَرَها وَصَرَّح بالنَّسيب بها؛ فَوَجَدَ الوليدُ عليه السبيلَ فَقَتَلَهُ. وأمَّا كُثَيِّر فَعَدَلَ عن ذكرِها ونَسَبَ بجاريتها غاضِرة فقال:

صـــوت

شَـجـا أَظـعـانُ غـاضِـرَةَ الـغـوادي ... بِـغَـيـرِ مَـشـورَةٍ عَـرَضًـا فُـؤادي
أَغـاضِـرَ لَـو شَـهِـدتِ غَـداةَ بِـنـتُـم ... حُـنُـوَّ الـعـائِـداتِ عَـلـى وِسـادي
أوَيـتِ لِـعـاشِـقٍ[1] لَـم تَـشـكُـمـيـهِ ... بِـوَاقِـدةٍ تَـلَـذَّعُ كـالـزِّنَـادِ

[الوافر]

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوَّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ وَحَبَش قال بُدَيح: فَكُنْتُ لمَّا حَجَّت أم البنين لا تشاء أن تَرَى وجهاً حَسناً إلا رأيْتَهُ معها. فَقُلْتُ لِعُبَيد اللَّه بن قيس الرُّقيات بمن تشبِّب من هذا القَطين فقال لي:

وَمـا تَـصـنَـعُ بِـالـسِّـرِّ إذا لَـم تَـكُ مَـجـنـونـا
إذا عـالَـجـتَ ثِـقـلَ الـحُـبِّ عـالَـجـتَ الأَمَـرِّيـنـا[2]
وَقَـد بُـحـتَ بِـأَمـرٍ كـا نَ فـي قَـلـبِـيَ مَـكـنـونـا
وَقَـد هِـجـتَ بِـمـا حـاوَلـ ـتَ أَمـراً كـانَ مَـدفـونـا

[الهزج]

(١) أويت العاشق: رثيت له وأشفقت عليه.
(٢) أبو زيد: لقيتُ منه الأَمَرِّينَ بنون الجمع، وهي الدواهي.

قال: ثم خلا بي فقال لي: اكتُم عليّ، فإنَّك موضع للأمانة؛ وأنشدني:

صـوت

أَصَـحَـوتَ عَـن أُمِّ الـبَـنـيـ ـنَ وَذِكـرِهـا وَعَـنـائِـهـا
وَهَـجَـرتَـهـا هَـجـرَ امـرِئٍ لَـم يَـقـلُ صَـفـوَ صَـفـائِـهـا
قُـرَشِـيَّـةٌ كَـالـشَّـمـسِ أَشـ ـرَقَ نـورُهـا بِـبَـهـائِـهـا
زادَت عَـلـى الـبـيـضِ الـحِـسـا نِ بِـحُـسـنِـهـا وَنَـقـائِـهـا
لَـمّـا اسـبَـكَـرَّت لِـلـشَّـبـا بِ وَقُـنِّـعَـت بِـرِدائِـهـا
لَـم تَـلـتَـفِـت لِـلِـداتِـهـا وَمَـضَـت عَـلـى غُـلَـوائِـهـا
لَـولا هَـوى أُمِّ الـبَـنـيـ ـنَ وَحـاجَـتـي لِـلِـقـائِـهـا
قَـد قُـرِّبَـت لـي بَـغـلَـةٌ مَـحـبـوسَـةٌ لِـنَـجـائِـهـا

[مجزوء الكامل]

قال بُدَيح: فلمَّا قَتَلَ الوليدُ، وضَّاح اليمن، حَجَّت بعد ذلك أمُّ البنين محتجبةً لا تُكَلِّم أحداً؛ وَشَخَصَتْ كذلك، فَلَقِيَنِي ابنُ قَيس الرُّقِيَّات، فقال يا بديح.

صـوت

بـان الـحـبـيـبُ الـذي بـه تَـثِـقُ واشـتـدّ دون الـحـبـيـبـةِ الـقَـلَـقُ
يـا مـن لـصَـفْـراء فـي مـفـاصـلـهـا لِـيـنٌ وفـي بـعـض بـطـشـهـا خُـرُقُ

[المنسرح]

وهي قصيدة قد ذُكِرَتْ مع أخبار ابن قيس الرُّقيَّات.

الغناءُ في الأبيات الأُوَل التي أولها:

أَصَـحَـوْتَ عـن أُمِّ الـبـنـيـن

يُنْسَبُ في موضع آخر إن شاء اللَّه.

أخبرني الحرميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن عبد اللَّه بن أبي عُبَيدة قال: حَدَّثني كُثَّير قال: حَجَجْتُ مع أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك، فَأَرْسَلَتْ إليّ وإلى وضَّاح اليمن أن انسُبا بي؛ فَهِبْتُ ذلك ونَسَبْتُ بجاريتها غاضرةَ فَقُلْتُ:

شَجا أَظْعانُ غاضِرَةَ الغوادي بِغَيرِ مَشورَةٍ عَرَضًا فُؤادي
أَغاضِرَ لَو شَهِدتِ غَداةَ بِنتُم حُنُوَّ العائِداتِ عَلى وِسادي
أَوَيتِ لِعاشِقٍ لَم تَشكُميهِ بِوَاقِدةٍ تَلَذَّعُ كالزَّنادِ
[الوافر]

وأمَّا وضَّاح فَنَسَبَ بِهَا فَبَلَغَ ذلك الوليد فطلبه فقتله.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثني محمد بن سعد الكرانيّ قال: حَدَّثني أبو عمر العُمَريّ عن العُتْبيّ قال: مَدَحَ وَضَّاح اليمن الوليدَ بن عبد الملك، وهو يَوْمَئِذٍ خليفة، ووعدتْهُ أمُّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تَرْفِده[١] عنده وتقوِّيَ أمرَه. فَقَدِمَ عليه وضَّاح وأنشده قولَهُ فيه:

صوت

صَبَا قَلبي وَمَالَ إِلَيكِ مَيلا وَأَرّقَني خَيَالُكِ يَا أُثَيلا[٢]
يَمانِيَةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبدِي دَقيقَ مَحَاسِنٍ وَتُكِنُّ غَيلا[٣]
دَعِينا مَا أَمَمتِ بَنَاتِ نَعشٍ[٤] مِنَ الطَّيفِ الَّذي يَنتَابُ لَيلا
ولَكِن إِن أَرَدتِ فَصَبِّحِينا إِذَا أَمَّت رَكَائِبُنا سُهَيلا[٥]
فَإِنَّكِ لَو رَأَيتِ الخَيلَ تَعدُو سِرَاعاً[٦] يَتَّخِذنَ النَّقعَ ذَيلا
إِذَاً لَرَأَيتِ فَوقَ الخَيلِ أُسداً تُفِيدُ مَغَانِماً وتُفِيتُ نَيلا
إِذَا سَارَ الوَلِيدُ بِنَا وَسِرنَا إِلَى خَيلٍ نَلُفُّ بِهِنَّ خَيلا
وَنَدخُلُ بِالسُّرُورِ دِيارَ قَومٍ وَنُعقِبُ آخِرِينَ أَذًى وَوَيلا
[الوافر]

فَأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صِلَتَهُ. وَمَدَحَهُ بعدَّة قصائد. ثم نُمِيَ إليه أنَّه شَبَّبَ بأم البنين، فجفاه وأمر بأن يُحْجَبُ عنه، وَدَبَّرَ في قتلِهِ.

---

(١) رفد: أعان.
(٢) أثيل: ترخيم أثيلة، وهو اسم امرأة.
(٣) الغَيْلُ: الساعدُ الرَّيَّانُ الممتلئ.
(٤) بنات نعش: من الكواكب الشامية.
(٥) يعني الشاعر بقوله هذا: إذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن.
(٦) ورد في بعض المصادر «عوابس» بدل «سراعاً».

ومدحه وَضَّاح بقوله أيضاً:

مـا بَـالُ عَـيـنِـكَ لا تَـنَـامُ كَـأَنَّـمـا ... طَـلَـبَ الـطـبـيـبُ بِـهـا قَـذى فَـأَضَـلَّـهُ
بَـل مَـا لِـقَـلـبِـكَ لا يَـزَالُ كَـأَنَّـهُ ... نَـشـوَانُ أَنـهَـلَـهُ الـنَّـدِيـمُ وَعَـلَّـهُ
مَـا كَـنـتُ أَحـسِـبُ أَن أَبِـيـتَ بـبـلـدَةٍ ... وَأَخِـي بـأَخـرَى لا أَحُـلُّ مَـحَـلَّـهُ
كُـنَّـا لَـعَـمـرُكَ نَـاعِـمَـيـنِ بِـغـبـطَـةٍ ... مَـع مـا نُـحـبُّ مَـبِـيـتَـهُ وَمَـظَـلَّـهُ
فَـأَرَى الَّـذي كُـنَّـا وَكَـانَ بِـغـرَّةٍ ... نَـلـهُـو بِـغـرَّتِـهِ وَنَـهـوى دَلَّـهُ
كَـالـطَّـيـفِ وَافَـقَ ذَا هـوًى فَـلَـهـا بـهِ ... حَـتَّـى إِذَا ذَهَـبَ الـرُّقَـادُ أَضَـلَّـهُ
قُـل لِـلَّـذي شَـعَـفَ الـبَـلاءُ فُـؤَادَهُ ... لا تُـهـلِـكَـنَّ أَخَـاً فـرُبَّ أَخٍ لَـهُ
وَالـقَ ابـنَ مَـروانَ الَّـذِي قَـد هَـزَّهُ ... عِـرقُ الـمـكَـارِمِ والـنَّـدَى فَـأَقَـلَّـهُ
وَاشـكُ الَّـذي لاقَـيـتَـهُ مِـن دُونِـهِ ... وانـشُـر إِلَـيـهِ دَاءَ قَـلـبِـكَ كُـلَّـهُ
فَـعَـلـى ابـنِ مَـروَانَ الـسَّـلامُ مِـنِ امـرِئٍ ... أَمـسَـى يَـذوقُ مِـنَ الـرُّقَـادِ أَقَـلَّـهُ
شَـوقَـاً إِلَـيـكَ فَـمَـا تَـنَـالُـكَ حَـالُـهُ ... وَإِذَا يَـحِـلُّ الـبَـابَ لَـم يُـؤذَن لَـهُ
فَـإِلَـيـكَ أَعـمَـلـتُ الـمـطَـايَـا ضُـمَّـراً ... وَقَـطَـعـتُ أرواحَ الـشِّـتَـاءِ وَظَـلَّـهُ
وَلـيَـالـيـاً لَـو أَنَّ حَـاضِـرَ بَـثَّـهـا ... طَـرف الـقَـضِـيـبِ أصـابَـهُ لأَشَـلَّـهُ

[الكامل]

فَلَمْ يَزَلْ مجفُوًّا حتى وَجَدَ الوليدُ له غِرَّة، فَبَعَثَ إليه من اختلسه ليلاً فَجَاءه به فقتله ودفنه في دارِه، فلم يوقف له على خبر.

[الوليد يدفنه حيًّا]

وقال خالد بن كلثوم في خبرِهِ: كان وضَّاح قد شَبَّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَروان امرأة الوليد بن عبد الملك، وهي أم ابنة عبد العزيز بن الوليد، والشرفُ فيهم.

فَبَلَغَ الوليدَ تَشَبُّبُه بها، فأَمَرَ بطلبه فَأُتِيَ بِهِ، فَأَمَرَ بقتلِهِ. فَقَالَ لَهُ ابنه عبد العزيز: لا تفعل يا أمير المؤمنين فَتُحَقِّقَ قولَهُ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دَهْبَل فإنَّه لما شَبَّبَ بابنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله؛ فَقَالَ: إذاً تُحقِّق قولَهُ، ولكن تَبَرَّه وتحسن إليه فيستحي ويَكُفُّ ويكذّب نفسه. فلم يقبل منه، وَجَعَلَهُ في صندوقٍ وَدَفَنَهُ حيًّا. فَوَقَعَ بين رجل من زنادقة الشُّعُوبية وبين رجل من ولد الوليد فَخارٌ خرجا فيه إلى أن أغلظا المُسابّةَ، وذلك في دولة بني

العبَّاس فَوَضَعَ الشُّعوبيّ عليهم كتاباً زَعَمَ فيه أنَّ أمَّ البنين عَشِقَتْ وَضَّاحاً، فكانت تُدْخِلُهُ صندوقاً عندها.

فَوَقَفَ على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق، فأخذه فَدَفَنَهُ. هكذا ذكر [خالد بن] كلثوم والزُّبير بن بَكَّار جميعاً.

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال: حَدَّثنا أبو سعيد السُّكريّ، قال: حَدَّثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبي قال: عَشِقَتْ أمُّ البنين وضَّاحاً، فكانت تُرْسِلُ إليه فيدخل إليها ويُقِيمُ عندها؛ فإذا خافت وارته في صندوق وأقفَلَتْ عليه فأُهدي للوليد جَوهر له قيمة فأعجبه واستحسنه، فدعا خادماً له فَبَعَثَ بِهِ معه إلى أم البنين وقال: قُلْ لها: إنَّ هذا الجوهر أعجبني فآثرتُكِ به.

فَدَخَلَ الخادمُ عليها مفاجأةً ووضَّاح عندها، فأدخلته الصندوقَ وهو يَرى، فَأَدَّى إليها رسالةَ الوليد ودفع إليها الجوهر ثم قال: يا مولاتي، هَبِيني منه حجراً؛ فقالت: لا، يابْن اللَّخناء ولا كرامة. فَرَجَعَ إلى الوليد فأخبره؛ فقال: كذبتَ يابْن اللَّخناء وأمر به فَوُجِئت عنقُهُ. ثم لَبِسَ نعليه وَدَخَلَ على أمِّ البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه، فَجَلَسَ عليه ثم قال لها: يا أُمّ البنين، ما أحبَّ إليك هذا البيت من بين بيوتك! فَلِمَ تختارينه؟ فَقَالَتْ: أجلس فيه وأختاره لأنَّهُ يَجْمَعُ حوائجي كُلَّها فأتناولها منه كما أُريدُ من قرب.

فقال لها: هَبِي لي صندوقاً من هذه الصناديق؛ قالت: كُلُّها لك يا أمير المؤمنين؛ قال: ما أريدها كلَّها وإنَّما أريدُ واحداً منها؛ فَقَالَتْ لَهُ: خذ أيَّها شِئْتَ؛ قال: هذا الذي جَلَسْتُ عليه؛ قالت: خُذْ غيره فإنَّ لي فيه أشياءَ أحتاج إليها؛ قال: ما أُريدُ غيره؛ قالت: خُذْهُ يا أمير المؤمنين.

فدعا بالخدم وأمرهم بحمله، فَحَمَلَهُ حتى انتهى بِهِ إلى مجلسِهِ فَوَضَعَهُ فيه. ثم دعا عَبيداً له فأمرهم فحفروا بِئْراً في المجلس عميقةً، فَنُحِّيَ البساط وحُفِرَتْ إلى الماء.

ثم دعا بالصندوق فقال: يا هذا إنَّه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد كَفَّنَّاك ودفنَّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإنْ كان باطلاً فإنا دفنّا الخشب، وما أهونَ ذلك! ثم قُذِفَ به في البئر وهِيْلَ عليه التّرابُ وسُوِّيَت الأرض وَرُدَّ البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه. ثم ما رُئِيَ بعد ذلك اليوم لِوضَّاح أثر في الدُّنيا إلى هذا اليوم. قال: وما رأت أمّ البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فَرَّق الموت بينهما.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن زُهير قال: حَدَّثني مصعب بن

عبد اللَّه قال: مَرِضَتْ أمُّ البنين ووضَّاح مُقِيمٌ بدمشق، وكان نازلاً عليها؛ فقال في علَّتِها:

صـوت

حـتَّـامَ نـكـتُـم حُـزنَـنَـا حَـتَّـامَـا ... وَعَـلامَ نَـسـتَـبـقـي الـدُّمُـوعَ عَـلامَـا
إنَّ الَّـذي بِـي قَـد تَـفَـاقَـمَ واعـتَـلَـى ... وَنَـمَـا وَزَادَ وَأَورَثَ الأَسـقَـامَـا
قَـد أَصـبَـحَـت أُمُّ الـبَـنِـيـن مَـرِيـضَـةً ... نَـخـشَـى ونُـشـفِـقُ أَن يَـكُـونَ حِـمَـامَـا
يـا رَبِّ أمْـتـعـنِـي[1] بـطُـولِ بَـقَـائِـهـا ... واجـبُـر بِـهـا الأَرمَـالَ والأَيـتَـامَـا
واجـبُـر بِـهـا الـرَّجُـلَ الـغَـرِيـبَ بـأَرضِـهَـا ... قَـد فَـارَقَ الأَخـوَالَ والأَعـمَـامَـا
كَـم رَاغـبِـيـنَ وَرَاهـبِـيـنَ وَبُـؤَّسٍ ... عُـصِـمُـوا بِـقُـربِ جَـنَـابِـهـا إِعـصَـامَـا
بِـجَـنَـابِ ظَـاهِـرَةِ الـثَّـنَـا مَـحـمُـودَةٍ ... لا يُـسـتَـطَـاعُ كَـلامُـهـا إِعـظَـامَـا

[الكامل]

الغناءُ في الأوَّل والثاني والثالث والرابع والخامس لِحَكَم الواديّ خفيفُ رمل بالوسطى، عن الهشاميّ وعبد اللَّه بن موسى. ومما وجد في روايَتي هارون بن الزيَّات وابن المكيّ في الرابع ثم الخامس ثم الأوَّل والثاني لعمر الوادي خفيف رمل، من رواية الهشامي.

[شبب بفاطمة بنت عبد الملك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن زُهير قال: حَدَّثنا مُصْعَب قال: بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشببُ وضَّاح بِأُمِّ البنين فَهَمَّ بقتله. فسأله عبد العزيز ابنُهُ فيه، وقال له: إنْ قتلته فَضَحتَنِي وَحَقَّقَتْ قوله، وتوَهَّمَ النَّاسُ أنَّ بَيْنَهُ وبين أمِّي ريبة.

فأمسك عنه على غيظٍ وَحَنَق، حتى بلغ الوليد أنَّه قد تعدَّى أمَّ البنين إلى أخته فاطمةَ بنت عبد الملك، وكانت زوجةَ عمرَ بنِ عبد العزيز رَضِيَ اللَّه تعالى عنه، وقال فيها:

بِـنـتُ الـخَـلِـيـفَـةِ وَالـخَـلِـيـفَـةُ جَـدُّهـا ... أُخـتُ الـخَـلِـيـفَـةِ والـخَـلِـيـفَـةُ بَـعـلُـهَـا
فَـرِحَـت قَـوَابِـلُـهـا بِـهَـا وتَـبَـاشَـرَت ... وَكَـذاكَ كـانـوا فـي الـمـسـرَّةِ أَهـلُـهَـا

[الكامل]

(١) ورد في بعض المصادر «متّعني» بدل «أمتعني».

فأحنقَ[١] واشتدّ غيظه وقال: أمَا لِهَذا الكلب مُزدَجرٌ[٢] عن ذكر نسائنا وأخواتنا، ولا له عنَّا مذهب! ثم دعا به فَأُحْضِرَ، وأمر ببئر فَحُفِرَتْ ودفنه فيها حيًّا.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون قال: أنشدْتُ محمدَ بن المنكدِر قولَ وضَّاح:

إِذَا قُلتُ يَوماً نَوِّلِيني تَبَسَّمَت وَقَالَت مَعَاذَ اللَّهِ مِن فِعلِ مَا حَرُم

[الطويل]

قال: فَضَحِكَ وقال: إنْ كان وضَّاح إلا مُفْتِياً لنفسه. وتمام هذه الأبيات:

تَرَجَّلَ[٣] وَضَّاحٌ وأَسبَلَ بَعدَما تَكَهَّلَ حِيناً في الكُهُولِ وَمَا احتَلَم

وَعُلِّقَ بَيضَاءَ العَوَارِضِ طَفلَةً مُخَضَّبَةَ الأطرَافِ طَيِّبَةَ النَّسَم

إِذَا قُلتُ يَوماً نَوِّلِيني تَبَسَّمَت وَقَالَت مَعَاذَ اللَّهِ مِن فِعلِ مَا حَرُم

فَمَا نَوَّلَت حَتَّى تَضَرَّعتُ عِندَهَا وأَعلَمتُها مَا رَخَّصَ اللَّهُ في اللَّمَم

[الطويل]

[وضاح يرثي أباهُ وأخاهُ]

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثنا الكرانيّ قال: حَدَّثنا العُمَريّ عن العُتبيّ في خبرِهِ الأوَّل المذكور من أخبار وضَّاح مع أمّ البنين قال: كان وضَّاح مُقِيماً عند أم البنين، فَوَرَدَ عليه نَعيُ أخيه وأبيه؛ فقال يرثيهما:

أَرَاعكَ طَائِرٌ بَعد الخُفوقِ بِفَاجِعَةٍ مُشَنَّعةِ الطُّروقِ

نَعَم وَلَهاً على رجلٍ عَميدٍ أَظَلُّ كَأَنَّني شَرِق بِرِيقي

كَأَنِّي إِذ عَلِمتُ بِها هُدُوًّا هَوَت بي عاصفٌ مِن رَأسِ نِيقِ[٤]

أُعَلُّ بَزَفرَةٍ مِن بَعد أُخرى لَهَا في القَلبِ حَرٌّ كَالحَرِيقِ

وَتَردُف عَبرَةٌ تَهتَانَ أُخرى كَفَائِضِ غَربِ نَضَّاحٍ فَتِيقِ

كَأَنِّي إِذ أُكَفكِفُ دَمعَ عيني وأَنهاها أَقُولُ لها هَرِيقي

---

(١) أحنق الرجل: إذا حقد حقداً لا ينحل.

(٢) زَجَرتُه فانزَجَرَ أي نهيته، وهو في الإبل، تقول: زَجَرته وازدجرتُه ما وقد ازدَجَرَ بمعنى انزَجَرَ.

(٣) الترجيل: تسريح الشعر.

(٤) النيق: أرفع موضع في الجبل، والجمع: أنياق، نيوق.

أَلَا تِـلـكَ الـحـوادثُ غِـبـتُ عَـنـهـا بـأَرضِ الـشَّـامِ كَـالـفَـردِ الـغَـريـقِ
فـمـا أَنـفَـكُّ أَنـظُـر فـي كـتـابٍ تُـدَاري الـنَّـفـسُ عَـنـهُ هَـوى زَهُـوقِ[1]
يُـخَـبِّـرُ عَـن وَفَـاةِ أَخٍ كَـريـمٍ بـعـيـدِ الـغَـورِ نَـفَّـاعٍ طَـلـيـقِ
وقَـرمٍ يُـعـرِضُ الـخُـصـمـان عَـنـهُ كَـمَـا حَـادَ الـبِـكـارُ[2] عـنِ الـفَـنـيـقِ[3]
كـريـمٍ يـمـلأُ الـشِّـيـزى[4] وَيَـقـري إِذا مـا قَـلَّ إِيـمـاضُ الـبُـروقِ
وَأَعـظَـمُ مـا رُمـيـتُ بـه فَـجُـوعـاً كـتـابٌ جـاءَ مِـن فَـجٍ عَـمـيـقِ
يُـخَـبِّـرُ عَـن وَفَـاةِ أَخٍ فَـصَـبـراً تَـنَـجَّـز وَعـدَ مَـنّـانٍ صَـدُوقِ
سَـأَصـبِـرُ لِـلـقَـضَـاءِ فَـكُـلُّ حَـيٍّ سَـيَـلـقَـى سَـكـرَةَ الـمَـوتِ الـمَـذُوقِ
فـمـا الـدُّنـيـا بـقَـائِـمـةٍ وَفـيـهـا مِـن الأَحـيَـاءِ ذُو عَـيـنٍ رَمُـوقِ
ولـلأَحـيَـاءِ أَيّـامٌ تَـقـضَّـى يَـلُـفُّ خِـتَـامُـهـا سُـوقـاً بـسُـوقِ
فَـأَغـنَـاهُـم كَـأَعـدَمِـهـم إِذا مَـا تَـقَـضَّـت مُـدَّةُ الـعَـيـشِ الـرَّقـيـقِ
كـذَلِـكَ يُـبـعَـثـونَ وَهُـم فُـرادى لـيـومٍ فـيـهِ تَـوفِـيـةُ الـحُـقُـوقِ
أَبَـعـدَ هُـمَـامٍ قَـومِـكِ ذي الأَيَـادي أَبـي الـوَضّـاحِ رَتَّـاقِ[5] الـفُـتُـوقِ
وبَـعـدَ عُـبَـيـدَةَ الـمـحـمـودِ فِـيـهـم وبَـعـدَ سَـمَـاعَـةَ الـعَـودِ الـعَـتـيـقِ
وبَـعـدَ ابـنِ الـمُـفَـضَّـلِ وابـنِ كـافٍ هـمـا أَخَـواكَ فـي الـزَّمـنِ الأَنـيـقِ
تُـؤَمِّـلُ أَن تَـعِـيـشَ قَـرِيـرَ عَـيـنٍ وأَيـنَ أَمـامَ طَـلَّابٍ لَـحُـوقِ
وَدنـيَـاكَ الَّـتـي أَمـسَـيـتَ فـيـهـا مُـزَايِـلَـةُ الـشَّـقِـيـقِ عَـنِ الـشَّـقـيـقِ

[الوافر]

ومما قاله في مَرْثية أهله وذكر الموت وغُنِّى فيه ـ وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة ـ :

---

(١) زهق: هلك والزهوق: الهالك.
(٢) البكار: الفتي من الإبل.
(٣) الفينيق: الفحل المكرم الذي لا يؤذى ولا يركب لكرامته على أهله.
(٤) مشط من الشيزى وهو خشبة سوداء يعمل منها، وجفان من الشيزى وهي شجر تعمل منه. قال الشماخ:

فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه ويضرب في رأس الكميّ المدجج

(٥) الرتق: لحام الفتق وإصلاحه.

صـــوت

مَـــا لَـــكَ وَضَّـــاحُ دَائـــمَ الـــغَـــزَلِ ... أَلَـــسـتَ تَـخـشَـى تَـقَـارُبَ الأَجَـلِ
صَـلِّ لِـذِي الـعَـرشِ وَاتَّـخِـذ قَـدَمـاً ... تُـنـجـيـكَ يَـومَ الـعِـثَـارِ والـزَّلَـلِ
يَـا مَـوتُ مـا إِن تَـزَالُ مُـعـتَـرِصـاً ... لِآمِـلٍ دُونَ مُـنـتَـهـى الأَمَـلِ
لَـو كَـانَ مَـن فَـرَّ مِـنـكَ مُـنـفَـلِـتـاً ... إِذاً لأَسـرَعـتُ رِحـلَـةَ الـجَـمَـلِ
لَـكِـنَّ كَـفَّـيـكَ نَـالَ طـولُـهُـمـا ... مَـا كَـلَّ عَـنـهُ نَـجـائـبُ الإِبِـلِ
لَـولا حِـذَارِي مِـنَ الـحُـتُـوفِ فَـقَـد ... أَصـبَـحـتُ مِـن خَـوفِـهـا عَـلـى وَجَـلِ
لَـكُـنـتُ لِـلـقَـلـبِ فـي الـهَـوى تَـبَـعـاً ... إِنَّ هَـوَاه رَبَـائِـبُ الـحَـجَـلِ
حِـرَمـيَّـةٌ تَـسـكُـنُ الـحِـجَـازَ لَـهـا ... شَـيـخٌ غَـيـورٌ يَـعـتَـلُّ بِـالـعِـلَـلِ
عُـلِّـقَ قَـلـبِـي رَبِـيـبَ بَـيـتِ مُـلـو ... كٍ ذَاتَ قُـرطَـيـنِ وَعـثَـةَ[1] الـكَـفَـلِ
تَـفـتَـرُّ عَـن مَـنـطِـقٍ تَـضـنُّ بِـهِ ... يَـجـري رُضَـابـاً كَـذَائِـبِ الـعَـسَـلِ

[المنسرح]

[وضاح يشبب بحبابة وبروضة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حَدَّثني سليمان بن أبي أيّوب عن مصعب قال: قال وضّاح اليمن في حَبابة جاريةِ يزيد بن عبد الملك، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصيرُ إليه، وسَمِعَ غناءها فَأُعجب بها إعجاباً شديداً:

صـــوت

يَـــامَـــن لِـــقَـــلـــبٍ لا يُـــطِـــيـــ ... ـعُ الـــزَّاجِـــريـــنَ وَلا يُـــفـــيـــق
تَـــســـلُـــو قُـــلُـــوبُ ذَوِي الـــهَـــوى ... وَهُـــوَ الـــمُـــكَـــلَّـــفُ[2] والـــمَـــشُـــوق
تَـــبَـــلَـــت[3] حَـــبَـــابَـــةُ قَـــلـــبَـــهُ ... بِـــالـــدَّلِ والـــشَّـــكـــلِ الأَنِـــيـــق
وَبِـــعَـــيـــنِ أَحـــوَرَ يَـــرتَـــعـــي ... سَـقـطَ الـكـثـيـبِ[4] مـنَ الـعَـقِـيـق
مَـكـحُـولَـةً بِـالـسِّـحـرِ تُـنـشِـي نَـشـوَةَ الـخَـمـرِ الـعَـتـيـق

(١) امرأة وعثة: أي كثيرة اللحم.
(٢) كلف به كلفاً: إذا ولع به.
(٣) تبلت: سقمت.
(٤) سقط الكثيب: منقطعه.

هَـيـفـاءَ إن هـي أَقـبَـلَـت لَاحَـت كَـطَـالِـعَـةِ الـشُّـروق
والـرِّدفُ مـثـلُ نَـقَـاً تـلَـبَّـدَ فـهـو زُحـلـوقٌ زَلُـوق
فـي دُرَّةِ الأَصـدافِ مُـعـتَـنِـفـاً بـهـا رَدعُ الـخَـلُـوق[1]
دَاوي هَـوايَ وَأَطـفِـئـي مـا فـي الـفُـؤَادِ مِـنَ الـحَـريـق
وتَـرَفَّـقـي أَمَـلـي فَـقَـد كَـلَّـفـتِـنـي مَـا لَا أُطِـيـق
فـي الـقـلـبِ مِـنـكِ جَـوى الـمُـحـبِّ وَرَاحـةُ الـصَّـبِّ الـشَّـقِـيـق
هَـذَا يَـقُـودُ بـرُمَّـتـي[2] قَـوداً إِلَـيـكِ وَذَا يَـسُـوق
يـا نَـفـسُ قَـد كَـلَّـفـتِـنـي تَـعَـبَ الـهَـوى مِـنـهـا فَـذُوق
إِن كُـنـتِ تَـائِـقـةً لـحـرِّ صَـبَـابـةٍ مـنـهـا فَـتُـوق

[مجزوء الكامل]

[شعر له في روضة]

ومما قاله في روضة وفيه غناء قوله:

صـوت

يـا لَـقَـومِـي لِـكَـثـرةِ الـعُـذَّالِ وَلِـطَـيـفٍ سَـرَى مَـلـيـحِ الـدَّلالِ
زَائـرٍ فـي قُـصُـورِ صَـنـعَـاءَ يَـسـري كُـلَّ أَرضٍ مَـخُـوفَـةٍ وَجِـبَـالِ

[الخفيف]

ـ والغناء لابن عبَّاد عن الهشاميّ رمل ـ وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جَيِّدة يقول فيها:

يَـقـطَـعُ الـحَـزنَ والـمَـهَـامِـه والـبِـيـدَ وَمِـن دُونِـه ثَـمـانِ لَـيَـالـي
عـاتـبٌ فـي الـمـنَـامِ أَحـبِـب بُـعُـتـبَـا هُ إِلَـيـنَـا وقَـولِـهِ مِـن مَـقَـالِ
قُـلـتُ أَهـلاً وَمَـرحَـبـاً عَـدَدَ الـقَـطـ ـرِ وسَـهـلاً بِـطَـيـفِ هَـذَا الـخَـيَـالِ
حَـبَّـذَا مَـن إِذَا خَـلَـونَـا نَـجـيّـا قَـالَ أَهـلـي لَـكَ الـفِـدَاءُ ومَـالِـي
وَهِـي الـهَـمُّ وَالـمُـنَـى وَهَـوَى الـنَّـفـسِ إِذَا اعـتَـلَّ ذو هَـوًى بـاعـتِـلَالِ

(١) الخلوق: ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران.
(٢) الرَّم: إصلاحُ الشّيء الّذي فسد بَعْضُهُ، من نَحوِ حَبْلٍ بَلِيَ فتَرُمُّه، أو دارٍ تَرُمُّ شَأْنَها مَرَمَّةً. ورَمَّ الأمر: إصلاحُه بعد انتشاره والرِّمة والرُّمة: القِطْعةُ من الحَبْل، وبها سُمِّي ذو الرّمّة.

قِستُ مَا كَانَ قَبلَنَا مِن هَوَى النَّـ ـاسِ فَمَا قِستُ حُبَّهَا بِمِثَالِ
لَم أَجِد حُبَّهَا يُشَاكِلُهُ الحُبُّ وَلَا وَجدَنَا كَوَجدِ الرِّجَالِ
كُلُّ حُبٍّ إِذَا استَطَالَ سَيَبلَى وهَوَى روضةِ المُنى غَيرُ بَالِي
لَم يَزِده تَقَادُمُ العَهدِ إِلَّا جِدَّةً عِندَنَا وَحُسنَ احتِلَالِ
أَيُّهَا العَاذِلُونَ كَيفَ عِتَابِي بَعدَمَا شَابَ مَفرِقِي وَقَذَالِي
كَيفَ عَذلِي عَلَى الَّتِي هِيَ مِنِّي بِمَكَانِ اليَمِينِ أُختِ الشِّمَالِ
والَّذِي أَحرَمُوا لَهُ وَأَحَلُّوا بِمنًى صُبحَ عَاشِرَاتِ اللَيالِي[1]
مَا مَلَكتُ الهَوى ولا النَّفسَ مِنِّي مُنذُ عُلِّقتُهَا فَكَيفَ احتِيَالِي
إِن نَأَت كَانَ نأيُهَا المَوتَ صِرفاً أَو دَنَت لِي فَثَّم يَبدُو خَبَالِي
يَا بْنَةَ المَالِكِيِّ يَا بَهجَةِ النَّفسِ أَفِي حُبِّكُم يَحِلُّ اقتِتَالِي
أَيُّ ذَنبٍ عَلَيَّ إِن قُلتُ إِنِّي لأُحِبُّ الحِجَازَ حُبَّ الزُّلَالِ
لأُحِبُّ الحِجَازَ مِن حُبِّ مَن فِيهِ وَأَهوَى حِلَالَهُ مِن حِلَالِ[2]

[الخفيف]

صوت

ومما فيه غناء من شعر وضَّاح:

أَيُّهَا النَّاعِبُ[3] مَاذَا تَقُولُ فَكِلَانَا سَائِلٌ وَمَسُولُ
لا كَسَاكَ اللَّهُ مَا عِشتَ رِيشَاً وَبِخَوفٍ بِتَّ ثُمَّ تَقِيلُ
ثُمَّ لا أَنقَفتَ[4] فِي العُشِّ فَرخاً أَبَداً إِلَّا عَلَيكَ دَلِيلُ
حِينَ تُنبِي أَنَّ هِنداً قَرِيبٌ يَبلُغُ الحَاجَاتِ مِنهَا الرَّسُولُ
وَنَأَتْ هِنْد فَخَبَّرتَ عَنهَا أن عهد الودّ سوف يزول

[المديد]

ومنها:

(١) يريد صبح الليلة العاشرة من ذي الحجة.
(٢) يقال: حِلّاً، أي اسْتَثِن. ويا حالِفُ اذكرْ حِلّاً. وقومٌ حِلَّةٌ، أي نُزولٌ وفيهم كثرةٌ.
(٣) نعب الغراب ينعب وينعب نعيباً وهو مدّه عنقه في نعاقه.
(٤) انقف الفرخ: استخرجه من البيضة.

صـوت

حَـيِّ الَّـتـي أَقـصَـى فُـؤَادِكَ حَـلَّـتِ عَـلِـمَـت بـأَنَّـكَ عَـاشِـقٌ فَـأَدلَّـتِ
وإِذَا رأتـك تَـقَـلـقَـلَـت أَحـشَـاؤُهـا شَـوقَـاً إِلَـيـكَ فَـأَكـثَـرَت وأقَـلَّـتِ
وَإِذَا دَخَـلـتَ فَـأُغـلِـقَـت أَبـوَابُـهـا غَـرَمَ الـغـيـورُ حِـجَـابَـهـا فَـاعـتَـلَّـتِ
وَإِذَا خَـرَجـتَ بَـكَـت عَـلَـيـكَ صَـبَـابـةً حَـتَّـى تَـبُـلَّ دُمـوعُـهـا مَـا بَـلَّـتِ
إِن كُـنـتَ يَـا وَضَّـاحُ زُرتَ فَـمَـرحَـبـاً رَحُـبَـت عَـلَـيـكَ بِـلادُنـا وَأَظَـلَّـتِ

[الكامل]

الغناءُ لإبن سُرَيج رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها ليحيى المكيّ ثاني ثقيل بالوسطى، من كتابه. ولابنه أحمدَ فيها هزج وذكر حَبش أن ليحيى فيها أيضاً خفيفَ ثقيل .

ومنها:

صـوت

أَتَـعـرِفُ أَطـلالاً بـمـيـسَـرةِ الـلِّـوى إلى أَرعَـبٍ[1] قَـد حَـالَـفَـتـكَ بـه الـصِّـبـا
فَـأَهـلاً وَسَـهـلاً بـالَّـتـي حَـلَّ حـبُّـهـا فـؤادي وحـلَّـت دارَ شَـحـطٍ مـن الـنَّـوى

[الطويل]

ـ الغناءُ فيه هَزَجٌ يَمنيّ بالبنصر عن ابن المكيّ ـ وهذه أبيات يقولها لأخيه سَماعةَ، وقد عَتِبَ عليه في بعض الأمور. وفيها يقول:

أُبَـادِرُ دُرْنُـوك[2] الأمـيـرِ وقُـربَـه لأُذكَـرَ فـي أَهـلِ الـكَـرَامَـةِ والـنُّـهـى
وأَتَّـبـع الـقُـصَّـاصَ كـلَّ عـشـيَّـةٍ رجـاءَ ثـوابِ الـلَّـهِ فـي عَـدَدِ الـخُـطَـا
وَأمسَـت بـقـصـرٍ يَـضـرِبُ الـمـاءُ سـورَهُ وأصبَـحـت فـي صَـنـعَـاءَ أَلـتَـمِـسُ الـنَّـدى
فَـمَـن مُـبـلِـغٌ عـنّـي سـمـاعـةَ نـاهِـيـاً فَإِن شئتَ فاقطَعنا كَما يُقطَع السَّلى[3]

(١) أرعب: موضع.
(٢) الدُّرْنوكُ: ضربٌ من البُسُطِ ذو خَمْل، وتشبَّه به فروةُ البعير.
(٣) السَّلَى: الجلدة الرّقيقة التي يكون فيها الولد، وهما: سَلَيان، وجمعه: أسلاء. وسَلِيَ فلانٌ عن فلانٍ: ذُهِل عنه، وتناساه سَلِيته وسَلَوْتُ عنه. وهذا الشّيء يُسَلِّي هَمِّي تَسلِيةً قال:

عـجـبـت لـصـاحـبـي يَـحْـيـى يُـسَـلِّـيـنـي لأَسْـلاهـا

وَإن شِئتَ وَصلَ الرَّحم في غَيرِ حيلةٍ فَعَلنَا وقُلنا للَّذِي تَشتَهي بَلى
وَإن شئتَ صُرماً[١] للتفرُّقِ والنَّوى فَبُعداً أدَامَ اللَّهُ تفرقةَ النَّوى
[الطويل]

ومنها:

صوت

طَرَقَ الخَيَالُ فَمَرحَباً أَلفَا بِالشَّاغِفَاتِ قُلُوبِنَا شَغفَا
وَلَقَد يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ وَما نَبَّأتُهُ مِن شَأنِنَا حَرفَا
إِنِّي لأَحسَبُ أَنَّ دَاءَكَ ذا مِن ذِي دَمَالِجَ يَخضِبُ الكَفَّا
إِنِّي أَنَا الوَضَّاحُ إن تَصِلي أُحسِن بِكِ التشبِيبَ وَالوَصفَا
شَطَّت فَشَفَّ القَلبَ ذِكرُكَها وَدَنَت فَمَا بَذَلَت لَنا عُرفَا
[أحذ الكامل]

ومنها:

صوت

- ويروى لبشار -

يَا مَرحَباً أَلفاً وَأَلفَا بِالكَاسِرَاتِ إِلَيَّ طَرفَا
رُجحِ الرَّوَادِفِ كَالظِّبَا ءِ تَعَرَّضَت حُوًّا[٢] وَوُطفَا[٣]
أَنكَرنَ مَركَبِيَ الجِمَا رَ وَكُنَّ لَا يُنكِرنَ طِرفَا[٤]
وَسَأَلنَنِي أَينَ الشَّبَا بُ فَقُلتُ بانَ وَكَانَ حِلفَا
أَفنَى شَبَابِي فانقَضَى حِلفُ النِّسَاءِ تَبِعنَ حِلفَا

(١) الصرم: البعد.
(٢) يقال: فلان لا يعرف الحَوّ من اللَّوّ، أي لا يعرف ما حَوَى مما لَوَى. والحُوَّة: سمْرَة تُستحسن في الشَّفتين. والحُوَّة: من ألوان الخيل بين الكُمتة والدهمة، من قولهم: فرس أحْوَى. ولها مواضع في التكرير والمعتل ستراها إن شاء اللَّه.
(٣) رجلٌ أوطَفُ بيِّن الوَطَفِ، وهو كثرة شعر العين والحاجبين. وسحابةٌ وَطْفاءُ بيِّنة الوَطَفِ، إذا كانت مسترخية الجوانب، لكثرة مائها. والعيشُ الأوْطَفُ: الرّخِيُّ.
(٤) الطرف: الكريم من الخيل.

أَعـطَـيـتُـهُـنَّ مَـوَدَّتـي فَـجَـزَيـنَـنـي كَـذِبـاً وَخُـلـفَـا
وَقَـصَـائِـدٌ مِـثـلُ الـرُّقَـى أَرسَـلـتُـهُـنَ فَـكُـنَّ شَـغـفَـا
أَوجَـعـنَ كُـلَّ مُـغَـازِلٍ وَعَـصَـفـنَ بِـالـغَـيـرَانِ عَـصـفَـا
مِـن كُـلِّ لَـذَّاتِ الـفَـتَـى قَـد نِـلـتُ نَـائِـلَـةً وَعُـرفَـا
صِـدتُ الأَوَانِـسَ كَـالـدُّمـى وَسَـقَـيـتُـهُـنَّ الـخَـمـرَ صِـرفَـا

[مجزوء الكامل]

ومنها: ــ وهذه القصيدة تجمع نسيبه بمن ذكر وفخره بأبيه وجدّه أبي جَمَد ــ

صـوت

أَعِـنِّي عَـلـى بَـيـضَـاءَ تَـنـكَـلُ[1] عَـن بَـرَد وتَـمـشِـي عَـلـى هَـونٍ كَـمِـشـيَـةِ ذِي الـحَـرَد[2]
وتَـلـبَـسُ مِـن بَـزِّ الـعِـرَاقِ مَـنـاصِـفـاً وأَبـرادَ عَـصـبٍ مـن مُـهَـلـهَـلَـةِ الـجَـنَـد[3]
إِذَا قُـلـتُ يَـومـاً نَـوِّلِـيـنـي تَـبَـسَّـمَـت وقَـالَـت لَـعَـمـرُ الـلَّـهِ لَـو أَنَّـهُ اقـتَـصَـد
سَـمَـوتُ إِلـيـهَـا بَـعـدَ مـا نَـامُ بَـعـلُـهـا وقَـد وسَّـدَتـهُ الـكـفّ فـي لَـيـلَـةِ الـصَّـرَد[4]
أَشـارت بـطَـرفِ الـعَـيـنِ أَهـلاً وَمَـرحـبـاً ستُعطَى الَّذي تَهوَى عَلى رَغمِ مَن حَسَد
أَلَـسـتَ تَـرى مَـن حَـولَـنـا مِـن عَـدوِّنـا وكُـلَّ غُـلَامٍ شَـامـخِ الأَنـفِ قَـد مَـرَد[5]
فَـقُـلـتُ لَـهـا إِنّـي أمـرُؤٌ فَـاعـلَـمِـنَّـهُ إِذَا مـا أخـذتُ الـسَّـيـفَ لَـم أَحـفِـل الـعـدَد
بَـنَـى لـيَ إِسـمـاعِـيـلُ مَـجـداً مُـؤَثَّـلاً وَعَـبـدُ كُـلالٍ قَـبـلَـهُ وَأَبُـو جَـمَـد
تُـطِـيـفُ عَـلَـيـنـا قَـهـوَةٌ فـي زُجَـاجـةٍ تُـريـكَ جَـبَـانَ الـقَـومِ أَمـضَـى مِـنَ الأَسَـد

[الطويل]

ومنها:

---

(١) تنكل: تفتر وتبسم.

(٢) الحَرَدُ مصدر الأَحْرَد الذي إذا مَشَى رَفَعَ قوائمه رفعاً شديداً ويَضَعُها مكانَها من شِدَّة قَطافته في الدَّوابِّ وغيرها. وحَرِدَ الرجلُ فهو أحرَد إذا ثَقُلَتْ عليه دِرعُه فلم يستطع الإنبِساط في المشْي.

(٣) الجند: مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وأربعون فرسخاً.

(٤) هذا يوم صرد وصرد، ويوم صرد، وقد صرد يومنا، وليلة صردة. ورجل صرد، وقوم صردى، وقد صردت اليوم صرداً شديداً، وريح مصراد: باردة.

(٥) مرد: عتا وبلغ الغاية.

صـــوت

يَـا أَيُّـهَـا الـقَـلـبُ بـعـضَ مـا تَـجِـدُ ... قَـد يَـعـشَـقُ الـمـرءُ ثـم يَـتَّـئِـدُ
قَـد يـكـتـمُ الـمـرءُ حُـبَّـه حِـقَـبـاً ... وهـوَ عَـمِـيـدٌ وَقَـلـبُـهُ كَـمِـدُ
مَـاذَا تُـريـديـن مِـن فـتًـى غَـزِلٍ ... قَـد شَـفَّـهُ الـسَّـقْـمُ فـيـكِ والـسَّـهَـدُ
يُـهَـدِّدُونِـي كَـيـمـا أَخَـافَـهُـمُ ... هَـيـهـاتَ أَنَّـى يُـهَـدَّدُ الأَسَـدُ

[المنسرح]

ومنها:

صـــوت

صَـدَعَ الـبَـيـنُ والـتَّـفَـرّقُ قَـلـبـي ... وَتَـولَّـت أُمُّ الـبَـنـيـن بِـلُـبِّـي
ثَـوَتِ الـنَّـفـسُ فـي الـحُـمـولِ لَـدَيـهـا ... وَتَـولَّـى بـالـجِـسـمِ مـنّـيَ صَـحـبـي
وَلَـقَـد قُـلـتُ وَالـمَـدامـعُ تَـجـري ... بِـدُمُـوعٍ كَـأَنَّـهَـا فَـيـضُ غَـربِ
جَـزَعـاً لِـلـفـراقِ يَـومَ تَـوَلَّـت ... حَـسِـبـيَ الـلَّـه ذو الـمَـعَـارِجِ حَـسـبِـي

[الخفيف]

ومنها:

صـــوت

يـا ابْـنَـةَ الـوَاحِـدِ جُـودي فَـمَـا ... إِن تَـصـرِمـيـنـي فَـبِـمـا أَو لِـمَـا
جُـودِي عَـلَـيـنـا الـيَـومَ أو بَـيِّـنـي ... فِـيـمَ قَـتَـلـتِ الـرَّجُـلَ الـمُـسـلِـمـا
إِنّـي وأَيـدِي قُـلُـصٍ ضُـمَّـرٍ ... وكُـلِّ خِـرقٍ[1] وَرَدَ الـمَـوسِـمَـا
مـا عُـلِّـقَ الـقـلـبُ كَـتَـعـلِـيـقِـهـا ... وَاضِـعـةً كَـفًّـا عَـلَـت مِـعـصَـمـا
رَبَّـة مِـحـرَابٍ إِذَا جِـئـتُـهـا ... لَـم أَلـقَـهـا أو أَرتَـقِـي سُـلَّـمـا
إِخـوَتُـهـا أَربَـعَـةٌ كُـلُّـهُـم ... يَـنـفـونَ عَـنـهـا الـفَـارِسَ الـمُـعـلَـمَـا
كَـيـفَ أُرَجِّـيـهـا وَمِـن دُونِـهـا ... بَـوَّابُ سُـوءٍ يُـعـجِـل الـمَـشـتَـمـا
أسـوَدُ هَـتَّـاكٌ لأَعـرَاضِ مَـن ... مَـرَّ عـلـى الأَبـوَابِ أَو سَـلَّـمَـا

(١) الخرق: الفتى الحسن الكريم الخليقة.

لا مِـنَـةً أَعـلَـمُ كَـانَـت لَـهـا ... عِـنـدِي ولَا تَـطـلُـبُ فِـيـنَـا دَمَـا
بِـل هِـيَ لَّـمـا أَن رَأَت عَـاشِـقـاً ... صـبًّـا رَمَـتـهُ الـيَـومَ فِـيـمَـن رَمَـى
لَـمَّـا ارتَـمـيـنَـا وَرَأَت أَنَّـهـا ... قَـد أَثـبَـتَـت فـي قَـلـبِـهِ أَسـهُـمَـا
أَعـجَـبَـهـا ذَاكَ فَـأَبـدَت لَـهُ ... سُـنَّـتَـهـا[1] الـبَـيـضَـاءَ والـمِـعـصَـمَـا
قـامـت تـراءى لـي عـلـى قَـصْـرهـا ... بـيـن جَـوارٍ خُـرَّد كـالـدُّمـى
وتَـعـقِـد الـمِـرْط[2] عـلـى جَـسْـرةٍ[3] ... مـثـل كَـثـيـب الـرمـل أو أَعْـظَـمـا

[السريع]

ومنها :

صـوت

دَعَـاكَ مِـن شَـوقِـكَ الـدَّوَاعـي ... وأَنـتَ وَضَّـاحُ ذو اتِّـبَـاعِ
دَعَـتـكَ مَـيَّـالَـةٌ لَـعُـوبٌ ... أَسِـيـلَـةُ الـخَـدِّ بـالـلِّـمَـاعِ
دَلَالُـكِ الـحُـلـو والـمـشـهِّـي ... وَلَـيـسَ سَـرِيّـكِ بـالـمُـضـاعِ
لَا اَمـنَـعُ الـنَّـفـسَ عَـن هَـوَاهـا ... وَكُـلُّ شَـيءٍ إِلَـى انـقِـطَـاعِ

[مخلع البسيط]

ومنها :

صـوت

أَلا يَـا لَـقَـومـي أَطـلِـقُـوا غُـلَّ مُـرتَـهَـنْ ... وَمُـنُّـوا عـلـى مُـستَـشـعِـرِ الـهَـمِّ والـحَـزَنْ
تَـذَكَّـرَ سَـلـمـى وَهـيَ نَـازِحَـةٌ فَـحَـنّ ... وهَـل تَـنـفَـعُ الـذِّكـرَى إِذَا اغـتَـرَبَ الـوَطَـنْ
أَلَـم تَـرَهـا صَـفـرَاءَ رُؤداً شـبـابُـهـا ... أَسِـيـلَـةَ مَـجـرى الـدَّمـعِ كَـالـشَّـادِنِ الأَغَـنْ
وَأَبـصَـرتُ سَـلـمـى بـيـنَ بُـردَي مَـراجِـلٍ[4] ... وأَبـراد عَـصـبٍ مِـن مُـهَـلـهَـلَـةِ الـيَـمَـنْ

---

(١) السنة : الوجه، وقيل الجبهة والجبينان .
(٢) المِرْطُ : كساء من صوف أو نحو ذلك يؤتزر به .
(٣) الجسر : الجُسْرُ : العظيمُ من الإبل وغيرها، ويطلق على كلِّ عضو ضخم، ويريد بالجسرة العجيزة .
(٤) المِرجل : قِدرٌ من نُحاس . والمَراجلُ : ضرب من بُرود اليمن . وثوب مُمَرجَل : على صنعة المراجل من البرود، قال :

وأبصرتُ سلمى بين بُردى مراجلٍ ... وأخياشِ عصبٍ من مُهلهلةِ اليمن

فَـقُـلـتُ لَـهـا تَـرتَـقِـي الـسَّـطـحَ إِنَّـنـي أَخَـافُ عـلـيـكُـم كُـلَّ ذِي لِـمَّـةً حَـسَـنْ

[الطويل]

الغناء لإبن سُرَيج وله في هذا الشعر لحنان: ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، ورمل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وأول الرمل قولُهُ:

أَلا يَـا لَـقَـومـي أَطـلِـقُـوا غُـلَّ مُـرتَـهَـنْ

وأول الثقيل الأول «تَذَكَّر سلمى». وفي هذه الأبيات هَزَج يمنيّ بالبنصر.

ومنها:

صـــوت

أَغَـدَوتَ أَم فـي الـرَّائـحـيـن تَـرُوحُ أَم أَنـتَ مِـن ذِكـرِ الـحِـسـانِ صَـحـيـحُ

إِذ قَـالَـتِ الـحَـسـنَـاءُ مـا لِـصَـدِيـقِـنـا رثَّ الـثـيـابِ وإِنَّـه لـمَـلِـيـحُ

لا تَـسـأَلِـنَّ عـنِ الـثِّـيـابِ فَـإِنَّـنـي يـومَ الـلِّـقَـاءِ عـلـى الـكُـمـاةِ مُـشِـيـحُ

أَرمِـي وَأَطـعَـنُ ثُـمَّ أُتـبـعُ ضَـربَـةً تَـدَعُ الـنـسـاءَ عـلـى الـرجـالِ تَـنُـوحُ

[الكامل]

صـــوت

من المائة المختارة

يَـا صـاح إنـي قـد حَـجـجـتُ وزُرْت بـيـتَ الـمَـقْـدسِ

وأتـيـت لُـدًّا[1] عـامـداً فـي عـيـد مَـرْيَـا سَـرْجـس

فـرأيـتُ فـيـه نِـسـوةً مـثـلَ الـظـبـاء الـكُـنّـس

[مجزوء الكامل]

الشعر والغناء للمُعَلَّى بن طريف مولى المهديّ. ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر. وكان المُعلَّى بن طريف وأخوه ليث مملوكين مولَّدين من مولَّدي الكوفة لرجل من أهلها، فاشتراهما عليّ بن سليمان وأهداهما إلى المنصور، فوهبهما المنصور للمهديّ فأعتقهما.

ونهر المُعَلَّى وَرَبَضُ المُعلَّى ببغداد منسوب إلى المُعلَّى ـ هكذا ذكر ذلك ابن خُرْداذبه ـ وكان ضارباً مُحْسِناً طَيِّبَ الصوت حسنَ الأداء صالح الصنعة، أخذ الغناء

(١) لُدّ: قرية في فلسطين قرب بيت المقدس.

عن إبراهيم وابن جامع وحَكَم الواديّ . . . وَوُلِّي أخوه ليثٌ السِّنْد وَوُلِّي هو الطِّراز[١] والبريدَ بخراسان، وقاتل يوسف البَرْم فهزمه ثم وُلِّيَ الأهواز بعد ذلك. فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه الليثّ ويهجو عليّ بن صالح صاحبَ المُصَلَّى :

يـا عـلـيَّ بـنَ صـالـح ذا الـمـصـلَّـى أنـت تَـفْـدي لَـيْـثـاً وتـفـدي الـمـعـلَّـى
سَـدّ لـيـثٌ ثـغـراً ووُلـيّـت فـاْخْـتَـنْـتَ فـبـئـس الـمُـولِّـي وبـئـس الـمُـولَّـى

[الخفيف]

وعليّ بن سليمان هذا الذي أهدى المُعلَّى وأخاه إلى المهديّ هو الذي يقول فيه أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن الأسديّ؛ وكان خرج مع المهديّ إلى الصيد، فَرَمَى المهديّ وعليّ بن سليمان ظبياً سَنَحَ لهما، وقد أُرْسِلَتْ عليه الكلاب، بسهمين، فأصاب المهديّ الظّبيَ وأصاب عليّ بن سليمان الكلب فقتلاهما. فقال أبو دُلامة[٢]:

قَـد رَمَـى الـمَـهـديُّ ظَـبـيـاً شَـكَّ بـالـسَّـهـم فـؤادَه
وَعَـلِـيٌّ بـنُ سُـلَـيـمَـا نَ رَمَـى كَـلـبـاً فَـصَـادَه
فَـهَـنِـيـئـاً لَـهُـمَـا كُـلٌّ امـرِئٍ يـأكُـلُ زادَه

[مجزوء الرمل]

حَدَّثنا بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير عن مصعَب، وعن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بَكَّار عن عمِّهِ.

صـوت

من المائة المختارة

أَلا طَـرَدَ الـهَـوى عَـنّـي رُقـادي فَـحَـسـبـي مـا لَـقـيـتُ مِـنَ الـسُّـهـادِ
لِـعَـبـدَةَ إنّ عَـبـدَةَ تَـيَّـمَـتـنـي وَحَـلَّـت مِـن فُـؤادي فـي الـسَّـوادِ

[الوافر]

الشعرُ لبشَّار. والغناء المختار في هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن عليّ أنه يمنيّ، وَذَكَرَ الهشاميّ أنه لِسُلَيم.

---

(١) وهو الذي تنسج فيه الثياب.

(٢) أبو دُلامَة، زند بن الجون الأسدي. شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم كان أبوه عبداً لرجل من أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدِقون عليه صِلاتِهم، وله في بعضهم مدائح. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة، توفي سنة ١٦١ هـ.

أخبار بشار وعبدة خاصة

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدمت

حَدَّثني محمد بن خَلف وكيع قال: حَدَّثنا أبو أيوب المديني عَمَّن حَدَّثه عن الأصمعيّ هكذا قال، وأخبرني به عَمِّي عن عبد اللَّه بن أبي سعد عن عليّ بن مسرور عن الأصمعيّ قال: كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرْدان. فبينا هو في مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه، إذ سمع كلام امرأة يقال لها عبْدة في المجلس، فدعا غُلامَهُ فقال: إنِّي قد عُلّقت امرأة، فإذا تكلمت فانظُرْ مَنْ هي واعرفها، فإذا انقضى المجلس، وانصرف أهلُهُ فاتبعها وكلِّمها وأعلمها أنِّي لها مُحبّ وأنشدها هذه الأبيات وعَرِّفها أنِّي قُلْتُها فيها:

صـــوت

قـالـوا بِـمَـن لا تَـرى تَـهـذي فَـقُـلـتُ لَـهُـم ... أَلأُذْنُ كَـالـعَـيـنِ تُـؤتـي الـقَـلـبَ مـا كـانـا

مـا كـنـتُ أوّلَ مـشـغـوف بـجـاريـة ... يَـلْـقَـى بِـلُـقْـيـانـهـا رَوْحـا ورَيْـحـانـا

[البسيط]

ـ ويروى: هل من دواء لمشغوفٍ بجاريةٍ ـ

يـا قَـومُ أُذنـي لِـبَـعـضِ الـحَـيِّ عـاشِـقَـةٌ ... وَالأُذْنُ تَـعـشَـقُ قَـبـلَ الـعَـيـنِ أَحـيـانـا

[البسيط]

ـ غَنَّى إبراهيم في هذه الأبيات ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

وفيها لِسياط ثقيلٌ أول بالوسطى، عن عمرو وفيها لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه ـ قال: فأبلغها الغُلامُ الأبياتَ، فَهَشَّتْ لها، وكانت تزوره مع نسوة يَصْحَبْنَها فَيَأْكُلْنَ عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يُحَدِّثُها ويُنْشِدها ولا تُطْمعُهُ في نفسها. قال: وقال فيها:

قَـالَـت عُـقَـيـلُ بـنُ كَـعـبٍ[1] إِذ تَـعَـلَّـقَـهـا ... قَـلـبـي فَـأَضـحـى بِـهِ مِـن حُـبِّـهـا أَثَـرُ

(١) عقيل بن كعب: قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها.

أَنّى وَلَم تَرَها تَهذي[١] فَقُلتُ لَهُم إِنَّ الفُؤادَ يَرى ما لا يَرى[٢] البَصَرُ
أَصبَحتُ كَالحائِمِ الحَرّانِ مُجتَنِباً لَم يَقضِ وِرداً وَلا يُرجى لَهُ صَدَرُ
[البسيط]

قال: وقال فيها أيضاً ـ وهو من جَيِّد ما قال فيها ـ :

يُزَهِّدُني في حُبِّ عَبدَةَ مَعشَرٌ قُلوبُهُمُ فيها مُخالِفَةٌ قَلبي
فَقُلتُ دَعوا قَلبي بِما اختارَ وَارتَضى فَبِالقَلبِ لا بِالعَينِ يُبصِرُ ذو اللُبِّ
فَما تُبصِرُ العَينانِ في مَوضِعِ الهَوى وَلا تَسمَعُ الأُذنانِ إِلّا مِنَ القَلبِ
وَما الحُسنُ إِلّا كُلُّ حُسنٍ دَعا الصِّبا وَأَلَّفَ بَينَ العِشقِ وَالعاشِقِ الصَّبِّ
[الطويل]

قال: وقال فيها:

يا قَلبُ ما لي أَراكَ لا تَقِرُّ إِيّاكَ أَعني وَعِندَكَ الخَبَرُ
أَضِعْتَ بين الأُلى مَضَوْا حُرَقاً أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا
فَقالَ بَعضُ الحَديث يَشْغَفُني والقَلبُ راءٍ ما لا يَرى البصر
[المنسرح]

[هجوه الحسن البصري]

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَديّ قال: حَدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنْزيّ قال: حَدَّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جَرير عن أبيه بمثل هذه القصة، وزاد فيها: أنَّ عَبْدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألنَهُ أن يقولَ شِعْراً يَنُحْن عليه به، فوافينه وقد احتجم ـ وكان له مجلسان: مجلس يَجْلِسُ فيه غُدوةً يسميه «البردان» ومجلس يجلس فيه عشيَّةً يسميه «الرَّقيق» ـ وهو جالس في «البردان» وقد قال لغلامه: أمسِكْ عليَّ بابي واطبُخ لي وهيِّء طعامي وطَيِّبْهُ وصفِّ نبيذي. قال فإنه لكذلك إذا قُرِعَ البابُ عليه قرعاً عنيفاً؛ فقال: ويحك يا غُلام! انظر من يدقّ الباب دقَّ الشُّرَط؛ فَنَظَرَ الغلامُ وجاءه فقال: خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقولَ شِعراً يَنُحْن فيه؛ فقال: أدخلهنَّ.

فلما دخلن نظرنَ إلى النّبيذ مُصفًّى في قنانِيِّه في جانب بيته فقالت إحداهن: خمر؛ وقالت الأخرى: زبيب؛ وقالت الأخرى: مُعَسَّل. فقال: لست بقائل لكُنَّ حرفاً

(١) ورد في بعض المصادر «تصبو» بدل «تهذي».
(٢) ورد في بعض المصادر «ما لم يرَ البصر» بدل «ما لا يرى البصر».

أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي. فتماسكنَ ساعةً، وقالت إحداهُن: فما عليكُنَّ من ذلك! هذا أعمى، كُلْن من طعامه واشرْبن من شرابه وخُذن شعرَه، ففعلن. وبلغ ذلك الحسنَ البصري فعابه وهَتَفَ به. فبلغ ذلك بشَّاراً، وكان الحسنُ يُلَقَّبُ القسّ[1] فقال فيه بشَّار:

لَمّا طَلَعنَ مِن الرَّقيقِ عَلَيَّ بِالبَرَدانِ خَمسا
وَكَأَنَّهُنَ أَهِلَّةٌ تَحتَ الثيابِ زَفَفنَ شَمسا
باكَرنَ طيبَ لَطيمَةٍ[2] وَغَمَسنَ في الجادِيِّ[3] غَمسا
فَسَأَلنَني مَن في البُيوتِ فَقُلتُ ما يَأوينَ إِنسا
لَيتَ العُيونَ الطارِقاتِ طُمِسنَ عَنّا اليَومَ طَمسا
فَأَصَبنَ مِن طُرَفِ الحَديثِ لَذاذَةً وَخَرَجنَ مُلسا
لَولا تَعَرُّضُهُنَّ لِي يا قَسُّ كُنتُ كَأَنتَ قَسّا

[مجزوء الكامل]

[مع مالك بن دينار]

أخبرني الأسديّ ويحيى بن عليّ بن يحيى ومحمد بن عِمران الصَّيرفي قالوا: حَدَّثنا العَنْزيّ قال: حَدَّثنا عليّ بن محمد عن جعفر بن محمد النَّوفليّ قال: أَتَيْتُ بشاراً ذات يوم، فقال لي: ما شَعَرْتُ منذ أيام إلا بقارع يقرَعُ بابي مع الصبح؛ فَقُلْتُ يا جارية انظري من هذا؛ فقالت: مالك بن دينار! فَقُلْتُ ما لي ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالي! إئذني له. فَدَخَلَ فقال لي: يا أبا معاذ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائِهم! فلم يكن عندي إلا دفعُهُ عن نفسي بأن قلت: لا أعاود؛ فخرج من عندي وقلت في إثره:

غَدا مالِكٌ بِمَلاماتِهِ عَلَيَّ وَما باتَ مِن بالِيَه
فَقُلتُ دَعِ اللَّومَ في حُبِّها فَقَبلَكَ أَعيَيتُ عُذَّالِيَه
وَإِنّي لَأَكتُمُهُم سِرَّها غَداةَ تَقولُ لَها الجالِيَه
أَعَبدَةَ ما لَكِ مَسلوبَةً وَكُنتِ مُقَرطَقَةً[4] حالِيَه

(١) لقب به لصلاحه وزهده.
(٢) ورد في بعض المصادر «عطر» بدل «طيب». واللطيمة هي المسك، وقيل العير التي تحمل الطيب.
(٣) الجادي: الزعفران.
(٤) مقرطقة: لابسة القرطق.

فَـقـالَـت عَـلـى رُقـبَـةٍ إِنَّـنـي رَهَـنـتُ الـمُـرعَّـثَ خَـلـخـالِـيَـه
بِـمَـجـلِـسِ يَـومٍ سَـأوفـي بِـهِ وَلَـو أَجـلَـبَ الـنـاسُ أَحـوالِـيَـه
[المتقارب]

أخبرني وَكيع قال: حَدَّثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال: حَدَّثني الحسن بن جهور قال: حَدَّثني هشام بن الأحنف، راوية بشار، قال: إنِّي لعند بشار ذاتَ يوم إذ أتته امرأة فقالت: يا أبا معاذ، عبدة تُقْرِئُكَ السلام وتقولُ لك: قد اشتدَّ شوقنا إليك ولم نركَ مُنْذُ أيام؛ فقال عن غير مَقلية واللَّه كان ذاك. ثم قال لراويته: يا هشام، خُذْ الرقعة واكتب فيها ما أقول لك ثم ادفعه للرسول. قال هشام فأملى عليّ:

عَـبـدَ إنّـي إِلَـيـكِ بِـالأَشـواقِ لِـتَـلاقٍ وَكَـيـفَ لـي بِـالـتَّـلاقـي
أَنـا وَالـلَّـهِ أَشـتَـهـي سِـحـرَ عَـيـنَـيـكِ وَأَخـشـى مَـصـارِعَ الـعُـشّـاقِ
وَأَهـابُ الـحَـرسِـيَّ[1] مُـحـتَـسِـبَ الـجُـنـدِ يَـلُـفُّ الـبَـريءَ بِـالـفُـسّـاقِ
[الخفيف]

ومما يغنى فيه من شعر بشار في عبدة قوله:

صـوت

لـعـبـدة دارٌ تـكـلَّـمـنـا الـدارُ تَـلُـوح مَـغـانـيـهـا كـمـا لاح أسـطـارُ
أُسـائـل أحـجـاراً ونُـؤْيـاً مُـهَـدَّمـاً وكـيـف يُـجـيـب الـقـولَ نـؤيٌ وأحـجـارُ
ومـا كـلّـمـتـنـي دارهُـا إذ سـألـتُـهـا وفـي كـبـدي كـالـنِّـفْـط شُـبَّـت بـه الـنـارُ
وعـنـد مَـغَـانِـي دارهـا لـو تـكـلّـمـت لـمِـكـتـئـبٍ بـادِي الـصَّـبـابـة أخـبـارُ
[الطويل]

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثقيلٌ أوّل عن الهشامي ومن هذه القصيدة:

صـوت

تَـحَـمَّـلَ جـيـرانـي فَـعَـيـنـي لِـبَـيـنِـهِـم تَـفـيـضُ بِـتَـهـتـانٍ إذا لاحَـتِ الـدارُ
بَـكَـيـتُ عَـلـى مَـن كُـنـتُ أَحـظـى بِـقُـربِـهِ وَحَـقَّ الَّـذي حـاذَرتُ بِـالأَمـسِ إذ سـاروا
[الطويل]

(١) الحرسيّ: حارس السلطان.

الغناءُ لِيحيى المكيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر.

ومن الأغاني في شعره في عبدة:

صــوت

مَـسَّـنـي مِـن صُـدودِ عَـبـدَةَ ضَـرُّ فَـبَـنـاتُ الـفُـؤادِ مـا تَـسـتَـقِـرُّ
ذاكَ شَـيءٌ فـي الـقَـلـبِ مِـن حُـبِّ عَـبْـدَةَ بـادٍ وَبـاطِـنٌ يَـسـتَـسِـرُّ

[الخفيف]

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو. وفيه لحكَم ثقيلٌ أوَّلُ بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم. وفيه لفريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق. وفيه ليحيى المكيّ ثقيلٌ أوَّل من كتابه. وفيه لحسين بن مُحرز رمل عن الهشامي .

ومنها:

صــوت

يـا عَـبـدَ إنّـي قَـد ظُـلِـمـتُ وَإنَّـنـي مُـبـدٍ مَـقـالَـةَ راغِـبٍ أَو راهِـبِ
وَأَتـوبُ مِـمّـا تَـكـرَهـيـنَ لِـتَـقـبَـلـي وَالـلَّـهُ يَـقـبَـلُ حُـسـنَ فِـعـلِ الـتَّـائِـبِ

[الكامل]

الغناء لِحَكَم خفيفُ ثقيل عن إسحاق. وفيه ليحيى المكيّ ثقيلٌ أوَّل من كتابه. وفيه لحسين بن مُحْرِز رمل عن الهشامي.

ومنها :

صــوت

يـا عَـبـدَ حُـبُّـكِ شَـفَّـنـي شَـفّـا وَالـحُـبُّ داءٌ يـورِثُ الـحَـتـفـا
وَالـحُـبُّ يُـخـفـيـهِ الـمُـحِـبُّ لِـكَـي لا يُـسـتَـرابُ بِـهِ وَمـا يَـخـفـى

[الكامل]

الغناء لسياط خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صـوت

يـا عَـبـدَ بِـالـلَّـهِ فَـرِّجـي كُـرَبـي ... فَـقَـد بَـرانـي وَشَـفَّـنـي نَـصَـبـي
وَضِـقـتُ ذَرعـاً بِـمـا كَـلِـفـتُ بِـهِ ... مِـن حُـبِّـكُـم وَالـمُـحِـبُّ فـي تَـعَـبِ
فـفـرِّجـي كُـرْبـةً شَـجِـيـتُ بـهـا ... وحَـرَّ حُـزْنٍ فـي الـصـدر كـالـلَّـهـبِ
ولا تَـظُـنِّـي مـا أشـتـكـي لَـعِـبـاً ... هـيـهـات قـد جـلّ ذا عـن الـلَّـعـبِ

[المنسرح]

غَنَّاه سِياطٌ ثقيلاً أوَّل بالبنصر عن عمرو.

ومنها:

صـوت

يـا عَـبـدَ زوريـنـي تَـكُـن مِـنَّـةٌ ... لِـلّـهِ عِـنـدي يَـومَ أَلـقـاكِ
وَالـلَّـهِ ثُـمَّ الـلَّـهِ فَـاسـتَـيـقِـنـي ... إِنّـي لَأَرجـوكِ وَأَخـشـاكِ
يـا عَـبـدَ إِنّـي هـالِـكٌ مُـدنَـفٌ ... إِنْ لَـم أَذُق بَـردَ ثَـنـايـاكِ
فَـلا تَـرُدّي عـاشِـقـاً مُـدنَـفـاً ... يَـرضـى بِـهَـذا الـقَـدرِ مِـن ذاكِ

[السريع]

الغناءُ لِحَكَم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صـوت

يـا عَـبـدَ قَـد طـالَ الـمِـطـالُ فَـأَنـعِـمـي ... وَاشـفـي فُـؤادَ فَـتًـى يَـهـيـمُ مُـتَـيَّـم

[الكامل]

الغناء ليزيد حَوراءَ غيرُ مجنَّس عن إبراهيم.

ومنها:

صـوت

يـا عَـبـدَ هَـل لِـلِّـقـاءِ مِـن سَـبَـبِ ... أَو لا فَـأَدعـو بِـالـوَيـلِ وَالـحَـرَبِ

[المنسرح]

الغناءُ ليزيد حوراء غير مُجنَّس.

ومنها:

صــوت

يـا عـبـد هـلْ لـي مـنـكُـمُ مِـنْ عـائِـد أمْ هـل لـديـكِ صـلاحُ قـلـبٍ فـاسـدِ

[الكامل]

الغناء لابن عَبَّاد عن إبراهيم غير مجنَّس.

ومنها:

صــوت

يـا عَـبـدَ حَـيٍّ عَـن قَـريـب وَتَـأَمَّـلـي عَـيـنَ الـرَّقـيـب

وَارعَـي وِدادي غـائِـبـاً فَـلَـقَـد رَعَـيـتُـكِ فـي الـمَـغـيـب

غَـرَضِـي إلـيـك مـن الـهـوى[1] غَـرَضَ الـمَـريـضِ إلـى الـطَّـبـيـب

[مجزوء الكامل]

الغناء لِحَكَم مطلق في مجرى البنصر.

ومنها:

صــوت

يـا عـبـد بـالـلَّـه ارْحـمـي عَـبْـدكِ وعَـلَّـلـيـه بـمُـنَـى وَعْـدِكِ

يُـصـبـح مـكـروبـاً ويُـمـسـي بـه وَلـيـس يَـدرِي مـا لـه عـنـدكِ

مـاذا تـقـولـيـن لـربّ الـعُـلا إذا تـخـلّـيـتِ بـه وحـدكِ

[المنسرح]

الغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه. وفيه ليزيد حَوراءَ لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يجنسه وذكر حبشٌ أن الثقيل الثاني لِسياط.

---

(١) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:

أَشـكـو إلَـيـكِ مِـنَ الـهَـوى

ومنها :

صـوت

يـا عَـبْـد جَـلِّـي كـروبـي وأَسْـعِـفـي وأثـيـبِـي
فـقـد تَـطَـاول هَـمّـي وزَفْـرتـي ونَـحـيـبـي

[المجتث]

الغناء لإبن سُكَّرة عن إبراهيم ولم يجنِّسه .

ومنها :

صـوت

يـا عَـبـدَ أَنـتِ ذَخـيـرَتـي نَـفـسـي فَـدَتـكِ وَجـيـرَتـي
ألـلَّـهُ يـعـلـم فـيـكُـمُ يـا عـبـد حـسـنَ سـريـرتـي
نـفـسـي لـنـفـسِـك خُـلَّـةٌ وكـذاك أنـت أمـيـرتـي

[مجزوء الكامل]

الغناءُ لِحَكَم الوادي خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها :

صـوت

يـا عـبـد حُـبِّـي لـكِ مـسـتـورُ وكـلّ حـبّ غـيـره زُورُ
إنْ كـان هـجـري سَـرَّكـم فـاهـجـروا إنّـي بـمـا سَـرّك مـسـرورُ

[السريع]

الغناء لحكم هَزَج بالوسطى عن ابن المكيّ .

ومنها :

صـوت

لَـم يَـطُـل لَـيـلـي وَلَـكِـن لَـم أَنَـمْ وَنَـفـى عَـنّـي الـكَـرى طَـيـفٌ أَلَـمّْ
وَإِذا قُـلـتُ لَـهـا جـودي لَـنـا خَـرَجَـت بِـالـصَّـمـتِ عَـن لا وَنَـعَـمْ
رَفِّـهـي يـا عَـبـدَ عَـنّـي وَاعـلَـمـي أَنَّـنـي يـا عَـبـدَ مِـن لَـحـمٍ وَدَمْ

إِنَّ فـي بُـرْدَيَّ جِـسْـمـاً نـاحِـلاً لَـو تَـوَكَّـأتِ عَـلَـيـهِ لَانـهَـدَمْ
خَـتَـمَ الـحُـبُّ لَـهـا فـي عُـنُـقـي مَـوضِـعَ الـخـاتَـمِ مِـن أَهـلِ الـذِّمَـمْ
[الرمل]

الغِنَاءُ لحكم هَزَجٌ بالسبَّابة والوسطى عن ابن المكيّ. وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسبه إلى أحد. وفيه لعَتْعَث الأسود خفيفُ رمل في الأوّل والخامس. وكان بشَّار يُنْكِرُ هذا البيت الأخير وهو:

خَـتَـمَ الـحُـبُّ لَـهـا فـي عُـنُـقـي

[أنشده رجل بيتاً له فأنكره]

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثنا الكرانيّ قال: حدَّثني أبو حاتم السِّجستانيّ قال: حَدَّثني من أنشد بشاراً قوله:

لَـم يَـطُـلْ لَـيـلـي وَلَـكِـن لَـم أَنَـمْ

حتى بلغ إلى قوله:

خَـتَـمَ الـحُـبُّ لَـهـا فـي عُـنُـقـي مَـوضِـعَ الـخـاتَـمِ مِـن أَهـلِ الـذِّمَـمْ
[الرمل]

فقال بشار: عَمَن أخذتَ هذا؟ قُلتُ: عن راويتك فلان؛ فقال: قَبَّحَهُ اللَّه! واللَّه ما قُلْتُ هذا البيتَ قطُّ، أما ترى إلى أثرِهِ فيه! ما أقبحه وأشدَّ تميُّزَه عني! فقال له: بعضُ مَنْ حَضَرَ: نعم، هو ألحقه بالأبيات.

ومنها:

صـوت

عَـبـدَ إِنّـي قَـدِ اعـتَـرَفـتُ بِـذَنـبـي فَـاغـفِـري وَاعـركـي[1] خَـطـايَ بِـجـنـبِ
عَـبـدَ لا صَـبـرَ لـي وَلَـسـتُ ـ فَـمَـهـلاً ـ قـائِـلاً قَـد عَـتَـبـتِ فـي غَـيـرِ عَـتـبِ
ولـقـد قـلـتُ حـيـن أَنْـصـبـنـي الـحـبُّ فـأَبْـلَـى جِـسْـمـي وعـذَّب قـلـبِـي
ربّ لا صـبـرَ لـي عـلـى الـهـجـر حَـسْـبِـي فـأَقِـلْـنـي حَـسْـبـي لَـكَ الـحـمـدُ حـسـبِـي
[الخفيف]

(١) ورد في بعض المصادر «واعدلي خطائي» بدل «واعركي خطاي». ويقال عرك بجنبه ما كان من صاحبه، كأن حكه حتى عفاه. وأصله من عرك الأديم إذا دلكه.

الغناء لِسياطٍ خفيفُ رَمْلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لِسُلَيم هَزَجٌ من كتاب ابن المكيّ.

ومنها:

صـوت

عـبـد مُـنّـي وأَنـعـمـي قـد مَـلَـكْـتـم قِـيـادِيـه
شـابَ رأسـي ولـم تَـشـبْ وابَـلَائـي لِـدَائِـيـه

[مجزوء الخفيف]

الغناء لِسياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لعريبَ هَزَج.

ومنها:

صـوت

عـبـد يـا هِـمّـتـي[1] عـلـيـك الـسـلامُ فـيـم يُـجْـفَـى حـبـيـبُـك الـمـسـتـهـامُ
نـزل الـحـبّ مـنـزلاً فـي فـؤادي ولـه فـيـه مـجـلـسٌ ومـقـامُ

[الخفيف]

الغناء لأبي زكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لعريبَ هَزَجٌ.

ومنها:

صـوت

عـبـد يـا قُـرّة عـيـنـي أنـصـفـي رُوحـي فـداكِ
عـاشـق لـيـس لـه ذِكـر ولا هـمٌّ سـواكِ

[مجزوء الرمل]

الغناء لعريب هَزَجٌ. وفيه لحن ليزيد حَوراء غير مجنَّس.

ومنها:

صـوت

يـا عَـبـدَ يـا جـافِـيَـةً قـاطِـعَـه أَمـا رَحِـمـتِ الـمُـقـلَـةَ الـدامِـعَـه

(١) الهمة: الهوى.

يـا عَـبـدَ خـافـي الـلَّـهَ فـي عـاشِـقٍ يَـهـواكِ حَـتّـى تَـقَـعَ الـواقِـعَـه

[السريع]

الغناء لأبي زكَّار هَزَجٌ بالبنصر عن عمرو.

صـوت

من المائة المختارة

أَرسَـلَـت أُمُّ جَـعـفَـرٍ لا تَـزُرنـا لَـيـتَ شِـعـري بِـالـغَـيـبِ مَـن ذا دَهـاهـا

أأتـاهـا مـحـرِّش بـنَـمـيـمٍ كـاذبٌ مـا أراد إلّا رداهـا

[الخفيف]

ـ عروضُهُ من الخفيف ـ الشعرُ للأحوص. والغناء لأمِّ جعفر المدنيَّة مولاة عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب. وَلَحْنُهُ من الثقيل الأوّل في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنَّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، فلا أعلم أهذا يعني أم غيره.

وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكيّ وإسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ.

أخبار الأحوص مع أم جعفر

وقد ذُكِرَتْ أخبارُ الأحوص مُتَقَدَّماً إلا أخبارَه مع أمّ جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنَّها أُخِّرَت إلى هذا الموضع. وأمّ جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خَطمة[1]، وهي أمّ جعفر بنت عبد اللَّه بن عَرْفَطة بن قَتَادة بن معد بن غِياث بن رزاح بن عامر بن عبد اللَّه بن خَطمة بن جُشَم بن مالك بن الأوس. وله فيها أشعار كثيرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا: حدَّثنا عمر بن شبَّة قال: حدَّثني يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطلَّحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت، وأخبرني عمِّي قال: حَدَّثني محمد بن داود بن الجرَّاح قال: حَدَّثني أحمد بن زهير عن مصعب، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حَدَّثنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه عن المحرز بن جعفر الدَّوْسيّ، قالوا جميعاً: لمَّا أكثر الأحوصُ التشبيبَ بأم جعفر وشاع ذكرُهُ فيها توَّعده أخوها أيمنُ وهدَّده فلم ينتَهِ فاستعدى عليه والي المدينة ـ وقال الزُّبيرُ في خبره: فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز ـ فربطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما: تجالدا؛ فتجالدا فَغَلَبَ أخوها. وقال الزُّبيرُ في خبره: وسلَح الأحوصُ في ثيابه وهَرَبَ وتَبِعَهُ أخوها حتى فاته الأحوص هرباً وقد كان الأحوص قال فيها:

لَقَد مَنَعَت مَعروفَها أُمُّ جَعفَرٍ ... وَإِنّي إِلى مَعروفِها لَفَقيرُ
وَقَد أَنكَرَت بَعدَ اعتِرافٍ زيارَتي ... وَقَد وَغِرَت فيها عَلَيَّ صُدورُ
أَدورُ وَلَولا أَن أَرى أُمَّ جَعفَرٍ ... بِأَبياتِكُم ما دُرتُ حَيثُ أَدورُ
أَزورُ البُيوتَ اللّاصِقاتِ بِبَيتِها ... وَقَلبي إِلى البَيتِ الَّذي لا أَزورُ
وَما كُنتُ زَوّاراً وَلكِنَّ ذا الهَوى ... إِذا لَم يُزَر لا بُدَّ أَن سَيَزورُ
أَزورُ عَلى أَن لَستُ أَنْفَكُّ كُلَّما ... أَتَيتُ عَدوًّا بِالبَنانِ يُشيرُ

[الطويل]

(١) لقب خطمة لأنه ضرب رجلاً على أنفه فخطمه.

فَقَالَ السائب بن عمرو، أحد بني عمرو بن عَوْف، يُعَارِضُ الأحوصَ في هذه الأبيات ويُعيِّره بفراره:

لقد منع المعروفَ من أم جعفر أخو ثقةٍ عند الجلاد صَبورُ
عَلاك بمَتْن السوطِ حتى اتّقيتَه بأصفرَ من ماء الصِّفاق[1] يفورُ

[الطويل]

فقال الأحوص:

إذا أَنا لَم أَغفِر لأَيمَنَ ذَنبَهُ فَمَن ذا الَّذي يَعفو لَهُ ذَنبَهُ بَعدي
أُريدُ انتِقامَ الذَّنبِ ثُمَّ تَرُدُّني يَدٌ لأدانيهِ مُبارَكَةٌ عِندي

[الطويل]

وقال الزبير في خبره خاصَّة: وإنَّما أعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتداء بعثمان بن عفان؛ فإنَّه كان لما تَهَاجى سالم بن دارة ومُرَّة بن واقع الغَطَفاني الفَزَاري لزهَّما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما.

وقال عمر بن شَبَّة في خبره: وقال الأحوص فيها أيضاً ـ وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبياتَ وزاد فيها على رواية عمر بن شَبَّة بيتين فأضفتهما إليها:

وَإِنّي لَيَدعوني هَوى أُمِّ جَعفَرٍ وَجارَاتِها مِن ساعَةٍ فأُجيبُ
وإنّي لآتي البَيتَ ما إن أُحِبُّهُ وأُكثِرُ هَجرَ البَيتِ وَهوَ حَبيبُ
وأُغْضِي على أشياء منكم تسوؤني وأُدَعى إلى ما سَرّكم فأجيبُ
هَبِيني أمرأً إما بريئاً ظلمتِه وإمّا مُسيئاً مذنباً فيتوبُ
فَلا تَترُكي نَفسي شَعاعاً فإنَّها مِنَ الحُزنِ قَد كادَت عَلَيكِ تَذوبُ
لك اللَّهُ إني واصلٌ ما وصلتِني ومُثنٍ بما أوليتِني ومُثيب
وآخُذُ ما أعطيتِ عفواً وإنني لأَزْوَرُ عما تكرهين هَيوبُ

[الطويل]

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة، وهي مروية للمجنون في عدة روايات وهي بشعره أشبه وفي هذه الأشعار التي مضت أغانٍ نسبتها:

(١) الصَّفَقُ بالتحريك: الماء الذي يُصَبُّ في القربة الجديدة فيُحَرَّكُ فيها فيصفق، يقال: ورَدْنا ماءً كأنَّه صَفَقٌ. وتَصْفيقُ الشراب: أن تحوِّله من إناء إلى إناء. وتَصْفيقُ الإبل: أن تحوّلها من مرعًى قد رعَتْه إلى مكان فيه مرعًى.

صـوت

أَدورُ وَلَـولا أَن أَرى أُمَّ جَـعـفَـرٍ بِـأَبـيـاتِـكُـم مـا دُرتُ حَـيـثُ أَدورُ
أَدورُ عَـلـى أَن لَـسـتُ أَنـفَـكُّ كُـلَّـمـا أَتَـيـتُ عَـدوًّا بِـالـبَـنـانِ يُـشـيـرُ

[الطويل]

الغناءُ لِمَعْبَد وله فيه لحنان: ثقيلٌ أولُ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن عمرو. ولإسحاق فيهما وفي قوله:

أزورُ الـبـيـوتَ الـلَّاصـقـات بـبـيـتـهـا

[الطويل]

وبعده:

أَدورُ وَلَـولا أَن أَرى أُمَّ جَـعـفَـرٍ

[الطويل]

لحن من الرمل. وفي البيتين اللّذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيلٌ أول عن الهشامي، ولإبراهيم خفيف ثقيل. وفيه لحن لشارِية عن ابن المعتز ولم يذكر طريقتَه.

إذا أَنـا لَـم أَغـفِـر لأَيـمَـنَ ذَنـبَـهُ فَـمَـن ذا الَّـذي يَـعـفـو لَـهُ ذَنـبَـهُ بَـعـدي
أُريـدُ مـكـافـاةً لـه وتَـصُـدّنـي يـدٌ لأدانـيـه مـبـاركـةٌ عـنـدي[1]

[الطويل]

الغناء لمعبد ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكيّ، وذكر غيرُهُ أنه منحول يحيى إلى معبد. وفيه ثقيلٌ أول ينسبُ إلى عَرِيب ورَوْنق.

ومنها وهو:

صـوت

من المائة المختارة

وإنّـي لآتـي الـبَـيـتَ مـا إن أُحِـبُّـهُ وأُكـثِـرُ هَـجـرَ الـبَـيـتِ وَهـوَ حَـبـيـبُ
وَأُغـضـي عَـلـى أَشـيـاءَ مِـنـكُـم تَـسـوؤُنـي وَأُدعـى إِلـى مـا سَـرَّكُـم فـأُجـيـبُ

(١) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
أُريـدُ انـتِـقـامَ الـذَّنـبِ ثُـمَّ تَـرُدُّنـي يَـدٌ لأدانـيـهِ مُـبـارَكَـةٌ عِـنـدي

وَمـا زِلـتُ مِـن ذِكـراكِ حَـتّـى كـأَنَّـنـي أَمـيـمٌ[1] بِـأَفـيـاءِ الـدِّيـارِ سَـلـيـبُ[2]
أَبُـثُّـكِ مـا أَلـقـى وَفـي الـنَّـفـسِ حـاجَـةٌ لَـهـا بَـيـنَ جِـلـدي والـعِـظـامِ دَبـيـبُ
لَـكِ الـلَّـهُ إِنّـي واصِـلٌ مـا وَصَـلـتِـنـي وَمُـشـنٍ بِـمـا أَولَـيـتِـنـي وَمُـشـيـبُ
وَآخُـذُ مـا أَعـطَـيـتِ عَـفـواً وَإِنَّـنـي لأَزوَرُ عَـمّـا تَـكـرَهـيـنَ هَـيـوبُ
فَـلا تَـتـرُكـي نَـفـسـي شَـعـاعـاً فـإِنَّـهـا مِـنَ الـحُـزنِ قَـد كـادَت عَـلَـيـكِ تَـذوبُ

[الطويل]

الشعر للأحوص. ومن الناس من يَنْسُبُ البيت الخامس وما بعده إلى المجنون. والغناء في اللحن المختار لِدَحمان، وهو ثقيلٌ أوَّل مطلقٌ في مجرى البنصر. وذكر الهشاميّ أن في الأبيات الأربعة لابن سريج لحناً من الثقيل الأوَّل فلا أعلم ألحن دَحمان عنى أم ثقيلاً آخر. وفي:

لَـكِ الـلَّـهُ إِنّـي واصِـلٌ مـا وَصَـلـتِـنـي وَمُـشـنٍ بِـمـا أَولَـيـتِـيـنـي وَمُـشـيـبُ

[الطويل]

لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى.

[أم جعفر تفضحه]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ قال: حَدَّثني محمد بن حسن؛ قال الزُّبيرُ وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه الزُّهريّ عن مُحْرِز: أنَّ أمَّ جعفر لمَّا أكثر الأحوصُ في ذكرها جاءت مُنْتَقِبَة، فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها، وكانت امرأة عفيفة؛ فقالت له: اقضِ ثمن الغنم التي ابتعتَها مِنِّي؛ فقال: ما ابتعْتُ منك شيئاً. فأظهرَتْ كِتَاباً قد وضعته عليه وبكت وشكت حاجة وضُرًّا وفاقة وقالت: يا قومُ كَلِّموه. فلامه قومُهُ وقالوا: اقضِ المرأةَ حقَّها؛ فَجَعَلَ يحلف أنه ما رآها قطُّ ولا يعرفها. فكشفَتْ وجهها وقالت: ويحك! أما تعرفني! فَجَعَلَ يَحْلِفُ مُجْتَهِداً أنه ما يعرفها ولا رآها قطُّ. حتى إذا استفاض قولُها وقولُه واجتمع الناسُ وكثُروا وسمعوا ما دار وكثُر لغَطُهم وأقوالُهم قامت ثم قالت: أيها الناس، اسكتوا. ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدو اللَّه! صدقتَ، واللَّه ما لي عليك حقّ ولا تعرفني، وقد حَلفتَ على ذلك وأنت صادق، وأنا أم جعفر وأنت تقول: قُلْتُ لأمّ جعفر وقالت لي أم جعفر في شعرك! فَخَجِلَ الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئت عندهم.

(١) الأُمَيْمَةُ: الحجارة التي تُشْدَخ بها الرُّؤُوس، وفي الصحاح: الأَمِيمُ حَجَرٌ يُشْدَخُ به الرأْس.
(٢) السليب: المستلب العقل.

[أبو السائب المخزومي يطرب لشعره]

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ، وأخبرني به محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حَدَّثنا ثعلب قال: حَدَّثنا الزُّبير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال: أنشدْتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ الأحوص:

لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفر وإنِّي إلى معروفها لفقيرُ

[الطويل]

فلما انتهيت إلى قوله:

أَزورُ عَلى أَن لَستُ أَنْفَكُّ كُلَّما أَتَيتُ عَدوًّا بِالبَنانِ يُشيرُ

[الطويل]

أعجبه ذلك وطَرِب وقال: أتدري يابْنَ أخي كيف كانوا يقولون! الساعةَ دخل، الساعةَ خرج، الساعة مرَّ، الساعة رَجَعَ، وجعل يُوميء بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبِسَبَّابتِهِ إلى حِيال وجهه ويُقَلِّبُها، يحكي ذهابَه ورجوعَه.

صـوت

من المائة المختارة

صاحِ هَل لُمتَ ظالِما فَانظُرِ اليَومَ لائِما
هَل تَرى مِثلَ ظَبيَةٍ قَلَّدوها التَّمائِما

[مجزوء الخفيف]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء في اللحن المختار لمالك خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وأخبرني ذُكاء وجه الرزَّة أن فيه لِعَريبَ رملاً بالبنصر وهو الذي فيه سَجحة. وفيه لابن المكيّ خفيفُ ثقيلٍ آخرُ بالوسطى.

وزعم الهشاميّ أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُريج، وقد سمعها ممن يُغَنِّيه

وذكر حَبَش أنَّ فيه رملاً آخر لِلغريض. ولعاتكة بنت شُهْدة فيه خفيف ثقيل، وهو من جَيِّد صنعتها، وذكرَ جحظة عن أصحابه أن لحنها الرملَ هو اللحن المختار، وأن إسحاق كان يقدّمُها ويستجيدها، ويزعم أنه أخذه عنها. وقال ابن المعتزّ: حدَّثني أبو عبد اللَّه الهشاميّ: أنَّ عريب صنعت فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافةُ إلى المعتصم، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه، ولم أسمع بَشَراً قطُّ غنَّاه أحسن من خِشْف الواضحيَّة.

وكل أخبار هؤلاء المغنين قد ذُكِرَت، أولها موضع تُذكر فيه إلا عاتكة بنت شُهدة فإنَّ أخبارَها تذكر ها هنا؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكرَه غير هذا.

وقد ذكرَ جحظة عن أصحابه أنَّ لَحْنَها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوةَ غيرها.

عاتكة بنت شهدة وشيء من أخبارها

كانت عاتكةُ بنت شُهدة مدنيَّة وأمُّها شُهدة جارية الوليد بن يزيد، وهو الصحيح. وكانت شهدة مُغَنِّية أيضاً. حَدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثنا العَلاء قال: حَدَّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن العبَّاس الرَّبيعيّ عن بعض المُغَنِّين قال: كُنَّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصليّ وغيرُهما، وعنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن عليّ؛ فتغنَّى المُغَنُّون، ثم اندفع محمد بن داود فَغَنَّاه بين أضعافهم:

صـــوت

أمَّ الـولـيـد سَـلَـبْـتِـنـي حِـلْـمـي ... وقـتـلـتِـنـي فـتـخـوّفـي إثـمـي
بـالـلَّـه يـا أمَّ الـولـيـد أمَـا ... تـخـشَـيْـن فـيّ عـواقـبَ الـظِّـلـم
وتـركـتِـنـي أبـغـي الـطـبـيـبَ ومـا ... لـطـبـيـبـنـا بـالـداء مـن عِـلْـم
خـافـي إلَـهَـك فـي ابـن عـمِّـكِ قـد ... زوّدتِـه سُـقْـمـاً عـلـى سُـقـم

[الكامل]

قال: فاستحسَنَ الرشيدُ الصوت واستحسنه جميعُ من حضره وطُرِبوا له. فقال له الرشيد: يا حبيبي لِمَنْ هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سَلْ هؤلاء المُغنِّين لِمَنْ هو. فقالوا: واللَّه ما ندري، وإنَّه لَغَرِيبٌ. فقال: بحياتي لمن هو؟ فقال: وحياتك ما أدري إلا أنِّي أخذْتُهُ من شُهدة جاريةِ الوليد أمِّ عاتكة بنت شُهدة. هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقيَّات، والغناء لابن مُحرِز، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه لِسُلَيم خفيف رمل بالبنصر. وَلِحُسين بن مُحرز ثقيل أول عن الهشاميّ وحَبش.

[ضاربة مجيدة]

أخبرني محمد بن مَزْيد عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه: أنه ذكر عاتكة بنت شُهدة يوماً فقال: كانت أضربَ مَنْ رأيْتُ بالعود؛ ولقد مَكَثْتُ سبع سنين أختلف إليها

في كل يوم فَتُضاربني ضرباً أو ضربين، ووصل إليها منِّي ومن أبي أكثرُ من ثلاثين ألف درهم بسببي: دراهمَ وهدايا.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال: كانت عاتكة بنت شُهدة أحسنَ خَلْق اللَّه غناءً وأرواهم، وماتت بالبصرة. وأمها شُهدة نائحة من أهل مكة. وكان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع. فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له: إلى أين يا أبا القاسم! ما هذا الترجيع الذي لا معنى له! عُدْ بنا إلى معظم الغناء وَدَعْ من جنونك. فأضجرته يوماً بين يدي الرشيد فقال لها: إنِّي أشتهي، عَلِمَ اللَّه، أن تحتكّ شِعرتي بشعرتك. فقالت: اخسَأْ قطع اللَّه ظَهرَك! ولم تَعُد لأذاه بعدها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: قال لي عليّ ابن جعفر بن محمد دخلت على جواري المروانيّ المغنيات بمكة، وعاتكة بنت شهدة تطارحهُنّ لحنَها:

يا صاحبيّ دَعَا الملامةَ واعلمَا أنّ الهوى يَدَع الكِرامَ عَبيدا

[الكامل]

فَجَعَلَتْ واحدةٌ منهنّ تقول: «يدع الرجالَ عبيداً» فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهدة: ويلكِ! بُنْدارٌ الزيات العاضُّ بظرَ أمه رجل! أفمن الكرام هو! قال فكنْتُ إذا مرَّ بي بُندار أو رأيْتُهُ غلبني الضحكُ فأستحي منه وآخُذ بيده وأجعل ذلك بشاشةً؛ حتى أورث هذا بيني وبينه مقاربةً؛ فكان يقول أبو الحسن علي بن جعفر صديق لي.

[علمت مخارقاً الغناء]

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة، وهي علَّمَتْهُ الغناء ووضعت يده على العود، ثم باعته؛ فانتقل من مِلْك رجل إلى مِلْكِ آخر حتى صار إلى الرشيد. وقد ذكر ذلك في أخباره.

صوت

من المائة المختارة

ولو أنّ ما عندَ ابنِ بُجْرَةَ عندها من الخمر لم تَبْلُلْ لَهَاتي[1] بناطِلِ

(١) اللَّهاةُ: الهَنَةُ المطبقة في أقصى سقف الفم، والجمع اللَّها واللَّهَواتُ واللَّهَياتُ أيضاً.

لـعـمـري لأنـتَ الـبـيـتُ أُكـرِمُ أهـلَـه وأقـعـدُ فـي أفـيـائـه بـالأصـائـلِ[1]

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لأبي ذُؤَيب الهُذَليّ. والغناء لحكم الواديّ، ولحنه المختار من الثقيل الأوَّل بالبنصر في مجراها. ابن بُجْرة هذا فيما ذكره الأصمعيّ، رجل كان يبيع الخمر بالطائف، وزعم أن الناطل كوزٌ تُكال به الخمر. وقال ابن الأعرابي: ليس هذا بشيء، وزعم أن الناطل: الشيء؛ يقال: ما في الإناء ناطل، أي شيء.

وقال أبو عمرو الشيباني: سَمِعْتُ الأعراب يقولون: الناطل الجُرْعة من الماء واللبن والنّبيذ.

(١) الأصائل: العشيات.

ذكر أبي ذؤيب وخبره ونسبه

هو خُوَيلد بن خالد بن مُحرِّث بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدركة بن الياس بن مُضَر بن نِزار. وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فَحَسُنَ إسلامُهُ. ومات في غزاة إفريقية.

أخبرني أبو خَليفة قال: حدَّثنا محمد بن سلَّام قال: كان أبو ذؤَيب شاعراً فحلاً لا غميزة[1] فيه ولا وَهْن. وقال ابن سَلَّام: قال أبو عمرو بن العلاء: سُئِلَ حسَّان بن ثابت: مَنْ أشعر الناس؟ قال أحيًّا أم رجلاً؟ قالوا: حيًّا قال: أشعرُ الناس حيًّا هُذَيل، وأشعر هُذَيل غيرَ مُدافع أبو ذؤَيب. قال ابن سلَّام: ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله.

أخبرني أبو خليفة قال: حَدَّثنا محمد بن سلَّام قال: أخبرني محمد بن مُعاذ العُمَريّ قال: في التَّوراة أبو ذؤيب مؤلف زورا، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زورا».

فأخبَرْتُ بذلك بعض أصحاب العربية، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال: قد بلغني ذاك. وكان فصيحاً كثيرَ الغريب متمكِّناً في الشعر.

[أشعر هذيل]

قال أبو زيد عمر بن شبَّة: تقدَّم أبو ذؤَيب جميعَ شُعراء هُذَيل بقصيدته العينيَّة التي يرثي فيها بنيه. يعني قوله:

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ وَالدَّهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

[الكامل]

وهذه يقولها في بنينَ له خمسةٍ أصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها. وسنذكر جميع ما يُغنَّى فيه منها على أثر أخباره هذه.

---

(١) غميزة: طعن أو تشكيك.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزُّبيريّ، وأخبرني حرَميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال: حَدَّثني عَمِّي قال: كان أبو ذؤيب الهذليّ خَرَجَ في جُنْدِ عبد اللَّه بن سَعد بن أبي سَرْح أحد بني عامر بن لؤيّ إلى إفريقية سنة ستّ وعشرين غازياً إفرنجةَ في زمن عثمان. فلما فتح عبد اللَّه بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبدَ اللَّه بن الزبير ـ وكان في جنده ـ بشيراً إلى عثمان بن عفَّان، وبعث معه نفراً فيهم أبو ذؤَيب. ففي عبد اللَّه يقول أبو ذَؤَيب:

فصاحب صدقٍ كسِيدِ[١] الضَّرا[٢] ينْهض في الغزو نهضاً نَجِيحا

[المتقارب]

في قصيدة له. فلما قَدِموا مصر مات أبو ذؤيب[٣] بها. وقَدِمَ ابن الزُّبير على عثمان، وهو يومئذٍ، في قول ابن الزبير ابن ستّ وعشرين سنة. وفي قول الواقِديّ ابن أربع وعشرين سنة.

وبُشِّرَ عبد اللَّه عند مَقْدِمِهِ بخُبَيب بن عبد اللَّه بن الزّبير وبأخيه عُروة بن الزبير، وكانا وُلِدا في ذلك العام وخُبَيْب أكبرهما. قال مصعب: فَسَمِعْتُ أبي والزُّبير بن خُبَيْب بن ثابت بن عبد اللَّه بن الزُّبير يقولان: قال عبد اللَّه بن الزُّبير: أحاط بنا جُرجير صاحب إفريقية وهو ملك إفرنجة في عشرين ألفا ومائة ألف ونحن في عشرين ألفاً؛ فضاق بالمسلمين أمرهم واختلفوا في الرأي، فدخل عبد اللَّه بن سعد فُسطاطه يخلو ويُفَكِّر. قال عبد اللَّه بن الزُّبير فرأيْتُ عورة من جُرجير والناس على مَصافِّهم رأيته على بِرذَون أشهبَ خَلْفَ أصحابه مُنْقَطِعاً منهم، معه جاريتان له تُظَلِّلانه من الشمس بريش الطَّواويس. فَجِئْتُ فُسطاط عبد اللَّه فَطَلَبْتَ الإذنَ عليه من حاجبه؛ فقال: إنَّه في شأنكم وإنه قد أمرني أن أمسك الناسَ عَنْهُ. قال فدُرْتُ فأتيْتُ مؤخر فُسطاطه فرفَعْتُهُ ودَخَلْتُ عليه فإذا هو مستلقٍ على فراشه؛ ففزع وقال: ما الذي أدخلك عليّ يابن الزُّبير؟ فقلت: إيه وإيه! كلُّ أزَبَّ[٤] نفورٌ! إنِّي رأيْتُ عورةً من عدوِّنا

(١) السيد: الذئب، يقال سيدُ رَمْلٍ؛ والجمع السيدان، والأنثى سِيَدةٌ وربّما سمِّي به الأسد. قال الشاعر:

كالسيدِ ذي اللِّبدةِ المُسْتأسِدِ الضّاري

(٢) الضَّراء: ما واراك من شجر.

(٣) ورد في فتوح البلدان للبلاذري: أن أبا ذؤيب توفي بإفريقية فقام بأمره ابن الزبير حتى واره في لحده.

(٤) الإزْبُ: اللئيمُ، والإزْبُ: القصير الدّميمُ. ابن الاعرابي: رجلٌ إزْبٌّ حِزْب، أي داهِيَةٌ. المِئزابُ: المِزْرابُ، وربما لم يهمز، والجمعُ المآزيبُ. الأَزَبّ: كثير شعر الوجه والأذنين.

فرجوت الفرصةَ فيه وخشيت فواتها، فاخرج فاندب الناسَ إليَّ. قال: وما هي؟ فأخبرته؛ فقال عورةٌ لعمري! ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال: أيها الناس انتدبوا مع ابن الزُّبير إلى عدوِّكم. فاخترت ثلاثين فارساً، وقلت: إني حاملٌ فاضربوا عن ظهري فإني سأكفيكم من ألقى إن شاء اللَّه تعالى. فحَمَلْتُ في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذبُّوا عنِّي حتى خرقتهم إلى أرض خالية، وتبيَّنْتُهُ فَصَمَدْتُ[1] صمدة؛ فواللَّه ما حسب إلا إني رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلا ذاك، حتى رأى ما بي من أثر السلاح، فثنى برذونه هارباً، فأدركْتُهُ فطعنْتُهُ فَسَقَطَ وَرَمَيْتُ بنفسي عليه، واتقت جاريتاه عنه السيفَ فَقُطِعَتْ يد إحداهما. وأجهزْتُ عليه ثم رفعت رأسه في رمحي، وجال أصحابُهُ وحمل المسلمون في ناحيتي وكبَّروا فقتَّلوهم كيف شاؤوا، وكانت الهزيمة. فقال لي عبد اللَّه بن سعد: ما أحدٌ أحق بالبشارة منك، فبعثني إلى عثمان. وقدم مروانُ بعدي على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المغنم وقَسَّموه وكان مروان قد صَفَقَ[2] على الخُمْسِ بخمسمائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك مما تُكلِّم فيه بسببه. فقال عبد الرحمن بن حَنْبل بن مُلَيل ـ وكان هو وأخوه كَلَدة أخوي صَفوان بن أُميَّة بن خَلَف لأمه، وهي صفيَّة بنت مَعمر بن حبيب بن وَهب بن حُذافة بن جُمَح، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة ـ :

أَحْلِفُ[3] باللَّه جهد اليمين ... ما ترك اللَّه أمراً سُدَى
ولكنْ خُلقتَ[4] لنا فتنةً ... لكي نُبتلى فيكَ[5] أو تُبتلى
دعوتَ الطَّريدَ[6] فأدنيتَه ... خلافاً لسنَّة منْ قد مضى[7]
وأعطيتَ مَرْوان خُمس العباد ... ظلماً لهم وحَميت الحمَى
ومالاً أتاكَ به الأشعريّ ... من الفيء أعطيتَه مَنْ دنا
وإن الأمينَيْن قد بَيّنا ... منارَ الطريق عليه الهدى

(١) صمدت: قصدت.
(٢) ضربه على صفقي عنقه: على جانبيها. وأنا أحب أهل ذلك الصفق وهو الناحية. وهذه صفقة مباركة وهي ضرب اليد على اليد في البيع والبيعة، ومنها: أصفقوا على أمر واحد: اجتمعوا عليه. وصفقت رأسه وعينه صفقة: ضربته، وصفقت به الأرض.
(٣) ورد في بعض المصادر «وأحلف» و«سأحلف».
(٤) ورد في بعض المصادر «جعلت» بدل «خلقت».
(٥) ورد في بعض المصادر «بك» بدل «فيك».
(٦) الطريد: هو الحكم بن العاص بن أمية.
(٧) ورد العجز في بعض المصادر على الشكل التالي:
خلافاً لما سنّه المصطفى

فـمـا أخـذا درهـمـاً غِـيـلـةً ولا قـسـمـا درهـمـاً فـي هـوى
[المتقارب]

قال: والمال الذي ذكر أن الأشعريّ جاءَ به مالٌ كان أبو موسى قَدِمَ به على عثمان من العراق، فأعطى عبد اللَّه بن أسيد بن أبي العِيص منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم؛ فأنكر الناس ذلك.

[ذكره ابن بجرة]

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز ـ أظنه ابن الدَّراوَردي ـ قال: ابن بُجرة الذي ذكره أبو ذؤَيب رجل من بني عُبَيد بن عُوَيج بن عديّ بن كعب من قُرَيش، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قطّ، وبالمدينة منهم امرأة ولهم موالٍ أشهرُ منهم، يُقالُ لهم بنو سجفان. وكان ابن بُجرة هذا خَمَّاراً وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حَكَم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة. فمما يُغنَّى فيها منها:

صـوت

أسـاءلـتَ رَسْـمَ الـدار أم لـم تُـسـائـل عـن الـحـيّ أم عـن عـهـده بـالأوائـلِ
عـفـا غـيـرَ رسـم الـدار مـا إن تُـبـيـنـه وعـفْـرِ ظـبـاءٍ قـد ثـوَتْ فـي الـمـنـازلِ
فـلـو أنّ مـا عـنـد ابـن بُـجْـرةَ عـنـدهـا مـن الـخـمـر لـم تَـبْـلُـل لـهـاتـي بـنـاطـلِ
فـتـلـك الـتـي لا يَـذهـبُ الـدهـر حُـبُّـهـا[1] ولا ذِكـرُهـا مـا أَرْزَمَـتْ أمُّ حـائِـلِ
[الطويل]

غنَّاه الغريض ثقيلاً أوَّلَ بالوسطى. ويُقالُ: إنَّ لمعبد فيه أيضاً لحناً.

قوله «أساءلت» يخاطب نفسه. ويروى: «عن السُّكن أو عن أهله» والسُّكن: الذي كانوا فيه. وقال الأصمعيّ: السكن: سكن الدار. والسكن: المنزل أيضاً. ويروى: «عفا غير نُؤي الدار» والنُّؤي: حاجزٌ يُجعل حول بيوت الأعراب لئلا يَصِل المطر إليها. ويروى ـ وهو الصحيح ـ :

وأقـطـاع[2] طُـفْـي قـد عـفَـتْ فـي الـمـعـاقـلِ

(١) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:
فـتـلـك الـتـي لا يـبـرح الـقـلـب حـبـهـا

(٢) أقطاع: الغصن تقطعه من الشجرة.

والطُّفي: خُوص المُقْل. والمعاقل: حيث نزلوا فامتنعوا، واحدها مَعْقِل. وواحد الطُّفي: طُفية. وأرزمت: حَنَّت. والحائل: الأنثى. والسَّقْب: الذكر.

ومنها:

صـــوت

وإنّ حـديـثـاً مـنـكِ لـو تَـبْـذُلـيـنـه جنى النحلِ في ألبان عُوذٍ مطافلِ
مَـطـافـل أَبْـكـار حَـدِيـث نِـتـاجـهـا تُـشـاب بـمـاءٍ مـثـلِ مـاء الـمـفـاصـل

[الطويل]

غَنَّاه ابن سُرَيج رملاً بالوسطى. جنى النحل: العسل. والعُوذ: جمع عائذ، الناقة حين تضع فهي عائذ، فإذا تَبِعها ولدُها قيل لها مُطْفِل. والمفاصل: مُنفصل السهل من الجبل حيث يكون الرَّضراض[١]، والماءُ الذي يَستَنْقِع فيها أطيبُ المياه. وتُشاب تخلط.

وأخبرني محمد بن العبَّاس اليزيدي قال: حَدَّثنا الرّياشيّ قال: حَدَّثنا الأصمعيّ: أن أبا ذؤيب إنَّما عنى بقوله «مطافل أبكار» أن لبن الأبكار أطيبُ الألبان، وهو لبنُها لأوَّل بطن وضعت. قال: وكذلك العسل فإنَّ أطيبَهُ ما كان من بِكر النحل. قال: وحدَّثني كرْدين قال: كَتَبَ الحجاج إلى عامله على فارس: ابعث إليَّ بعسل من عسل خلَّار[٢] من النحل الأبكار، من الدستفشار[٣]، الذي لم تمسّه النار.

[بعض من قصيدته العينية الشهيرة]

فأما قصيدته العينية التي فُضِّلَ بها، فمما يغنَّى به منها:

صـــوت

أَمِـنَ الـمَـنـون ورَيـبـهـا[٤] تـتـوجّـعُ والـدهـرُ لـيـس بـمُـعْـتِـبٍ مـن يَـجْـزَعُ
قـالـت أمـامـة[٥] مـا لـجـسـمـك شـاحـبـاً مـنـذُ ابـتُـذلـتَ ومـثـلُ مـالـك يَـنْـفـعُ

(١) الرضراض: الحصى الصغار.
(٢) خلار: موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد.
(٣) الدستفشار: لفظة فارسية، تعني ما عصرته الأيدي وعالجته.
(٤) يروى: بالتذكير والتأنيث.
(٥) ورد في بعض المصادر «أميمة» بدل «إمامة».

أم مـا لـجـنـبـك لا يُـلائـم مـضـجـعـاً إلا أَقـضّ عـلـيـك ذاك الـمـضـجَـعُ
فـأجـبـتُـهـا أنْ مـا لـجـسـمـي أنّـه أودى بَـنـيّ مـن الـبـلاد فـودّعـوا
[الكامل]

عروضه من الكامل. غنَّاه ابن مُحرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها قال الأصمعيّ: سُمِّيَتْ المنون منوناً لأنّها تذهب بِمُنَّة كل شيء وهي قوَّته.

وروى الأصمعيّ «وريبه» فذكر المنون. والشاحب: المُغَيّر المهزول. يُقالُ: شَحُبَ يشحُبُ. ابتذلت: امتَهَنْتَ نفسك وكرهت الدعة والزينة ولزمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغْنِيك، عن هذا فاشترِ لنفسكَ من يكفيك ذلك ويقوم لك به. ويلائمُ يُوافِقُ. أقضّ عليك أي خَشُنَ فلم تستطع أن تضطجع عليه. والقَضَض: الرمل والحصى. قال الراجز:

إنّ أُحـيـحـاً مـات مـن غـيـر مَـرَضْ وُجِدَ فـي مَـرْمَـضِـه حـيـث ارتَـمـضْ[1]
[الرجز]

عَـسَـاقِـلُ[2] وجِـبَـأٌ فـيـهـا قَـضَـضْ

وودّعوا: ذهبوا. استُعْمِل ذلك في الذهاب لأنَّ من عادة المفارق أن يودّع.

[الاهتمام بعينيته]

أخبرني أحمد بنُ عُبيد اللَّه بن عمَّار قال: حَدَّثني أحمد بن عمر النحويّ قال: حَدَّثني أبي عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيَّاش قال: لما مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور في جنازته من المدينة[3] إلى مقابر قريش[4] ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع فقال: يا ربيع أنظر من في أهلي يُنْشِدني:

أمِـن الـمـنـون ورَيْـبـهـا تـتـوجّـعُ

حتى أتسلَّى عن مُصيبتي. قال الربيع: فَخَرَجْتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم

(١) مشى على الرمضاء وهي الحجارة التي اشتد عليها وقع الشمس فحميت وقد رمضت رمضاً. وخرج يترمض الظباء: يسوقها في الرمضاء حتى تنفسخ أظلافها فيأخذها.
(٢) العُسْقُولةُ: ضَرْبٌ من الجَبْأَةِ، وهي كَمْأَة لَونُها بين البياض والحُمْرة، ويُجْمَعُ عَساقِل.
(٣) بغداد.
(٤) مقابر قريش ببغداد: مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير.

حُضور، فسألْتُهُم عنها، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها، فرجعْتُ فأخبرته؛ فقال: واللَّه لمصيبتي بأهل بيتي ألَّا يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقلَّةِ رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشدّ عليّ من مُصِيبتي بابني. ثم قال: أنظر هل في القوَّاد والعَوامَ من الجند من يعرفُها، فإنِّي أحبّ أن أسمعها من إنسان يُنْشِدُها

فَخَرَجْت فاعترضت الناس فلم أجد أحداً ينشدها ألا شيخاً كبيراً مؤدباً قد انصرف من موضع تأديبه فسألته هل تحفظ شيئا من الشعر فقال: نعم، شعر أبي ذؤيب فقلت أنشدني فابتدأ هذه القصيدة العينية فقلت له أنت بغيتي ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها فلما قال:

والـدَّهـرُ لـيـس بـمُـعـتِـب مَـنْ يَـجْـزَع

قال: صدق واللَّه، فأنشدني هذا البيت مائة مرّة ليتردّد هذا المصراع عليّ؛ فأنشده، ثم مرّ فيها فلما انتهى إلى قوله:

وَالـدَّهـرُ لا يَـبـقـى عَـلـى حَـدَثـانِـهِ جَـونُ الـسَّـراةِ[1] لَـهُ جَـدائِـدُ[2] أَربَـعُ

[الكامل]

قال: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ثم أمرَ الشيخَ بالإنصراف. فاتّبعَتْهُ فقلت له: أأمر لك أمير المؤمنين بشيء؟ فأراني صُرَّةً في يده فيها مائةُ درهم.

[الخيانة مشتركة]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال: حدّثنا الرّياشيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأة يقال لها أم عمرو، وكان يرسل إليها خالد ابن زهير[3] فخانه فيها، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل بِرَجُلٍ يُقالُ له عُوَيم بن مالك ابن عويمر وكان رسوله إليها.

فلما عَلِمَ أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها. فأرسلت تترَّضاه، فلم يفعل، وقال فيها:

تُـريـديـن كـيـمـا تـجـمـعـيـنـي وخـالـداً وهـل يُـجَـمـع الـسـيـفـانِ وَيْـحِـك فـي غِـمْـدِ

أخـالـدُ مـا راعـيـتَ مِـنِّـي قـرابـةً فـتـحـفَـظَـنـي بـالـغـيـب أوْ بـعـض مـا تُـبـدِي

(١) جون السراة: أسود الظهر أو أبيضه، فإن الجون يطلق على الأسود والأبيض. ويريد به الحمار.

(٢) الجَدُودُ: كلُّ أنثى يَبس لبنُها الجَدائدُ والجِدادُ، ويقال الجدائد: الأتن، واحدها جدود.

(٣) هو خالد بن زهير الهذلي، وكان ابن أخت أبي ذؤيب، وقيل: ابن أخيه.

دعـاكَ إلـيـهـا مُـقْـلـتـاهـا وجـيـدُهـا فـمِلتَ كـمـا مـال الـمُـحبّ عـلـى عَـمْـدِ
وكـنـتَ كَـرقْـراق الـسَّـراب إذا بـدا لـقـوم وقـد بـات الـمطيُّ بـهـم يَـخْـدِي[1]
فـآلـيـتُ لا أنـفـكّ أَحْـدو قـصـيـدةً تـكـون وإيـاهـا بـهـا مـثـلاً بـعـدِي
[الطويل]

غنّاه ابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر. الغيب: السرّ. والرقراق: الجاري. ويروى «أحذو قصيدة». فمن قال: «أحذو» بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال: «أحدو» أراد أغنّي.

وقال أبو ذؤيب في ذلك:

ومـا حُـمِّـل الـبُـخْـتِـيُّ عـامَ غِـيـاره[2] عـلـيـه الـوُسـوقُ[3] بُـرُّهـا وشـعـيـرُهـا
أتـىَ قـريـةً كـانـت كـثـيـراً طـعـامُـهـا كَـرَفْـع الـتـراب كـلُّ شـيءٍ يـمـيـرُهـا
[الطويل]

ـ الرفع من التراب: الكثير اللين ـ

فـقـيـل تـحـمَّـلْ فـوق طـوقـك إنّـهـا مُـطَـبَّـعـة[4] مـنْ يَـأتـهـا لا يـضِـيـرُهـا
بـأعـظـم[5] مـمـا كـنـتُ حَـمَّـلـتُ خـالـداً وبـعـضُ أمـانـات الـرجـال غُـرورُهـا
ولـو أنـنـي حـمّـلـتُـه الـبُـزْل مـا مـشـتْ بـه الـبـزلُ حـتـى تَـتْـلَـئِـبَّ صـدورُهـا
[الطويل]

ـ تتلئب تستقيم وتنتصب وتمتد وتتابع ـ

خـلـيـلِـي الـذي دلَّـى[6] لـغـيٍّ خـلـيـلـتـي جِـهـاراً فـكـلٌّ قـد أصـابَ عُـرورُهـا[7]

ـ يقال: عرّه بكذا أي أصابه به ـ

فـشـأنـكـهـا إنـي أمـيـنٌ وإنـنّـي إذا مـا تـحـالـى مـثـلُـهـا لا أطُـورُهـا

---

(١) خدى البعير: اسرع وزج بقوائمه.

(٢) الغِيْرَةُ: المِيْرَةُ، غَارَهم يَغِيْرُهم ويَغُوْرُهم: مارَهُم، وهو الغِيَارُ وجَمْعُها غِيَرٌ. والدِّيَةُ ـ أيضاً ـ، وغَيَّرَ فلان فلاناً: أعطاه الدِّيَةَ.

(٣) الوسق، والوسق: حمل بعير، وقيل الحمل عامة.

(٤) مطبعة: مختومة. وأراد الشاعر من هذا البيت: ان هذه القرية مملوءة بالطعام.

(٥) ورد في بعض المصادر «بأثقل» بدل «بأعظم».

(٦) دلى فلان فلانا: أوقعه وصيره فيه.

(٧) العرور: المعرة والعيب.

ـ تحالى: من الحلاوة. أطورها: أقربها ـ :

أُحاذِرُ يوماً أن تَبِينَ قَرينتي ... ويُسلمها أحرازُها ونَصيرُها

الأحراز: الحصون. قرينتي: نفسي ـ :

وَما أَنفُسُ الفِتيانِ إِلّا قَرائِنٌ ... تَبينُ وَيَبقى هامُها وَقُبورُها
فَنَفسَكَ فَاحفَظها وَلا تُفشِ لِلعِدى ... مِنَ السِّرِّ ما يُطوى عَلَيهِ ضَميرُها
وَما يَحفَظُ المَكتومَ مِن سِرِّ أَهلِهِ ... إِذا عُقَدُ الأَسرارِ ضاعَ كَبيرُها
مِنَ القَومِ إِلّا ذو عَفافٍ يُعينُهُ ... عَلى ذاكَ مِنهُ صِدقُ نَفسٍ وَخِيرُها
رَعى خالِدٌ سِرّي لَيالِيَ نَفسُهُ ... تَوالى[1] عَلى قَصدِ السَّبيلِ أُمورُها
فَلَمّا تَراماهُ[2] الشَّبابُ وَغَيُّهُ ... وَفي النَّفسِ مِنهُ فِتنَةٌ وَفُجورُها
لَوى رأسَهُ عَنِّي ومالَ بِودِّه ... أغانيجُ[3] خودٍ[4] كانَ فينا يزورُها
تَعلقه مِنها دلال ومقلة ... تظل لأصحاب الشقاء تديرُها
فَإِنَّ حراماً أن أخون أمانةً ... وآمَنَ نفساً ليس عندي ضميرُها[5]

[الطويل]

فأجابه خالد بن زهير:

لا يُبعدنَ اللَّه لُبَّك إذ غَزا ... وسافر والأحلامُ جمٌّ عُثُورُها

غزا وسافر لُبّك: ذهب عنك. والعثور: من العثار وهو الخطأ ـ :

وَكُنتَ إماماً لِلْعَشِيرةِ تَنْتَهي ... إليك إذا ضاقَتْ بأمرِ صدورُها
لَعَلَّكَ إمَّا أمُّ عمرو تبدَّلت ... سِواكَ خَليلاً شاتمي تَسْتَخِيْرُها

الاستخارة: الاستعطاف ـ :

فَإِنَّ التي فينا زَعَمْتَ ومثلها ... لَفِيْكَ ولكِنِّي أراك تَجورُها

---

(١) توالى: تتابع.
(٢) تراماه الشباب: أي تم شبابه فقذف به إلى الغي كما تترامى الفلاة براكبها.
(٣) «الغُنْج، بالضّم، وبضمّتين، وكغُرَابٍ»، الأَخيرَة عن كُرَاع: الشِّكْل»، بالكسر، وقيل: مَلاحَةُ العَيْنَيْنِ. وقد «غَنِجَت الجارِيَةُ، كسَمِع، وتَغنَّجت، وهي مِغْنَاجٌ وغَنِجَةٌ». وفي حديث البُخَاريّ في تفسير العَرِبَةِ: هي الغُنِجَةُ، الغُنْجُ في الجَارِيَةِ تَكَسُّرٌ وتَدلُّلٌ.
(٤) الخَودُ: الجارية الناعمة. والجمع خودٌ. والتَّخْويدُ: سرعة السير.
(٥) يريد: لا آمن من ليس عندي ضمير قلبه والذي يزعم أنه أخي وليس ضميره عندي.

ـ تجورها. تُعرض عنها ـ :

ألـم تَـنْـتَـقِـذهـا مـن عـويـم بـن مـالـك وأنـت صـفـيُّ نـفـسـه وسَـجـيـرُهـا[١]
فَـلا تَـجـزَعـنْ مِـن سُـنَّـةٍ أَنـتَ سِـرتَـهـا وَأَوَّلُ راضـي سُـنَّـةٍ مِـن يَـسـيـرُهـا

[الطويل]

ـ ويُروى قد أسرتها، أي جعلتها سائرة. ومن رواه هكذا روى «يُسيرها» لأن مستقبل أفعل أسارها يسيرها. و«يسيرها» مستقبل سار السيرة يسيرها ـ .

فـإنْ كُـنْـتَ تـشـكـو مـن خـلـيـلٍ مـخـانـةً فَـتِـلْـكَ الـجـوازي عَـقـبـهـا ونُـصـورُهـا

عَقْبها: يريد عاقبتها. ونُصورها أي تُنصر عليك، الواحد نصر ـ .

وَإن كُـنـتَ تَـبـغـي لِـلـظُّـلامَـةِ مَـركَـبـاً ذَلـولاً فَـإنّـي لَـيـسَ عِـنـدي بَـعـيـرُهـا
نَـشَـأتُ عَـسـيـراً لَا تـلـيـن[٢] عَـريـكَـتـي وَلَـم يَـعـلُ يَـومـاً فَـوقَ ظَـهـريَ كـورُهـا[٣]
مَـتـى مـا تَـشَـأْ أَحـمِـلْـكَ وَالـرأسُ مـائِـلٌ[٤] عَـلى صَـعـبَـةٍ حَـرفٍ[٥] وَشـيـكٍ طُـمـورُهـا[٦]
فَـلا تَـكُ كـالـثَّـورِ الَّـذي دُفِـنَـت لَـهُ حَـديـدَةُ حَـتـفٍ ثَـمَّ أمـسـى[٧] يُـثـيـرُهـا
يُـطـيـلُ ثَـواءً عـنـدهـا لِـيَـرُدَّهـا وهـيـهـات مـنـه دارهـا وقـصـورُهـا
وقـاسـمـهـا بـالـلَّـه جَـهـداً لأنـتُـمُ ألـذُّ مـن الـسَّـلـوى إذا مـا نَـشُـورُهـا

[الطويل]

ـ نشورها: نجتنيها. السلوى هاهنا: العسل ـ .

فَـلَـم يُـغـنِ عَـنـهُ خَـدْعُـهُ حـيـنَ أَزمَـعَـت[٨] صَـريـمَـتَـهـا وَالـنَّـفـسُ مُـرٌّ ضَـمـيـرُهـا[٩]
وَلَـم يُـلـفَ جَـلـداً حـازِمـاً ذا عَـزيـمَـةٍ وَذا قُـوَّةٍ يَـنـفـي بِـهـا مَـن يَـزورُهـا

(١) من المَجَاز: السَّجِيرُ: الخَلِيلُ الصَّفِيُّ المُخَالِط الصَّدِيقُ، من سَجَرَت النَّاقَةُ إِذَا حَنَّت، لأَنَّ كُلَّ واحِدٍ منهما يَحِنّ إلى أخيه، كما في الأَساس والبصائر، ج سُجَرَاءُ، كأَمِيرٍ وأُمراءَ.
(٢) ورد في بعض المصادر «تُدَيَّث» بدل «تلين».
(٣) الكُورُ: على أفواه العامة: كِير الحداد. والكُورُ: الرحل، والجمع: الأَكْوار، والكِيران. والكَوْرُ: لوث العمامة على الرأس، وقد كوّرتها تكويراً.
(٤) للدلالة على المرح والنشاط.
(٥) الحرف: الضامرة.
(٦) وشيك طمورها: سريع وثوبها.
(٧) ورد في بعض المصادر «ظل» بدل «أمسى».
(٨) ورد في بعض المصادر «أعرضت» بدل «أزمعت».
(٩) مرٌّ ضميرها أي نفسها خبيثة كارهة.

فـأَقْـصِـرْ[١] لا تَـأْخُـذكَ مِـنّـي سَـحـابَـةٌ يُـنَـفِّـرُ شـاءَ الـمُـقـلِـعـيـنَ خَـريـرُهـا
[الطويل]

المقلعين: الذين أصابهم القَلَع وهو السحاب ـ .

ولا تَـسْـبِـقـنّ الـنـاس مـنِّـي بِـخَـمْـطـةٍ[٢] مـن الـسـمِّ مـذرورٍ عـلـيـهـا ذَرُورهـا
[الطويل]

[موته]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حَدَّثنا السَّكَن بن سعيد قال: حَدَّثنا العبَّاس بن هشام قال: حَدَّثني أبو عمرو عبد اللَّه بن الحارث الهُذَليّ من أهل المدينة قال: خَرَجَ أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يُقالُ له أبو عُبَيد، حتى قَدِموا على عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه. فقال له: أيُّ العمل أفضلُ يا أمير المؤمنين؟ قال: الإيمان باللَّه ورسوله. قال: قد فَعَلْتُ، فأيُّهُ أفضل بعده؟ قال: الجهاد في سبيل اللَّه. قال: ذلك كان عليّ وإنى لا أرجو جنة ولا أخاف ناراً. ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين. فلما قَفَلوا أخذه الموت؛ فأراد ابنُهُ وابنُ أخيه أن يتخلَّفا عليه جميعاً؛ فمنعهما صاحب الساقة[٣] وقال: ليتخلَّف عليه أحدُكما وليعلم أنه مقتول. فقال لهما أبو ذؤيب. اقترِعا، فطارت القُرعة لأبي عُبَيد، فَتَخَلَّفَ عليه ومضى ابنُهُ مع الناس. فكان أبو عُبَيد يُحدِّث قال: قال لي أبو ذؤيب: يا أبا عُبَيْد، احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضِد[٤] من الشجر بسيفك ثم اجرُرْني إلى هذا النهر فإنَّكَ لا تفرُغ حتى أفرُغ، فاغسلني وكفِنِّي ثم اجعلني في حفيري وانثِلْ[٥] علي الجُرُف برمحك، وألقِ عليَّ الغصون والشجر، ثم اتبع الناس فإنَّ لهم رَهْجَةً[٦] تراها في الأُفق إذا مَشَيْتَ كأنَّها جهامة[٧]. قال: فما أخطأ مما قال شيئاً، ولولا نَعْتُهُ لم أهتد لأثر الجيش. وقال وهو يجودُ بنفسه:

---

(١) ورد في بعض المصادر «وإياك» بدل «فاقصر».

(٢) الخَمْطة: ريح نَوْر الكَرْم وما أشبهه ممّا له ريحٌ طيِّبة، وليست بشديدة الذَّكاء. والخَمْطةُ: الخمر التي أخذت ريحاً. وقال اللِّحيانيّ: الخَمطةُ: التي قد أخذت شيئاً من الرِّيح كرِيح النَّبق والتُّفّاحِ.

(٣) الساقة: الحراسة.

(٤) اعضد: اقطع.

(٥) انثل: اخرج.

(٦) الرهجة: ما أثير من الغبار.

(٧) رجل جَهْمٌ بَيِّنُ الجَهامة والجُهومة، إذا كان غليظ الوجه. وبه سُمِّي الأسد جَهْماً. والجهامة: السحابة لا ماء فيها.

أبـا عُـبَـيـد رُفِـع الـكـتـابُ واقـتـربَ الـمـوعـدِ والـحـسـابُ
وعـنـد رَحـلـي جـمـلٌ نُـجـابُ أحـمـرُ فـي حـاركـه[1] انـصـبـابُ
[الرجز]

ثم مَضَيْتُ حتى لحقت الناس. فكان يُقالُ: إنَّ أهلَ الإسلام أبعدوا الأثر في بلد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعرف لأحد من المسلمين.

(١) المَحْرَكُ: مُنتَهى العُنُق وعند مَفصِل الرأس. والحاركُ: أعلى الكاهل.

ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه

هو الحَكَم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك. وكان أبوه حَلَّاقاً يَحْلِقُ رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه. وكان حكَمٌ طويلاً أحول، يُكري الجِمالَ ينقُل عليها الزيت من الشام إلى المدينة. ويُكنى أبا يحيى. وقال مصعب بن عبد اللَّه بن الزبير: هو حكم بن يحيى بن ميمون، وكان أصله من الفُرسِ، وكان جمَّالاً ينقل الزيت من وادي القرى[1] إلى المدينة. وذكر حمَّاد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخاً طويلاً أحولَ أجناً[2] يخضب بالحِنَّاء، وكان جمَّالاً يحمل الزيت من جُدّة إلى المدينة، وكان واحد دهره في الحِذق، وكان ينقُرُ بالدفِّ ويُغَنِّي مُرْتَجِلاً، وعُمّر عُمْراً طويلاً، غنَّى الوليدَ بن عبد الملك، وغنَّى الرشيدَ ومات في الشَّطْرِ من خلافته، وذكر أنه أخذ الغناء من عُمَر الوادي. قال: وكان بوادي القُرَى جماعةٌ من المُغَنِّين فيهم عمر بن زاذان ـ وقيل: ابن داود بن زاذان، وهو الذي كان يسمّيه الوليد جامعَ لذّتي وحكم بن يحيى، وسليمان،

(١) وادي القرى: من أعمال المدينة، وهي مدينة عامرة كثيرة النخل والبساتين والعيون، وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب، وهم الغالبون عليها ويعرفون بالواديين. قالوا: ولما فرغ رسول اللَّه ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليالي ثم انصرف راجعاً إلى المدينة. قال أبو هريرة رضي اللَّه عنه: نزلناها أصلاً مع مغرب الشمس، فبينما غلام لرسول اللَّه ﷺ يضع رحله أتاه سهم غرب فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «كلا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة الآن لتحترق عليه في النار كان غلها من فيء خيبر». فأتاه رجل بشراكين فقال: أخذتهما لنعلي، فقال: «يقد لك مثلهما من النار». ومن شعر ليزيد بن معاوية يخاطب به عبد اللَّه بن الزبير حين وجه مسرف بن عقبة إلى المدينة:

أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى
وهبط القوم على وادي القرى
عشرون ألفاً بين كهل وفتى
أجمع سكران من القوم ترى
ياعجباً من ملحد يا عجبا

أبو بكر هو عبد اللَّه بن الزبير، وكان يزيد يسمى السكير.

(٢) الأجن: الأحدب.

وخُلَيْد بن عَتِيك ـ وقيل: ابن عبيد ـ ويعقوب الوادي. وكل هؤلاء كان يصنع فَيُحسن.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدَّثني حَمَّاد قال: قال لي أبي: أحذقُ من رأيْتُ من المُغنِّين أربعة: جدّك وحَكَم وفُلَيح بن العوراء وسياط. قلت: وما بلغ من حذقهم؟ قال، كانوا يصنعون فَيُحْسِنون، ويؤدّون غناء غيرهم فَيُحْسِنون. قال إسحاق: وقال لي أبي: ما في هؤلاء الذين تراهم من المُغَنِّين أطبع من حَكَم وابن جامع، وفُلَيح أدرى منهما بما يخرج من رأسه.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكيّ حدَّثه عن أبيه قال: حَدَّثني حكم الواديّ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثنا الغلابيّ عن حَمَّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكيّ عن أبيه عن حكم الوادي قال: أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد، وهو على حمار، وعليه جُبَّة وشي ورداء وشي وخُفّ وشي، وفي يده عِقْد جوهر، وفي كُمِّهِ شيء لا أدري ما هو. فقال: من غَنَّاني ما أشتهي فله ما في كُمِّي وما عليّ وما تحتي؛ فغنَّوه كلهم فلم يطرب؛ فقال لي: غَنِّ يا غلام، فَغَنَّيْتُ:

صـوت

إكـلـيـلُـهـا ألـوانُ ووجـهُـهـا فَـتَّـانُ
وخـالُـهـا فـريـدٌ لـيـس لـه جـيـرانُ
إذا مَـشَـتْ تَـثَـنَّـتْ كـأنَّـهـا ثـعـبـانُ

[مشطور الرجز]

ـ الشعرُ لِمُطيع بن إياس. والغناء لحكم الوادي هَزَجٌ بالوسطى. وفيه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى ـ فَطرِبَ وأخرج ما كان في كمِّه، وإذا كيسٌ فيه ألف دينار، فرمى به إليّ مع عقد الجوهر؛ فلما دخل بعث إليَّ بالحمار وجميع ما كان عليه. وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه في أخبار مُطيع بن إياس. وفي حكم الواديّ يقولُ رجل من قريش:

صـوت

أبـو يـحـيـى أخـو الـغـزل الـمُـغَـنِّـي بَـصـيـرٌ بـالـثِّـقـال وبـالـخِـفـافِ
عـلـى الـعـيـدان يُـحْـسِـنُ مـا يُـغَـنِّـي ويُـحْـسِـن مـا يـقـول عـلـى الـدِّفـافِ

[الوافر]

غَنَّاه حكم الواديّ هزجاً بالبنصر. قال هارون بن عبد الملك قال أبو يحيى العِباديّ قال: حَدَّثني أحمد البارد قال: دَخَلْتُ على حَكَم يوماً فقال لي: يا قِصافيّ[1]، إنَّ رَجُلاً من قريش قال فيَّ هذا الشعر:

أبـو يـحـيـى أخـو الـغَـزَل الـمـغـنِّـي

وقد غَنَّيْتُ فيه، فَخُذْ العود حتى تسمعه مِنِّي؛ فأخَذْتُ العود فَضَرَبْتُ عليه وغنَّانيه، فَكُنْتُ أول من أخذ من حَكَم الواديّ هذا الصوت.

قال أبو يحيى وقال إسحاق: سَمِعْتُ حكماً الواديّ يُغنِّي صوتاً فأعجبني، فَسَأَلْتُهُ لِمَنْ هو؟ فقال: ولمن يكون هذا إلا لي. وقال مُصْعَب: حَدَّثني شيخ أنه سمع حَكَماً الواديّ يُغَنِّي، فقال له: أحسنت! فألقى الدُّفّ وقال للرجل: قَبَّحَكَ اللَّه! تراني مع المُغَنِّين منذ ستين سنةً وتقولُ لي أحسنتَ!.

[عند يحيى بن خالد]

وقال لي هارون: حَدَّثني مُدْرِك بن يزيد قال: قال لي فُلَيح: بَعَثَ إليَّ يحيى بنُ خالد وإلى حَكَم الواديّ [وابن جامع معنا، فأتيناه. فقلت لحكم الوادي] ـ أو قال لي ـ إنَّ ابن جامع معنا، فعاوِّني عليه لِنَكْسِرَه. فلما صرنا إلى الغِنَّاء غنَّى حَكَمٌ، فَصِحْت وقُلْتُ: هكذا واللَّه يكون الغناء! ثم غَنَّيْتُ ففعل بي حَكَمٌ مثل ذلك، وغنَّى ابنُ جامع فما كنا معه في شيء. فلما كان العَشيُّ أرسل إلى جاريته دَنانِيرَ: إن أصحابَكِ عندنا، فهل لك أن تخرجي إلينا؟! فَخَرَجَتْ وخَرَجَ معها وصائفُ لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنَّا لا نسمع: ليس في القوم أنزهُ نفساً من فُلَيح، ثم أشار إلى غلام له: أنِ ائت كلَّ إنسانٍ بألفي درهم، فجاء بها. فَدَفَعَ إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها في كمِّهِ، ولِحَكَم مثل ذلك فطرحها في كمِّه، ودفع إليَّ ألفين. فَقُلْتُ: لدنانير: قد بلغ مِنِّي النّبيذُ فاحتبسيها لي عندك، فأخذت الدراهمَ مِنِّي وبعثت بها إليّ من الغد، وقد زادت عليها مثلها، وأرسلت إليَّ: قد بَعَثْتُ إليك بوديعتك وبشيء أحبَبْتُ أن تفرِّقَه على أخواتي (تعني جواريّ).

[نبوغه في الهزج]

قال هارون بن محمد قال: حَمَّاد بن إسحاق قال أبي: أربعةٌ بلغوا في أربعة أجناسٍ من الغناء مبلغاً قصَّر عنه غيرهم: معبد في الثقيل، وابن سُرَيج في الرَّمَل،

(١) بنو قصاف: بطن من العرب.

وحَكَمٌ في الهَزَج، وإبراهيمُ في الماخُوري. قال هارون وحدَّثني أبي قال: حَدَّثني هبةُ اللَّه بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال: زار حَكَمٌ الوادي الرشيد، فبَرَّه ووصله بثلثمائة ألف درهم، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه؛ فقال: اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهديّ ـ وكان عاملاً له بالشام ـ قال إبراهيم: فَقَدِمَ علي حكم بكتاب الرشيد، فَدَفَعْتُ إليه ما كتب به ووصلته بمثل ما وصله، إلا أني نقصته ألفاً من الثلثمائة وقلت له: لا أصِلُكَ بمثل صلة أمير المؤمنين. فأقام عندي ثلاثين يوماً أَخَذْتُ منه فيها ثلثمائة صوت، كلُّ صوت منها أحبُّ إليَّ من الثلثمائة الألف التي وَهَبْتُها له.

وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد اللَّه بن خُرْداذْبَه قال: قال مصعَب بن عبد اللَّه: بينا حَكَمٌ الوادي بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون: لو ذهبنا إلى جارية ابن شُقران! فإنَّها حسنة الغناء! فمضوا إليها، وتَبِعهم حكم وعليه فروة[1]، فدخلوا ودخل معهم، وصاحبُ المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه. فَغَنَّتْ الجارية أصواتاً ثم غَنَّت صوتاً ثم صوتاً. فقال حَكَم الواديّ: أحسنتِ واللَّه! وصاح. فقال له ربُّ البيت: يا ماصَّ كذا وكذا من أمه! وما يُدْريك ما الغناء! فَوَثَبَ عليه يُتَعْتعه[2] وأرادَ ضربَه. فقال له حَكَمٌ: يا عبد اللَّه، دَخَلْتُ بسلام وأخرجُ كما دخلت، وقام ليخرج. فقال له ربُّ البيت: لا أو أضربَك. فقال حكَم: على رسلك، أنا أعلم بالغناء منك ومنها، وقال: شُدِّي موضع كذا وأصلحي موضع كذا، واندفعَ يُغَنِّي. فقالت الجارية: إنه واللَّه أبو يحيى! فقال ربّ المنزل: جُعِلْتُ فداك! المعذرةُ إلى اللَّه وإليك! لم أعرفك! فقام حَكَمٌ ليخرج فأبى الرجل؛ فقال: واللَّه لأخرجنّ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك.

ذكر أحمد بن المكيّ عن أبيه: أنَّ حكماً لم يُشهر بالغناء ويذهب له الصَّوت[3] به حتى صار الأمر إلى بني العباس؛ فانقطع إلى محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور؛ فَأُعجِبَ بِهِ واختاره على المُغَنِّين وأعجبته أهزاجُهُ. وكان يُقالُ: إنه من أهزج الناس. ويُقالُ: إنَّه غَنَّى الأهزاج في آخر عمره، وإنَّ ابنَه لامه على ذلك، وقال له: أبعدَ الكبر تُغَنِّي غناءَ المُخَنَّثين! فقال له: اسكت فإنك جاهلٌ، غَنَّيْتُ الثقيلَ ستين سنةً فلم أنَلْ إلا القوت، وغَنَّيْتُ الأهزاج منذ سُنَّيَّات فأكسبتُك ما لم ترَ مثله قطُّ.

---

(١) الفَرْوَةُ: نِصْفُ كِسَاءٍ يُتَّخَذُ من أوْبَارِ الإِبِلِ. وهي أيضاً: جُبَّةٌ شُمِّرَ كُمّاها.

(٢) يتعتعه: يحركه بعنف.

(٣) الصوت والصيت: الذكر الحسن الذي ينتشر بين الناس.

[شهادة يحيى البرمكي]

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد: ما رأينا فيمن يأتينا من المُغنِّين أحداً أجود أداءً من حَكَم. وليس أحد يسمع غناء ثم يُغَنِّيه بعد ذلك إلا وهو يغيّره ويَزيدُ فيه ويَنقُص إلا حَكَماً. فقيل لحكم ذلك فقال: إني لست أشرب، وغيري يشرب، فإذا شرب تغيّر غناؤه.

[المنصور يستكثر عطاء المغنين]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: كان خبرُ حَكَم الواديّ يتناهى إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليمان بن عليّ، فَيَعجَب لذلك ويستسرفه ويقول: هل هو إلا أن حسَّن شعراً بصوته وطرَّب مستمعيه، فماذا يكون! وعلام يُعطونه هذه العطايا المُسرِفة! إلى أن جلس يوماً في مستشرف له، وقد كان حَكَمٌ دخل إلى رجل من قوَّادِهِ ـ أراه قال: عليُّ بن يقطين[1] أو أبوه ـ وهو يراه؛ ثم خرج عشياً وقد حمله على بغلة له يعرفها المنصور، وخلع عليه ثياباً يعرفها له. فلما رآه المنصور قال: من هذا؟ فقيل: حَكَم الواديّ. فَحَرَكَ رأسَهُ مليًّا ثم قال: الآنَ عَلِمْتُ أن هذا يستحقّ ما يُعطاه. قيل: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه؟ قال: لأنَّ فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يضعه إلا في حقه.

[مع المهديّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابن أبي سعد قال: حَدَّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز الباهِليّ عن الأصمعيّ قال: رأيْتُ حكماً الواديّ حين مضى المهدي إلى بيت المَقْدِس، وقد عارضه في الطريق وأخرج دُفّه ونَقَر فيه وله شُعَيرات على رأسه وقال: أنا واللَّه يا أمير المؤمنين القائل:

ومتى تخرج العرو سُ فَقَدْ طالَ حَبْسُها

فتسرَّع إليه الحَرَس؛ فقال: دعوه، وسأل عنه فاخبر أنه حَكَمٌ الواديّ؛ فوصله وأحسن إليه. لحنُ حَكَم في هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر. وفيه ألحان لغيره، وقد ذُكِرَتْ في أخبار الوليد بن يزيد.

---

(١) علي بن يقطين من وجوه الدعاة للهاشميين، طلبه مروان فهرب، ولد ابن علي بن يقطين بالكوفة سنة اربع عشرين ومائة. وهربت أم علي به وبأخيه عبيد بن يقطين إلى المدينة. عندما استلم العباسيون الحكم ظهرت أم يقطين بأولادها، الذين خدموا الدولة العباسية.

[مع الهادي]

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا ابن مهرويه قال: حَدَّثنا عليّ بن محمد النَّوفلي عن صالح الأضجَم عن حَكَم الواديّ قال: كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسّط وقلّ ترجيعُهُ ولم يبلغ أن يُسْتَخَفَ جداً؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بِدَر وقال: من أطربني فهي له. فَغَنَّاه ابن جامع وإبراهيم الموصليّ والزُّبيرُ بن دحمان فلم يصنعوا شيئاً، وعرفت ما أراد فغنَّيْته لابن سريج:

صـوت

غَـرَّاء كـالـلـيـلـة الـمـبـاركـة الـقـمـراء تَـهْـدي أوائـلَ الـظُّـلَـمِ
أكـنـي بـغـيـر اسـمـهـا وقـد عـلـم الـلَّـه خَـفِـيَّـاتِ كـلِّ مُـكْـتَـتِـمِ
كـأنَّ فـاهـا إذا تُـنُـسِّـم عـن طـيـب مَـشَـمٍّ وحـسـن مُـبْـتَـسَـمِ
يُـسَـنُّ[1] بـالـضَّـرْو[2] مـن بَـراقِـشَ[3] أو هَـيـلانَ[4] أو يـانـعٍ مـن الـعُـتُـمِ[5]

[المنسرح]

ـ الشعر في هذا الغناء للنابغة الجعديّ؛ والصنعة لابن سُرَيج رمل بالبنصر ـ فَوَثَبَ عن فراشه طرباً وقال: أحسنْتَ أحسَنْتَ واللَّه! اسقُوني فَسُقِي. ووثقت بأن البدَرَ لي، فَقُمْتُ فجلست عليها. فأحسن ابنُ جامع المَحْضَر وقال: أحسن واللَّه كما قال أمير المؤمنين، وإنه لَمُحْسِن مُجْمِل. فلما سَكَنَ أمر الفَرَّاشين بحملها معي. فقلت لابن جامع: مثلك يفعل ما فعلت في شرفك ونَسَبِك! فإن رأيت أن تشرِّفني بقبول إحداها فَعَلْتَ. فقال: لا واللَّه لا فَعَلْتُ، واللَّه لَوَدِدْتُ أن اللَّه زادك، وأسأل اللَّه أن يُهنِّيك ما رزقك. ولحقني الموصليّ فقال: آخُذ يا حَكَم من هذا؟ فَقُلْتُ: لا واللَّه ولا درهماً واحداً لأنك لم تُحْسِنْ المَحْضَر.

[رثاء الدارمي له]

ومات حكمٌ الواديّ من قُرحة أصابته في صدره. فقال الدارِميّ فيه قبل وفاته:

---

(١) يُسن(بالبناء للمجهول): يسوّك.
(٢) الضَّرْوُ: ضربٌ من الشَّجَرِ يُجْعَل وَرَقُه في العِطْر، وبعضهم يكسِرُ الضَّادَ، وجَرَّةٌ ضاريةٌ بالخَلِّ قد ضَرِيَتْ ضَراوةً.
(٣) براقش: واد باليمن شجير.
(٤) هيلان: واد في اليمن.
(٥) العتم: شجر الزيتون.

صـــوت

إنَّ أبـــا يـــحـــيـــى اشـــتـــكـــى عِـــلَّـــةً ... أصـــبـــح مـــنـــهـــا بـــيـــن عُـــوَّادِ
فَـــقُـــلْـــتُ والـــقـــلـــبُ بـــه مُـــوجـــعٌ ... يـــا رَبّ عـــافِ الـــحَـــكَـــم الـــوادي
فَـــرُبّ بـــيـــضٍ قـــادةٍ ســـادةٍ ... كـــأنـــصُـــلٍ سُـــلَّـــت مـــن اغـــمـــادِ
نـــادمَـــهـــم فـــي مـــجـــلـــس لاهـــيـــاً ... فـــأصْـــمَـــتَ الـــمُـــنـــشِـــدَ والـــشّـــادي

[السريع]

غَنَّى فيه حَكَمٌ الوادِيّ هَزَجاً بالبنصر.

صـــوت

من المائة المختارة

أمـــعـــارف الـــدمـــن الـــقـــفـــار تـــوهـــم ... وَلَـــقَـــد مَـــضـــى حَـــول لـــهـــنَّ مُـــجـــرَّم[1]
وَلَـــقَـــد وَقَـــفَـــت عَـــلـــى الـــدِّيـــار لـــعـــلَّـــهـــا ... بِـــجَـــوابِ رَجـــع تَـــحِـــيَّـــة تَـــتَـــكَـــلَّـــم
عَـــن عِـــلـــم مـــا فَـــعـــل الـــخَـــلـــيـــطُ فَـــمـــا درت ... أنّـــي تـــوجـــه بِـــالـــخَـــلـــيـــطِ الـــمـــوســـم
وَلَـــقَـــد عَـــهِـــدت بِـــهـــا ســـعـــاد وَإِنَّـــهـــا ... بِـــالـــلَّـــهِ جـــاهِـــدَة الـــيَـــمـــيـــن تـــقـــســـم
إِنّـــي لأوجَـــهُ مـــن تـــكـــلَّـــم عِـــنـــدَهـــا ... بـــأَلِـــيَّـــةٍ وَمـــخـــالـــف مـــن يَـــزعُـــم
فَـــلـــهـــا لَـــدَيـــنـــا بِـــالَّـــذي بَـــذَلـــت لَـــنـــا ... وُد يَـــطـــولُ لَـــهُ الـــعَـــنـــاء وَيَـــعـــظُـــمُ

[الكامل]

عروضه من الكامل. الشعر لنُصيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان. والغناء لابن جامع. له فيه لحنان ذكرهما إسحاق، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ولإبراهيم في البيتين الأولين ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى. ولإسحاق وسياطٍ فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو.

(١) مجرّم: منقطع ومنصرم.

ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد اللَّه بن المُطَّلِب بن أبي وَداعة بن ضُبَيرة بن سُعَيد بن سعد بن سَهم بن عمرو، بن هُصَيص بن كَعب بن لؤي بن غالب. أخبرني الطُّوسي عن الزُّبير بن بكَّار عن عمه مصعب، وأخبرنا محمد بن جَرير الطَّبري قال: حَدَّثنا محمد بن حُمَيد عن سلمة عن ابن إسحاق قالا جميعاً: مات ضُبَيرة السَّهميّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لحيته شَيب. فقال بعض شعراء قريش يرثيه:

حُجَّاج بيت اللَّه إنَّ ضُبيرة السَّهْميّ ماتَا
سبَقَت منيَّتُهُ المشيبَ وكان مِيتتُهُ افتلاتا
فتزوَّدوا لا تَهلِكوا من دون أهلكم خُفاتا[1]

[مجزوء الكامل]

قال: وأُسِرَ أبو وداعة كافراً يوم بَدر فَفَداه ابنُهُ المُطَّلِب، وكان المُطَّلِب رجلَ صدق. وقد روى عن النّبيّ ﷺ الحديث. ويُكنى ابنُ جامع أبا القاسم. وأمه امرأة من بني سَهم وتزوَّجَت بعد أبيه رَجُلاً من أهل اليمن. فَذَكَر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات عن حمَّاد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عَون حاجب معن بن زائدة قال: رأيْتُ أمّ ابن جامع وابنُ جامع معها عند مَعْن بن زائدة وهو ضعيف يَتْبَعُها ويَطَأُ ذيلَها وكانت من قريش، ومَعْن يومئذ على اليمن. فقالت: أصلَحَ الأميرَ، إنَّ عمِّي زَوَّجني زوجاً ليس بِكُفء فَفَرِّق بيني وبينه. قال: من هو؟ قالت: ابنُ ذي مناجب. قال: عليَّ به. قال: فدخل أقبح مَنْ خلق اللَّه وأشوهه خلقاً. قال: من هذه مِنْكَ؟ قال: امرأتي. قال: خَلِّ سبيلها، فَفَعَلَ. فأطرق مَعْنٌ ساعةً ثم رفع رأسه فقال:

لَعمْرِي لَقَد أصبحتَ غَيْرَ مُحَبَّبٍ ولا حَسَنٍ في عينها ذا مناجبِ
فما لِمْتُها لمَّا تبيَّنْتُ وجهَه وعيناً له حَوْصاءَ من تحت حاجبِ
وأنفاً كأنف البَكْر يقطُرُ دائباً على لحية عَصْلاءَ[2] شابَتْ وشارِبِ

(١) خفت الرجل خفاتاً: مات فجأة. (٢) عصلاء: معوجة.

أتيْتَ بها مثلَ المهاة تسوقها[١] فيا حُسْن مجلوب ويا قُبْح جالبِ
[الطويل]

وأمر لها بمائتي دينار وقال لها: تجهَّزي بها إلى بلادك.

[سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصلي]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني حَمَّاد عن أبيه: أنَّ الرشيد سأل ابنَ جامع يوماً عن نسبه وقال له: أيُّ بَني الإنس وَلَدَك يا إسماعيل؟ قال: لا أدري، ولكن سَلِ ابن أخي (يعني إسحاق) ـ وكان يُماظُّ[٢] إبراهيم الموصليّ ويميلُ إلى ابنه إسحاق ـ قال إسحاق: ثم التفت إليَّ ابنُ جامع فقال: أخبره يابْنَ أخي بنسب عمك. فقال له الرشيد: قَبَّحَكَ اللَّه شيخاً من قريش! تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم!

[ورعه وتقواه]

قال هارون: حَدَّثني عبد اللَّه بن عمرو قال: حَدَّثني أبو هشام محمد بن عبد الملك المخزوميّ قال: أخبرني محمد بن عبد اللَّه بن أبي فَرْوَة بن أبي قُراد المخزوميّ قال: كان ابن جامع من أحفظ خَلْقِ اللَّه لكتاب اللَّه وأعلمه بما يحتاج إليه، كان يَخْرُجُ من منزلِهِ مع الفجر يوم الجمعة فَيُصَلي الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تطلع الشمس، ولا يُصَلّي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم يَنْصَرِفُ إلى منزلِهِ.

قال هارون وَحَدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ قال: حَدَّثني صالح بن عليّ بن عطيَّة وغيرُهُ من رجال أهل العسكر قالوا:

[محاورته لأبي يوسف الفقيه]

قَدِمَ ابنُ جامع قَدْمةً له من مكة على الرشيد، وكان ابنُ جامع حَسَنَ السَّمْتِ كثيرَ الصلاة قد أخذَ السجودُ جَبْهَتَه، وكان يَعْتَمُّ بعمامَةٍ سوداء على قَلَنْسُوة طويلة، ويَلْبَسُ لِباسَ الفُقَهاء، ويركب حماراً مِرِّيسيًّا[٣] في زيِّ أهل الحجاز. فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذنَ عليه، فَوَقَفَ على ما كان يَقِفُ الناسُ عليه في القديم حتى يأذَن لهم أو يَصْرفَهم، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابِهِ أهلِ القلانس[٤]؛ فلما

(١) ورد في بعض المصادر «تسومها» بدل «تسوقها».
(٢) يماظ: يشاور وينازع.
(٣) مريس: نسبة إلى مريسة وهي قرية في مصر من ناحية الصعيد.
(٤) أصحاب القلانس: الذين يلبسون القلنسوة.

هجم على الباب نَظَرَ إلى رجل يَقِفُ إلى جانبِهِ ويحادثه، فوقعت عينه على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته، فَجَاءَ فَوَقَفَ إلى جانبه ثم قال له: أمْتع اللَّه بك، توسَّمْتُ فيك الحِجازِّية والقُرَشِيَّة؛ قال: أصَبْتَ. قال: فمن أيِّ قريش أنت؟ قال: من بني سَهم. قال: فأيُّ الحرمين منزلُكَ؟ قال: مكة. قال: ومن لَقِيتَ من فقهائهم؟ قال: سَلْ عَمَّنْ شِئْتَ. ففاتحه الفقهَ والحديثَ فَوَجَدَ عنده ما أحبّ فَأُعْجِبَ به. ونظر الناسُ إليهما فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المُغنِّي، وأبو يوسف لا يعلم أنَّه ابنُ جامع. فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه! ثم قالوا: لا، لَعَلَّه لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم، فلِمَ نَغُمُّه. فلما كان الإذنُ الثاني ليحيى غَدا عليه الناسُ وغدا عليه أبو يوسف، فَنَظَرَ يطلب ابنَ جامع فرآه، فذهب فوقف إلى جانبِهِ فحادثه طويلاً كما فعل في المرَّةِ الأولى. فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه: أيها القاضي، أتعرف هذا الذي تُواقِف وتحادث؟ قال: نعم، رجلٌ من قريش من أهل مكة من الفقهاء. قالوا: هذا ابن جامع المُغَنِّي؛ قال: إنا للَّه!. قالوا: إنَّ الناس قد شَهَروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك. فلما كان الإذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكَّبهُ، وعَرَفَ ابنُ جامع أنه قد أُنْذِر به، فجاء فوقف فَسَلَّمَ عليه، فردَّ السلامَ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه. فدنا منه ابن جامع، وعرف الناسُ القصة، وكان ابن جامع جَهيراً فرفع صوته ثم قال: يا أبا يوسف، ما لك تَنْحَرِفُ عَنِّي؟ أيَّ شيء أنكرت؟ قالوا لك: إنِّي ابنُ جامع المُغنِّي فكرهت مواقفتي لك! أسألُكَ عن مسألة ثم اصنع ما شِئْتَ؛ ومال الناس فأقبلوا نحوهما يستمعون. فقال: يا أبا يوسف، لو أنَّ أعرابيًّا جِلْفاً وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغِلْظَة من لسانِهِ وقال:

يـا دار مَـيَّـة بـالـعَـلْـيـاءِ فـالـسَّـنَـدِ أقـوَتْ وطـالَ عـلـيـهـا سـالِـفُ الأبـدِ

[البسيط]

أكُنْتَ ترى بذلك بأساً؟ قال: لا، قد رُوِيَ عن النّبيّ ﷺ في الشعر قولٌ، ورُوِيَ في الحديث. قال ابن جامع: فإنْ قُلْتُ أنا هكذا، ثم اندفع يتغنَّى فيه حتى أتى عليه؛ ثم قال: يا أبا يوسف، رأيتني زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه؟ قال: عافاك اللَّه، أعفِنا من ذلك. قال: يا أبا يوسف، أنت صاحب فُتْيا، ما زِدته على أن حسَّنْتُهُ بألفاظي فحسُن في السماع ووصل إلى القلب. ثم تنحَّى عنه ابن جامع.

قال: وحدَّثني عبد اللَّه بن شبيب قال: حَدَّثني إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفيان ابن عُيينة، ومَرَّ به ابنُ جامع يسحَبُ الخَزَّ، فقال لبعض أصحابه: بلغني أنَّ هذا القرشيّ أصاب مالاً من بعض الخلفاء، فبأيّ شيء أصابه؟ قالوا:

بالغناء. قال: فمن منكم يذكر بعض ذلك؟ فأنشد بعضُ أصحابه ما يغنَّى فيه:

وأصحب بالليلِ أهلَ الطَّواف وأرفع من مِئْزَري المُسْبَلِ
[المتقارب]

قال: أحسنَ، هيه! قال:

وأسجدُ بالليل حتى الصباح وأتلو مِنَ المُحْكَم المُنْزَلِ
[المتقارب]

قال: أحسن، هيه! قال:

عَسى فارجُ الكرب عن يوسفٍ يُسَخِّر لي رَبَّة المَحْمِلِ
[المتقارب]

قال: أمَّا هذا فَدَعْه.

وَحَدَّثني محمد بن الحسن العَتَّابيّ قال: حَدَّثني جعفر بن محمد الكاتب قال: حَدَّثني طَيِّب بن عبد الرحمن قال: كان ابنُ جامع يُعِدّ صيحةَ الصوت قبل أن يصنعَ عمود اللحن.

[حبه القمار والكلاب]

وَحَدَّث محمد بن الحسن قال: حَدَّثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سَلَم عن أخيه أبي معاوية بن عبد الرحمن قال: قال لي ابن جامع: لولا أنَّ القمار وحبَّ الكلاب قد شغلاني لَتَرَكْتُ المُغنِّين لا يأكلون الخبز.

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذبه قال: أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال: ما اسمه؟ فقال: لا أدري، فدعا بدفتر فيه أسماء الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب.

[لحن من الجن]

قال هارون بن محمد حَدَّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ قال: حَدَّثني محمد بن أحمد المكيّ قال حدَّثتني حَولاء مولاةُ ابن جامع قالت: انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال: عليَّ بهشام (يعني ابنه) ادعوه لي عَجِّلوه، فجاء مسرعاً. فقال: أيْ بُنيّ، خذ العودَ، فإنَّ رَجلاً من الجنِّ ألقى عليَّ في قائلتي صوتاً فأخاف أن أنساه. فأخذ هشام العود وتَغَنَّى ابنُ جامع عليه رملاً لم أسمع له رملاً أحسن منه، وهو:

صـوت

أَمْـسَـتْ رسُـوم الـديـار غـيّـرهـا هـوجُ الـرِّيـاح الـزَّعـازِع الـعُـصُـفِ
وكـلُّ حَـنَّـانـة لـهـا زَجَـلٌ مـثـلُ حَـنـيـن الـرَّوائـم الـشُّـغُـفِ
[المنسرح]

فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغنَّاه وينسُبُهُ إلى الجن. وفي هذا الصوت للهُذَليّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، وقيل: إن هذا اللحن لِعَبادِلَ. وفيه لابن جامع الرمل المذكور.

[عند الرشيد]

قال هارون وحدَّثني أحمد بن بِشر بن عبد الوهاب قال: حَدَّثني محمد بن موسى بن فُلَيح الخُزاعيّ قال: حَدَّثنا أبو محمد عبد اللَّه بن محمد المكيّ قال: قال لي ابن جامع: أَخَذْتُ من هارون ببيتين غَنَّيْتُهُ بهما عشرةَ آلاف دينار:

لا بـدَّ لـلـعـاشـق مـن وَقـفـةٍ تـكـون[1] بـيـن الـوَصْـل والـصَّـرْم
يَـعْـتِـب أحـيـانـاً وفـي عَـتْـبِـهِ إظـهـارُ[2] مـا يُـخـفـي مـن الـسُّـقْـم
إشـفـاقُـه داعٍ إلـى ظَـنِّـه وظـنُّـهُ داعٍ إلـى الـظّـلْـم
حـتـى إذا مـا مَـضَّـه هـجـره[3] راجـع مَـنْ يـهـوَى عـلـى رَغْـم
[السريع]

ـ هكذا رُوِّيتُهُ: الشعر للعبَّاس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى. وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسليم. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوَّلُ بالوسطى ـ قال: ثم قال لي ابنُ جامع: فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئاً!

وقال هارون حَدَّثني أحمد بن زُهير قال: حَدَّثني مُصْعب بن عبد اللَّه قال: خرج ابن أبي عمرو الغِفَاريّ وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرهما من القرشيِّين

---

(١) ورد في الديوان «يكون» بدل «تكون».
(٢) ورد العجز في الديوان:
يـهـيـج مـا يـخـفـي مـن الـسـقـم
(٣) ورد في الديوان «شوقه» بدل «هجره».

عُمَّاراً[١] يريدون مكة؛ فلما كانوا بفخّ[٢] نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها. قال: فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوتَ غناء، فقلنا: لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم! فأتيناهم، فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنّون وعندهم فَضِيخ[٣] لهم يشربون منه؛ فقالوا: تقدَّموا يا فتيان، فتقدَّم ابنُ أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسهم، فجلسنا نشرب؛ وطَرِب ابن أبي قباحة فغنَّى. فقال ابن جامع: وابأبي وأمّي! ابنُ أبي قباحة وإلا فهو ابن الفاعلة. فقام ابن أبي عمرو فأخرج من وسطه هِميانا[٤] فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة فغنَّى. فقال ابن جامع: امضوا بنا إلى المنزل، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك.

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حَدَّثني عليّ بن سليمان عن محمد بن أحمد النَّوفليّ عن جارية ابن جامع الحولاء قال: ـ وكانت تَتَبنَّاني ـ فَتَغَنَّت يوماً وطَرِبَتْ وقالت: يا بُنيّ، ألا أغَنِّيك هزجاً لسيِّدي في عَشيقِة له سوداء؟ قلت: بلى. فتغنَّت هزجاً ما سَمِعْتُ أحسنَ منه، وهو:

صـــوت

أشـبَـهـكِ الـمـسـكُ وأشـبـهـتِـهِ قـائـمـةً فـي لـونِـهِ قـاعـدَه
لا شـكّ إذ لـونُـكـمـا واحـدٌ أنَّـكـمـا مـن طـيـنـةٍ واحـدَه

[السريع]

وقد رُوِيَ هذا الشعر لأبي حَفْص[٥] الشِّطْرَنجيّ يقوله في دنَانيرَ مولاة البرامكة. ونُسِبَ هذا الهَزَج إلى إبراهيم وابن جامع وغيرهما.

---

(١) عماراً: زوّراً، من العمرة، وهي الطواف بالبيت وبالسعي بين الصفا والمروة، وهي تكون في السنة كلها.

(٢) فخ: واد بمكة.

(٣) فلان يشرب الفضيخ وهو نبيذ يتّخذ من البسر المفضوخ، وافتضخ البسر: انتبذه. وتقول: لا تفتضخ لا تفتضح.

(٤) قال الليث: الهِمْيَان: التِّكَّة، وقيل للمِنْطَقة: هِمْيان ويقال للذي تُجعل فيه النفقة، ويشدّ على الوَسَط: هِمْيان. والهِمْيان دَخيل معرَّب.

(٥) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس. وكان أبوه من موالي المنصور فيما يُقالُ، وكان اسمه اسماً أعجمياً، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غيره وسماه عبد العزيز. وكان أبو حفص لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به.

[ابن جامع في رأي ناقد]

قال عبد اللَّه بن عمرو: حدَّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزُّهريّ قال: حَدَّثني محمد بن جعفر بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ وكان يُلقَّب الأبْلَه ـ قال: قال بَرْصوما الزَّامر، وذكر إبراهيمَ الموصليَّ وابنَ جامع، فقال: الموصليّ بستانٌ تَجِدُ فيه الحُلو والحامضَ وطريًّا لم ينضَج، فتأكل منه من ذا وذا. وابن جامع زِقُّ عسلٍ، إن فتحت فمه خرج عسل حلو، وإن خَرَقْتَ جَنْبه خرج عسلٌ حلو، وإن فتحْتَ يَدَه خرج عسل حلو، كلُّه جيِّد.

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه وحَمَّاد عن إبراهيم بن المهدي[1] ـ وكان إبراهيم يُفَضِّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحداً، وابن جامع يميل إليه ـ قال: كُنَّا في مجلس الرشيد وقد غَلَبَ على ابن جامع النّبيذُ، فغنَّى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفَتَ إليَّ إبراهيمُ الموصليّ فقال: قد خَرِيَ فيه؛ وفَهِمْتُ صِدْقه قال: فقلت لابن جامع: يا أبا القاسم، أعِدِ الصوت وتحفَّظ فيه؛ فانتبه وأعاده فأصاب. فقال إبراهيم:

أُعَـلِّـمُـهُ الـرِّمـايَـةِ كُـلَّ يَـومٍ فَـلَـمّـا اشـتَـدَّ سـاعِـدُهُ رَمـانـي[2]

[الوافر]

وتنكَّر لي لِمَيْلي مع ابن جامع عليه. فَقُلْتُ للرَّشيد بعد أيام: إنَّ لي حاجة إليك. قال: وما هي؟ قُلْتُ: تسألُ إبراهيمَ الموصليّ أن يَرضى عَنِّي ويعودَ إلى ما كان عليه. فقال: إنَّما هو عبدُك، وقال له: قم إليه فَقَبِّلْ رأسَهُ. فَقُلْتُ: لا ينفعني رِضاه في الظاهر دون الباطن، فَسَلْهُ أن يُصحِّح الرّضا. فقام إليَّ لِيُقَبِّلَ رأسي كما أُمِر، فقال لي وقد أكبّ عليّ لِيُقَبِّلَ رأسي: أتعود؟ قُلْتُ لا. قال: قد رَضِيْتُ عنك رِضاً صحيحاً. وعاد إلى ما كان عليه.

وقال حمَّاد عن أبي يحيى العِباديّ قال: قَدِمَ حوراءُ غلام حَمَّاد الشَّعرانيّ وكان

---

(١) لم يرد في كتب التراجم أن إبراهيم بن المهدي أعقب ولداً اسمه إبراهيم أو حمَّاد.

(٢) ينسب البيت لعدد من الشعراء، ولعلّه لمعن بن أوس المزني، وهو شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة، رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره في أواخر أيامه، وكان يتردد إلى عبد اللَّه بن عباس وعبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب فيبالغان في إكرامه. له أخبار مع عمر بن الخطاب (رضي اللَّه عنه)، وكان معاوية يفضله ويقول: أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس، توفي سنة ٦٤هـ في المدينة.

أحدَ المُغَنِّين المُجيدين قال: حَدَّثني بعض أصحابنا قال: كُنَّا في دار أمير المؤمنين الرَّشيد فصاح بالمُغَنِّين: من فيكم يعرف:

وَكَعبَةُ نَجرانَ[١] حَتمٌ عَلَيكِ حَتّى تُناخي بِأَبوابِها

[المتقارب]

ـ الشعر للأعشى ـ فبدرهم إبراهيمُ الموصليّ فقال: أنا أغنِّيه، وغنَّاه فجاء بشيءٍ عجيبٍ. فَغَضِبَ ابنُ جامع وقال لِزَلزَل: دَعْ العودَ، أنا من جِحاش وَجْرةَ[٢] لا أحتاج إلى بيطار؛ ثم غَنَّى الصوتَ؛ فَصَاحَ إليه مسرورٌ[٣]: أحسَنْتَ يا أبا القاسم! ثلاث مرات.

نسبة هذا الصوت

صوت

وَكَعبَةُ نَجرانَ[٤] حَتمٌ عَلَيكِ حَتّى تُناخي بِأَبوابِها

[المتقارب]

نَزورُ يَزيدَ وَعَبدَ المَسيحِ وَقَيساً هُمُ خَيرُ أَربابِها
وَشاهِدُنا الجُلّ[٥] وَالياسَمينُ وَالمُسمِعاتُ بِقُصّابِها[٦]
وبَرْبَطُنا[٧] دائمٌ مُعْمَلٌ فَأَيُّ الثَّلاثَةِ أزرى بِها[٨]
تُنازِعُني إِذ خَلَت بُردَها مُعَطَّرَةً غَيرَ جِلبابِها
فَلَمّا التَقَينا عَلى بابِها وَمَدَّت إِلَيَّ بِأَسبابِها

[المتقارب]

الشعر للأعشى أعشى بني قَيْس بن ثَعلبة. وهؤلاء الذين ذكرهم أساقِفَةُ نجران،

---

(١) نجران: موضع في مخاليف اليمن من ناحية مكة.
(٢) وجرة: اسم موضع بين مكة والبصرة، ليس فيها منازل، فهي مهرب للوحش.
(٣) هو أبو هاشم خادم الرشيد، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولى له قتل جعفر بن يحيى البرمكي.
(٤) نجران: موضع في مخاليف اليمن من ناحية مكة.
(٥) ورد في بعض المصادر «الورد» بدل «الجلّ». والجلّ هو الورد بألوانه المتعددة، واحده جلة.
(٦) نفخ في القصّابة: في المزمار، ورأيت القصّاب، ينفخون في القصّاب؛ أي الزمّارين ينفخون في المزامير جمع: قاصبٍ.
(٧) البربط: العود.
(٨) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

وَمِزهَرُنا مُعمَلٌ دائِمٌ فَأَيُّ الثَّلاثَةِ أزرى بِها

وكان يزورهم ويمدحهم، ويمدحُ العاقب والسيّد، وهما ملكا نجران، ويقيم عندهما ما شاء، يَسقونه الخمرَ ويُسْمِعونه الغناءَ الرُّوميّ، فإذا انصرف أجزَلوا صِلَتَه.

أخبرنا بذلك محمد بن العبَّاس اليزيديّ عن عمِّه عَبيد اللَّه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكر في مواضعها إن شاء اللَّه. والغناء لِحَنين الحِيريّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مَجراها عن إسحاق في الأربعة الأُوَل. وذكر عمرو أنَّه لابن مُحْرِز. وذكر يونُس أنَّ فيها لحناً لمالك ولم يُجَنِّسْه. وذكر الهشاميّ أنَّ في الخامس والسادس ثم الأوَّل والثاني خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكيّ.

وقال حمَّاد عن مصعب بن عبد اللَّه قال: حَدَّثني الطرَّاز وكان بَريدَ الفضل بن الرَّبيع قال: لما مات المهدي ومُلِّك موسى الهادي أعطاني الفضلُ دنانيرَ وقال: الْحَقْ بمكةَ فأْتني بٱبن جامع واحمِلْهُ في قُبَّة ولا تُعَلِمنّ بذا أحداً: فَفَعَلْتُ فأنزلْتُهُ عندي واشترَيْتُ له جاريةً، وكان ابنُ جامع صاحبَ نساء. فذكره موسى ذات ليلة ـ وكان هو والحرّاني[1] منقطعين إلى موسى أيام المهديّ فضربهما المهديّ وطردهما ـ فقال لجلسائه: أما فيكم أحدٌ يُرْسِلُ إلى ابن جامع وقد عَلِمْتُمْ موقعَه مِنِّي! فقال له الفضل بن الربيع: هو واللَّه عندي يا أمير المؤمنين وقد فَعَلْتُ الذي أردتَ. وبعث إليه فَأُتِيَ به في الليل. فَوَصَلَ الفضلَ تلك الليلةَ بعشرة آلاف دينار وولَّاه حِجابتَه. قال إسحاق عن بعض أصحابه: كُنَّا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة: يٱبن جامع، تغنّ ببيت السَّعْديّ[2]:

فلو سَأَلَتْ سَراةَ الحيِّ سَلْمى ... على أن قد تلوَّن بي زَمَاني
لخبَّرها ذوو الأحساب عَنِّي ... وأعدائي فكلٌّ قد بَلاني
بذَبي الذمَّ عن حسبي بمالي ... وزَبُّوناتِ[3] أشوسَ[4] تَيَّحانِ[5]

(١) المقصود إبراهيم الحراني. كان من ندماء الهادي، وقيّماً على خزائن الأموال في أيامِهِ.
(٢) سوار بن المضرب السعدي من سعد بني تميم. وقال البرقي: من سعد بني كلابٍ.
(٣) زبونات: جمع زبونة وهي الكبر.
(٤) الأشْوَسُ: الجَرِيءُ على القِتَالِ، الشَّدِيدُ، والفِعلُ كالفِعْلِ، وقد يكون الشَّوَسُ في الخُلُقِ. والتَّشَاوُسُ: إِظْهَارُ التِّيهِ والنَّخْوَةِ، على ما يَجِيءُ عليه عامَّةُ هذا البِنَاءِ، ويُقَال: بُلِيَ فُلانٌ بشُوسِ الخُطُوبِ، وهو مَجَازٌ.
(٥) قال أبو الهيثم: التَّيِّحان والتَّيَّحان الطويل وقال غيره رجل تيحان يتعرض لكل مكرمة وأمر سديد وقال العجاج:

لقد مُنُوا بِتَيِّحَانٍ ساطى

وقال الآخر:

أقَوِّمُ دَرْءَ خَصْمٍ تَيِّحَانِ

وأنّـــــي لا أزال أخـــــا حُـــــروبٍ إذا لـــم أجـــن كُـــنْـــتُ مِـــجَـــنَّ جـــانـــي

[الوافر]

قال: فحرّك ابنُ جامع رأسه ـ وكان إذا اقترح عليه الخليفةُ شيئاً قد أحسنه وكمله طارَ فَرَحاً ـ فغنَّى به؛ فاربدَّ وجهُ إبراهيم لمَّا سَمِعَهُ منه، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل؛ فقال له صاحبُ الستارة: أحسَنْتَ واللَّه يا أميري! أعِدْ فأعاد؛ فقال: أنت في حَلْبة لا يَلْحَقُكَ أحدٌ فيها أبداً. ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم: تغنَّ بهذا الشعر فتغنَّى؛ فلما فَرَغَ قال: «مَرْعًى ولا كالسَّعدان»! أخطأت في موضع كذا وفي موضع كذا. فقال: نفي إبراهيم من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفاً، وقد علمت أني أغفلت في هذين الموضعين.

قال إبراهيم: فلما انصرفنا قُلْتُ لابن جامع: واللَّه ما أعلم أنَّ أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناءَ معرفة أمير المؤمنين. قال: حقٌّ واللَّه، لهو إنسان يسمع الغناء منذ عشرين سنة مع هذا الذكاء الذي فيه.

قال إسحاق: كان ابن جامع إذا تغنَّى في هذا الشعر:

صـــوت

مَـــنْ كـــان يَـــبـــكـــي لـــمـــا بـــي مـــن طـــول سُـــقـــمٍ رَســـيـــسِ[1]

فـــالآن مـــن قـــبـــل مـــوتـــي لا عِـــطْـــرَ بـــعـــد عَـــروسِ[2]

بَـــنَـــيْـــتُـــمُ فـــي فـــؤادي أوكـــارَ طـــيـــرِ الـــنّـــحـــوس

قـــلـــبـــي فَـــريـــسُ الـــمـــنـــايـــا يـــا ويـــحـــه مـــن فَـــرِيـــس

[المجتث]

ـ الشعرُ لِرَجُل من قريش، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل ـ لم يتغنّ في ذلك المجلس بغيرِهِ. وكان إذا أراد أن يتغنَّى سأل أن يَزْمُرَ عليه بَرْصوما. فلما كَثُر ذلك سألوه فيه فقال: لا واللَّه، ولكنه إذا ابتدأْتُ فَغَنَّيْتُ في الشعر عَرَفَ الغرضَ الذي يصلُح فما يجاوزه، وكُنْتُ معه في راحة؛ وذلك أنَّ المُغنِّي إذا تغنّى بِزَمر زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر؛ فإذا زَمَرَ برصوما فأنا في راحة وهو في تعب،

(١) الرسيس: الثابت الذي قد لزم مكانه.

(٢) هذا مثل شائع، قالته أسماء بنت عبد اللَّه العذرية، وكان اسم زوجها عروس، ومات عنها فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل دميم.

وإذا زَمَر عليَّ غيره فهو في راحة وأنا في تعب. فإن شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلْزَل. فسألوهما عما قال، فقالا: صدق.

قال: وحَدَّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال: سَمِعْتُ مُصْعب بن عبد اللَّه يقول: بلغ المهديّ أنَّ ابنَ جامع والموصليّ يأتيان موسى، فبعث إليهما فجيء بهما، فَضَرَبَ الموصليّ ضَرْباً مُبرَّحاً، وقال له ابن جامع: ارحم أُمِّي! فرقَّ له وقال له: قَبَّحَكَ اللَّه! رجل من قريش يُغَنِّي وطرده. فلما قام موسى[1]، وجَّه الفضلُ خلفه بريداً حتى جاء به؛ فقال له موسى: ما كان ليفعل هذا غيرك.

قال وحدَّثني الزُّبير بن بكَّار قال: قال لي فلفلة: تمنَّى يوماً موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع، فَدَفَعَ إليَّ الفضلُ بن الربيع خمسمائة دينار وقال: امض حتى تَحْمُلَ ابنَ جامع، وبَعَثَ إليه بما يُصْلِحُهُ، فَمَضَيْتُ فَحَمَلْتُهُ. فلما دخلنا أدخله الفضلُ الحمَّامَ وأصلح من شأنه. ودخل على موسى فغنَّاه فلم يُعجبْهُ. فلما خرج قال له الفضلُ: تركت الخفيفَ وغَنَّيتَ الثقيل، قال: فأدخلني عليه أخرى؛ فأدخله فَغَنَّى الخفيف؛ فقال: حاجتك فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار.

قال: وحدَّثني عبد الرحمن بن أيوب قال: حَدَّثنا أبو يحيى العِباديّ قال: حَدَّثني ابن أبي الرجال قال: حَدَّثني زَلْزَل قال: أبطأ إبراهيم الموصليّ عن الرشيد، فأمَرَ مسروراً الخادمَ يسألُ عنه ـ وكان أميرُ المؤمنين قد صَيَّر أمرَ المُغنِّين إليه ـ فقيل له: لم يأتِ بعدُ. ثم جاء في آخر النهار، فقعد بيني وبينَ برصوما، فغنَّى صوتاً له فأطربه وأطرب واللَّه كلَّ من كان في المجلس.

قال: فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال: أما واللَّه يا نَبَطيّ ما أحسن إبراهيمُ وما أحسن غيرُكما. قال: ثم غنَّى فنسينا أنفسنا، واللَّه لكأنَّ العودَ كان في يده.

[جودة إيقاعه]

قال: وحدَّثني عمر بن شبَّة قال: حدَّثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نهيك قال: دعا أبي الرشيدُ يوماً، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى، فأقاما عنده، وأتاهما ابنُ جامع فغنَّاهما يومَهما. فلما كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام جعفر. قال: فدخل عليهم إبراهيم الموصليّ فسأل جعفراً عن يومهم؛ فأخبره وقال له: لم يَزَلْ ابن جامع يُغَنِّينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع ـ وهو في قوله يريد أن يطيّب نفسَ إبراهيم الموصليّ ـ

(١) صار خليفة.

قال: فقال له إبراهيم: أتريد أن تُطيِّب نفسي بما لا تَطِيب به! لا واللَّه، ما ضَرَطَ ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع!

قال وحدَّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني أبي قال: كان سبب عزل العثمانيّ أنَّ ابن جامع سأل الرشيدَ أن يأذنَ له في المُهارشة[١] بالديوك والكلاب ولا يُحَدَّ في النّبيذ، فأذن له وكتب له بذلك كتاباً إلى العثمانيّ فلمَّا وصل الكتاب قال: كَذَبْتَ! أمير المؤمنين لا يُحِلّ ما حَرَّمَ اللَّه، وهذا كتاب مُزَوَّر. واللَّه لئن ثَقِفْتَكَ[٢] على حال من هذه الأحوال لَأؤدِّبَنَّكَ أدبك.

قال: فحذِره ابنُ جامع. ووقع بين العثمانيّ وحمَّاد اليزيديّ، وهو على البريد، ما يقع بين العمال. فلما حَجَّ هارون، قال حمَّاد لابن جامع: أعِنِّي عليه حتى أعزِله؛ قال: أفعل. قال: فابدأ أنت وقل: إنه ظالم فاجر واستشهدني. فقال له ابن جامع: هذا لا يُقبل في العثمانيّ، ويفهم أميرُ المؤمنين كذبنا، ولكنِّي أحتال من جهة ألطفَ من هذه. قال: فسأله هارون ابتداءً فقال له: يأبنَ جامع، كيف أميركم العثمانيّ؟ قال: خيرُ أميرٍ وأعدلُهُ وأفضلُهُ وأقومه بحقّ لولا ضعفٌ في عقله. قال: وما ضعفه؟ قال: قد أفنى الكلاب. قال: وما دعاه إلى إفنائها؟ قال: زعم أنَّ كلباً دنا من عثمان بن عفان يوم أُلقي على الكناس فأكل وجهه، فَغَضِبَ على الكلاب فهو يقتلها. فقال: هذا ضعيف، اعزلوه! فكان سببَ عزله.

قال هارون بن محمد وحدَّثني الحسن بن محمد الغِياثيّ قال: حدَّثني أبي عن القطراني قال: كان ابن جامع بارًّا بوالدته، وكانت مُقِيمةً بالمدينة وبمكة. فدعاه إبراهيم بن المهديّ وأظهر له كِتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نَعْيُ والدته. قال: فَجَزِعَ لذلك جزعاً شديداً، وجعل أصحابُهُ يُعزّونه ويؤنسونه؛ ثم جاؤوا بالطعام فلم يتركوه حتى طَعِم وشرب، وسألوه الغناءَ فامتنع.

فقال له إبراهيم بن المهديّ: إنَّك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذُله لإخوانك فاندفع يُغَنِّي:

صـــوت

كـم بـالـدروب وأرض الـروم مـن قـدم[٣] ومـن جـمـاجـم[٤] صـرعـى مـا بـهـا قـبـروا

(١) الهِراشُ: المُهارَشَةُ بالكلاب، وهو تحريش بعضها على بعض. والتَّهْريشُ: التحريشُ.
(٢) ثقفتك: صادفتك. (٣) القدم: الشجاع والمقدام.
(٤) جماجم القوم: ساداتهم ورؤساؤهم.

بـقُـنْـدُهـار ومـن تـقـدر مـنـيـتـه بـقُـنْـدُهـار[١] يـرجَّـم دونـه الـخـبـرُ

[البسيط]

ـ الشعر ليزيد بن مفرغ الحميري[٢]. والغناء لابن جامع رمل. وفيه لابن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشاميّ ـ قال: وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له. ثم قال: لا واللَّه ما كان ممَّا خبَّرناك شيء إنما مزحنا بك. قال: ثم قال له: رُدّ الصوتَ؛ فغنَّاه فلم يكن من الغناء الأول في شيء. فقال له إبراهيم: خُذْه الآن علي، فأدّاه إبراهيم على السماع الأول. فقال له ابن جامع: أحبّ أن تطرحه أنت على كذا.

[نباهته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابنُ مَهرويه قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حَدَّثني علي بن الحسن الشَّيبانيّ عن أحمد بن يحيى المكيّ قال: كان أبي بين يدي الرشيد وابنُ جامع معه يُغَنِّي بين يدي الرشيد. فَغَنَّاه:

خَـلـيـفـةٌ لا يَـخـيـبُ سـائـلُـهُ عـلـيـه تـاجُ الـوقـار مُـعْـتَـدلُ

[المنسرح]

قال: وغنَّى من يتلوه، وهَوَّم[٣] ابنُ جامع سُكراً ونُعاساً. فلما دار الغناءُ على أصحابه وصارت النوبةُ إليه، حَرَّكَهُ من بجنبه لنوبته فانتبه وهو يُغَنِّي:

اسـلَـمْ وحُـيِّـيـت أيّـهـا الـطَّـلَـلُ وإن عَـفَـتـك الـريـاح والـسَّـبَـلُ

[المنسرح]

ـ قال: وهو يتلو البيت الأول ـ فعجب أهل المجلس من ذكائه وفهمه، وأعجب ذلك الرشيد.

إسْـلَـمْ وحُـيِّـيـت أيّـهـا الـطَّـلَـلُ وإن عَـفَـتـك الـرِّيـاح والـسَّـبَـلُ[٤]

خَـلـيـفـةٌ لا يَـخِـيـب سـائـلُـهُ عـلـيـه تـاجُ الـوقـار مُـعْـتَـدلُ

[المنسرح]

---

(١) قندهار: مدينة كبيرة بالقرب من كابل، وهي من بلاد الأفغان.

(٢) يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري. من أصل يمني من قبيلة يحصب، كانت أسرته في حلف مع قريش. ولد في البصرة، ونشأ بها، كان يعرف العربية والفارسية، بدأ اتصاله بالبلاط نديماً لسعيد بن عثمان بن عفان، وأصبح بعد ذلك من شعراء البلاط. اشتهر بشعره الساخر من عبّاد وعبيد اللَّه بن زياد بن أبيه. وله شعر في المدح والغزل، توفي سنة ٦٩هـ.

(٣) هوّم الرجل: هزَّ رأسه من النعاس، وقيل نام نوماً خفيفاً وقليلاً.

(٤) من المجاز: أسبل المطر: أرسل دفعه وتكاثف كأنما أسبل ستراً.

الشعر لأشجع[١] أو لسلم الخاسر[٢] يَمْدُحُ به موسى الهادي. والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوَّل بالوسطى، من رواية الهشاميّ وأحمد بن يحيى المكيّ. قال هارون وقد حَدَّثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال: حَدَّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال: كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً إذا حَزِنَ صوتُهُ. فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال، فقال للفضل بن الربيع: ابعَثْ خريطةً فيها نعيُ أمّ ابن جامع ـ وكان بارًّا بأمِّه ـ ففعل. فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه، فقال: يأبن جامع، جاء في هذه الخريطة نعيُ أمّك. فاندفع ابن جامع يُغنِّي بتلك الحرقة والحزن الذي في قلبه:

كَمْ بالدّروبِ وأرض السِّند من قَدَم ... ومن جماجم صَرْعَى ما بها قُبِروا
بِقُنْدُهار ومن تكتب مَنِيَّتُهُ ... بِقُنْدُهار يُرَجَّم دونه الخبرُ

[البسيط]

قال: فواللَّه ما ملكنا أنفسنا، ورأيْتُ الغِلمان يضربون برؤوسِهم الحيطانَ والأساطين.

ـ قال هارون: لا أشك أن ابن المكيّ قد حَدَّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب ـ قال: ثم غَنَّى بعد ذلك:

يا صاحب القبر الغريب

ـ وهو لحنٌ قديمٌ. وفيه لحن لابن المكيّ ـ فقال له الرشيد: أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار.

نسبة هذا الصوت الأخير

صوت

يا صاحِبَ القبر الغريبِ ... بالشام في طَرَفِ الكَثيبِ

(١) أشجع بن عمرو السلمي أبو الوليد من بني سليم من قيس عيلان. شاعر فحل، كان معاصراً لبشار، ولد باليمامة ونشأ في البصرة، وانتقل إلى الرقة، واستقر ببغداد. مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد، فأعجب الرشيد به، فأثري وحسنت حاله، وعاش إلى ما بعد وفاة الرشيد ورثاه، توفي سنة ١٩٥هـ.

(٢) سلم بن عمرو بن حماد البصري. شاعر، خليع، ماجن، من أهل البصرة، من الموالي سكن بغداد، له مدائح في المهدي والرشيد العباسيين، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية، وشعره رقيق رصين. قيل سمي الخاسر: لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً، توفي سنة ١٨٦هـ.

بـالـحِـجـر[١] بـيـن صـفـائـح صُـمٍّ تُـرَصَّـف بـالـجـبُـوبِ[٢]
رَصـفـاً ولـحـدٍ مُـمِـكـنٍ تـحـت الـعَـجـاجـة فـي الـقـلـيـبِ
فـإذا ذَكَـرْتُ أنـيـنَـهُ ومـغـيـبَـه تـحـت الـمـغـيـبِ
هـاجَـتْ لـواعِـجُ عَـبـرة فـي الـصـدرِ دائـمـة الـدبـيـبِ
أسـفـاً لِـحُـسْـنِ بـلائـه ولـمـصـرع الـشـيـخ الـغـريـبِ
أقـبَـلْـتُ أطـلـب طِـبَّـه والـمـوتُ يُـعـضِـل[٣] بـالـطـبـيـبِ

[مجزوء الكامل]

الشعر لمكين العُذريّ يرثي أباه، وقيل: إنه لرجل خرج بابنه إلى الشام هَرَباً به من جارية هَويها فمات هناك. والغناء لحكم الوادي، رمل في مجرى البنصر. وقيل: إنَّ الشعر لِسَلَّامة ترثي الوليدَ بن يزيد.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا ابن مَهرويه قال: حَدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حَدَّثني الحسن بن محمد قال: حَدَّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن علي بن عيسى بن ماهان قال: سَمِعْتُ يزيد يحدِّث: أنَّ أمّ جعفر بلغها أنَّ الرشيد جالِسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت إليه:

---

(١) الحجر: حطيم الكعبة وهو المدار بالبيت كأنه حجره مما يلي المَثْعَب. وقيل هو كنصف دائرة مفروش الصحن بالرخام الأبيض، وهو من الركن الشامي إلى الركن الغربي، وله باب مما يلي الركن الشامي، وباب مما يلي الركن الغربي، وذرعه من جدار الكعبة الذي تحت الميزاب إلى جدار الحجر سبعة عشر ذراعاً وثماني أصابع، وذرع ما بين بابيه عشرون ذراعاً، وعرض داخله ثمانية وثلاثون ذراعاً، ومن خارج أربعون ذراعاً. والحجر أيضاً على لفظه بلد ثمود بين الشام والحجاز، وقيل هو من وادي القرى وهو حصين بين الجبال، وبه بيوت منقورة في الحجر، وبها الآن بئر ثمود، ويحيط بالحجر من كل ناحية جبال ورمال لا يكاد أحد يرتقي ذروتها إلا بعد الجهد والمشقة، ومن الحجر إلى تيماء أربع مراحل. والحجر هو المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ واجتاز النبي ﷺ في طريقه إلى تبوك فأمر أصحابه بالإسراع ولا يستقوا من بئرها وقال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا وأنتم باكون» وكان نبيهم صالح عليه السلام، وبيوتهم باقية منحوتة في الجبال ورمتهم باقية وآثارهم بادية، وهم بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي على طريق الحاج إلى الشام، وهم على ناحية تبوك، وكان القوم أصحاب إبل فقال لصالح زعيم من زعمائهم: إن كنت صادقاً فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء ذات عرف وشعر ووبر، فتمخضت كما تتمخض الحامل وانشقت عن الناقة ثم تلاها سقبها في نحو صفتها، الخبر بطوله.

(٢) الجبوب: الطوب المفتت.

(٣) يعضل: يعجز.

يا أمير المؤمنين، إني لم أرك منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع. فأرسل إليها: عندي ابنُ جامع. فأرسلت إليه: أنت تعلم أني لا أتهنَّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تشركني فيه، فما كان عليك أن أشركك في الذي أنت فيه! فأرسل إليها: إنِّي سائرٌ إليكِ الساعةَ. ثم قام وأخذ بيد ابن جامع، وقال لحسين الخادم: امضِ إليها فأعلمها أني قد جئت. وأقبل الرشيد، فلما نَظَرَ إلى الخادم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجَّه إليها: إن معي ابنَ جامع؛ فعدلت إلى بعض المقاصير. وجاء الرشيد وصَيَّرَ ابن جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم. وجاءت أمّ جعفر فَدَخَلَتْ على الرشيد وأهوَتْ لتنكَبَّ على يده؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها واعتنقته. ثم أمر ابنَ جامع أن يُغَنِّي فاندفع فغنَّى:

صـــوت

مـــا رَعَـــدَت رَعـــدَةً وَلا بَـــرَقَـــت ... لَـكِـنَّـهـا أُنـشِـأَت لَـنـا خَـلِـقَـه
ألـمـاءُ يَـجـري عَـلـى نِـظـامٍ لَـهُ ... لَـو يَـجِـدُ الـمـاءُ مَـخـرَقـاً خَـرَقَـه
بِـتـنـا وَبـاتَـت عَـلـى نَـمـارِقِـهـا ... حَـتّـى بَـدا الـصُّـبـحُ عَـيـنُـهـا أَرِقَـه
أَن قـيـلَ إِنَّ الـرَّحـيـلَ بَـعـدَ غَـدٍ ... وَالـدارُ بَـعـدَ الـجَـمـيـعِ مُـفـتَـرِقَـه

[المنسرح]

ـ الشعر لعبيد بن الأبرص[1]. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه، عن إسحاق. وفيه لابن مُحْرز ثقيلٌ أوَّل بالبنصر عن عمرو بن بانة. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنِّسْه. وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشاميّ. ولمخارق في هذه الأبيات رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ. وذكر حبش أن الثقيل الأوَّل للغريض. وذكر الهشاميّ أن لِمُتَيَّم فيها ثاني ثقيل بالوسطى ـ قال: فقالت أُمُّ جعفر للرشيد: ما أحسنَ ما اشتهيت واللَّه يا أمير المؤمنين! ثم قالت لمسلم خادمها: ادفع إلى ابن جامع لِكُلِّ بيت مائةَ ألف درهم. فقال الرشيد: غلبتنا يا بنتَ أبي الفضل[2]

(١) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، أبو زياد، من مضر. شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، وهو أحد أصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر امرأ القيس وله معه مناظرات ومناقضات، وعمّر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه، عام ٢٥ق.هـ.

(٢) المعروف أن أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وأن جعفر اً أباها ولد إبراهيم وزبيدة جعفراً وعيسى وعبيد اللَّه وصالحاً ولبانة.

وسبقتنا إلى برِّ ضيفنا وجليسنا. فلما خرج، حمل إليها مكان كلّ درهم ديناراً.

أخبرنا أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عَمَّار قال: أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال: حَدَّثني محمد بن ضُوين الصَّلْصال التَّيْميّ قال: حَدَّثني إسماعيل بن جامع السَّهميّ قال: ضَمَّنِي الدهر[١] ضمًّا شديداً بمكة، فانتَقَلْتُ منها بعيالي إلى المدينة، فَأَصْبَحْتُ يوماً وما أملك إلا ثلاثةَ دراهم. فهي في كُمِّي إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جَرَّة تريد الرَّكِيّ[٢] تسعى بين يديّ وتُرَنِّم بصوت شَجِيّ تقول:

شَكَوْنا إلى أحبابِنا طولَ ليلنا ... فقالوا لنا: ما أقصرَ الليلَ عِنْدَنا
وذاك لأنَّ النوم يَغشَى عيونَهم ... سِراعاً ولا يغشى لنا النومُ أعْيُنا!
إذا ما دَنا الليلُ المُضِرُّ لذي الهوى ... جَزِعْنا وهم يَسْتَبْشِرون إذا دنا
فلو أنّهم كانوا يلاقون مثلَ مَا ... نُلاقي لكانوا في المضاجع مِثَلنا

[الطويل]

قال: فأخَذَ الغناءُ بِقَلْبِي ولم يَدُرْ لي منه حرف. فَقُلْتُ: يا جارية، ما أدري أوجهُكِ أحسن أم غناؤك؟! فلو شِئْتِ أعدتِ. قالت: حُبًّا وكرامةً. ثم أسنَدَتْ ظهرَها إلى جدار قَرُب منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتها على الأخرى، ووضعت الجرَّة على ساقيها ثم انبعثت تغنيه؛ فواللَّه ما دار لي منه حرف؛ فَقُلْتُ: أحسنتِ! فلو شئتِ أعدتيه مَرَّة أخرى! فَفَطِنَتْ وكَلَحَتْ وقالت: ما أعجب أمرَكم! أحدُكُم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضَّريبة فيشغلها! فَضربْتُ بيدي إلى الثلاثة الدراهم فَدَفَعْتُها إليها، وقُلْتُ: أقيمي بها وَجْهَك اليومَ إلى أن نلتقي. قال: فأخذتها كالكارهة وقالت: أنت الآن تريد أن تأخذ مِنِّي صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألفَ دينار وألفَ دينار. قال: وانبَعَثت تُغَنِّي؛ فأعمَلْتُ فكري في غنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمْتُهُ، وانصرَفْتُ مسروراً إلى منزلي أُردِّده حتى خفَّ على لساني. ثم إنِّي خَرَجْتُ أريدُ بغداد فدخلتها، فنزل بي المكاري على باب مُحوَّل[٣]؛ فبقَيْتُ لا أدري أين أتوجَّه ولا من أقصِد. فَذَهَبْتُ أمشي مع الناس، حتى أتيْتُ الجسرَ فعبَرْتُ معهم، ثم انتَهَيْتُ إلى شارع المدينة، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً؛ فَقُلْتُ: مسجد قوم سَراة؛ فدخلْتُهُ، وحَضَرْت صلاةَ المغرب وأقمت بمكاني حتى صلَّيْتُ العشاء الآخرة على جُوْعٍ وتعب.

(١) ضمني الدهر: ضغطني واشتد عليّ من شدة الفقر والحاجة.
(٢) الرّكيّة: بئر تحفر، فإذا قلت: الرَّكِيّ فقد جمعت، وإذا قصدت إلى جمع الرَّكيّة قلت: الرّكايا.
(٣) باب محول: محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكراخ.

وانصرف أهل المسجد وبَقِيَ رجل يصلي، خلفه جماعة خدم وَخَوَل ينتظرون فراغَهُ؛ فَصَلَّى مليًّا ثم انصرف؛ فرآني فقال: أحسبك غريباً؟ قُلْتُ: أجل. قال: فمتى كُنْتَ في هذه المدينة؟ قلت: دخلتها آنفاً، وليس لي بها منزل ولا معرفة، وليست صناعتي من الصنائع التي يُمتّ بها إلى أهل الخير. قال: وما صناعتك؟ قلت: أتغنّى. قال: فَوَثَبَ مبادراً وَوكَلَ بي بعضَ من معه. فسألْتُ الموكَّل بي عنه فقال: هذا سَلَّام الأبرش[١]. قال: وإذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة، وجاوز بي مقصورةً إلى مقصورة، ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز؛ ودعا بطعام فَأُتيتُ بمائدة عليها من طعام الملوك، فَأَكَلْتُ حتى امتَلأْتُ. فإني لكذلك إذ سمعت رَكْضاً في الدهليز وقائلاً يقول: أين الرجل؟ قيل: هو هذا. قال: ادعوا له بغسول[٢] وخِلعة وطيب، فَفُعِلَ ذلك بي. فَحُمِلْتُ على دابَّة إلى دار الخلافة ـ وعَرَفْتُها بالحرس والتكبير والنيران ـ فجاوزتُ مقاصيرَ عدَّة، حتى صِرْتُ إلى دارٍ قوراء[٣] فيها أسِرَّة في وسطِها قد أُضِيف بعضها إلى بعض. فأمرني الرجل بالصعود فَصَعِدتُ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار في حجرهنّ العيدان، وفي حجر الرجل عود. فَرَّحَبَ الرجل بي، وإذا مجالسُ حِياله كان فيها قوم قد قاموا عنها. فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال لِلْرَّجُلِ: تَغَنَّ، فانبعث يُغَنِّي بصوت لي وهو:

لم تَمْشِ مِيلاً ولم تركب على قَتَبِ ... ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ[٤]
تمشي الهُوَينى كأنَّ الريحَ تَرجِعها ... مَشيَ اليعَافير[٥] في جيآتها الوَهَلُ[٦]

[البسيط]

فغنَّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودَساتينَ[٧] مختلفة. ثم عاد الخادم إلى الجارية

---

(١) سلام الأبرش من خدم المنصور، تولى المظالم للمهدي وعاصر الهادي والرشيد.
(٢) الغَسُول: الماء الذي يُغْتَسل به، وكذلك المُغتَسَل. وفي التنزيل العزيز: هذا مُغْتَسَل باردٌ وشراب؛ والمُغْتَسل: الموضع الذي يُغْتَسل فيه، وتصغيره مُغَيْسِل، والجمع المَغاسِلُ والمَغاسيل. وفي الحديث: وضعت له غُسْلَه من الجنابة. قال ابن الأَثير: الغُسْلُ، بالضم، الماء القليل الذي يُغْتَسل به كالأُكُل لما يؤكل، وهو الاسم أَيضاً من غَسَلْته.
(٣) الدار القوراء: الدار الواسعة.
(٤) الكِلَل، وهي الصَّوامِعُ والقِبابُ التي تُبنى على القُبور. وقيل: هو ضَرْبُ الكِلَّةِ عليها، وهي سِتْرٌ مُرَبَّعٌ يُضرَبُ على القبور.
(٥) اليعافير: تيوس الظباء.
(٦) الوهل: الفزع.
(٧) الدساتين واحدها دستان، وهي الرباطات التي توضع الأصابع عليها.

التي تلي الرجل فقال لها: تَغنَّي، فَغَنَّت أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسنَ حالاً من الرجل، وهو قوله:

يـا دار أضـحـت خـلاءً لا أنـيـسَ بِـهَـا إلّا الـظـبـاء وإلّا الـنَّـاشـط[1] الـفـردُ
أيـن الّـذيـن إذا مـا زُرْتُـهـم جَـذِلـوا وطـار عـن قـلـبـيَ الـتَّـشْـواق والـكَـمَـدُ

[البسيط]

ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تَغَنَّتْ بِهِ، ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبَعَثَتْ تُغَنِّي بصوت لحكم الواديّ وهو:

فـوالـلّـه مـا أدري أيَـغْـلِـبـنـي الـهـوَى إذا جَـدَّ وَشْـكُ الـبَـيْـن أم أنـا غـالـبُـهْ
فـإن أسـتـطـع أغـلِـبْ وإن يُـغْـلـبَ الـهـوى فـمـثـلُ الـذي لاقـيـتُ يُـغـلـب صـاحـبُـهْ

[الطويل]

قال: ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فَغَنَّتْ بصوت لحنين وهو قوله:

مَـرَرْنـا عـلـى قَـيـسـيَّـة عـامـرَّيـة لـهـا بَـشَـرٌ صـافـي الأديـم هِـجـانِ[2]
فَـقَـالَـتْ وألـقَـتْ جـانـبَ الـسِّـتـر دونـهـا مِـنَ آيـة أرضٍ أو مَـنِ الـرجـلانِ
فَـقُـلْـتُ لـهـا أمَّـا تـمـيـم فَـأُسـرتـي هُـديـتِ وأمـا صـاحـبـي فَـيَـمـانِ
رفـيـقـان ضَـمَّ الـسّـفـرُ بـيـنـي وبـيـنـه وقـد يَـلـتـقـي الـشـتّـى فـيـأتـلـفـانِ

[الطويل]

ثم عاد إلى الرجل فَغَنَّى صوتاً فَشَبَّه فيه. والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله:

أَمـسـى بِـأَسـمـاءَ هَـذا الـقَـلـبُ مَـعـمـودا إذا أَقـولُ صَـحـا يَـعـتـادُهُ عـيـدا
كَـأَنَّ أَحـوَرَ مِـن غِـزلانِ ذي بَـقَـرٍ[3] أَهـدى لَـهـا شَـبَـهَ الـعَـيـنَـيـنِ وَالـجـيـدا
بِـمُـشـرِقٍ كـشُـعـاع الـشـمـس بـهـجـتـه ومُـسـبـكِـرٍّ عـلـى لـبَّـاتـهـا سـودا[4]

[البسيط]

ثم عاد إلى الجارية فتغنَّت بصوت لحكم الواديّ:

تُـعَـيِّـرُنـا أَنّـا قَـلـيـلٌ عَـديـدُنـا فَـقُـلـتُ لَـهـا إِنَّ الـكِـرامَ قَـلـيـلُ

(١) الناشط: الثور الوحشيّ وكذلك الحمار الوحشيّ.
(٢) الهجان: الأبيض الناصع الخالص من كلّ شيء.
(٣) ذو بكر: واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة وقرية في ديار بني أسد.
(٤) ورد البيت على الشكل التالي:
أَمسى بِأَسماءَ هَذا القَلبُ مَعمودا إِذا أَقولُ صَحا يَعتادُهُ عيدا

وَمـا ضَـرَّنـا أَنّـا قَـلـيـلٌ وَجـارُنـا عَـزيـزٌ وَجـارُ الأَكـثَـريـنَ ذَلـيـلُ
وَإِنّـا لَـقَـومٌ لا نَـرى الـقَـتـلَ سُـبَّـةً إِذا مـا رَأَتـهُ عـامِـرٌ وَسَـلـولُ
يُـقَـرِّبُ حُـبُّ الـمَـوتِ آجـالَـنـا لَـنـا وَتَـكـرَهُـهُ آجـالُـهُـم فَـتَـطـولُ(١)

[الطويل]

وتغنَّت الثانية:

وَدِدْتُـكِ لـمـا كـان وُدُّكِ خـالـصـاً وأعـرضْـتُ لـمـا صِـرتِ نـهـبـاً مُـقَـسَّـمـا
ولا يَـلْـبـثُ الـحـوضُ الـجـديـدُ بـنـاؤه إذا كَـثُـر الـوُرَّاد أن يـتـهـدَّمـا

[الطويل]

وتغنت الثالثة بشعر الخنساء:

وَمـا كَـرَّ إِلّا كـانَ أَوَّلَ طـاعِـنٍ وَلا أَبـصَـرَتـهُ الـخَـيـلُ إِلّا اقـشَـعَـرَّتِ
فَـيُـدرِكُ ثَـأراً ثُـمَّ لَـم يُـخـطِـهِ الـغِـنـى فَـمِـثـلُ أَخـي يَـومـاً بِـهِ الـعَـيـنُ قَـرَّتِ
فَـلَـسـتُ أُرَزّا بَـعـدَهُ بِـرَزِيَّـةٍ فَـأَذكُـرَهُ إِلّا سَـلَـت وَتَـجَـلَّـتِ

[الطويل]

وغنَّى الرجل في الدور الثالث:

لَـحَـى الـلَّـه صُـعـلـوكـاً مُـنـاه وهـمّـه مـن الـدهـر أن يـلـقـى لَـبُـوسـا ومَـطـعـمـا
يـنـامُ الـضـحـى حـتـى إذا لـيـلُـهُ انـتـهـى(٢) تَـنَـبَّـهَ مـثـلـوجَ(٣) الـفـؤاد مُـوَرّمـا(٤)
ولـكـنَّ صـعـلـوكـاً يـسـاور هـمَّـه ويـمـضـي عـلـى الـهـيـجـاء لـيـثـاً مُـقَـدَّمـا
فـذلـك إن يَـلْـقَ الـكـريـهـة يَـلْـقَـهـا كـريـمـاً وإن يـسـتـغـن يـومـاً فـربّـمـا

[الطويل]

قال: وتَغَنَّتْ الجارية:

إذا كُـنْـتَ رَبًّـا لـلـقـلـوص فـلا يَـكُـنْ رفـيـقُـك يـمـشـي خَـلْـفَـهـا غـيـرَ راكـبِ
أَنِـخْـهـا فـأردفـه فـإن حـمـلـتـكـمـا فـذاك وإن كـان الـعِـقـابُ فـعـاقِـبِ

[الطويل]

قال: وتغنَّت الجارية بشعر عمرو بن معد يكرب(٥):

ألـم تَـر لـمَّـا ضـمّـنـي الـبَـلَـدُ الـقَـفـرُ سـمـعـتُ نـداءً يـصـدعُ الـقـلـبَ يـا عـمـرُو

(١) الشعر للسموأل.
(٢) ورد في بعض المصادر «استوى» بدل «انتهى».
(٣) ورد في بعض المصادر «مسلوب» بدل «مثلوج».
(٤) مورم: منتفخ بادن لعدم ما يشغله من شؤون الحياة.
(٥) عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد اللّه الزبيدي ولد سنة ٧٥ق.هـ. وهو فارس اليمن، =

أَغِـثـنـا فـإنّـا عُـصـبـةٌ مَـذحِـجِـيَّـةٌ نُـزار عـلـى وَفـرٍ ولـيـس لـنـا وَفـرُ

[الطويل]

قال: وتغنَّت الثالثة بشعر عمرَ بن أبي ربيعة:

فَـلَـمّـا تَـواقَـفـنـا وَسَـلَّـمـتُ أَسـفـرت[١] وُجـوهٌ زَهـاهـا الـحُـسـنُ أَن تَـتَـقَـنَّـعـا

تَـبـالَـهـنَ بِـالـعِـرفـانِ لَـمّـا عـرفـنَـنـي[٢] وَقُـلـنَ امـرُؤٌ بـاغٍ أَكَـلَّ[٣] وَأَوضَـعـا[٤]

فَـلَـمّـا تَـنـازَعـنـا الأَحـاديـثَ قُـلـنَ لـي أَخِـفـتَ عَـلَـيـنـا أَن نُـغَـرَّ وَنُـخـدَعـا

[الطويل]

قال: وتوقَّعْتُ مجيءَ الخادم إليّ، فَقُلْتُ للرجل: بأبي أنت! خُذِ العود فَشُدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحُطَّ دُستانَ كذا؛ فَفَعَلَ ما أمرتُهُ. وخَرَجَ الخادم فقال لي: تَغَنَّ عافاك اللَّه؛ فَتَغَنَّيْتُ بصوت الرجل الأوَّل على غير ما غنَّاه، فإذا جماعة من الخدم يَحْضرون حتى استندوا إلى الأسرّة وقالوا: ويحك! لِمَنْ هذا الغناء؟ قلت: لي؛ فانصرفوا عنِّي بتلك السرعة، وخرج إليَّ الخادم وقال: كذبت! هذا الغناء لابن جامع. ودار الدورُ؛ فلما انتهى الغناءُ إليَّ قُلْتُ للجارية التي تلي الرجل: خُذِي العود، فَعَلِمَتْ ما أريد فَسَوَّتِ العود على غنائها للصوت الثاني فَتَغَنَّيْتُ به. فَخَرَجَتْ إليَّ الجماعة الأولى من الخدم فقالوا: ويحك! لِمَنْ هذا؟ قلت: لي؛ فَرَجَعُوا وخرج الخادم. فَتَغَنَّيْتُ بصوت لي فلا يُعْرَف إلا بي، وسَقوني فتزيَّدت، وهو:

عُـوْجِـي عـلـيَّ فَـسـلِّـمـي جَـبْـرُ فـيـمَ الـصـدود وأنـتـمُ سَـفْـرُ

مـا نـلـتـقـي إلا ثـلاثَ مِـنًـى حـتـى يُـفَـرِّق بـيـنـنـا الـدّهـرُ[٥]

[الكامل]

قال: فتزلزلت واللَّه الدار عليهم. وخرج الخادم فقال: ويحك! لِمَنْ هذا الغناء؟ قُلْتُ: لي. فَرَجَعَ ثم خرج فقال: كَذَبْتَ! هذا غناء ابن جامع. فَقُلْتُ: فأنا

= وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة ٩هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي (ﷺ) ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصيّ النفس، أبيّها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور توفي سنة ٢١هـ.

(١) ورد في الديوان «أشرقت» وفي بعض المصادر «أقبلت».

(٢) ورد في الديوان «رأيتني» بدل «عرفنني».

(٣) أكلّ: أعيا.

(٤) أوضع: أسرع.

(٥) ورد في بعض المصادر «النفر» بدل «الدهر».

إسماعيل بن جامع. فما شَعَرْتُ إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم. فقال لي الفضلُ بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك. فلما صَعِدَ السريرَ وَثَبْتُ قائِماً. فقال لي: ابنُ جامع؟ قلت: ابن جامع، جعلني اللَّه فداك يا أمير المؤمنين. قال: ويحك! متى كنت في هذه البلدة؟ قلت: آنِفاً، دَخَلْتُها في الوقت الذي علم بي أميرُ المؤمنين. قال: اجلس ويحك يابْن جامع! ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس، وقال لي: أبشِر وابسُط أمَلَكَ؛ فَدَعَوْتُ له. ثم قال: غَنِّني يابْنَ جامع. فخطر بقلبي صوتُ الجارية الحُمَيراء فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أرَدْتُ من الطبقة، فعرف ما أرَدْتُ، فَوَزَنَ العود وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعها، وانبعثْتُ أُغَنِّي بصوت الجارية الحُمَيراء. فَنَظَرَ الرشيد إلى جعفر وقال: أسمِعْتَ كذا قطّ؟ فقال: لا واللَّه ما خَرَقَ مسامعي قطُّ مثله. فَرَفَعَ الرشيد رأسّه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار فجاء به فرمى به إليّ، فصيَّرْتُهُ تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين. فقال: يابْن جامع، رُدَّ على أمير المؤمنين هذا الصوت، فَرَدَدْتُهُ وتزيّدت فيه. فقال له جعفر: يا سيِّدي، أما تراه كيف يتزيّد في الغناء! هذا خلاف ما سمعناه أولاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً. قال: فَرَفَعَ الرشيد رأسَهُ إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار، فجاءني به فصيّرْتُهُ تحت فخذي. وقال: تغنَّ يا إسماعيل ما حَضَرك. فجعلت أقصِد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري فَأُغَنِّيه؟ فلم أزَلْ أفعل ذلك إلى أن عسعس الليلُ. فقال: أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلةَ بغنائك، فأعِدْ على أمير المؤمنين الصوت(يعني صوت الجارية) فَتَغَنَّيتُ. فدعا الخادمَ وأمره فأحضر كيساً ثالثا فيه ألفُ دينار. قال: فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فَتَبَسَّمتُ، ولَحَظَني فقال: يابْن الفاعلة، مم تبسَّمْتَ؟ فَجَثَوْتُ على رُكْبَتِي وقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، الصدقُ مَنْجاة. فقال لي بانتهار: قُلْ. فَقَصَصْتُ عليه خبرَ الجارية. فلما استوعبه قال: صَدَقَتْ، قد يكون هذا، وقام. ونزلت من السرير ولا أدري أين أقصِد. فابتدرني فرَّاشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أميرُ المؤمنين؛ فَفُرِشَتْ وأُعِدَّ فيها جميعُ ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم، ومن كل آلة وخَوَل إلى جوارٍ ووُصَفاء. فدخلتها[1] فقيراً وأصبحت من جِلَّةِ أهلها ومياسيرهم.

وذكر لي هذا الخبر عبد اللَّه بن الرَّبيع عن أبي حَفْص الشيبانيّ عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال: ضَمَّني الدهرُ بمكة ضمًّا شديداً فانتقلت إلى

(١) أي دخل مدينة بغداد.

المدينة. فبينا أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدَّث، إذ قال لي رجل حَضَرَنا: واللَّه لقد بلغنا يابن جامع أن الخليفة قد ذكرك، وأنت في هذا البلد ضائع! فَقُلْتُ: واللَّه ما بي نهوض. قال بعضُهم: فنحن نُنْهضك. فاحتلتُ في شيء وشَخَصت إلى العراق، فقدِمْتُ بغداد، ونزلت عن بغل كنت اكتريتُهُ. ثم ذكر باقي الحديث نحو الذي قبله في المعاني، ولم يذكر خبر السوداء التي أخذَ الصوتَ عنها. وأحسِبُهُ غَلِط في إدخاله هذه الحكاية ها هنا، ولتلك خبر آخر نذكره ها هنا. قال في هذا الخبر: إن الدَّوْر دار مرَّة أخرى حتى صار إليّ؛ فَخَرَجَ الخادمُ فقال: غنّ أيها الرجل! فقلت: ما أنتظر الآن!! ثم اندفَعْتُ أُغَنِّي بصوت لي وهو:

فَلَو كان لي قلبان عِشْتُ بواحد ... وخَلَّفْتُ قلباً في هواكِ يُعَذَّبُ
ولكنما أحيا بقلب مُروَّع ... فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يُقْرَبُ
تعلَّمْتُ أسبابَ الرضا خوفَ سُخطها ... وعلَّمها حُبِّي لها كيف تغضبُ
ولي ألف وجهٍ قد عرفتُ مكانه ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهبُ

[الطويل]

فخرج الرشيد حينئذٍ.

نسبة ما في هذا الأصوات من الأغاني

صوت

شَكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لنا: ما أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنَّ النومَ يَغشَى عيونَهم ... سِراعاً ولا يغشى لنا النومُ أعينا!
إذا ما دنا الليلُ المضِرُّ بذي الهوى ... جَزِعْنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنّهم كانوا يُلاقون مثلَ مَا ... نُلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا

[الطويل]

عروضه من الطويل. وذكر الهشاميّ أنَّ الغناء لابن جامع هزج بالوسطى، وفي الخبر أنه أخذه عن سوداء لقيها بمكة.

ومنها:

صوت

يا دار أضحَتْ خَلاءً لا أنيسَ بها ... إلا الظباءُ وإلا الناشط الفَرِدُ

أيــن الــذيــن إذا مــا زرْتُــهُــم جَــذِلــوا وطـار عـن قـلـبـيَ الـتـشـواق والـكـمـدُ
[البسيط]

في هذا الصوت لحنٌ لابن سريج خفيفُ ثقيل أول بالوسطى من رواية حبش. ولحن ابن جامع رمل.

ومنها:

صــوت

لـم تَـمْـشِ ميـلاً ولـم تـركـب عـلـى جَـمَـلٍ ولـم تَـرَ الـشـمـسَ إلا دونـهـا الـكِـلَـلُ
أقـولُ لـلـركـب فـي دُرْنـا[1] وَقَـد ثَـمِـلـوا[2] شـيـمـوا وَكَـيـفَ يَـشـيـمُ الـشّـارِبُ الـثَّـمِـلُ
[البسيط]

الشعر للأعشى. والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالبنصر، وقد كُتِبَ فيما يغنَّى فيه من قصيدة الأعشى التي أوَّلها:

وَدِّعْ هُـرَيـرَةَ إن الـركـبَ مُـرتـحـلُ

ومنها:

صــوت

مَـرَرْنـا عـلـى قَـيـسـيَّـة عـامـريَّـة لـهـا بَـشَـرٌ صـافـي الأديـم هِـجـانِ[3]
فَـقَـالَـتْ وألـقَـتْ جـانـبَ الـسِّـتـر دونـهـا مِـنَ أيَّـة أرض أو مَـنِ الـرّجـلانِ
فَـقُـلْـتُ لـهـا أمَّـا تـمـيـم فَـأُسـرتـي هُـديـتِ وأمـا صـاحـبـي فَـيَـمـانِ
رفـيـقـان ضَـمَّ الـسّـفـرُ بـيـنـي وبـيـنـه وقـد يَـلـتـقـي الـشـتّـى فـيـأتـلـفـانِ
[الطويل]

غنَّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر.

ومنها:

---

(١) درنا: ناحية باليمامة.

(٢) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:
فَـقُـلـتُ لِـلـشَّـربِ فـي دُرنـى وَقَـد ثَـمِـلـوا

(٣) الهجان: الأبيض الناصع الخالص من كلِّ شيء.

صـوت

أَمسى بِأَسماءَ هَذا القَلبُ مَعمودا إِذا أَقولُ صَحا يَعتادُهُ عيدا
أَجري عَلى مَوعِدٍ مِنها فَتُخلِفُني فَما أَمَلُّ وَلا تُوفي المَواعيدا
كَأَنَّني حين أُمسي لا تُكَلِّمُني ذو بُغيَةٍ يَبتَغي ما لَيسَ مَوجودا

[البسيط]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى، وله فيه ثقيل أول بالبنصر وذكر عمرو بن بانة أنَّ لمعبد فيه ثقيلاً أول، بالوسطى على مذهب إسحاق.
ومنها:

صـوت

فوالـلَّه ما أدري أيغلِبني الهوى إذا جِدَّ وَشْكُ البين أم أنا غالبُهْ
فإن أستطع أغلِبْ وإن يَغْلِبِ الهوى فَمِثْلُ الذي لاقَيْتُ يُغلَب صاحِبُهْ

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لابن مَيَّادة، والغناء للحَجَبيّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش.
ومنها:

صـوت

تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليلُ
وَما ضَرَّنا أَنّا قَليلٌ وَجارُنا عَزيزٌ وَجارُ الأَكثَرينَ ذَليلُ
وَإِنّا لَقَومٌ لا نَرى القَتلَ سُبَّةً إِذا ما رَأَتهُ عامِرٌ وَسَلولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ المَوتِ آجالَنا لَنا وَتَكرَهُهُ آجالُهُم فَتَطولُ[1]

[الطويل]

عروضه من مقبوض[2] الطويل. الشعر للسموأل بن عادياء اليهودي[3]. والغناء لِحَكَم الواديّ.

---

(١) الشعر للسموأل.
(٢) القبض: هو حذف الخامس الساكن فيصير «فعولن» «فعول».
(٣) السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي. شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر في شمالي المدينة، =

ومنها:

صـــوت

وَدِدْتُـــكِ لـــمَّـــا كـــان ودُّكِ خـــالـــصـــاً وأعـرَضْـتُ لـمـا صـار نَـهْـبـاً مـقـسَّـمـا
ولـن يَـلْـبَـثَ الـحـوضُ الـجـديـدُ بـنـاؤه عـــلـــى كـــثـــرة الـــورَّاد أن يـــتـــهـــدَّمـــا

[الطويل]

عروضه من الطويل. وفيه خفيفُ ثقيل قديم لأهل مكة. وفيه لِعَريبَ ثقيلٌ أوَّل.

ومنها:

صـــوت

ومـــا كَـــرَّ إلا كـــان أولَ طـــاعـــن ولا أبـصَـرَتْـهُ الـخـيـلُ إلا اقـشـعـرَّتِ
فَـيُـدرك ثـأراً ثـم لـم يُـخـطِـه الـغِـنـى فـمـثـلُ أخـي يـومـاً بـه الـعـيـن قـرَّت
فـإن طـلـبـوا وتـراً بـدا بِـتِـرَاتِـهـم ويَـصـبـر يـحـمـيـهـم إذا الـخـيـل وَلَّـت

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر للخَنساء، والغناء لأبن سُريج ثقيل أول بالبنصر. وذكر عليّ بن يحيى أنه لمعبد في هذه الطريقة.

ومنها:

صـــوت

لَـحَـى الـلَّـه صُـعـلـوكـاً مُـنـاه وهـمّـه مـن الـدهـر أن يـلـقـى لَـبُـوسـا ومَـطـعـمـا
يـنـامُ الـضـحـى حـتـى إذا لـيـلُـهُ انـتـهـى[1] تَـنَـبَّـهَ مـثـلـوجَ[2] الـفـؤاد مُـوَرّمـا[3]
ولـكـنَّ صـعـلـوكـاً يـسـاور هـمَّـه ويـمـضـي عـلـى الـهـيـجـاء لـيـثـاً مُـقَـدَّمـا

= كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق. أشهر شعره لاميته وهي من أجود الشعر، وفي علماء الأدب من ينسبها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي. هو الذي أجار امرأ القيس الشاعر من الفرس، توفي سنة ٦٤ق.هـ.

(١) ورد في بعض المصادر «استوى» بدل «انتهى».

(٢) ورد في بعض المصادر «مسلوب» بدل «مثلوج».

(٣) مورم: منتفخ بادن لعدم ما يشغله من شؤون الحياة.

فـذلـك إن يَـلْـقَ الـكـريـهـة يَـلْـقَـهـا كـريـمـاً وإن يـسـتـغـن يـومـاً فـربّـمـا

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر يقال إنَّه لِعُروة بن الورد[١]، ويقال: إنه لحاتم الطائي[٢] وهو الصحيح. والغناء لِطُوَيس خفيفُ رمل بالبنصر.

ومنها:

صـوت

إذا كُـنْـتَ رَبًّـا لـلـقـلـوص فـلا يَـكُـنْ رفـيـقُـك يـمـشـي خَـلْـفَـهـا غـيـرَ راكـبِ

أنِـخْـهـا فـأردفـه فـإن حـمـلـتـكـمـا فـذاك وإن كـان الـعِـقـابُ فـعـاقِـبِ

[الطويل]

عروضه من الطويل. والشعر لحاتم طيِّء.

ومنها:

صـوت

ألـم تَـر لـمَّـا ضـمّـنـي الـبَـلَـدُ الـقَـفـرُ سـمـعـتُ نـداءً يُـصـدعُ الـقـلـبَ يـا عـمـرُو

أَغِـثـنـا فـإنّـا عُـصـبـةٌ مَـذحَـجِـيَّـةٌ نُـزار عـلـى وَفـرٍ ولـيـس لـنـا وَفـرُ

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن معد يكرب. والغناء لِحُنين رمل بالوسطى عن حَبش.

ومنها:

صـوت

فَـلَـمّـا تَـواقَـفـنـا وَسَـلَّـمـتُ أَسـفـرت[٣] وُجـوهٌ زَهـاهـا الـحُـسـنُ أَن تَـتَـقَـنَّـعـا

(١) عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان. من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. قال عبد الملك بن مروان: من قال إن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد، توفي سنة ٣٠ق.هـ.

(٢) حاتم بن عبد اللَّه بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي. شاعر جاهلي، فارس جواد يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج من ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء)، توفي سنة ٤٦ق.هـ.

(٣) ورد في الديوان «أشرقت» وفي بعض المصادر «أقبلت».

تَبالَهنَ بِالعِرفانِ لَمّا عرفنَني[١] وَقُلنَ امرُؤٌ باغٍ أَكَلَّ[٢] وَأَوضَعا[٣]
فَلَمّا تَنازَعنا الأَحاديثَ قُلنَ لي أَخِفتَ عَلَينا أَن نُغَرَّ وَنُخدَعا
وقرَّبن أسبابَ الهوى لمتيَّم يَقيس ذراعاً كلما قِسن إصبعا

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدَّة ألحان، قد كُتِبَتْ مع الخبر في موضع غير هذا.

ومنها:

صوت

عُوجي عليَّ فَسَلِّمي جَبرُ فيم الصدودُ وأنتم سَفْرُ
ما نلتقي إلا ثلاثَ مِنًى حتى يفرِّق بيننا النَّفْرُ
ألحول ثم الحول يتبعه ما الدهر إلا الحول والشهر

[الكامل]

الشعرُ للعَرْجيّ[٤]. والغناء للأبجر ثقيل أوَّل عن الهشاميّ، ويُقالُ إنه لابن محرز، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر. وفيه رمل يقال إنه لابن جامع، وهو القول الصحيح، وذكر حبش أنه لابن سريج، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل.

ومنها:

صوت

فلو كان لي قلبان عِشْتُ بواحد وخَلَّفْتُ قلباً في هواك يعذَّبُ

(١) ورد في الديوان «رأيتني» بدل «عرفنني».
(٢) أكلّ: أعيا.
(٣) أوضع: أسرع.
(٤) عبد اللّه بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عمر. شاعر، غزل مطبوع، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة، كان مشغوفاً باللهو والصيد، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء، ومن الفرسان المعدودين، صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعه بأرض الروم، وأبلى معه البلاء الحسن، وهو من أهل مكة، ولقب بالعرجي لسكناه قرية (العرج) في الطائف. وسجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد اللّه بن عمر، فلم يزل في السجن إلى أن مات سنة ١٢٠هـ.

ولـكـنـمـا أحـيـا بـقـلـب مُـرَوَّع فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرُبُ
تَعَلَّمْتُ أسباب الرِّضا خوفَ هجرها وعـلَّـمـهـا حُـبِّـي لـهـا كـيـف تَـغْـضَـبُ
ولـي ألـف وجـه قـد عـرفـت مـكـانَـهُ ولـكـن بـلا قـلـب إلـى أيـن أذهـب

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو الورّاق[١]. والغناء لابن جامع خفيف رمل، ويقال إنه لعبد اللَّه بن العبَّاس. وفيه لعريب ثقيلٌ أوّل. وفيه لرَذاذ خفيفُ ثقيل. وفيه هَزَج يقال إنه لِعُرَيب، ويقال إنه لنمرة، ويُقالُ إنه لأبي فارة، ويقال إنه لابن جامع.

حَدَّثني مصعب الزُّبيريّ قال:

قَدِمَ علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً في أيام الرشيد؛ فسمعته يوماً يُغَنِّي في بعض بساتين المدينة:

ومـا لـيَ لا أبـكـي وأنـدُبُ نـاقـتـي إذا صَـدَرَ الـرُّعـيـانُ وِردَ الـمـنـاهـلِ
وكُـنْـتُ إذا مـا اشـتـدّ شـوقـي رَحَـلْـتُـهـا فـسـارت بـمـحـزون كـثـيـر الـبـلابـلِ[٢]

[الطويل]

وكان رجلاً صيّتاً[٣]، فكاد صوته يذهب بي كلَّ مذهب، وما سَمِعْتُ قبله ولا بعده مثله.

نسبة هذا الصوت

صـوت

ومـا لـيَ لا أبـكـي وأنـدُبُ نـاقـتـي إذا صَـدَرَ الـرُّعـيـانُ وِردَ الـمـنـاهـلِ
وكُـنْـتُ إذا مـا اشـتـدّ شـوقـي رَكـبـتـهـا فَـسَـارَتْ بـمـحـزون كـثـيـر الـبـلابـل

[الطويل]

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن الهشاميّ وابن المكي.

---

(١) عمرو بن عبد الملك الوراق العنزي مولى عنزة. شاعر من جماعة أبي نواس وحسين الخليع وداود بن رزين وعنان الناطقي. وما وصلنا من شعره قليلٌ جداً، وأغراض شعره تختصر في: رثاء بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون، الخلاعة والمجون والتطرح في الديارات ودور اللهو توفي سنة ٢٠٠هـ.

(٢) البلابل: شدَّة الهم والوسواس في الصدر وحديث النفس.

(٣) الصيّت: الجهير الصوت.

أخبرني وكيع قال: حَدَّثني هارون بن محمد الزَّيات قال: حَدَّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: كُنْتُ في خمسين وصيفاً اهدوا للمنصور، فَفُرِّقنا في خدمته، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه. فكنت أراه يفعل شيئاً أعلم أنه خطأ: يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح. وقال لي يوماً: كن مكاني في آخر المستراح. فَكُنْتُ أعطيه الإبريق وأخرج مبادراً، فإذا سمعت حركته بادرت إليه. فقال لي: ما أخفَّك على قلبي يا غلام! ويحك! ثم دَخَلَ قصراً من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها. فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب منفرد، فقرأه فإذا هو:

وما ليَ لا أبكي وأندُبُ ناقتي ... إذا صَدَرَ الرُّعيانُ وِردَ المناهلِ
وكُنْتُ إذا ما اشتدّ شوقي رَحَلْتُها ... فسارت بمحزون كثير البلابل[1]

[الطويل]

وتحته مكتوب: آه آه، فلم يَدْرِ ما هو. وفطنْتُ له فقلت: يا أمير المؤمنين، قد عرفت ما هو. فقال: قل؛ فقلت: قال الشعر ثم تأوّه فقال: آه آه، فكتب تأوُّهَه وتنفُّسه وتأسُّفه. فقال: مالك قاتلك اللَّه! قد أعتقتُكَ وولَّيْتُك مكانَ ياسر.

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرقة في الأخبار

وإنما أفردتها عنها لئلا تنقطع

خبر
أمسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعمودا

أخبرني الحُسين بن يحيى قال حمَّاد: قَرَأْتُ على أبي، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكيّ قال: حَدَّثني المخزوميّ (يعني الحارث بن خالد) قال: بلغني أنَّ الغريض خرج مع نِسوة من أهل مكة من أهل الشَّرَف ليلاً إلى بعض المتحدِّثات من نواحي مكة، وكانت ليلة مقمرة؛ فاشتقْتُ إليهنَّ وإلى مجالستهنّ وإلى حديثهنّ، وخفت على نفسي لجنايةٍ كنت أطالب بها، وكان عمر مهيباً معظَّماً لا يقدم عليه سلطان ولا غيره، وكان مِنِّي قريباً؛ فأتَيْتُه فَقُلْتُ له: إنَّ فلانة وفلانة وفلانة ـ حتى سميتهنّ كلَّهنَّ ـ قد بعثنني، وهُنَّ يَقْرأنَ عليك السلامَ، وقلن: تشوَّقن إليك في ليلتنا هذه لصوتٍ أنشدناه فُوَيسقك الغريض ـ وكان الغريض يغنِّي هذا الصوتَ فَيُجيده، وكان ابن أبي ربيعة به مُعْجَباً، وكان كثيراً ما يسأل الغريض أن يُغَنِّيه، وهو قولُه:

(١) البلابل: شدَّة الهم والوسواس في الصدر وحديث النفس.

أَمسى بِأَسماءَ هَذا القَلبُ مَعمودا إِذا أَقولُ صَحا يَعتادُهُ عيدا
كَأَنَّ أَحوَرَ مِن غِزلانِ ذي نَقَرٍ أَهدى لَها شَبَهَ العَينَينِ وَالجيدا
قامَت تَراءى وَقَد جَدَّ الرَّحيلُ بِنا لِتَنكَأَ القَرحَ مِن قَلبٍ قَدِ اصطيدا
كَأَنَّني يَومَ أُمسي لا تُكَلِّمُني ذو بُغيَةٍ يَبتَغي ما لَيسَ مَوجودا
أَجري عَلى مَوعِدٍ مِنها فَتُخلِفُني فَما أَمَلُّ وَما تُوفي المَواعيدا
قَد طالَ مَطلي لَوَ انَّ اليَأسَ يَنفَعُني أَو أَن أُصادِفَ مِن تِلقائِها جُودا
فَلَيسَ تَبذُلُ لي عَفواً وَأُكرِمُها مِن أَن تَرى عِندَنا في الحِرصِ تَشديدا

[البسيط]

ـ فلما أخبَرْتُهُ الخبر قال: لقد أزعجتني في وقت كانت الدَّعَةُ أحبَّ فيه إليّ؛ ولكن صوت الغريض وحديث النِّسوة ليس له مُتَّرك ولا عنه مَحيص. فدعا بثيابه فلبسها، وقال: امضِ؛ فمضينا نمشي العجلَ حتى قَرُبنا منهنّ. فقال لي عمر: خَفِّض عليك مَشيَك فَفَعَلْتُ، حتى وقفنا عليهنَّ وهنّ في أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلَّمنا، فتهيَّبننا وتخفرن منّا. فقال الغريض: لا عليكنّ! هذا ابن أبي ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوِّقين إلى حديثكنّ وغنائي. فقالت فلانة: وعليك السلام يابْن أبي ربيعة، واللَّه ما تمَّ مجلسنا إلا بك، اجلسا. فجلسنا غيرَ بعيد، وأخذن عليهن جلابيبهن وتقنَّعن بأخمرتهنّ وأقبلن علينا بوجوههنّ وقُلْن لعمر: كيف أحسست بنا وقد أخفينا أمرنا؟ فقال: هذا الفاسِقُ جاءني برسالتكنّ وكُنْتُ وقيذاً[1] من علة وجدتها، فأسرعت الإجابة، ورجوتُ منكنّ على ذلك حسن الإثابة. فردَدن عليه: قد وَجَبَ أجرك، ولم يَخِبْ سعيُك، ووافق منا الحارث إرادةً. فحدَّثهنّ بما قُلْتُ له، من قصة غناء الغريض؛ فقال النِّسوة: واللَّه ما كان ذلك كذلك، ولقد نبَّهتنا على صوت حسن، يا غريضُ هاته. فاندفع الغريضُ يغنِّي ويقول:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

حتى أتى على الشعر كلِّه إلى آخره، فكلٌّ استحسنه. وأقبل عليَّ ابنُ أبي ربيعة فجزاني الخيرَ، وكذلك النِّسوة. فلم نَزَلْ بأنعم ليلةٍ وأطيبها حتى بدأ القمرُ يغيبُ، فَقُمنا جميعاً، وأخذ النِّسوةُ طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريضُ معنا.

وقال عمر في ذلك:

(١) الوقذ: الأثر الباقي من المشقة، ويقال إنه المرض.

صوت

هَل عِندَ رَسمٍ بِرامَةٍ[1] خَبَرُ أَم لا فَأَيَّ الأَشياءِ تَنتَظِرُ
قَد ذَكَّرَتني الدِّيارُ إِذ دَرَسَت وَالشَّوقُ مِمّا يَهيجُهُ الذِّكَرُ
مَمشى رَسولٍ إِلَيَّ يُخبِرُني عَنهُم عِشاءً بِبَعضِ ما ائتَمَروا
ومَجلِسَ النِّسوةِ الثَلاث لدى الخيمات حتى تَبلَّج السَّحَرُ
فيهِنّ هِندٌ والهَمُّ ذِكرتُها تلك التي لا يُرى لها خَطَرُ
ثم انطلقنا وعندنا ولنا فيهِنّ لو طال ليلُنا وطرُ
وقولها للفتاة إذ أزِف البينُ أغادٍ أم رائحٌ عُمَرُ
عَجلانَ لم يَقضِ بعضَ حاجته هلا تأنّى يوماً فينتظرُ
ألَلّهُ جارٌ له وإن نَزَحَتْ دارٌ به أو بدا له سفرُ

[المنسرح]

غنَّاه الغريض ثقيلاً أوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى. وفيه لعبد الرحيم الدَّفَّاف ثقيلٌ أوَّل بالبنصر في البيتين الأوَّلين. وبعدهما:

هَلْ من رسول إليَّ يُخْبِرُني بعد عشاءٍ ببعض ما ائتمروا
يومَ ظَللنا وعندنا ولنا فيهنّ لو طال يومُنا وَطَرُ

فلما كانت الليلةُ القابلةُ بعث إليَّ عمر فأتيْتُهُ وإذا الغريضُ عنده. فقال له عمر: هاتِ؛ فاندفع يُغَنِّي:

هل عند رَسمٍ برامةٍ خبرُ أم لا فأيَّ الأشياءِ تنتظرُ
ومجلس النِّسوة الثلاثِ لدى الـ ـخيمات حتى تبلَّج السحر

[المنسرح]

فَقُلْتُ في نفسي: هذا واللَّه صفةُ ما كُنَّا فيه، فسكتُّ حتى فَرَغَ الغريضُ من الشعر كلِّه؛ فقلت: يا أبا الخطَّاب، جُعِلْتُ فِداك! هذا واللَّه صفةُ ما كُنَّا فيه البارحةَ مع النِّسوة. فقال: إن ذلك ليُقال. وذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن عليّ بن مجاهد قال: إنَّ موسى بن مُصعب كان على الموصل، فاستعمل رجلاً من أهل حَرَّان على كُورة باهُذرا وهي أجلّ كُوَرِ الموصل، فأبطأ عليه الخراجُ؛ فكتب إليه:

(١) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة.

هـل عـنـد رَسـمٍ بـرامـةٍ خـبـرُ أم لا فـأيَّ الأشـيـاء تَـنْـتَـظِـرُ
[المنسرح]

احمل ما عندك يا ماصَّ بَظرِ أمه، وإلا فقد أمَرْتُ رسولي بشدّك وثاقاً ويأتي بك. فخرج الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فَلَحِقَ بحرَّان، وكتب إليه: يا عاضَّ بَـظـرِ أمّـه! إلـيّ تـكـتـب بـمـثـل هـذا!

وَإذا أَهـلُ بَـلـدَةٍ أَنـكَـرونـي عَـرَفَـتْـنِـي الـدَّوِّيَّـةُ[1] الـمَـلـسـاءُ[2]
[الخفيف]

فلما قرأ موسى كتابَهُ ضَحِكَ وقال: أحسن ـ يعلم اللَّه ـ الجوابَ، ولا واللَّه لا أطلبه أبداً. وفي غير هذه الرواية أنه كتب إليه في آخر رقعة:

إنَّ الـخـلـيـطَ الأُلَـى تـهـوى قـد ائـتـمـروا لِـلـبَـيْـن ثـم أجـدّوا الـسـيـرَ فـانـشـمـروا
[البسيط]

يابْن الزَّانية! والسلام. ثم هرب، فلم يطلبه.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمَّاد قال: قال أبي: غَنَّاني رجلٌ من أهل المدينة لحنَ الغريض:

هَـل عِـنـدَ رَسـمٍ بِـرامَـةٍ خَـبَـرُ أَم لا فَـأَيَّ الأَشـيـاءِ تَـنـتَـظِـرُ
[المنسرح]

فسألتُهُ أن يُلقيه عليّ، فقال: لا إلا بألف درهم؛ فلم أسمح له بذلك. ومضى فلم ألقه. فواللَّه يا بنيّ ما نَدِمْتُ على شيء قطُّ نَدَمي على ذلك، وَلَوَدِدْت أنِّي وجدتُهُ الآن فأخذتُهُ منه كما سَمِعْتُهُ وأخذ مني ألفَ دينار مكان الألف الدرهم.

---

(١) قال ابنُ عَبّادٍ: «الدَّوِّيَّةُ المَحّاصُ»، ككَتّان، هي الفَلاةُ «الَّتِي يَمْحَصُ النَّاسُ فِيهَا السَّيْرَ، أَي يَجِدُّونَ»، من مَحَصَ الظبْيُ: إذا جَدَّ في عَدْوِه.

(٢) البيت لأبي يزيد الطائي، وهو حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة يتصل نسبة بيعرب بن قحطان. شاعر جاهلي من قبيلة طيء في اليمن، هاجرت قبيلته إلى الحجاز واستولت على جبلي أجأ وسلمى فعُرفا بجبل طيء وكان جده (النعمان بن حيّة بن سعنة) قد ولي ملك الحيرة من قبل كسرى. وهو من المعمرين ويروى أنه عاش مائة وخمسين عاماً وأدرك الإسلام وأسلم واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه بني طيء وفي بعض الروايات أنه بقي على النصرانية ولم يعتنق الإسلام بينما تقول روايات أخرى أنه أسلم على يد صديقه الحميم الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وكان قد رثى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. ورافق الوليد في اعتزاله علياً ومعاوية فأقام معه نديماً في الرقة ثم توفي بعده بقليل ودفن إلى جانبه هناك، توفي سنة ٤١هـ.

خبر

تُعَيِّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا

الشعر لِشُرَيح بن السَّمَوأل بن عادياء. ويقال: إنه للسموأل. وكان من يهود يَثْرِب؛ وهو الذي يُضْرَبُ به المثل في الوفاء فيقال: «أوفى من السموأل»[1].

وكان السببُ في ذلك فيما ذكر ابن الكلبيّ وأبو عُبَيدة وحدَّثني به محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حَدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حَدَّثنا يحيى بن سعيد الأُمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال:

[قصة السموأل في الوفاء]

كان امرؤ القيس بن حُجر أودع السموأل بن عادياء أدراعاً؛ فأتاه الحارثُ بن ظالم ـ ويقال: الحارث بن أبي شمر الغساني ـ ليأخُذَها منه؛ فتحصَّن منه السموأل؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه: إما أن تُسلّم الأدراع وإمَّا أن قتلتُ ابنك؛ فأبى السموأل أن يُسَلِّمَ الأدراعَ إليه؛ فَضَرَبَ الحارثُ وَسَطَ الغلام بالسيف فقطعه اثنين. فقال السموأل:

وفيت بأدرع الكندي إني ... إذا ما خان أقوام وفيتُ
وأوصى عاديا يوماً بألّا ... تهدم يا سموأل ما بنيتُ
بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وماءً كلما شئت استقيتُ

وفي هذه القصيدة يقول:

أَعاذِلَتي أَلا لا تَعذِليني ... فَكَم مِن أَمرِ عاذِلَةٍ عَصَيتُ
دَعيني وَارشُدي إِن كُنتُ أَغوى ... وَلا تَغوَي زَعَمتِ كَما غَوَيتُ
أَعاذِلَ قَد أَطَلتِ اللَومَ حَتّى ... لَوَ أَنّي مُنتَهٍ لَقَدِ انتَهَيتُ
وَصَفراءِ المَعاصِمِ قَد دَعَتني ... إِلى وَصلٍ فَقُلتُ لَها أَبَيتُ

(١) هو السموأل بن حيان بن عادياء اليهودي. وكان من وفائه أن امرأ القيس لما أراد الخروج إلى قيصر استودع السموأل دروعاً وأحيحة بن الجلاح أيضاً دروعاً. فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام، فتحرز منه السموأل، فأخذ الملك ابناً له وكان خارجاً من الحصن، فصاح الملك بالسموأل، فأشرف عليه فقال: هذا ابنك في يدي وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمي ومن عشيرتي، وأنا أحق بميراثه، فإن دفعت إلي الدروع، وإلا ذبحت ابنك. فقال: أجلني، فأجله. فجمع أهل بيته ونساءه فشاورهم، فكل أشار عليه أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه. فلما أصبح أشرف عليه وقال: ليس إلى دفع الدروع سبيل؛ فاصنع ما أنت صانع. فذبح الملك ابنه وهو مشرف ينظر إليه، ثم انصرف الملك بالخيبة فوافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرىء القيس.

وَزِقٌّ قَـد جَـرَرتُ إِلـى الـنَّـدامـى وَزِقٌّ قَـد شَـرِبـتُ وَقَـد سَـقَـيـتُ
وَحَـتّـى لَـو يَـكـونُ فَـتـى أُنـاسٍ بَـكـى مِـن عَـذلِ عـاذِلَـةٍ بَـكـيـتُ

[الوافر]

عروضُه من الوافر. والشعر للسَّموأل بن عادياء. والغناء لابن مُحْرز في الأوَّل والثاني والرابع والخامس خفيفُ ثقيل أوَّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى. وغنَّى فيها مالك خفيفَ ثقيل بالبنصر في الأوَّل والثاني. وغنَّى دحمان أيضاً في الأوَّل والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى. وغنَّى عبد الرحيم الدَّفَّاف في الأوَّل والثاني رملاً بالبنصر. وفي هذه الأبيات لابن سُرَيج لحنٌ في الرابع وما بعده. ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس، ولم ينسبه. ولإبراهيم الموصليّ فيها لحن غير منسوب أيضاً.

[إطلاق الأعشى بشفاعة ابن السموأل]

حَدَّثني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حَدَّثني سليمان بن أبي شيخ قال: حَدَّثنا يحيى بن سعيد الأمويّ قال: حَدَّثني محمد بن السائب الكلبيّ قال: هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال:

بَـنـو الـشَّـهـرِ الـحَـرامِ فَـلَـسـتَ مِـنـهُـم وَلَـسـتَ مِـنَ الـكِـرامِ بَـنـي الـعُـبَـيـدِ
وَلا مِـن رَهـطِ جَـبّـارِ بـنِ قُـرطٍ وَلا مِـن رَهـطِ حـارِثَـةَ بـنِ زَيـدِ

[الوافر]

ـ قال: وهؤلاء كلهم من كلب ـ فقال الكلبيّ: أنا، لا أبا لك، أشرفُ من هؤلاء. قال: فَسَبَّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى، وكان مُتَغيّظاً عليه. فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأسَرَ منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بِشُرَيح بن السموأل بن عادياء الغَسَّاني صاحب تَيْماء[1] بحصنه الذي يقال له الأبلق[2]. فَمَرَّ شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله:

شُـرَيـحُ لا تَـتْـرُكـنّـي بـعـد مـا عَـلِـقَـتْ حـبـالـك الـيـومَ بـعـد الـقِـدّ[3] أظـفـارِي

(١) تيماء: بليدة في أطراف الشام على الطريق حاج الشام ودمشق.
(٢) الأبلق الفرد: هو حصن السموأل بن عاديا، قالوا: إذا خرجت من المدينة وأنت تريد تيماء فتنزل الصهباء ثم تنزل كذا ثم تنزل العين ثم كذا ثم تسير ثلاث ليال في الجناب ثم تنزل تيماء وهي لطيء. وبتيماء حصن الأبلق الفرد الذي كان ينزله السموأل، والعرب تضرب المثل بهذا الأبلق الفرد في الحصانة والمنعة فتقول: تمرد مارد وعز الأبلق. وزعموا أنه من بنيان سليمان عليه السلام.
(٣) القد: القيد.

قد جُلْتُ ما بين بانقيا[1] إلى عَدَنٍ ... فطال في العُجْمِ تردادي وتَسياري
فكان أكرَمهم عَهْداً وأوثقَهم ... عَقداً أبوك بِعُرف غير إنكار
كالغيث ما استمطروه جاد وابلُهُ ... وفي الشدائدِ كالمُسْتَأسِدِ الضَّاري
كُنْ كالسموأل إذ طاف الهمامُ به ... في جَحْفَل كسواد الليل جَرَّار
إذ سامه خُطَّتَي خَسفٍ فقال له ... قُلْ ما تشاء فإني سامعٌ حار
فقال غَدرٌ وثُقلٌ أنت بينهما ... فاختَرْ وما فيهما حظٌّ لمختار
فَشَكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له: ... أقتُل أسيرَك إني مانعٌ جاري
وسوف يُعقبُنيه إن ظَفِرْتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذات أطهار
لا سِرُّهنّ لدينا ذاهبٌ هدراً ... وحافظات إذا استُوْدِعن أسراري
فاختار أدراعَه كي لا يُسَبَّ بها ... ولم يكن وعدُهُ فيها بختَّار

[البسيط]

قال: فجاء شُرَيح إلى الكلبيّ فقال له: هَبْ لي هذا الأسيرَ المضرورَ؛ فقال: هو لك، فأطلقه. وقال له: أقِمْ عندي حتى أكرمك وأحبُوَك؛ فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعك إليَّ أن تعطيني ناقةً ناجية[2] وتخليني الساعة. قال: فأعطاه ناقةً، فَرَكِبَها ومَضَى من ساعته. وبلغ الكلبيّ أن الذي وهب لِشُريح هو الأعشى، فأرسل إلى شُرَيح: ابعث إليّ بالأسير الذي وَهَبْتُ لك حتى أحبوه وأعطيَه؛ فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يلحقه.

وأما خبر:

وما كَرَّ إلا كان أوَّل طاعنٍ

ـ والشعر للخنساء ـ فإنَّه خبرٌ يطول لذكر ما فيه من الوقائع؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مُفرداً عن المائة الصوت المختارةِ في أخبار الخنساء.

رجع الخبر إلى قصة ابن جامع

وأما خبرُ الجارية التي أخذ عنها ابنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أنَّه وقع في حكاية محمد بن ضوين الصَّلصال فيها خطأ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن عبد اللَّه بن أبي محمد العامريّ قال: حَدَّثني عكَّاشة اليزيدي

(١) بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة.
(٢) ناقة ناجية: سريعة السير.

بجرجان قال: حَدَّثني إسماعيل بن جامع قال: بينا أنا في غُرفة لي باليمن وأنا مُشرِف على مَشرَعةٍ[1]، إذ أقبلت أمةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ، فملأتها ووضعتها على المشرعة لتستريح، وجلست فَغَنَّت:

فَرُدِّي مُصابَ القلب أنتِ قَتَلتِهِ ولا تُبْعدي فيما تجشَّمْتِ كُلْثُما

[الطويل]

ويروى: «ولا تتركيه هائمَ القلبِ مُغرماً» ـ :

إلى اللَّه أشكو بخلها وسماحتي لها عسلٌ منِّي وتبذُل علقَما

أبى اللَّهُ أن أمسي ولا تذكريننني وعيناي من ذكراك قد ذَرَفَتْ دَمَا

أبيْتُ فما تنفكّ لي منكِ حاجةٌ رمى اللَّه بالحبِّ الذي كان أظلما

[الطويل]

ـ غنَّاه سِياطٌ خفيفَ ثقيل أوَّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ـ قال: ثم أخذتْ قِربتَها لتمضيَ. فاستفزَّني من شهوة الصوت ما لا قِوامَ لي به، فَنَزِلْتُ إليها فقلت لها: أعيدِيه. فقالت: أنا عنك في شغل بخراجي. قلت: وكم هو؟ قالت: درهمان في كلِّ يوم. قلت: فهذان درهمان، ورديه علي حتى آخذه منك، وأعطيتها درهمين؛ فقالت: أما الآن فنعم. فجلست، فلم تبرح حتى أخذته منها وانصرفت؛ فلهوت يومي به، وأصبحت من غد لا أذكر منه حرفاً، فإذا أنا بالسوداء قد طلعت ففعلت كفعلها بالأمس. فلما وضعت القربة تغنت غيره، فعدوت في أثرها وقلت: يا جارية، بحقي عليك ردي عليّ الصوت فقد ذهبت عني منه نغمة. فقالت: لا واللَّه، ما مثلك تذهب عنه نغمة، أنت تقيس أوله على آخره، ولكنك قد أنسيته، ولست أفعل إلا بدرهمين آخرين. فدفعتهما إليها وأعادته عليّ حتى أخذته ثانية. ثم قالت: إنك تستكثر فيه أربعة دراهم، وكأني بك قد أصبت به أربعة آلاف دينار. فكنت عند هارون يوماً وهو على سريره؛ فقال: من غناني فأطربني فله ألف دينار، وقدامه أكياس في كل كيس ألف دينار. فغنى القوم وغنّيت فلم يطرب، حتى دار الغناء إلي ثانيةفغنيت صوت السوداء؛ فرمى إليّ بكيس فيه ألف دينار، ثم قال: أعده فغنيته؛ فرمى إليّ بثانٍ ثم قال: أعده فرمى إليّ بثالث وأمسك. فضحكت؛ فقال: ما يضحكك؟ فقلت: لهذا الصوت حديث عجيب يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فحدثته به وقصصت عليه القصة؛ فرمى إلي برابع وقال: لا نكذّب قولها.

(١) المشرعة: مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون.

خبر

عُوجِي عليَّ فَسَلِّمي جَبْرُ

الشعرُ للعَرْجيّ وقد ذكرنا نسبة الصوت.

[قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزّناد قال حدَّثني محمد بن إسحاق قال:

قيل لعمر بن عبد العزيز: إنَّ بالمدينة مُخَنَّثاً قد أفسد نساءها فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحمله. فَأُدْخِلَ عليه، فإذا شيخٌ خضيبُ اللِّحية والأطرافِ مُعتَجِرٌ بسبَنِيَّة[1] قد حمل دُفًّا في خريطته. فلما وقف بين يدي عمر صعد بصره فيه وصَوَّبَه وقال: سوأةً لهذه الشَّيبة وهذه القامةِ! أتحفظ القرآن؟ قال: لا واللَّه يا أبانا؛ قال: قَبَّحَكَ اللَّه! وأشار إليه من حَضَره فقالوا: اسكُتْ فَسَكَتَ. فقال له عمر: أتقرأ من المفصَّل شيئاً؟ قال: وما المفصَّل؟ قال: ويلك! أتقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، أقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢][2] وأُخطئ فيها في موضعين أو ثلاثة، وأقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] وأُخطئ فيها، وأقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] مثل الماء الجاري. قال: ضعوه في الحبس ووكِّلوا به مُعَلِّماً يُعَلِّمُهُ القرآن وما يجب عليه من حدود الطَّهارة والصلاة وأجرُوا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى مُعَلِّمِه ثلاثة دراهمَ أُخَر، ولا يخرج من الحبس حتى يَحْفَظَ القرآن أجمعَ. فكان كلما عُلِّم سورة نَسِي التي قبلها. فبعث رسولاً إلى عمر: يا أمير المؤمنين، وجه إليّ من يحمل إليك ما أتعلّمه أولاً فأولاً، فإني لا أقدر على حمله جُمْلةً واحدةً. فَيَئِسَ عمرُ من فلاحه وقال: ما أرى هذه الدراهمَ إلا ضائعةً، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها مُحتَاجاً أو كسوناها عُرياناً لكان أصلحَ. ثم دعا به، فلما وقف بين يديه قال له: اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. قال: أسأل اللَّه العافية! أدخَلْتَ يدَكَ في الجراب فأخرجْتَ شرَّ ما فيه وأصعبَه. فأمر به فَوجِئَتْ[3] عنقه ونفاه. فاندفع يُغَنِّي وقد توَّجهوا به:

عُوجِي عَلَيَّ وَسَلِّمِي جَبرُ ... فِيمَ الصُّدُودُ وَأَنتُمُ سَفْرُ

مَا نَلتَقِي إِلّا ثَلاثَ مِنًى ... حَتّى يُفرّق بَينَنا النَّفْرُ

[أحذ الكامل]

---

(١) السَّبَنِيَّة: إزار أسود متخذ من الحرير يلبسه النساء.

(٢) يقصد فاتحة القرآن.

(٣) وجئت عنقه: لكزت وضربت.

فلما سمع الموكَّلون به حسنَ ترنُّمه خلَّوْه وقالوا له: اذهب حيث شئت مُصَاحَباً بعد استماعهم منه طرائفَ غنائه سائرَ يومهم وليلتهم.

أخبرني الحسين قال: قال حمَّاد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ قال: أَحَجّ خالد بن عبد اللَّه ابنه محمداً وأصحبه رزاماً مولاه وأعطاه مالاً، وقال: إذا دَخَلْتَ المدينة فاصرفه فيما أحببت. فلما صرنا بالمدينة سأل محمد عن جاريةٍ حاذقةٍ؛ فقيل: عند محمد بن عِمران التَّيمي القاضي. فصلَّينا الظهر في المسجد ثم مِلنا إليه فاستأذنّا عليه فأذن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْد[1] ونعلاه في آخر اللّبد؛ فسلَّمنا عليه فردَّ؛ ونَسَبَ[2] محمداً فانتسب له، فقال: خيراً. ثم قال: هل من حاجة؟ فَلَجْلَجَ. فقال: كأنك ذكرت فلانة! يا جاريةُ اخرجي؛ فَخَرَجَتْ فإذا أحسنُ الناس، ثم تغنَّت فإذا أحذق الناس؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويجيء، إلى أن غَنَّت قوله:

عُـوجـي عَـلَـيَّ وَسَـلِّـمـي جَـبْـرُ

فلما بلغت:

حـتـى يـفـرِّق بـيـنـنـا الـنَّـفْـرُ

وثب الشيخُ إلى نعله فعلَّقها في أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف أُذنه والنَّعل فيها وجعل يقول: أهدوني[3] أنا بَدَنَةٌ، أهدوني أنا بَدَنَةٌ. ثم أقبل عليهم فقال: كم قيل لكم إنها تساوي؟ قالوا: ستمائة دينار. قال: هي وحقِّ القبر خيرٌ من ستة آلاف دينار، وواللَّه لا يملكها عليّ أحدٌ أبداً، فانصرفوا إذا شئتم.

أخبرنا وسواسةُ بن الموصليّ ـ وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ ـ قال: حَدَّثني حماد بن إسحاق قال: وَجَدْتُ في كتب أبي عن عثمان بن حفص الثَّقَفيّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال: حدثني سُلَيم الحساب عن داود المكيّ قال: كنَّا في حلقة ابن جُرَيج وهو يحدِّثنا وعنده ابنُ المبارك وجماعةٌ من العراقيين، إذ مرَّ به ابن تَيْزن ـ قال حمَّاد: ويقال ابن بيرن ـ وقد ائتزر بمئزرة على صدره، وهي إزرة الشطار[4] عندنا. فدعاه ابن جُرَيج؛ فقال له: إني مستعجل، وقد وعدت أصحاباً لي فلا أقدِر أن أحتبس عنهم. فأقسم عليه حتى أتاه، فجلس وقال له: ما تريد؟ قال:

(١) لبد: بساط من الصوف.
(٢) نسب: طلب منه النسب.
(٣) الإهداء: سوق الحيوان من إبل وبقر أو شاة إلى البيت الحرام هدايا.
(٤) الشطار: اسم كان يطلق عل أهل البطالة والفساد في الدولة العباسية.

أُحِبّ أن تُسمِعني. قال: أنا أجيئك إلى المنزل، فَلِمَ تجلسني مع هؤلاء الثقلاء!. قال: أسألك أن تفعل؛ قال: امرأتُهُ طالقٌ إن غنَّاك فوق ثلاثة أصوات. قال: ويحك! ما أعجلك باليمين؟! قال: أكره أن أحتبس عن أصحابي. فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال: اعقلوا رحمكم اللَّه. ثم قال له: غنِّني الصوتَ الذي أخبرتني أنَّ ابن سريج غنَّاه في اليوم الثالث مِنْ أيام مِنًى على جمرة العقبة فقطع الطريق على الذاهب والجائي حتى تكسَّرت المحاملُ. فغنَّاه:

عُــوجــى عَــلَــيَّ وَسَــلِّــمــي جَــبْــرُ

فقال ابن جُريج: أحسنتَ واللَّه! ـ ثلاث مرَّات ـ ويحك أعِدْه. قال: أمن الثلاثة؟ فإني قد حَلَفْتُ. قال: أعِدْه فأعاده؛ فقال: أحسنت! أعده من الثلاثة؛ فأعاده وقام فمضى. فقال ابن جريج لأصحابه: لعلكم أنكرتم ما فعلْتُ! قالوا: إنّا لَنُنْكِرَه بالعراق. قال: فما تقولون في الرَّجَز؟ (يعني الحداء) قالوا: لا بأس به. قال: فما الفرق بينهما!

[أحسن الناس حلوقاً]

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المدينيّ قال: ثلاثةٌ من المُغنِّين كانوا أحسن الناس حُلُوقاً: ابن تيزن، وابن عائشة، وابن أبي الكَنَّات.

صــوت

سَــقــانــي فــروَّانــي كُــمَــيــتــاً مُــدامــةً ... عــلــى ظــمــإٍ مــنــي سَــلامُ بــن مِــشــكَــم

تَــخــيّــرتُــهُ أهــلَ الــمــديــنــة واحــداً ... سِــواهــم فــلــم أغــبَــن ولــم أتــنَّــدم

[الطويل]

عروضُه من الطويل. والشعر لأبي سفيان بن حرب. والغناء لسليمان أخي بابويه الكوفي مولى الأشاعثة[1] خفيفُ رملٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى.

(١) الأشاعثة: منسوبون إلى الأشعث بن قيس الكندي الصماني، الذي نزل الكوفة.

ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

هو صخر بن حرب بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف. وأمُّ حرب بن أميَّة بنت أبي هَمهَمة بن عبد العُزّى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كنانة. وأُمُّ أبي سفيان صَفيَّة بنت حَزْن بن بُجَير بن الهُزَم بن رُوَيبة بن عبد اللَّه بن هلال بن عامر بن صَعْصَعة، وهي عمَّة ميمونة أم المؤمنين وأم الفضل بنت الحارث بن حَزْن أُمُّ بني العباس بن عبد المطلب. وقد مضى ذكر أكثر أخبار ولد أميَّة والفَرْقُ بين الأعياص والعنابس منهم وجُمَلٌ من أخبارهم في أول هذا الكتاب.

وكان حربُ بن أميَّة قائد بني أميَّة ومن مالأهم في يوم عُكاظ.

ويقال: إن سبب وفاته أن الجنَّ قتلته وقتلت مِرداسَ بن أبي عامر السُّلميّ لإحراقهما شجرَ القُرَيَّة[1] وازدراعهما إياها. وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها وتواترت الروايات بذكره فذكرته، واللَّه أعلم.

أخبرني الطُّوسيّ والحرميّ بن أبي العلاء قالا: حَدَّثنا الزبير بن بكَّار قال: حَدَّثني عمِّي مُصْعَب، وأخبرنا محمد بن الحسين بن دُرَيد عن عمه عن العبَّاس بن هشام عن أبيه، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانيّ: أنَّ حربَ بن أميَّة لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوتُه مرَّ بالقُرَيَّة، وهي إذ ذاك غَيضةُ شجرٍ ملتفّ لا يُرام. فقال له مرداسُ بن أبي عامر: أما ترى هذا الموضع؟ قال: بلى. قال: نِعْم المُزدَرَعُ[2] هو، فهل لك أن نكون شريكين فيه ونُحَرِّق هذه الغَيْضةَ ثم نزدرعه بعد ذلك؟ قال: نعم. فأضرما النَّار في الغيضة. فلما استطارت وعلا لَهَبُها سُمِعَ من الغيضة أنينٌ وضجيجٌ كثير، ثم ظهرت منها حيَّاتٌ بِيضٌ تطير حتى قَطَعتها وخرجت منها. وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك:

---

(١) القرية: موضع في ديار سليم.

(٢) المزدرع: الأرض التي يزرع فيها.

إنِّي انتَخَبْتُ لها حرباً وإخوتَه إنِّي بحبلٍ وثيقِ العَقْد دسَّاسُ
إنِّي أُقَوِّمُ قبلَ الأمر حُجَّته كيما يُقالَ وليُّ الأمر مِرداسُ
[البسيط]

قال: فسمِعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغَيضةُ:

ويلٌ لِحَربٍ فارسا مُطاعِناً مُخَالِسا
ويلٌ لعمرو فارسا إذ لبسوا القَوانسا[1]
لَنَقْتُلَنْ بقتله جَحاجحاً عنابسا
[مجزوء الرجز]

ولم يلبث حربُ بن أُميَّة ومرداسُ بن أبي عامر أن ماتا. فأمَّا مرداسٌ فَدُفِنَ بالقُرَّية. ثم ادَّعاها بعد ذلك كليبُ بن أبي عَهمةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَري. فقال في ذلك عباس بن مرداس:

أكليبُ ما لك كلَّ يومٍ ظالماً والظلمُ أنكدُ وجهُهُ ملعونُ
قد كان قومُكَ يحسبونك سَيِّداً وإخال أنك سيِّدٌ معيونُ

ـ المعيونُ: الذي أصابته العين، وقيل: المعيون: الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقل له ـ

فإذا رَجَعْتَ إلى نسائك فادَّهِنْ إنَّ المُسَالِمَ رأسُهُ مدهونُ
وافعل بقومك ما أراد بوائلٍ يومَ الغديرِ[2] سميُّك المطعونُ
وإخال أنك سوف تلقى مثلها في صَفْحَتَيْك سِنانُها المسنون
إن القُرَيَّة قد تبيَّن أمرها إن كان ينفعُ عندك التَّبيينُ
حيث انطلقت تَخطُّها لي ظالماً وأبو يزيد بجوِّها مدفون
[الكامل]

أبو يزيد: مرداس بن أبي عامر.

---

(١) قنس فلان يضرب القوانس. قال:

أضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسوط قونس الفرس

وهو ما بين الأذنين. وقونس البيضة: ما قابله منها.

(٢) يشير إلى تحكم كليب في موارد الماء ونفيه بكر بن وائل عنها حتى كاد يقتلهما عطشاً.

[منزله في قريش]

وكان أبو سفيان سيِّداً من سادات قريش في الجاهليَّة ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول اللَّه ﷺ في حياته وكهفاً للمنافقين في أيامه، وأسلم يوم الفَتْح. وله في إسلامه أخبار نذكرها هنا. وكان تاجراً يُجَهِّز التجار بماله وأموالِ قريش إلى أرض العجم. وشَهِدَ مع رسول اللَّه ﷺ مُشَاهَدَة الفتح، وفُقِئَتْ عينُهُ يومَ الطائف[١]، فلم يَزَلْ أعور إلى يوم اليرموك[٢]، فَفُقِئَت عينُهُ الأخرى يومئذ فَعَمِي.

أخبرنا الطُّوسي والحرميّ قالا: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: حدَّثني عليّ بن صالح عن جدّي عبد اللَّه بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكيّ عن أبي الهيثم عَمَّن أخبره: أنه سمع أبا سفيان يُمازحُ رسول اللَّه ﷺ في بيت بنته أم حبيبة ويقول: واللَّه إن هو إلا أن تركتك فتركتك العرب فما انتطحت جمَّاء[٣] ولا ذاتُ قرن، ورسول اللَّه ﷺ يضحك ويقول: أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة[٤]!.

قال الزُّبير وحدَّثني عمِّي مصعب: أنّ رسول اللَّه ﷺ تزوّج أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وأبو سفيان يومئذ مُشرِكٌ يحارب رسول اللَّه ﷺ وقيل له: إنَّ محمداً قد نكح ابنتك؛ فقال: ذلك الفحلُ لا يُقدَع[٥] أنفه. واسمُ أمّ حبيبة رملة، وقيل: هند، والصحيح رملة.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخزَّاز قال حدثنا المدائنيّ عن مَسلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جَوْشَن قال: أذِنَ رسول اللَّه ﷺ يوماً للناس، فأبطأ بإذن أبي سفيان. فلما دخل قال: يا رسول اللَّه، ما أذِنْتَ لي حتى كدت تأذن للحجارة. فقال له: يا أبا سفيان: كلُّ الصيد في جوف الفرا»[٦].

---

(١) يعني غزوة الطائف وفيها رماه سعد بن عبيد الثقفي بسهم فأصاب عينه.

(٢) اليرموك: وادٍ بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى البحيرة المنتنة.

(٣) الجماء: الشاة التي لا قرن لها.

(٤) حنظلة ابن كان لأبي سفيان قتله علي بن أبي طالب كرم اللَّه وجهه في يوم بدر.

(٥) لا يقدع: لا يضرب لكرمه.

(٦) كل الصيد في جوف الفرا: المثل قديم، وأصله أن قوماً خرجوا للصيد، فصاد أحدهم ظبياً، وآخر أرنباً، وآخر فرا، وهو الحمار الوحشي، فقال لأصحابه: «كل الصيد في جوف الفرا» أي جميع ما صدتموه يسيرٌ في جنب ما صدته. وتمثل به رسول اللَّه ﷺ.

حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال حدثنا عطاء بن مصعب قال حدثني سفيان بن عيينة عن جعفر بن يحيى البرمكي قال: أذن رسول اللَّه ﷺ للناس، فكان آخر من دخل عليه أبا سفيان بن حرب. فقال: يا رسول اللَّه، لقد أذنت للناس قبلي حتى ظننت أن حجارة الخندمة[1] ليؤذن لها قبلي. فقال رسول اللَّه ﷺ: أما واللَّه إنك والناس لكما قال الأول: كل الصيد في بطن الفرا. أي كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لك وحدك مثل ما لهم كلهم.

[عند هرقل]

حدثني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي قال حدثنا داود بن عمرو الضبي قال حدثنا المثنى بن زرعة أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال حدثني الزهري عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه عن عتبة عن ابن عباس قال حدثني أبو سفيان بن حرب قال: كنا قوماً تجاراً، وكانت الحرب بيننا وبين رسول ﷺ قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا. فلما كانت الهدنة هدنة الحديبية، بيننا وبين رسول اللَّه ﷺ خرجت في نفر من قريش إلى الشام، وكان وجه متجرنا منه غزة، فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من الفرس، فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبه الأعظم وكانوا قد استلبوه إياه. فلما بلغه ذلك منهم وبلغه أن صليبه قد استنقذ منهم، وكانت حمص منزله، خرج منها يمشي على قدميه شكراً للَّه حين رد عليه ما رد ليصلي في بيت المقدس تبسط له البسط وتلقى عليها الرياحين. فلما انتهى، إلى إيلياء فقضى فيها صلاته وكان معه بطارقته وأشراف الروم، أصبح ذات غدوة مهموماً يقلب طرفه إلى السماء. فقال له بطارقته: واللَّه لكأنك أصبحت الغداة مهموماً. فقال: أجل! رأيت البارحة أن ملك الختان ظاهر. فقالوا: أيها الملك، ما نعلم أمة تختتن إلا اليهود، وهم في سلطانك وتحت يدك، فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك فمره فليضرب أعناق من تحت يدك منهم من يهود واسترح من هذا الهم. فواللَّه إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبرونه إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده ـ وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم ـ فقال: أيها الملك، إن هذا رجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدث عن أمر حدث فاسأله. فلما انتهى به إلى هرقل رسول صاحب بصرى، قال هرقل لمن جاء به: سله عن هذا الحديث

(١) الخندمة: جبل في مكة.

الذي كان ببلده؛ فسأله، فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي، وقد اتبعه ناس فصدقوه وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة، وتركتهم على ذلك.

فلما أخبره الخبر قال: جردوه فإذا هو مختون؛ فقال: هذا واللَّه النّبي الذي رأيت لا ما تقولون، أعطوه ثيابه وينطلق. ثم دعا صاحب شرطته فقال له: اقلب الشام ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل.

فإنَّا لَبِغَزَّة إذ هجم علينا صاحب شرطته فقال: أنتم من قوم الحجاز؟ قلنا نعم. قال: انطلقوا إلى الملك، فانطلقوا بنا. فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز؟ قلنا نعم. قال: فأيكم أمس به رحماً؛ قال: قلت أنا ـ قال أبو سفيان: وأيم اللَّه ما رأيت رجلاً أرى أنه أنكر من ذلك الأغلف[1] يعني هرقل ـ ثم قال: أدنه، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي، وقال: إني سأسأله، فإن كذب فردوا عليه.

ـ قال: فواللَّه لقد علمت أن لو كذبت ما ردوا علي، ولكني كنت امرأً سيّداً أتبرم عن الكذب؛ وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبته أن يحفظوه علي ثم يحدثوا به عني، فلم أكذبه ـ قال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعي ما يدعي. فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أموره، وأقول له: أيها الملك، ما يهمك من شأنه! إن أمره دون ما بلغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني. ثم قال: أنبئني فيما أسألك عنه من شأنه. قال: قلت سل عما بدا لك. قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: محض، هو أوسطنا نسباً. قال: أخبرني هل كان أحد في أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبه به؟ قال: قلت: لا. قال: هل كان له فيكم ملك فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه؟ قال: قلت: لا. قال: أخبرني عن أتباعه منكم من هم؟ قال: قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد. قال: فأخبرني عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه؟ قال: قلت: قلما يتبعه أحد فيفارقه. قال: فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: قلت: سجال يدال علينا وندال عليه. قال: فأخبرني

(١) الأغلف والأقلف: الذي لم يختن.

هل يغدر؟ فلم أجد شيئاً سألني عنه أغتمز فيه غيرها. قال: قلت: لا، ونحن منه في مدة[١] ولا نأمن غدره. قال: فواللَّه ما التفت إليها مني. ثم كرر علي الحديث فقال: سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه محض من أوسطكم نسباً؛ فكذلك يأخذ اللَّه النّبي لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً. وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به، فزعمت أن لا. وسألتك هل كان له ملك فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه، فزعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه، فزعمت أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان. وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه، فزعمت أنه لا يتبعه أحد فيفارقه، فكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلب رجل فتخرج منه، وسألتك عن الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال تدالون عليه ويدال عليكم، وكذلك حرب الأنبياء، ولهم تكون العاقبة. وسألتك هل يغدر، فزعمت أن لا. فلئن كنت صدقتني عنه فليغلبن على ما تحت قدميّ هاتين، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه! انطلق لشأنك. فقمت من عنده وأنا أضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول: يا لعباد اللَّه! لقد أَمِرَ أمر ابن أبي كبشة[٢]! أصبحت ملوك بني الأصفر[٣] يهابونه في ملكهم وسلطانهم.

قال ابن إسحاق: فقدم عليه كتاب رسول اللَّه ﷺ مع دحية بن خليفة الكلبي[٤]، فيه: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم. من محمد رسول اللَّه ﷺ إلى هرقل عظيم الروم. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فأسلم تسلم يؤتك اللَّه أجرك مرتين، وإن تتولّ فإن إثم الأكابر عليك»[٥].

قال ابن شهاب: فأخبرني أسقف النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول اللَّه ﷺ وأمر هرقل وعقله، قال: فلما قدم عليه كتاب رسول اللَّه ﷺ من قبل دحية بن خليفة، أخذه هرقل فجعله بين فخذيه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ العبرانية ما تقرؤونه، فذكر له أمره ووصف له شأنه وأخبره بما

(١) في مدة: يعني بها مدّة صلح الحديبية الذي وقع بين النبي ﷺ وقريش.
(٢) أبو كبشة: رجل من خزاعة خلف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور.
(٣) بنو الأصفر هم الروم وأطلقت عليهم هذه التسمية للون شعرهم الأصفر(الأشقر).
(٤) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد الكلبي الصحابي.
(٥) ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم.

جاء منه. فكتب إليه صاحب رومية[١]: إنه النّبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه، فاتبعه وصدقه.

قال: فأمر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه، وأمر بها فأغلقت عليهم أبوابها، ثم اطلع عليهم من علية وخافهم على نفسه فقال: يا معشر الروم، قد جمعتكم لخبر، أتاني كتاب هذا الرجل يدعو إلى دينه، فواللَّه إنه النّبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا؛ فهلم فلنبايعه ولنصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. قال: فنخرت[٢] الروم نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدَّسكرة[٣] ليخرجوا فوجدوها وقد اغلقت دونهم. فقال: كُرّوهم عليَّ وخافهم على نفسه؛ فكروهم عليه. فقال: يا معشر الروم، إنما قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدث؛ فقد رأيت منكم الذي أسر به؛ فخروا سجداً. وأمر بأبواب الدسكرة ففتحت لهم فانطلقوا.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال لي العباس: خرجت في تجارة إلى رجل في ركب منهم أبو سفيان بن حرب، فقدمت اليمن.

فكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالنّفر، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك. فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه: هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلى غدائك؟ فقلت: نعم. فانصرفت أنا والنّفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء.

فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني فقال لي: هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول اللَّه؟ قلت: وأي بني أخي؟ قال أبو سفيان: إياي تكتم وأي بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجل واحد! قلت: وأيهم هو على ذلك؟ قال: محمد بن عبد اللَّه. قلت: ما فعل! قال: بلى قد فعل. ثم أخرج إلي كتاباً من ابنه حنظلة بن أبي سفيان: إني أخبرك أن محمداً قام بالأبطح غدوة فقال: أنا رسول اللَّه أدعوكم إلى اللَّه. قال: قلت: يا أبا حنظلة، لعله صادق. قال: مهلاً يا أبا الفضل، فواللَّه ما أحب أن تقول مثل هذا، وإني لأخشى أن

(١) رومية عاصمة الأمبراطورية الرومانية، وهي روما اليوم.
(٢) نخر: مدَّ الصوت من خياشيمه.
(٣) دسكر الدَّسْكَرةُ: بناء شبه قصر، حوله بيوت، وجمعه: الدَّساكر، تكون للملوك.

تكون على بصر من هذا الأمر ـ وقال الحسن بن علي في روايته: على بصيرة من هذا الحديث ـ ثم قال: يا بني عبد المطلب، إنه واللَّه ما برحت قريش تزعم أن لكم يمنةً وشؤمةً كل واحدة منهما عامة، فنشدتك اللَّه يا أبا الفضل هل سمعت ذلك؟ قلت نعم. قال: فهذه واللَّه إذاً شؤمتكم. قلت: فلعلها يمنتنا. فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد اللَّه بن حذافة السهمي بالخبر وهو مؤمن، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يتحدث به فيها.

وكان أبو سفيان يجلس إلى حبر من أحبار اليمن؛ فقال له اليهودي: ما هذا الخبر الذي بلغني؟ قال: هو ما سمعت. قال: أين فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال؟ قال أبو سفيان: صدقوا وأنا عمه. قال اليهودي: أأخو أبيه؟ قال نعم. قال: حدثني عنه.

قال: لا تسألني، فما كنت أحسب أن يدعي هذا الأمر أبداً، وما أحب أن أعيبه، وغيره خير منه. قال اليهودي: فليس به أذى، ولا بأس على يهود وتوراة موسى منه.

قال العباس: فتأدى إلي الخبر فحميت، وخرجت حتى أجلس إلى ذلك المجلس من غد وفيه أبو سفيان والحبر. فقلت للحبر: بلغني أنك سألت ابن عمي هذا عن رجل منا يزعم أنه رسول اللَّه، فأخْبَرَك أنه عمّه، وليس بعمّه ولكنه ابن عمّه، وأنا عمّه أخو أبيه.

فقال: أأخو أبيه؟ قلت: أخو أبيه. فأقبل على أبي سفيان فقال: أصدق؟ قال: نعم صدق. قال فقلت: سلني عنه، فإن كذبت فليردد عليّ. فأقبل عليّ فقال: أنشدك اللَّه، هل فشت لابن أخيك صبوة أو سفهة؟ قال: قلت: لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان، وإن كان اسمه عند قريش الأمين. قال: فهل كتب بيده؟ قال عباس: فظننت أنه خير له أن يكتب بيده، فأردت أن أقولها، ثم ذكرت مكان أبي سفيان وأنه مكذبي وراد، عليّ، فقلت: لا يكتب. فذهب الحبر وترك رداءه وجعل يصيح: ذبحت يهود! قتلت يهود!

قال العباس: فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان: يا أبا الفضل، إن اليهودي لفزع من ابن أخيك. قال: قلت: قد رأيت ما رأيت، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به، فإن كان حقًّا كنت قد سبقت، وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك؟ قال: لا واللَّه ما أومن به حتى أرى الخيل تطلع من كداء وهو جبل بمكة. قال: قلت ما

تقول؟! قال: كلمة واللَّه جاءت على فمي ما ألقيت لها بالاً، إلا أني أعلم أن اللَّه لا يترك خيلاً تطلع من كداء. قال العباس: فلما فتح رسول اللَّه ﷺ مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء، قلت: يا أبا سفيان، أتذكر الكلمة؟ قال لي: واللَّه إني لذاكرها، فالحمد لله الذي هداني للإسلام.

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا البغوي[١] قال حدثنا الغلابي أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثني الحسين بن عبيد اللَّه بن العباس عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزل رسول اللَّه ﷺ مر الظهران[٢] (يعني في غزاة الفتح) قال العباس بن عبد المطلب وقد خرج رسول اللَّه ﷺ من المدينة: يا صباح قريش! واللَّه لئن بَغَتَهَا رسول اللَّه ﷺ إنها لهلاك قريش آخر الدهر.

فجلس على بغلة رسول اللَّه ﷺ البيضاء وقال: أخرج إلى الأراك، لعلّي أرى حطاباً أو صاحب لبن أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول ﷺ فيستأمنونه. فواللَّه إني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الخبر عن رسول اللَّه ﷺ فسمعت أبا سفيان وهو يقول: واللَّه ما رأيت كالليلة قط نيراناً. فقال بديل بن ورقاء: هذه واللَّه نيران خزاعة حمشتها الحرب. فقال أبو سفيان: خزاعة ألأم من ذلك وأذل.

فعرفت صوته فقلت: أبا حنظلة! فقال: أبا الفضل! قلت نعم؛ فقال: لبيك، فداؤك أبي وأمي! فما وراءك؟ فقلت: هذا رسول اللَّه ﷺ قد دلف إليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين. قال: فما تأمرني؟ فقلت: تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول اللَّه ﷺ فواللَّه لئن ظفر بك ليضربن عنقك. فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول اللَّه ﷺ نحو رسول اللَّه ﷺ فكلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا: عم رسول اللَّه على بغلة رسول اللَّه ﷺ حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ فقال: أبو سفيان! الحمد للَّه الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد؛ ثم اشتد نحو النّبي ﷺ، وركضت البغلة وقد أردفت أبا سفيان ـ قال

---

(١) البغوي: هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن الحافظ الكبير أبو جعفر الأصم البغوي من شيوخ جرير الطبري توفي في بغداد سنة ٢٤٤هـ.

(٢) الظهران: واد قرب مكة.

العباس: ـ حتى اقتحمت على باب القبة وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطي فدخل عمر على رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، هذا أبو سفيان قد أمكن اللَّه منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه. قلت: يا رسول اللَّه، إني قد أجرته.

ثم جلست إلى رسول اللَّه ﷺ وأخذت برأسه وقلت: واللَّه لا يناجيه اليوم أحد دوني. فلما أكثر فيه عمر قلت: مهلاً يا عمر! فواللَّه ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا! قال: مهلاً يا عباس! فواللَّه لإسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم؛ وذلك لأني أعلم أن إسلامك أحبّ إلى رسول اللَّه ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم.

فقال رسول اللَّه ﷺ اذهب فقد أمناه حتى تغدو به علي الغداة فرجع به إلى منزله. فلما أصبح غدا به على رسول اللَّه ﷺ. فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إلا اللَّه! فقال: بأبي أنت وأمي! ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! واللَّه لقد ظننت أن لو كان مع اللَّه غيره لقد أغنى عني شيئاً. فقال: ويحك تشهد بشهادة الحق قبل واللَّه أن تضرب عنقك. قال: فتشهد. فقال رسول اللَّه ﷺ للعباس من حين تشهد أبو سفيان: انصرف يا عباس فاحتبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى يمر عليه جنود اللَّه. فقلت: يا رسول اللَّه، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه. فقال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

فخرجت به حتى أجلسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي، فمرت عليه القبائل، فجعل يقول: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي ولسليم! ثم تمر به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسلم، فيقول: مالي ولأسلم! وتمر به جهينة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: جهينة، فيقول: مالي ولجهينة! حتى مر رسول اللَّه ﷺ في الخضراء، كتيبة رسول اللَّه ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، فقال: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلت: هذا رسول ﷺ في المهاجرين والأنصار؛ فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك! إنها النبوة؛ قال: نعم إذاً. فقلت ألْحَقْ الآن بقومك فحذّرهم. فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في

المسجد: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بمالا قبل لكم به. قالوا: فمه! قال: من دخل داري فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تغني عنا دارك! قال: ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

حدثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجعد قالا حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عناد عن عبد اللَّه بن الزبير قال: لما كان يوم اليرموك خلفني أبي، فأخذت فرساً له وخرجت، فرأيت جماعة من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفت معهم، فكانت الروم إذا هزمت المسلمين قال أبو سفيان: إيه بني الأصفر، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبـنـو الأصـفـر الـكـرام مـلـوك الـروم لـم يـبـق مـنـهـم مـذكـور

[الخفيف]

فلما فتح اللَّه على المسلمين حدثت أبي فقال: قاتله اللَّه! يأبى إلا نفاقاً؟ أولسنا خيراً له من بني الأصفر! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول اللَّه ﷺ يقول: حدثهم، فأحدثهم فتعجبون من نفاقه.

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثني ابن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال: دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفّ بصره، فقال: هل علينا من عين؟ فقال له عثمان: لا. فقال: حدثني محمد بن حيان الباهلي قال حدثنا عمر بن علي الفلاش قال حدثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مغول عن أشعث بن أبي الشعثاء عن مسيرة الهمداني عن أبي الأبجر الأكبر قال: جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه فقال: يا أبا الحسن، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلها! فواللَّه لئن شئت لأملأنها عليهم خيلاً ورجلاً.

فقال له علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه: يا أبا سفيان، طالما عاديت اللَّه ورسوله ﷺ والمسلمين فما ضرهم ذلك شيئاً، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لما ولي أبو بكر قال:

وأضـحـت قـريـش بـعـد عـز ومـنـعـة خـضـوعـاً لـتـيـم لا بـضـرب الـقـواضـبِ

فـيـا لـهـف نـفـسـي لـلـذي ظـفـرت بـه ومـا زال مـنـهـا فـائـزاً بـالـرغـائـبِ

[الطويل]

وحدثني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال: لما ولي عثمان الخلافة، دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أمية، إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة، فواللَّه ما من جنة ولا نار ـ هذا أو نحوه ـ فصاح به عثمان: قم عني فعل اللَّه بك وفعل. ولأبي سفيان أخبار من هذا الجنس ونحوه كثيرة يطول ذكرها، وفيما ذكرت منها مقنع.

والأبيات التي فيها الغناء يقولها في سلام بن مشكم اليهودي ويكنى أبا غنم، وكان نزل عليه في غزوة السويق، فقراه وأحسن ضيافته. فقال أبو سفيان فيه:

سقاني فرواني كميتاً مدامة ... على ظمإٍ مني سلام بن مشكمِ
تخيرته أهل المدينة واحداً ... سواهم فلم أغبن ولم أتندمِ
فلما تقضي الليل قلت ولم أكن ... لأفرحه أبشر بعرف ومغنمِ
وإن أبا غنم يجود وداره ... بيثرب مأوى كل أبيض خضرمِ

[الطويل]

ذكر الخبر عن غزوة السويق

ونزول أبي سفيان على سلام بن مشكم

كانت هذه الغزاة بعد وقعة بدر. وذلك أن أبا سفيان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة ولا يشرب خمراً حتى يغزو رسول اللَّه ﷺ. فخرج في عدة من قومه ولم يصنع شيئاً فعيرته قريش بذلك وقالوا: إنما خرجتم تشربون السويق فسميت غزوة السويق حدثنا محمد بن جرير، قرأته عليه، قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان عن عبيد اللَّه بن كعب بن مالك ـ وكان من أعلم الأنصار ـ قال: كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع قبل قريش من بدر، نذر ألّا يمس ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ. فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له تيت من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حيي بن أخطب بيثرب فدق عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه؛ وانصرف إلى سلام بن مشكم ـ وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له، فقراه وسقاه ونظر له خبر الناس.

ثم خرج في عقب ليلته حتى جاء أصحابه؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض، فحرقوا في أصوار من نخل لها، أتوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين. فنذر بهم الناس؛ فخرج رسول اللَّه ﷺ في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا من مزاود القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخففون منه للنجاء.

فقال المسلمون حين رجع بهم رسول اللَّه ﷺ: أنطمع أن تكون غزوة، قال نعم. وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة أبياتاً من شعر يحرض فيها قريشاً فقال:

كـروا عـلـى يـثـرب وجـمـعـهـم فـإن مـا جـمـعـوا لـكـم نـفَـلُ

إن يك يوم القليب كان لهم فإن ما بعده لكم دُوَلُ
آليت لا أقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الغُسُلُ
حتى تبيدوا قبائل الأوس والخزرج إن الفؤاد مُشْتَعِلُ
[المنسرح]

فأجابه كعب بن مالك:

يا لهف أم المسبحين على جيش ابن حرب بالحرة الفشلِ
أتطرحون الرجال من سنم الـ ـظهر ترقى في قنة الجبلِ
جاؤوا بجمع لو قيس منزله ما كان إلا كمعرس الدئلِ
عار من النصر والثراء ومن نجدة أهل البطحاء والأسلِ
[المنسرح]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا سليمان بن سعد عن الواقدي: أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة ثنتين من الهجرة.

حدثني عمي قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا ابن سعد عن الواقدي عن أبي الزناد عن عبد اللَّه بن الحارث قال: شرب حسان بن ثابت يوماً مع سلام بن مشكم، وكان. له نديماً، معهم كعب بن أسد وعبد اللَّه بن أبي وقيس بن الخطيم؛ فأسرع الشراب فيهم وكانوا في موادعة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم. فقال قيس بن الخطيم لحسان: تعال أشاربك؛ فتشاربا في إناء عظيم فأبقى حسان من الإناء شيئاً؛ فقال له قيس: اشرب. فقال حسان وعرف الشر في وجهه: أو خيراً من ذلك أجعل لك الغلبة. قال: لا! إلا أن تشربه؛ فأبى حسان. وقال له سلام بن مشكم: يا أبا يزيد، لا تكرهه على ما لا يشتهي، إنما دعوته لإكرامه ولم تدعه لتسخف به وتسيء مجالسته. فقال له قيس: أفتدعوني أنت على أن تسيء مجالستي! فقال له سلام: ما في هذا سوء مجالسة، وما حملت عليك إلا لأنك مني وأني حليفك، وليست عليك غضاضة في هذا، وهذا رجل من الخزرج قد أكرمته وأدخلته منزلي؛ فيجب أن تكرم لي من أكرمته. ولعمري إن في الصحو لما تكتفون به من حروبكم؛ فافترقوا. وآلى سلام بن مشكم على نفسه ألا، يشرب سنة؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً.

من مبلغ عني أبا كاملِ أني إذا ما غاب كالهاملِ

قـد زادنـي شـوقـاً إلـى قـربـه مـع مـا بـدا مـن رأيـه الـفـاضـلِ
[السريع]

الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لأبي كامل. ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبش أن لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.

الفـهـرس العـام

فهرس المحتويات

أخبار الصّمة القشيري ٥
نسبه ٥
وَفَدَ جَدَّه قرة على النّبي ٥
حبه وزواجه ٥
موته ٦
كان ابن الأعرابيّ يَسْتَحْسِنُ شعراً له ٧
كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره ٨
تذكر محبوبته ٩
قصته في خطبة ابنة عمه ٩
من المائة المختارة من رواية يحيى بن عليّ ١٠
أخبار داود بن سلم ونسبه ١٢
نسبه وولاؤه ١٢
مدح آل معمر لأن أمه من مواليهم ١٢
كان أسود وبخيل ١٣
عزى السريّ بن عبد اللَّه عن ابنه ١٣
مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره ١٤
ضربه سعد بن إبراهيم في المسجد ١٥
كان يمدح الحسن بن زيد ١٦
إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له ١٧
ضبيعة العبسيّ وظبية جارية فاطمة ١٨
يذكرُ قثم بن عباس بجارية ١٩
وفد على حرب بن خالد ومدحه ١٩
شعره في الغزل ٢٠
في مدحه قثم بن العباس ٢٠

أخبار دحمان ونسبه ٢٢
كان مُغنياً صالحاً ٢٢
كان من تلاميذ معبد ٢٣
منزلته عند ابراهيم الموصلي ٢٣
كان المهدي يجزل صلته ٢٣
نسبة هذا الصوت ٢٤
سئل عن ثمن ردائه فأجاب ٢٤
نسبة هذا الصوت ٢٤
اشترى الوليد منه جارية وأكرمه ٢٥
دحمان في مجلس ٢٧
ظرف وفكاهة ٢٧
جعفر بن سليمان والمغنون ٢٨
غنَّى هو وابن جندب بالعقيق ٢٨
نسبة هذا الصوت ٢٩
دحمان والفضل بن يحيى ٢٩
من المائة المختارة ٣٠
أخبار أعشى همدان ونسبه ٣٢
نسبته وكنيته ٣٢
أسر في الديلم فأحبته ابنة الأمير وهربت معه ٣٣
قصته مع جارية خالد بن عتاب الرياحي ٤٠
خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي ٤١
حرّض أهل الكوفة للقتال مع ابن الأشعث ضد الحجَّاج ٤٣
مدح النعمان بن بشير عامل حمص ٤٧
شعره في حرب نصيبين ٤٨
طلَّق زوجته أم جلال وتزوّج غيرها ٤٩
شعر له في هزيمة الزبير الخثعميّ بجلولاء ٥٢
مدح الأصمعيّ شعره وفضله ٥٢
أسره الحجاج وأراد قتله ٥٤
أخبار أحمد النصبي ونسبه ٥٨

نسبه ٥٨
ما ذكره جحظة عنه ٥٨
كان بخيلاً مُرابياً ٥٨
كان موافياً لأعشى همدان ٥٩
نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعره وصنع أحمد النّصبيّ لحنه في سَليم .. ٦٢
من المائة المختارة ٦٢
أخبار حمَّاد الراوية ونسبه ٦٣
نسبه وولاؤه ٦٣
ما كان بينه وبيت مروان بن أبي حفصة ٦٤
سأل الهيثم بن عدي عن معنى شعر فعجز ٦٤
كَذَبَ الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقرَّ ٦٥
كان بخيلاً ٦٥
أجازه يوسف بن عمر وأرسله إلى الوليد ٦٩
أنشد من شعر هفان بن همام ٧٠
طلب منه جعفر إنشاد شعر لجرير ٧٢
حديثه مع مأبون ٧٢
كتب إلى الأشراف طالباً جبة ٧٣
هو والخزيمي وغلام أمرد ٧٣
أهدى إلى صديق له غلاماً ٧٤
أنشده رجل شعراً فأنكره ٧٤
عاب حمَّاد شعراً لأبي الغول فهجاه ٧٥
كان لصاً ثم تاب ٧٦
استنشده المهدي أحسن أبيات في السكر ٧٦
مدح بلال بن أبي بردة ٧٧
أنشد بلالاً شعراً في مدح أبي موسى نسبه للحطيئة ٧٧
يرى المفضل الضبي أنه أفسد شعر العرب ٧٧
حمقه خلف الأحمر وطعن في روايته ٨٠
أنشد زياداً شعراً للأعشى ٨٠
سأله الوليد لم سميت الراوية ٨١

أمر الوليد يوسف بن عمر بإرساله إليه ٨١
أنشده الطرماح شعراً فزاد فيه وادَّعاه لنفسه ٨٢
أخبار عبادل ونسبه ٨٣
نسبه ومنزلته من الغناء ٨٣
نسبة هذه الأصوات ٨٤
من المائة المختارة ٨٦
مدح وتعريض ٨٨
حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد ٩١
عتابه على مدح الأمويين ٩٣
دسيسة عليه من المنصور ٩٦
ما يُغنَّى من شعره ٩٧
الوابصي وأخباره ٩٩
رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفك الأسرى ٩٩
من المائة المختارة ١٠١
من المائة المختارة ١٠٢
بعض أخبار لنصيب ١٠٢
كان ابن سريج يغني لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن ١٠٣
توبة نُصيب ١٠٤
من المائة المختارة على رِوَاية جحظة عن أصحابه ١٠٦
أخبار المرقش الأكبر ونسبه ١٠٧
لقبه ١٠٧
عوف بن مالك المعروف بالبرك ١٠٧
عمر بن مالك وأسره لمهلهل ١٠٧
عشقه ١٠٩
كان مع المجالد بن ريان في غارته على بني تغلب ١١٣
المرقش الأصغر ١١٣
من المائة المختارة ١١٧
خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران ١١٩
وهي وقعة دولاب وشيء من أخبار هؤلاء وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه ١١٩

وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة ١١٩
أخبار سياط ونسبه ١٢٧
سبب تلقيبه بسياط ١٢٧
عند المهديّ ١٢٨
وصية مغن ١٣٠
نسبة هذا الصوت ١٣١
من المائة المختارة ١٣١
من المائة المختارة ١٣٢
من المائة المختارة ١٣٢
ذكر نبيه وأخباره ١٣٤
نسبه وأصله ١٣٤
من المائة المختارة ١٣٦
أخبار سليم ١٣٧
انقطع إلى إبراهيم الموصليّ ١٣٧
نقد فني ١٣٧
يجيد الأهزاج ١٣٨
نسبة هذه الأصوات ١٣٨
من المائة المختارة ١٤١
أخبار ابن عبّاد ونسبه ١٤٣
نسبه وكنيته وصناعته ١٤٣
وفاته ببغداد ١٤٤
من المائة المختارة ١٤٤
أخبار يحيى المكي ونسبه ١٤٥
اسمه وكنيته ١٤٥
منزلته في الغناء ١٤٦
كتابه في الأغاني ١٤٧
أظهر إسحاق غلطه ١٤٧
عدد أصواته التي صنعها ١٤٨
غنى للأمين ١٥٢

غنّى للرشيد ١٥٣
مدح إسحاق غناءه ١٥٣
من المائة المختارة ١٥٨
أخبار النميري ونسبه ١٥٩
شعره في زينب ١٦٠
من شعره في زينب ١٦٣
أمان عبد الملك ١٦٤
هربه من الحجَّاج ١٦٥
زواج زينب أخت الحجاج ١٦٦
رثاؤه زينب ١٦٧
عائشة بنت طلحة تستنشده شعره في زينب ١٦٩
إنشاد شعره في المصلّى ١٧٢
من المائة المختارة ١٧٢
أخبار وضاح اليمن ونسبه ١٧٤
شعره في حبيبته روضة ١٧٥
رأته أم البنين فَهَوِيَتْهُ ١٨٠
الوليد يدفنه حيًّا ١٨٤
شبب بفاطمة بنت عبد الملك ١٨٦
وضاح يرثي أباهُ وأخاهُ ١٨٧
وضاح يشبب بحبابة وبروضة ١٨٩
شعر له في روضة ١٩٠
من المائة المختارة ١٩٧
من المائة المختارة ١٩٨
أخبار بشار وعبدة خاصة ١٩٩
إذ كانت أخباره سوى هذه تقدمت ١٩٩
هجوه الحسن البصري ٢٠٠
مع مالك بن دينار ٢٠١
أنشده رجل بيتاً له فأنكره ٢٠٧
من المائة المختارة ٢٠٩

أخبار الأحوص مع أم جعفر ٢١٠
من المائة المختارة ٢١٢
أم جعفر تفضحه ٢١٣
أبو السائب المخزومي يطرب لشعره ٢١٤
من المائة المختارة ٢١٤
عاتكة بنت شهدة وشيء من أخبارها ٢١٦
ضاربة مجيدة ٢١٦
علمت مخارقاً الغناء ٢١٧
من المائة المختارة ٢١٧
ذكر أبي ذؤيب وخبره ونسبه ٢١٩
أشعر هذيل ٢١٩
ذكره ابن بجرة ٢٢٢
بعض من قصيدته العينية الشهيرة ٢٢٣
الاهتمام بعينيته ٢٢٤
الخيانة مشتركة ٢٢٥
موته ٢٢٩
ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه ٢٣١
عند يحيى بن خالد ٢٣٣
نبوغه في الهزج ٢٣٣
شهادة يحيى البرمكي ٢٣٥
المنصور يستكثر عطاء المغنين ٢٣٥
مع المهديّ ٢٣٥
مع الهادي ٢٣٦
رثاء الدارمي له ٢٣٦
من المائة المختارة ٢٣٧
ذكر ابن جامع وخبره ونسبه ٢٣٨
سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصلي ٢٣٩
ورعه وتقواه ٢٣٩
محاورته لأبي يوسف الفقيه ٢٣٩
حبه القمار والكلاب ٢٤١

لحن من الجن ٢٤١
عند الرشيد ٢٤٢
ابن جامع في رأي ناقد ٢٤٤
نسبة هذا الصوت ٢٤٥
جودة إيقاعه ٢٤٨
نباهته ٢٥٠
نسبة هذا الصوت الأخير ٢٥١
نسبة ما في هذا الأصوات من الأغاني ٢٦٠
نسبة هذا الصوت ٢٦٦
خبر أمسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعمودا ٢٦٧
قصة السموأل في الوفاء ٢٧١
إطلاق الأعشى بشفاعة ابن السموأل ٢٧٢
رجع الخبر إلى قصة ابن جامع ٢٧٣
قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث ٢٧٥
أحسن الناس حلوقاً ٢٧٧
ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه ٢٧٨
منزله في قريش ٢٧٩
عند هرقل ٢٨١
ذكر الخبر عن غزوة السويق ٢٨٩